السنة السادسة ـ العدد ٧٢ ـ صفر ١٤٠٢ هـ ـ ديسمبر ١٩٨١ م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

- التنمية في الخليج .. ظالمة أم مظلومة؟: د. غازي القصيبي
- الحريّة .. لا التسامح: خالد محمد خالد
- أول حديث صحفي مع القمر!: عبد الله جفري

السيرة الشعبية
ونظرية التراكم الملحمي





ميرندا بطعم البرتقال الطبيعي

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٧٢ - صفر ١٤٠٢هـ - ديسمبر ١٩٨١م

رئيس التحرير :

رجاء النقاش

هيئة التحرير

مدير التحرير : عبدالقادر حميدة

المدير الفني : أحمد فاضل

المحرر العام : كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج

مرزوق بشير

التحرير

النور عثمان أبكر عبدالله جابر

نادية رزق ممدوح عبدالرحمن

سكرتير التحرير : نبيل خالد الأغا

الإشراف الفني

محمد نبيل الحداد نائلة محمد فتحي

سكرتيرا التحرير الفنيان

أحمد عبدالله علي دياب

البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العشي

التصوير : أمين بدوي الحامدي

المراسلات :

التحرير والادارة :
ص .ب ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تليكس :
4521 MAGDO DH

تليفونات :
رئيس التحرير : ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

الأسعار :

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥٠ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
المملكة الاردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقي دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين

الاشتراكات :

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٠٠ ريال قطري
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
في باقي دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

● المواد لا تعاد الى مرسليها نشرت أو لم تنشر
● ما ينشر في المجلة لا يعبر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة

في هذا العدد



د. جابر الأنصاري



عبد الرزاق البصير



نعمان عاشور

- كلمة العدد : أمانة في أعناق هذا الجيل ..... « الدوحة »
- التنمية في الخليج : ظالمة أم مظلومة ..... د. غازي عبد الرحمن القصيبي
- الحرية ... لا التسامح ..... خالد محمد خالد
- أخيراً حقيقة العرب أمكن قولها في الغرب ..... د. محمد جابر الأنصاري
- أول حديث صحفي مع القمر ! ..... عبد الله جفري ٢
- أبو البهاء منقذاً ! ..... عبد السلام العجيلي ٤
- في البدء كانت الحروف ... (قصيدة) ..... محمد الفهد العيسى ٧
- قراءات ..... طلعت جاد الله ٨
- بدوي الجبل : آخر الراحلين من عمالقة الشعر المعاصر ..... خيري عبد ربه ١٠
- لم أحاكم جبران ولكني طالبت بدين أمته عليه ..... حارث طه الراوي ١٤
- لم يظلم النحاة المرأة العربية ..... عودة الله القيسى ١٧
- أخوان الصفاء بين خالد محمد خالد وحقائق التاريخ ..... الحاج عبد الأمير علوش ١٩
- العقاد كما عرفته : ذكريات شخصية وأدبية ..... نعمان عاشور ٢٣
- أدباؤنا والبادية ..... درويش مصطفى الفار ٢٨
- إليك أيها العربي ..... معروف رفيق ٢٩
- يهود معارضون للصهيونية ..... عصام شريح ٣٠
- الحب من بعيد ... (قصة قصيرة) ..... عباس خضر ٣٤
- بنفسجه للوطن ... (قصيدة) ..... حسن طلب ٣٦
- مؤرخ يهودي يشوه سمعة كليوباترا ..... د. أحمد عتمان ٣٨
- محكمة في جنة الشعراء ..... عبد الرزاق البصير ٤٢
- القات وتاثيره في المجتمع اليمني ..... زيد محمد حجر ٤٤
- قالوا هذا الشهر ٥٠
- السمكة التي أكتشفت أسرار البحر الأحمر ..... صنع الله ابراهيم ٥١
- ثمانون عجلا من بقرة واحدة ! ..... د. توما شماني ٦٧
- ياشباب العالم اتحدوا ..... محمد فتحي ٦٨
- أيتها الأم الحامل : أوقفي التدخين فوراً ..... د. زين محمد النيل ٧٠
- تحت ظلال غرناطة الحمراء ..... محمد محمد الخطابي ٧٢
- عذاب كل عام ... (قصيدة) ..... فتحي سعيد ٧٦
- كوتسيراس : شاعر الصخرة المتدحرجة ..... د. نعيم عطية ٨٠
- الجيوكندا لا تستحق كل هذا الصخب ! ..... بشرى ناصر ٨٤
- لقطات من الكون المثير ٨٨
- الفنان بين عالم الخيال والأساطير ..... جمال قطب ٩٠
- قبائل اليوربا بين الفيل والكبش والقرد الأحمر ..... د. حسن عيسى عبد الظاهر ٩٤
- رينيه كاسبار :فنانة فرنسية ترسم مظاهر الحياة في الخليج ..... عبد الله الشيتي ٩٩
- زغاريد الرمال بين الحقيقة والخيال ..... د. عبد المحسن صالح ١٠٢
- ثلاثة أفلام عربية تناقش موضوعاً هاماً ..... رءوف توفيق ١٠٨
- علم جديد أم نظرية متخلفة ؟ ..... محمد العزب موسى ١١٥
- سيرنا الشعبية ونظرية التراكم الملحمي ..... يوسف الشاروني ١١٨
- أزمة الصحافة الغربية ..... مجدي نصيف ١٢٢
- الطفل العربي وأزمة القراءة ..... عبد التواب يوسف ١٢٦
- شوقي شاعراً مسرحياً ..... حسين عثمان ١٣١
- أنظر إلى الماضي دون خجل ..... صلاح الدين المقريزى ١٣٣
- ضحكات الشهر ..... صلاح الليثي ١٣٨
- دوحة القراء ١٤٠
- حدث في ليلة شتائية ... (قصيدة) ..... م . كجراي ١٤٤
- الورقة الأخيرة : اعترافات لص ! ..... يوسف الشاروني ١٤٦

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

كلمة

أمانة في أعناق هذا الجيل

في منتصف الشهر الماضي افتتح السيد عيسى غانم الكواري وزير الاعلام الاجتماع التأسيسي لمشروع «مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية» ، ثم استمرت الاجتماعات بعد ذلك برئاسة السيد محمد عبد الرحمن الخليفي وكيل وزارة الاعلام .

وقد قال وزير الاعلام في كلمة الافتتاح إن هذا المركز الذي يتجه إلى رعاية وحماية تراثنا الشعبي إنما يعكس «رغبة أكيدة في البحث عن منابع أصالتنا والتعرف إلى جوانب إبداعات أجدادنا وآبائنا لدراستها وتحليلها وتوظيف المناسب منها في حياتنا وحفظها ذخيرة لأجيالنا القادمة» كما أكد وزير الاعلام بحق : «أن هذا الدور الوطني أمانة في أعناق هذا الجيل الذي يشهد التطورات الخطيرة في مجتمعاتنا الحديثة ، ويعايش التحولات البالغة الأثر في المفاهيم والقيم الحياتية ، وعلينا أن ندعم كل جهد للاضطلاع بهذا الدور أمانة وإخلاصاً لأنفسنا ، ولا يخفى عليكم ما بذلته الدول المتحضرة التي سبقتنا بنحو مائة عام من جهود وتضحيات في هذا المجال» .

وفي ختام الاجتماعات ألقى السيد محمد عبد الرحمن الخليفي وكيل وزارة الاعلام كلمة قال فيها « .. إننا إذا كنا قد خطونا خطوة جديدة على صعيد العمل الجماعي الخليجي المشترك فاننا مطالبون في نفس الوقت بمتابعة ما بدأناه ودعمه بكل عوامل النجاح حتى يصبح المركز صرحاً خليجياً شامخاً يحمي تراثنا الشعبي ويحفظه لأجيالنا القادمة » .

كما ألقى الشيخ « ناصر بن محمد الأحمد الجابر » رئيس وفد الكويت في هذا الاجتماع كلمة قال فيها إنه يأمل « في أن يظهر مركز التراث إلى حيز الوجود في أقرب فرصة ممكنة لتحقيق كافة الأهداف المرجوه من انشائه لخدمة شعوب المنطقة والشعوب العربية كافة وتطوير تراث المنطقة القومي والشعبي » .

وتحدث السيد « علي عبد الله خليفة » المشرف على مشروع تأسيس « مركز التراث الشعبي » والمثقف العربي الذي قطع أرض الخليج طولا وعرضاً في جهد دائب مخلص تمهيداً لاقامة هذا المركز ، فقال في كلمته « إن أهم ما تم الاتفاق عليه خلال الاجتماع هو اعتبار الرقعة الجغرافية لدول الخليج العربية ساحة عمل ميداني واحد أمام أعمال المركز مع مراعاة النظم المتبعة في كل دولة لتأكيد الوحدة الخليجية العربية » .

تلك هي الخطوط العامة لهذا الاجتماع الثقافي الهام الذي انعقد في الدوحة في منتصف الشهر الماضي وانتهى إلى إقرار مشروع « مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية » والبدء في تنفيذه .

وقد كانت مجلة « الدوحة » أول مجلة عربية أشادت بفكرة هذا المركز في افتتاحية عددها الصادر في شهر ابريل عام ١٩٨١م ، ذلك لأن هذا المشروع يمثل بحق أحد المشروعات الحضارية والثقافية الكبري التي تعتبر خطوة جديدة من خطوات البحث عن أصالة الشعب العربي في الخليج ، وعن تراثه الفكري والفني ، في الشعر والموسيقى والعمارة والأزياء والرسم ، وفي سائر المجالات الأخرى المختلفة ، وقد اتجهت فكرة المركز منذ البداية إلى أن تكون «فكرة خليجية عربية عامة» ، لا فكرة إقليمية محدودة ، تتصل فقط بقطر واحد من أقطار الخليج ، فالفكرة الاقليمية المحدودة ، نوع من التجاهل لحقيقة منطقة الخليج وحقيقة الوحدة الوجدانية والفكرية والحضارية التي تربط بين شعب المنطقة في ماضيه وحاضره ومستقبله ، كما أن أي فكرة إقليمية محدودة في إقامة «مركز التراث» يمكن أن تكون تجاهلا لارتباط أبناء الخليج بسائر أبناء الشعب العربي في كل مكان ومهما كانت أصالة التراث الخليجي ، واستقلاله ، فان في أعماق هذا التراث إنما تجري دماء عربية أصيلة ، نرى فيها قرابة قوية بينها وبين أي تراث شعبي عربي في أي مكان آخر من الأرض العربية . ولقد كان اختيار الدوحة مقراً لمشروع «مركز التراث الخليجي» تكريماً لهذه المدينة الناهضة ، التي أصبحت منطقة إشعاع فكري ، تساهم بقوة وإخلاص في تطوير الحركة الثقافية العربية تطويراً إيجابياً عميق الأثر و تفتح ذراعيها لكل فكرة جديدة يمكن أن تضيف إلى النهضة الخليجية العربية إضافة مثمرة ، ولاتبخل بشيء من جهدها الأدبي والمادي في هذا المجال الكريم .

فمرحباً بمركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية ، وذلك المشروع الذي كان حلماً فتحول ، على أرض قطر إلى حقيقة ساطعة ، تعد بالكثير من الخير الثقافي والحضاري ، الذي سوف يعم بآثاره الطيبة على الخليج بل وعلى الوطن العربي في كل مكان منه ، وكل جزء من أجزائه الغالية .

« الدوحـــة »



عيسى غانم الكواري
وزير الاعلام



محمد عبد الرحمن الخليفي
وكيل وزارة الاعلام



علي عبد الله خليفة
المشرف على مشروع التأسيس

التنمية في الخليج.. ظالمة أم مظلومة؟



بقلم الدكتور
غازي
عبدالرحمن
القصيبي

● هل التنمية ـ فى حد ذاتها ـ سبب من أسباب عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي ؟

● هل كانت التنمية السريعة سبباً من الأسباب التى دفعت بايران إلى «أوضاع» لا يعرف مداها الا الله ؟

● هل التنمية اليوم سبب من أسباب حيرة المواطن الخليجي أو من أسباب شكـــواه ؟

هذه أسئلة خطيرة ، لا بل إنها أخطر ما يمكن أن يتبادر الى الذهن فى هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ الخليج . وهذه الأسئلة الخطيرة لا يمكن أن نناقشها همساً وتلميحاً ، أو أن يكون لنا فيها رأيان : رأي نقوله أمام المسؤولين ورأي نردده عندما نخلو الى أصحابنا وسمارنا .

أما أنا فأجيب على الأسئلة الثلاثة بالرفض القاطع الواضح الصريح !

● أقول ، أولا ، ان التنمية لم تكن ولن تكون عاملا من عوامل عدم الاستقرار فى أي مجتمع ؛ وأذهب أبعد من ذلك فأقول ان دول العالم الثالث تتحمل أقصى المشقات وأعظم التضحيات فى سبيل التنمية وباسم التنمية .

● وأقول ، ثانياً ، ان التنمية السريعة لم تكن مسؤولة بأي وجه عن أحداث إيران ، لا بل انني أذهب أبعد من ذلك فأقول انه لو نجحت التنمية فى إيران لتغير مجـرى الأحداث السياسية ولما قامت الثورة .

● وأقول ، ثالثاً ، إن التنمية السريعة ليست المشكلة التى يعاني منها الانسان الخليجي اليوم . لا بل إنني أذهب أبعد من ذلك فأقول إن شكوى الانسان الخليجي هي أن التنمية لا تتم بالسرعة التى تواكب تطلعاته الجامحة . وهو يريد المستشفى الآن ؛ والماء الآن ؛ والكهرباء الآن ؛ والمدرسة الآن ؛ ولا يريد الانتظار حتى انتهاء الخطط المرسومة .

على أنه إذا كانت التنمية لا تشكل فى حد ذاتها مشكلة فلا شك أن السلبيات التى تقترن بالتنمية وكثيراً ما تختلط بها على نحو يجعل الانسان العادى عاجزاً عن التفرقة بين التنمية وأدوائها ، تشكل مشكلة بالغة الخطورة ، ينبغي علينا أن نواجهها ببسالة ونلتمس لها الحلول بشجاعة . وأول هذه السلبيات فى رأيي هو الفساد :

● فى كل مجتمع وكـل زمـــان

إن الفساد ، للأسف الشديد ، جزء من تجربة الانسان فى كل مجتمع وكل زمان . والقضاء على الفساد قضاء نهائياً لا يتأتى إلا باعادة صياغة الطبيعة البشرية وهو مطلب يفوق قدرة البشر . غير أن الفساد فى فترات التنمية السريعة ينمو ويستشري ويستفحل لأسباب عديدة . منها أن المبالغ الخيالية التى تنفق تجعل أشد الناس ورعاً وتقوى عرضة للاغراء والانحراف . ومنها أن الدول التى تمر بمرحلة التنمية لم تطور بعد مؤسساتها القضائية والصحفية والادارية والسياسية على نحو يشكل رقابة فعالة على التصرفات المالية المنحرفة ، وهذا يعني أن بوسع الفاسد أن يمارس فساده باطمئنان وثقة يستمدها من علمه أن فساده لن ينكشف . إن الفرق بين الفساد فى الدول المتقدمة والفساد فى الدول النامية أنه يتم فى الأولى بخوف وحذر ، وكثيراً ما يكشف ويعاقب صاحبه ، ويتم فى الثانية باستهتار وقحه ، ونادراً ما يكشف أو يعاقب صاحبه . ومنها أن المجتمعات التى تمر بتجربة التنمية السريعة تعاني فى العادة من نزعات استهلاكية متعطشة تجعل من الترف غاية عظمى تبرر كل وسيلة .

غير أن الفساد المستشري ، بعد ذلك كله ، ليس قدر التنمية المحتوم . بالامكان أن تتم التنمية بحد أدنى من الفساد . إن الطفيليات البشرية من سماسرة ووسطاء ومرتبي صفقات ليست بظاهرة صحية بل على العكس ظاهرة مرضية خطيرة يجب أن تختفي فى المستقبل . إن الفوارق الهائلة بين الدخول ليست أمراً متلازماً مع التنمية بل على العكس أمر يناقض روح التنمية . « الاتاوات » التى تفرض على المواطن العادي مقابل الحصول على الكهرباء والهاتف أو التاشيرة لم ترد فى خطة التنمية لأية دولة من الدول .

وعلاج الفساد ، نظرياً ، أمر سهل ، أما استئصاله ، واقعياً ، فأعسر من العسير ، وأخطر ما فى الفساد هو تحوله الى وباء لا يسلم منه أحد حتى أكثر الناس شكوى منه . إن المواطن العادي ، فى هذه الحالة ، يتحول الى جان ومجنيعليه إلى ممارس للفساد وإلى ضحية له ، حتى ليكاد الفساد يصبح القاعدة السوية للسلوك . إن العلاج الناجح للفساد ، بجانب الوسائل التشريعية والادارية ، لن يظهر إلا بظهور وعي صادق عند كل مواطن . وهذا الوعي يتطلب أن نزرع فى المواطن روح الدين وروح المواطنة . أما روح الدين فتطلب أن يتشرب الطفل أن مفهوم التدين يتجاوز ممارسة الشعائر الى رحاب أوسع وأشمل تعني فيما تعنيه أن يراقب العبد الله فى كل حركة من حركاته وسكنة من سكناته . وتعني ، بالتالي ، تحول خصال الصدق والمسؤولية والأمانة الى طبيعة ثانية .

أما روح المواطنة فتعني ألا ينظر الواحد منا الى الوطن باعتباره بقرة حلوباً يمتص منها ما أستطاع مادام قادراً على الامتصاص . روح المواطنة تعني أن يدرك الواحد منا أن المصلحة لا تعني مصلحتي فحسب ، أو مصلحة أسرتي فحسب ، أو مصلحة قبيلتي فحسب ، أو مصلحة منطقتي فحسب ، بل خير كل إنسان داخل حدود الوطن ، وخير الأجيال القادمة التى لم تولد بعد .

التنمية في الخليج.. ظالمة أم مظلومة؟

● التضخم : هذا الغول الرهيب !

أما ثاني هذه السلبيات فى رأيي فهو التضخم :

وما أدراك ما التضخم ؟!

التضخم هو ذلك الغول الرهيب الذى يأكل لحم المواطن ويرشف دمه ويقضم عظامه . التضخم هو ذلك الوحش المخيف الذى ينقض على راتب الموظف أو العامل كل شهر فلا يترك له ما يكفيه ويكفي أولاده . والتضخم هو تلك الآلة الجهنمية التى يدخلها الريال فيخرج منها وقد تحول الى نصف ريال أو ربع ريال .

ومن أصعب العقبات التى تحول دون مكافحة التضخم أن أي مواطن ينتمي الى الفئة الموسرة يصبح بمنجاة من هذا الداء الوبيل فلا يعود يشعر بوجوده بل قد يحارب أي إجراء يتخذ لمقاومته . ان المواطن ذا الدخل الضخم لا يهمه أن يصل مستوى التضخم الى ٤٠٪ أو ٥٠٪ لأنه يستطيع أن يتعايش مع هذه النسبة . أما المواطن ذو الدخل المحدود فله قصة مؤلمة أخرى . ولكم شعرت بالألم والحسرة وأنا أستمع الى مواطنين خليجيين يفترض فيهم المسؤولية والوعي والالمام بأوليات الاقتصاد وهم ينتقدون بحدة أي إجراء يتخذ لمقاومة التضخم لأنهم ، شخصياً ، لا يعانون من المشكلة.

والتضخم علاوة على امتصاص دم المواطن العادي يحدث ردود فعل سلبية تتناول المجتمع من أوله الى آخره . التاجر ، في الفترات التضخمية ، لا يقنع بالربح المعقول بل يتطلع الى هوامش ربح خيالية . والعامل يتطلع إلى قفزات متزايدة فى أجره تتناسب مع زيادة التضخم . سائق سيارة الأجرة ، الخياط ، الحلاق ، السباك ، الكهربائي ، وهلم جرا حتى يكاد المجتمع بأسره أن يتحول الى غابة متصارعة أو إلى حارة دريد لحام الشهيرة « كل من أيدو اله » . ولا أظنني بحاجة الى استطراد مطول فى شرح ويلات التضخم بعد أن لمسناها بأنفسنا فى مجتمعات الخليج خلال الفترة التضخمية التى انتهت بلا رجعة إن شاء الله .

إن موقفنا من التضخم يجب أن يكون واضحاً لا لبس فيه ولا التواء . إذا تعارضت متطلبات التنمية مع متطلبات التضخم فيجب ، دون تردد ، أن نطرح التنمية جانباً . على أننا لسنا فى حاجة الى اتخاذ مثل هذا القرار الصعب فقد أثبتنا خلال السنوات الثلاث الماضية أن بامكان منطقة الخليج أن تشهد تنمية سريعة ضمن نسب معقولة من التضخم .

● أولويات صارمة وحاسمة

وثالث السلبيات فى رأيي هو التخطيط وعدم وضوح الأولويات :

إننا كمنطقة نامية ، نحتاج الى تطوير مرافق حياتنا بدون استثناء . ولكننا بطبيعة الحال لا نستطيع أن نحقق كل ما نريد فى نفس الوقت فلا الموارد المالية المتاحة تكفي ، ولا العناصر البشرية المؤهلة تكفي ، ولا السنوات المحددة لكل خطة تكفي ، لابد والحالة هذه من أولويات صارمة وحاسمة : أيهما أهم المستشفى أو مدينة الملاهي ؟ المجاري أم المباني الادارية الضخمة الفخمة ؟ الاعانات أم تطوير القطاعات الانتاجية ؟ بدون أولويات صارمة سنجد أنفسنا فى المنطقة وقد انزلقنا ، كما انزلق عدد من دول العالم الثالث ، فى مشاريع ذات أهمية ثانوية ننفق عليها البلايين بينما يبقى عدد كبير من مواطني الخليج محرومين من الخدمات الرئيسية الحيوية . إن المشكلة أعمق من أن تترك لوزارة تخطيط أو لخطة . إن أية خطة لن تنجح مالم ينظر كل مواطن، وكل مسؤول على وجه الخصوص ، اليها كأمانة غالية لا يجب أن يفرط فيها بدلا من أن يعتبرها قيداً يتقبله على مضض ، ويحاول التملص منه كلما سنحت الفرصة .

● الاصلاح الاداري ضرورة ومسئولية

أما رابع السلبيات فهو القصور الاداري :

إن موضوع التنمية الادارية فى الخليج حديث ذو شجون يطول شرحها ولا يمكن أن يتسع هذا المقال لها . يكفي أن أقول هنا ان كل مواطن خليجي يلمس خطورة القصور الاداري فى

كل مكان : الموظف الصغير الذى يحتاج الى أسابيع لانجاز معاملة لمواطن لا يستغرق انجازها سوى دقائق ؛ المسؤول الذى تمر السنوات وهو عاجز عن تنفيذ مشروع واحد ؛ المسؤول الذى يبصم على مواصفات الاستشاري الأجنبي فيسمح للمشروع أن ينفذ بتكلفة تتجاوز أضعاف تكلفته الحقيقية ؛ المسؤول الذى لا يتفضل على عمله كل يوم إلا ببضع دقائق من وقته الثمين .

إن الخطوة الأولى نحو أي اصلاح اداري فعال هي اتخاذ موقف حازم من كل مسؤول أثبتت التجربة أن ما لديه من مواهب وقدرات لا تؤهله لتولي منصب قيادي خلال فترة التنمية خاصة ومنطقة الخليج تعج بالآلاف من الشباب الكفء المؤهل . بدون ذلك يبقى أي حديث عن الاصلاح الاداري حديثاً فارغاً يتطاير كالفقاعات فى الهواء .

● تقاليد تتناقض وروح الاسلام !

وخامس السلبيات هو تأثير التنمية السريعة على العادات والتقاليد وأساليب التفكير والسلوك فى المجتمع :

وهنا يجب أن نجابه أنفسنا بصراحة وقسوة ونسألها هل جميع عاداتنا وتقاليدنا واتجاهات سلوكنا مبنية على العقيدة الاسلامية وبالتالي يجب أن تكون بمنأى عن أي تغيير أو تطوير ؟

أما أنا فأقول إن العديد من عاداتنا وتقاليدنا واتجاهات سلوكنا تتناقض مع روح الاسلام ، فان غيرتها التنمية كان ذلك من حسناتها لا سيئاتها .

وعلى سبيل المثال ، أقول هل ما يفعله بعضنا من اعتبار المرأة مجرد قطعة من الأثاث أو مخلوقة من الدرجة الثانية لا تذكر إلا وقد سبقتها عبارة « كرمك الله » ـ هل هذا الموقف من العادات الحميدة الكريمة التى يجب أن نتمسك بها ؟

وعلى سبيل المثال ، أقول هل التعلق بالعنعنات القبلية والعصبية والأسرية التى أتى الاسلام لتحطيمها وصهر البشر فى بوتقة الأخوة الاسلامية ، هل مثل هذا الموقف عادة جميلة ينبغى أن نعض عليها بالنواجذ ؟ .

وعلى سبيل المثال ، أقول هل نظرة الاستعلاء والترفع الى الحرف اليدوية والمهنية عادة طيبة ينبغي التشبث بها ؟.

وعلى سبيل المثال ، هل المغالاة فى المهور وفى الأفراح والليالي الملاح وجنون البذخ والتسابق فى مظاهر الترف والبطر المقزز ـ هل هذه كلها عادات كريمة يجب الاستبسال فى الدفاع عنها ؟

أما أنا فأقول لا !

أما أنا فأقول إن كل أمر يتعلق بالعقيدة وانعقد عليه اجماع المسلمين فلا مجال لأن يمسه أى كان ، كبيراً أو صغيراً، بأى تعديل .

أما الأمور الفرعية والاجتهادية فيجب أن تكون مجالا لنقاش مستنير واسع يخلو من التطرف ومن التعصب . إن منطقة الخليج ، كأية منطقة أخرى فى العالم ، تحتوى على عناصر محافظة وعلى عناصر مجددة والحوار بين هؤلاء وأولئك ضروري لنمو المنطقة وازدهارها . على المحافظين أن يدركوا أنهم لا يستطيعون أن يكموا كل الآراء التى تخالفهم بحجة الدفاع عن العادات والتقاليد . وعلى المجددين أن يدركوا أن آراءهم لا تمثل بالضرورة آراء الأغلبية ، وأن يفهموا أن الحقيقة ليست احتكاراً لأحد . ومن الحوار الهادى الموضوعي ينبثق النور وتتضح معالم الطريق .

● وبعـــد ..

فان التنمية كائن حي معرض لكل ما تتعرض له الكائنات الحية من جراثيم وفيروسات . ومهمة الشعب الحي أن يكون مفتوح العينين دائم الحذر حتى لا تسقط التنمية ضحية مرض خبيث يفترس الآمال المعلقة عليها . وما أحرانا نحن أبناء هذه المنطقة التى تشهد عملية تنموية لم يعرف التاريخ مثيلها أن نثبت أننا ، حكاماً ومحكومين ، على مستوى المسؤولية التاريخية وأن نسلم الأجيال القادمة ثمرات التنمية رفاهية وطمأنينة و سعادة .

غازي عبد الرحمن القصيبي

الحرية .. لا التسامح

بقلم
خالد محمد خالد

لم تضح البشرية فى سبيل شيء كما ضحت فى سبيل الحرية ، ولم ترفع قبضتها فى وجه شيء ، كما رفعتها فى وجه الاستبداد .

ومنذ عهد بعيد بعيد ، وهي ماضية كالشهاب ترتاد لبنيها الطريق .. وإذ هي ماضية إلى غايتها دهمها الطغاة من كل فج ، يحملون المدى والرماح والسيوف ، ويصلونها من نقمتهم سعيراً .

انطلقت البشرية تحمل الأمانة الكبرى فى شجاعة وإيمان ، وتشق طريقها المحفوف بالمكاره والأخطار .

لقيتها الجيوش فى موج كالجبال ، فخاضت معها معارك الهول ، وقضى نحبه من أبنائها فريق ، وتدفق الباقون يثخنون فى الأرض المجهولة ، لا يلقون لهواتف اليأس سمعاً ولا بالا .

تصدت لها وتطاولت أمامها قصور الأباطرة والقياصرة ، تسد الطريق وتزحم الأفق . تطأ بقواعدها أرض الناس ، وتتحدى بأبراجها السماء ، فدمدمت عليها ، وتركتها كثباناً مهيلة .. رحلة الضنى والهول ـ كلما تقطعت دون غايتها أنفاس جيل ، أسلمها الى جيل .. وكلما أنجز تبعاته رعيل ، نهض فى أثره رعيل !! وكانت مسيرة فذة ، اختلفت مناظرها ، وتغير أبطالها ـ بيد أن موضوعها لم يتغير .. فما أروع هذا الذى حدث من أجل الحرية .. !!

أنظروا .. هذه مشاهد تغرى بالتشاؤم والقنوط ، وأخرى ترفع تجاه العيون منى عذاباً ، وآمالا رطاباً ..

مشاهد تتقاذف كهدير العاصفة ، وأخرى تنساب وديعة كأشعة القمر ..

فى بداية الطريق ظلام ويأس ، ثم محاولة وتردد ، ثم اقتحام وتحد ، وعلى طوله أشلاء ، ودماء ، ومعاصم ، وأعاصير وعواصف .. ومن وراء ذلك كله عالم تشرق عليه من بعيد شمس الحياة ، والحرية ، والحضارة ..

وبعد أن كان الاقطاعي القديم يسيطر بوثيقة تقول : « نبايع صاحب الحق المطلق فى حياتنا » !! حل مكانها : « لكل انسان الحق فى الحرية وفى الحياة ، وفى العيش آمنا مطمئناً » ..

وبعد أن كان حسن الجوار بين اقطاعي واقطاعي يقوم على تبادل هذا النص المخزي : « أتعهد ألا أعتدي على أرضه ، ومواشيه ، ورعاياه العبيد » !! صرنا نقرأ بديلا لها : « لا يجوز أن يعيش إنسان فى الرق والاستعباد » .

وبعد أن كان الناس .. كما يقول أوليفيه يُسَخَّرون لصيد الضفادع من الغدران كي لا تقلق الاقطاعي فى نومه ، ويجلدون بالسياط إذا نهروا كلاب سادتهم التى تخرب حقولهم ، ويقذفون فى السجون إذا عارضوا رغبة المستبد وبطانته فى الفجور بزوجاتهم وبناتهم ».

بعد أن كان ذلك كذلك إذا لواء السيادة ينعقد أخيراً لهؤلاء .. فلا يسخرون لصيد الضفادع (!) ، ولا يجلدون بالسياط ، ولا يستباح لهم عرض أو تنتهك لهم حرمات ...

لقد أبلت الحرية بلاء عظيماً عاملة وكادحة فى سبيل تطهير الروح الانساني من رواسب الماضي الرهيب ، و تطهير العقل من أوهامه ، وتطهير الارادة من أغلالها الغلاظ ..

وعلمت الحرية بني الانسان أن يحتقروا الطغاة الكبار الذين كانوا يخلعون عليهم صفات التمجيد ، وعلمتهم أن يدركوا أنهم فى أحسن وأفضل حالاتهم أشبه بتلك الأنهار التى تفيض فتبدو رائعة ، بينما هي تخرب الأرض التى كان عليها أن ترويها وتحييها !! .

كذلك علمت الذين قد تراودهم أنفسهم المريضة ، وتوحي اليهم بالانتقاص من حرية الشعوب .. علمتهم أن الاستبداد هو الأب الشرعي للمقاومة ، وأن الرأي المكبوت والمكظوم يتحول داخل النفس الى قذيفة مدمرة ، وعلمت الناس جميعاً أن أفضل الطرق لحضارة خصيبة ممرعه هو فتح منافذ الملاحة الفكرية . والقضاء

على كل بواعث التهيب فى الشعوب .

● ●

وبين الناس والحياة ميثاق لا مناص لهم من احترامه والوفاء به إذا أرادوا أن يحيوها .. ميثاق استمد نصوصه من ضرورات الوجود .. وأول سطور هذا الميثاق كلمات تقول : « أيها الناس ، عيشوا أحراراً » ..

والانسان هنا ، فوق أرضنا هذه ، ووسط عالمنا هذا ، ليس شيئاً عابراً ، ولا ضيفاً طارئاً ، ولاواحداً من أبناء السبيل .. إنما هو خليفة الله .. خليفة تلك القوة القادرة الحكيمة التى يحيا الكون كله فى كنفها ، ويمضي فى حركته وفق قوانينها .. هو استاذ حياته ، وصانعها ، والمسئول عنها .

وهو مسئول عن الكوكب الذى ساده وأمسك بزمامه .. مسئول عن الحياة التى حملت اسمه ، وصار اسمها « الحياة الانسانية » .. ومسئول عن مصيره كنوع متميز اختار طريقه ، ولن يسمح له بالتقهقر أو الهروب .

ومسئوليته الانسانية عن الحرية تتكون من مسئولية الجماعات الانسانية والفرد الانساني .

فكل أمة تسمح بالانتقاص من نفوذ الحرية فى داخلها تهدم صرحاً كبيراً من الحرية خارجها .

وكذلك كل فرد انساني يسمح بمقاومة الحرية داخل ذاته يهدم من الحرية بقدر ما تخلى عن حريته .

وصحيح أن الحفاظ على الحرية ـ سواء حرية الفرد أم حرية الشعوب يتطلب معاناة وكداً ...

ولكن علينا أن نذكرأننا إذا لم نعان متاعب الصعود الى القمة ، فأننا سنعاني متاعب الانحدار الى السفح .. !!

ومن ثم كان واجب البشرية اليوم أن تبذل كل جهدها لتحافظ على ما أفاءه عليها جهاد آبائنا الماضين الذين شقوا فى سبيل رفع لواء الحرية وتعبيد طريقها .

● ●

والحرية هى الحرية .. بديهة تجل عن التعريف .. ونحن حيال البحث عن تعريف لها نقف موقف القديس اوغسطين حينما سئل عن الزمان ، فأجاب قائلا : « أنا أعرف الزمان مالم أسأل عنه ، فاذا سئلت عنه فأني لا أعرف عنه شيئاً » .. !!

أجل هناك بدائه تفرض نفسها على العقل الانساني ، ولا تكلفه عناء التفكير فى بحثها أو تعريفها .

والحرية إحدى هذه البدائه ، بل على رأسها ..

ولكن قوماً يخلطون بينها وبين التسامح . وأولئك هم المتخلفون حضارياً

فالتسامح ليس صنواً للحرية ، ولا بديلا عنها .. إن التسامح يعني أن الأمة تتسول حقها وتستجديه ، وهي آنئذ توقع وثيقة عبوديتها وتخلفها .

إن الحرية حق طبيعي ، بل دعوني أقل : انها حق إلاهي أعطاه الله لخلقه من بني الانسان .

وكل من يسلب الأمة حقها المقدس هذا ويمنحها بدلا عنه التسامح فهو طاغية شرير .

وتعالوا نستمع الى صديق عظيم من أصدقاء الحرية .. ذلكم هو «توم بين» الذى يرفض في يقين الحكماء ما تمن به السلطة ـ أى سلطة ـ من تسامح ، ويقول فى كلمات من نور : «ليس التسامح عكس التعصب . بل هو تلفيق له ـ وكلاهما تحكم واستبداد .. فالتسامح يزعم لنفسه حق ـ منح ـ الحرية والاستبداد والتعصب يزعمان لنفسيهما حق ـ منع ـ الحرية» .. !!

ويستطرد «توم بين» قائلا : « ان الحرية قبس من الله ترفض منة التسامح كما ترفض وقاحة الاستبداد والتعصب» .... !!!

ما اجدر هذه الكلمات ان يعيها الذين يضعون التسامح مكان الحرية ، والذين يتقبلون ذلك من الأمم والشعوب .

إن الحرية هى الحق المقدس للانسان . وبدونها يفقد كل معاني انسانيته .

وإن التسامح الذى تمنحه السلطة ليس إلا تلفيقاً للتعصب ، وقناعة للاستبداد . ومن ثم كان واجب الشعوب أن تطالب لنفسها بالحرية لا بالتسامح ..

واذا استنكف أحد أن يمكنها من حقها فى الحرية ، وتظاهر بالتسامح فهذا برهان على سوء نيته ، وخبث طويته ، وصغار نفسه !!

إن الحرية ملك للناس جميعاً بحق الولادة ، وهذا هو معنى قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا» .. ؟!

والحرية تعنى حق الشعوب فى حماية مصيرها ، ومساءلة مسئوليها ، وهذا معنى الموقف البهى العظيم الذى وقفه أمير المؤمنين «عمر» حين نادى الحشد الكبير من المسلمين الحافين به : «ما تقولون لو ملت برأسى عن الحق هكذا .. ؟ فهب واحد من الحضور ولوح بسيفه وقال : إذن نقول بالسيف هكذا .. فتألقت دموع الغبطة والفرح فى عينى «عمر» وصاح : الحمد لله الذى جعل فى المسلمين من يقوم اعوجاج عمر بسيفه» .. !!!

إن جميع كنوز الأرض وطيباتها لايمكن أن تغرى شعباً كريماً بتقبل التسامح بديلا للحرية .

وان الأمة لتجعل من نفسها «غير شريفة» اذا دانت بالولاء لأحد يمن عليها ويتصدق عليها بتسامحه بعد أن يمنعها حقها الخالد فى الحرية .. !!

فيامن تحبون الجنس البشرى .. يامن تحترمون النعمة التى انعم الله عليكم .. يامن ولدتكم امهاتكم احرارا ، وخلقكم الله كذلك . انهضوا فهذا لكم ولأولادكم من بعدكم .. تشبثوا بالحق الذى مكنكم الله منه واعطاكموه .. عندئذ تنهضون لبناء عالم جديد ، وتكونون فى الأرض رجالا ، وعند الله عظماء .. !!

هذا نداء الحرية وهتافها لكل شعب يرسف فى أغلال التسامح .. لكل أمة لا تكون الحرية فيها حق مفاض .. ولكل فرد انساني يحترم انسانية الانسان فيه ولايرضى بالدنية فى دينه ولا بالدنية فى دنياه !!

واذا سألنا انفسنا : لماذا نحيا .. ؟ فهذا هو ما نحيا لأجله .. واذا كان للحياة الانسانية أى معنى ، فهو هنا : فى كرامة الكائن البشرى وفى حريته المقررة منذ الأزل ، والى الأبد !!

إن التسامح بوصفه قناعاً للاستبداد يتحدى كل فضيلة ، ويورث الشعوب التى تبتلى به درجة من الانحطاط تكتسح أمامها كل شىء ...

فالحرية ، لا التسامح هى غاية كل شعب عزيز وطموح ، وهى فضيلة كل حاكم قوى وأمين ..

والشعوب التى تعيش مع سلطاتها فى ظل التسامح قرح متقيح فى جسد التقدم الانسانى ، واذا استشرى داء التسامح فيها تحولت الى وباء !!

هذه حقائق يقدمها لنا التاريخ وانها لجديرة بأن توقظ النوام ، وتطرد الأوهام ، وتهب الناس سداد النظرة ، وصدق الرؤية وجلال الروح ...

خالد محمد خالد

أخـيـــرًا .. حقـيـقـة العـرب أمـكـن قولهـا في الغـرب !

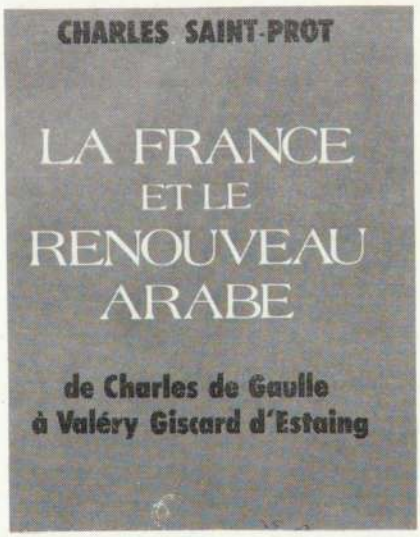
فى كتاب فرنسي صدر مؤخراً فى باريس بعنوان : « فرنسا والانبعاث العربي » نقرأ السطور التالية حيث يخاطب مؤلف الكتاب شارل سانت بروت ، مواطنيه الفرنسيين بقوله :

« إن رجل المستقبل العربي ليس هو ذلك المقيم فى كازينوهات الريفييرا ، ولا هو ذلك العامل المهاجر المقيم فى ضواحي مدننا الصناعية . رجل المستقبل العربي يدرس فى أحسن الجامعات ، بالولايات المتحدة ، ببريطانيا ، بفرنسا ، وكذلك في جامعات بلاده المتزايدة عدداً . وهو يتخصص فى أكثر انواع التكنولوجيا تطوراً ، كما يركز اهتمامه بشغف على قضايا التقدم الاقتصادي ـ الاجتماعي . وهو قد يكون سعودياً ، أو كويتياً ، أو عراقياً ، أو جزائرياً ، أو فلسطينياً . وهذا الرجل يجد من ورائه حضارة عريقة جداً يستمد منها العزة والمسئولية ، بينما يجد أمامه إمكانيات هائلة يستمد منها الأمل » .

كاتب هذا الكلام باحث فرنسي متخصص فى شئون الشرق الأوسط ومدير لاحدى مجلات العلاقات الدولية بباريس . وقد أسس مؤخراً جمعية السلام فى الشرق الأوسط على أساس الحق الفلسطيني الكامل فى الوطن والدولة .

ثم انه شاب في الثلاثين من عمره ، وهذا يعكس اتجاه الجيل الصاعد فى أوربا ، وفرنسا خاصة ، وطريقة نظرته الى العرب وقضاياهم .

إنه بذرة من البذور التى غرستها الديغولية على ساحة التفاعل الخصب بين أوربا والعرب .



غلاف الكتاب



شارل سانت بروت مؤلف الكتاب

ويضيف شارل سانت بروت فى كتابه هذا ، وكل همه أن يوقظ الوعي الأوربي بأسلوب الوخز ليخرج الانسان الأوربي من تجاهله المريب لحقائق العرب وقضاياهم ..

يقول : « وفى الحقيقة ، فان العربي لم يخرج لتوه من الصحراء ، وليس هو ذلك البدوي القابع فى خيمته منذ بداية

بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

حضارة التكنولوجيا تحت رحمة المنجمين

الزمن ، بانتظار مجيء مكتشفي البترول ليشعروه بوجوده ، فحتى قبل مطلع الاسلام الذى أسس حضارة عالمية لا تنكر ، كانت هناك عدة حضارات متطورة فى المنطقة العربية قبل الميلاد ، عندما كانت البلدان الغربية ما تزال فى طور البربرية . ولهذا ، فان العربي المعاصر ينظر بتهكم ـ وأحياناً ـ بغيظ الى كل أولئك الذين يبدو أنهم لم يكتشفوه إلا فى هذا النصف الثاني من القرن العشرين ، والذين احترفوا الاسراف فى مديحه دون أن يعرفوه معرفة حقيقية ، أو يتخلوا عن جهلهم به » .

وبعدها ينطلق المؤلف الى قضايا أكثر تحديداً ، فيتناول القرار الديغولي بالتوجه نحو العرب كقرار استراتيجي وحضاري لا تراجع عنه ، يعني فرنسا ومصالحها القومية ومصيرها ، مثلما يعني العرب وقضاياهم .

ثم يسرد تاريخ الدعم اليهودي الفرنسي لاسرائيل وكيف تجاوز قوانين الدولة الفرنسية ذاتها ، وأضر بمصالحها ؛ ملحقاً ذلك ببيان تاريخي لتجاوزات الكيان الاسرائيلي فى فلسطين ضد الفلسطينيين وضد الدول العربية .

إن هذا الكتاب يواجه الانحياز الأوربي التاريخي لاسرائيل بأسلوب جريء وشجاع ، بعيداً عن النهج الوسطي الذى يتبعه بعض الأوربيين هذه الأيام والذى يستند إلى مقولة الحياد والتوازن بين اسرائيل والعرب بحيث يقولون لاسرائيل ما تريد ويقولون للعرب بعض ما يودون سماعه !

ولو أنفق العرب على ترجمة هذا الكتاب الى كل لغات العالم الحية لما أوفوه حقه .. ومع هذا فقد أخبرني المؤلف في لقاء لي معه مؤخراً انه يواجه مصاعب فى ترجمة هذا الكتاب ليس الى لغات العالم الأخرى فقط ، وإنما إلى اللغة العربية أيضاً !! فاين نشاط الاعلام العربي على الصعيد الدولي ؟ .

المهم أن حقيقة العرب أصبح ممكناً قولها فى الغرب ، رغم كل شيء ، بصوت مرتفع وجريء . والأهم أن يكون العرب فى مستوى ما يقوله أصدقاؤهم عنهم .. سلوكاً وعملا .. خاصة فى معاملة العربي لأخيه العربي ...

منذ شهور ، والرأي العام الفرنسي منشغل بكتاب لمنجم من القرون الوسطى اسمه نوسترا مدوس ، احتلت نبوءاته عناوين الصحف والمجلات الكبرى .

والكتاب ، الذى حققه ونشره مؤخراً باحث فرنسي ، مكتوب بأسلوب رمزي يحتمل شتى التفسيرات . ولكن الفرنسيين يقولون إن عدداً من نبوءاته ، كالثورة الفرنسية والحروب الأوربية ، قد تحقق على مدى الحقب الماضية ، ولابد من أخذ بقية نبوءاته على مأخذ الجد .

من أكثر النبوءات الدراماتيكية فى الكتاب أن باريس سيحتلها الروس .. والمسلمون .. حوالى سنة ألفين !

وهذا يعني بالنسبة للفرنسيين ، نهاية العالم وقيام القيامة .

ويقال أن بعض العجائز الارستقراطيات الباريسيات بدأن يشترين شققاً لهن فى الولايات المتحدة تحسباً لهذه النبوءة ..

أوساط اليسار الفرنسي الحاكم تتهم الباحث الذى نشر الكتاب ، بأنه تعمد نشره فى هذه الفترة ، فترة تولى الاشتراكيين الحكم فى فرنسا ، ليزيد فى نشر التخوف والقلق من المستقبل لدى الفرنسيين ، بهذه التنبؤات التى لن يخدم انتشارها سوى اليمين الفرنسي المتربص .

ومن الطريف أن شقيق الباحث المذكور قد رفع دعوى قضائية ضده ، لأنه تصرف فى مخطوطة الكتاب الموروثة من والدهما ـ الذى كان مهتماً أيضاً بتاريخ المنجم ومؤلفاته ـ دون أن يستشير بقية الورثة .

والدعوى الآن فى القضاء .. بينما ارتفعت مبيعات الكتاب الى أكثر من ربع مليون نسخة ، علماً بأن سعر النسخة الواحدة مئة وعشرون فرنكاً .

وصاحب الدعوى يقول إنه لم يقم هذه الدعوى ضد شقيقه لأنه يريد مشاركته فى هذه الأرباح ، ولكن لأنه أساء الى سمعة والدهما العلمية بنشره المخطوطة بهذه الطريقة ، وفى هذا الوقت بالذات .. أما إذا قررت المحكمة حقه فى الأرباح .. فلا مانع لديه بالطبع!

هذه كلها تفاصيل .. ولكن كيف نفسر انتشار كتاب تنجيم ومنجمين فى بلد صناعي متقدم مستنير بالعلم والتكنولوجيا والنظرة الموضوعية التى عرفت بها العقلية الأوربية ؟!

تكنولوجيـا .. وتنجيم .. كيف يتفقان ؟ .

هل لأن العقل الأوربي أصابه الهرم فعاد فريسة للوهم ؟

أم لأن الأزمات المتلاحقة ، جعلت الفكر المستنير عاجزاً عن التصدى للحلول ، فلجأ الانسان الى نهج الأسطورة من جديد ؟ أم أن نهاية الحضارة تجعل المجتمع يستشعر الخوف بالغريزة فيبحث عن النبوءات التى تسمح له بالتعبير عن مخاوفه التى لا يسمح بها الكومبيوتر ؟ قد تكون هذه الأسباب مجتمعة .. ولكن يجب ألا نستبعد ، وألا نستغرب ، إذا وجدنا أن نشر كتاب أو نبوءة لمنجم متشائم فى بلد من البلدان قد يكون من عمل الاستخبارات الأجنبية المعادية لذلك البلد !

هذا ليس من قبيل التكهن .. فقد أثبتت دراسة عن الحرب النفسية فى الحرب العالمية الثانية نشرت فى لندن مؤخراً أن مخابرات الحلفاء نشرت فى عدد من صحف البلدان المحايدة تنبؤات فلكية تثير الذعر عن مصير هتلر والمتعاطفين معه ـ وهو فى عز انتصاره ـ دون أن يشعر أحد عندئذ أن ذلك من «اجتهاد» المخابرات وليس من اجتهاد أهل الفلك والنجوم !

وهذا قد ينطبق ، وقد لا ينطبق ، على كتاب نوسترامـــدوس الذى يهز فرنسا هذه الأيام .. ولكن علينا أن نتحفظ دائماً عندما نقرأ نبوءة من النبوءات فى بداية كل عام عن مصير بلد من البلدان أو رئيس من الرؤساء .. لنتأكد أين تنتهي الحرب النفسية لأجهزة التأثير الأجنبي .. وأين يبدأ التنجيم الخالص ..

ونحن كأمة ناهضة ، أحوج ما نكون الى العقل والعلم والحقائق الثابتة المؤكدة ، علينا أن نحذر الاثنين معاً .. الحرب النفسية .. وتنبوءات المنجمين .. لأن الذى يصنع التاريخ هو وعي الأمم وعملها أولا وأخيراً .. ولكن من الطريف رؤية أهل التكنولوجيا وهم يعودون الى منجمي القرون الوسطى .. ورؤية أهل العلم المادي وهم يتخوفون من كتاب تنجيم وللـــه فى خلقه شئون !





لماذا هضموا ولم نهضم ؟!

عندما بدأ الغرب نهضته الحديثة قبل خمسة قرون ، تسنى له أن يستوعب الأفكار الجديدة على مهل ، ويهضمها بالتدريج ، وعلى مراحل متباعدة ، دون أن يضطر لمواجهتها كلها دفعة واحدة فى «صدمة حضارية» تخلخل كيانه وتشوش عقله الجماعي .

ذلك أن الغرب كان هو المبدع لتلك الأفكار ، ولدها حسب حاجته إليها ، وحسبما كان يبلغه من تطور ، دون أن يفرضها عليه أحد من الخارج .

وكانت تلك الأفكار والمخترعات والنظم والفلسفات الجديدة ، تتوالد بشكل منطقي وطبيعي من رحم التجربة الحضارية الغربية كثمار طبيعية لها ، أو كبذور أصيلة فى دوحتها ، فتأتي سائغة الطعم لمذاق الشعوب الغربية منسجمة مع خطوط وألوان اللوحة الكبرى لمشهد الحضارة الغربية .

بدأت « الفكرة القومية » فى التبلور أولا لعهود طويلة ،وتشكلت المجتمعات الغربية حسب معاييرها ، واتخذت

بوتقتها ، واستقرت عليها .

ثم جاءت «الفكرة الاجتماعية» بعد ذلك بزمن ، والمجتمعات القومية الأوربية متبلورة ، فأقبلت على هذه الفكرة الجديدة تأخذ منها ما يلائمها من نظم حسب تكوينها القومي وظروفها التاريخية دون أن تكون الفكرة الاجتماعية نقضاً للفكرة القومية ، ودون أن تضطر المجتمعات الأوربية الى مواجهة الاختيار القاطع بين الرابط القومي والصراع الطبقي أو التمزق والانشطار بينهما . ثم جاءت « الفكرة الديمقراطية » والمجتمعات الغربية على درجة كبيرة من النضج السياسي والفكري والتفهم العقلاني للعلاقات والمصالح الاجتماعية جعلتها قادرة على ممارسة الديمقراطية وتعميقها دون تراجعات وانتكاسات وتخبط فى البحث عن صيغ سياسية أخرى .

وصحيح أن هذه التطورات الفكرية صحبها اختلاف وصراع ولكن هذا الصراع اتخذ ديالكتيكا منطقياً ، ولم يتخذ شكل الفوضى الفكرية أو التشوش العقلي أو الحلقات المفرغة التى لا تؤدى الى نتيجة حاسمة وواضحة ومفيدة .

فأبرز ما يتميز به تاريخ التطور الحديث فى الغرب ـ إذن ـ أن كل حلقة من تطوره تنتهي بنتائج وانجازات حضارية ثابتة تدخل فى صلب التجربة الحضارية وتمهد الطريق الى منجزات أخرى تنطلق منها ، ثم تتخطاها وتتجاوزها ، وهكذا دواليك ، صعوداً فى سلم التطور والارتقاء .

أما فى الوطن العربي ، وهذا ما نريد تأمله بعمق ، فان النهضة الحديثة بدأت بشكل مفاجىء واضطراري ، فكانت كالجمرة التى تصيب جسماً بارداً جمده الجليد ، فانقسم بين خلايا ساخنة ملتهبة ، وخلايا محتفظة بجمودها ، وخلايا من نوع ثالث مشدودة ، متوترة ، بين الثلج والنار .. ثم أن تلك الجمرة لم تتولد بشكل طبيعي داخل الجسم العربي نفسه وإنما اندفعت إليه كاسحة غازية متحدية من خارجه .. بل ومن عدوه التاريخي .. الغرب الأوربي .

كان الوطن العربي محاطاً بأسوار عزلته فى ظل السيطرة التركية وقد استقر على وجه من تقاليده لا يحيد عنه .

ولم يكن ذلك الوجه التراثي الذى استقر عليه هو الوجه المشرق لتراثه الحضاري الذى عرفه أيام المأمون والمعتزلة وعلى يد الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد وابن خلدون .

وإنما كان الوجه التقليدى ، غير الأصيل ، الذى كان يفرضه عليه ويفسره له أمثال البطانة المحيطة بالسلطان التركي .

فى ظل هذا الركود هبت عليه العاصفة الغربية دفعة واحدة .. التحديث .. التصنيع .. القومية .. الديمقراطية .. المادية .. الأممية !

وكان من الطبيعي أن يصاب الجسم العربي بالاختلال ، وأن يصاب العقل العربي بالدوار ..

فما استوعبه الغرب على مدى خمسة قرون ، بالتدريج ، وباقتناع داخلي منبثق من تطوره الذاتي ، تحتم على العرب أن يهضموه دفعة واحدة ، وبضغط مندفع عليهم من الخارج ، ومن حضارة أخرى كانت ـ تاريخياً ـ معادية لهم ، مناقضة لعقيدتهم .

وليت هذه الأفكار قد جاءت بوجهها العلمي الحضاري ، إذن لهان الأمر ، ولاستوعب العرب ما يلائمهم منها ، كما استوعبوا من قبل بارادتهم الحرة مؤثرات الحضارات الأغريقية والرومانية والبيزنطية والفارسية وكما هضموا بعمق سقراط وارسطو وأفلاطون .

غير أن الأفكار الغربية الحديثة ، على اندفاعها وكثافتها وتناقض مراحلها وبذورها جاءتهم مع الاستعمار السياسي ومع الاحتلال العسكرى ومع الغزو الفكرى والدعاية المغرضة ، فاختلط الحابل بالنابل ، ولم تستطع المجتمعات العربية أن تميز بسهولة بين الفكرة الحضارية الانسانية ، وبين الفكرة الاستعمارية المغرضة . وعدم التمييز هذا يعتبر فى نظرنا من أهم المعضلات وأعسرها أمام الفكر العربي المعاصر .. وأكثر المهام الفكرية التى تتطلب بحثاً وحلا .

وتبقى الحقيقة الأساسية التى أردنا لفت الانتباه اليها من هذا الحديث ، حقيقة ان الغرب استوعب فى خمسة قرون ما تحتم على العرب استيعابه فى أقل من قرن ..

فعلينا ألا نظلم إنساننا ومفكرينا إذا رأينا ما نعانيه من ضياع فكرى وحيرة بين النظم والفلسفات .

هذه البلبة طبيعية ، وناتجة عن حتمية تاريخية معينة .. ولكنها تتطلب حسماً ، كي لا تستمر إلى ما لا نهاية وتصبح فوضى دائمة . والحسم المطلوب أن يخرج لنا مفكر عربي ، أو أكثر ، لغربلة هذه العاصفة التى تهب علينا من الغرب منذ القرن الماضي ، ولتقرير الجوهرى الذى يلزمنا منها ، ونبذ القشوري والضار من تياراتها ، ثم لملائمة ذلك الجوهرى ـ بأمانة وصدق وعمق ـ مع الأصيل النافع الخالد من حضارتنا لتتولد الفكرة العربية الجديدة الفاعلة والقادرة على حسم البلبلة والضياع وفتح صفحة جديدة من التاريخ .

د. محمد جابر الأنصاري



أول حديث صحفي مع القمر!

بقلم : عبد الله جفري

على الدروب الطويلة يضيء القمر فيؤنس السارى !

فى ليالى الشوق ينعكس نور القمر ، وفى ظله يتعاطف الصدى وتسهر العيون ، وقد هرب عنها الكرى ، مشرعة شاخصة الى «زورق الفضة» على صفحة السماء !

والقمر رقرق قلوب كثير من الناس .. كانت أشعته تغسل الشوائب فى النفس تغمر الذات بالطمأنينة والحب .. ويحتضن هو كل النظرات المتجهة اليه . وكلها نظرات ألم الحب .. ونظرات السارين فى دروب الوحدة .. ونظرات الذين فقدوا الهجوع !

ومن قديم .. وحتى الآن برغم الصورة البشعة التى نقلها علماء الفضاء عن القمر . لازال الناس ينطرحون تحت ضيائه شاردين فى تأمل عميق !

ولم يزل الاحتفاء بموكب القمر فى لياليه المعروفة .. احتفاء مستمراً لم يؤثر عليه حتى «منطق» العلماء .. والناس يستمرون يرددون مع أم كلثوم :

هلت ليالى القمر
تعال نسهر سوا
فى نور بهاه !

وفى الأغانى .. أحب الناس أغنية حديثة فى محيطنا وأقبلوا عليها .. كأنهم بذلك الاقبال يخرجون ألسنتهم لكل محاولات الوصول الى سطح القمر .. ويغنون :

يا قمر شوف الحبايب
كل واحد له رفيق
إلا قلبى ما لو صاحب
ماشي وحدى فى الطريق

لقد جعلوا من القمر محكمة استئناف للمحبين ، وملاذ «التعبانين» من الحب !

ومن قديم .. حفظ الناس على مر العصور بيتاً شعرياً تصويرياً للشاعر عبدُ الله بن المعتز القائل :

وانظر اليه كزورق من فضة
قد أثقلته حمولة من عنبر

مساكين المحبون ، حتى ألمهم الذى يحملونه القمر .. يصفونه بالعنبر ! وشعراء كثر تغزلوا فى القمر الحقيقى ، وفى القمر مجازاً !

ولكن هناك أيضاً من هجاه وذمه .. فقال ابن الرومى :

يا بدر أنت تغدر بالسار
ين وتزرى بزورة الحسناء
كلف فى شحوب وجهك يحكى
نكتاً فوق وجنة برصاء
يعتريك المحاق ثم يحليك
شيبة القلامة الحجناء
ويليك النقصاء فى آخر
الشهر فيمحوك من أديم السماء
فاذا البدر ينل بالهجو هل يأ
من ذو الفضل ألسن الشعراء

أجل .. ابن الرومى أراد أن يرسل شؤمه الى القمر أيضاً .. لكنه لم يستطع فى النهاية ، فقال : هل يأمن ذو الفضل ألسن الشعراء ؟!

وكان بهذا يعترف أن القمر من ذوى الفضل !!

وجمعت معى بعض المعايب التى قيلت عن القمر ، وفيه ، والمشاكل الجديدة التى اكتنفته . وغمرتها فى نظراتى ذات ليلة من ليالى النصف ..

وجلست اتطلع الى القمر وهو فى موكب رائع فاتن .. كنت أريد أن أتحدث معه ، وأعرف منه أشياء كثيرة غامضة ، وأناقشه فى مشاكله مع سكان الأرض ومشاكل الناس على الأرض معه !

إنه لا يعرف ـ عندما سالته أول سؤال ـ ماذا أعنى بالتحقيق الصحفى ؟ .. إنه يعرف فقط التصوير العلمى الذى استخدمته واستفادت منه الصحافة يوم نشرت صوره .. وفضحته وكشفت سرائره وبواطنه .. كان يبدو غاضباً .. وعصبياً ، وكان يقول :

● هذه منكم يا سكان الأرض ؟ انا أحنو عليكم ، أواسيكم فى وحدتكم .. أضيء دروبكم .. أمنحكم بوجهى راحة نفوسكم .. أرقرق قلوب من تحبونهم . وأنتم ـ بطبيعتكم ـ تجرون وراء الأسرار .. تعكسون الجوانب البشعة فى داخلى .. لماذا تبحثون عن الجوانب البشعة فقط ؟؟!

ـ قلت له : بالعكس .. نحن نحبك أكثر ، وهذا الحب هو الذى دفعنا أن نرتاد الفضاء لنصل الى سطحك .. نعرفك أكثر وعن قرب وملامسة .. ألا تعرف يا قمر أن الذى يحب يصر أن يعرف كل شىء عن محبوبه . حياته . تصرفاته . سلوكه . جوانب الجمال فيه . معايبه . نفسيته .. أعماقه ؟!

● قال : هذا فضول الانسان ، مع أن السكان هنا على سطحى يقدرون كوكبكم . يتطلعون الى الأرض باعجاب .. والذى يحب هنا يقول لحبيبته متغزلا: أنت وجهك زى الأرض ... وبهذا يمتدح جمالها !

قلت فى سرى : أية أرض هذه ؟ ورفعت صوتى اقول له :

ـ أريد أن تصف لي نفسك .. طبيعتك .. أعماقك .. ماذا فيك ؟

● قال : حتى تفضحني عند سكان الأرض ؟ .. ومع ذلك فقد أحسست أن جسمى يتألم بما وصل من صواريخ ومركبات .. ان القذائف العلمية أهلكتنى .. الم تقرأ ما قاله عالم امريكى لديكم على الأرض ؟!

ـ ماذا قال ؟!

● قال العالم : «ان القذائف العلمية الأساسية التى يمكن اطلاقها من الصاروخ «سنتور» تجعل من الممكن الحصول على نزول لين بالمعنى الصحيح الى سطح القمر» .

قلت ضاحكاً : هذا فال .. دليل أن الناس يحبونك لأنهم يريدون أن يكون النزول على سطحك «ليناً» .

● قال ساخراً : ان الناس يحبون أنفسهم .. ان النزول اللين يخدمهم هم حتى لا تتحطم مركباتهم ، ولا يفقدون





رجالهم .. وبذلك بدل أن يستعمرونى بعد خمس سنوات يستعمروننى بعد سنة .. صدقنى إن كل الذين يحاولون الوصول الى سطحى هم استعماريون .. انهم يضحكون عليكم فى الأرض بالأسلوب العلمى ، وهذه أحدث موضة للاستعمار !

ـ قلت : دعنا من هذه الصورة فانا هارب اليك . الى هدوئك .. الى ضيائك فلا «تغم» نفسيتى !

● قال ضاحكاً : لا تهتم .. أنا متسامح ، إنما قل لي .. انت من سكان أية منطقة فى الأرض ؟!

ـ قلت : من منطقة الشرق الأوسط (!)

● قال : ها .. من أجل هذا نفرت من الحديث عن الاستعمار ، لأنكم تكتوون بناره فى المنطقة .

ـ قلت : أنت تقول أنك متسامح .. فما دليلك على ذلك ؟!

● قال : دليلى عندكم . ألم يقل أحدكم يا سكان الأرض : «ان يبغ عليك قومك فلا يبغ عليك القمر» ؟!

ـ قلت : هذا مثل عربى .. هذا دليل حبنا لك !

● قال : وقلتم مثلا آخر يختلف .. هو «أضيع من قمر الشتاء» لأنه لا يجلس فيه ، ولا اليه أحد !

ـ قلت : البرد قارس أحياناً .. والانسان لا يحتمل الارتعاشات القوية !

● قال : وهل هناك أقوى من ارتعاشة القلب عندما يحب ، ومع ذلك تتلاعبون بقلوبكم أحياناً حتى وهى ترتعش !

ـ قلت : لحظتها ـ يا قمر ـ لا نفكر إلا كيف نزيد تلك الارتعاشة !

● قال ضاحكاً : أنتم معذورون .. فكل أدوات التعبير الملموسة عندكم .. أول شيء تفعله : الارتعاشة !

ـ قلت : وبعدين معاك .. لتكن لطيفاً كعادتك !!

● قال : إذن غير الموضوع .. فأنتم يا أرضيين لا تتحملون حقائقكم !

ـ قلت : يقولون ان طبيعة مناخك قاسية .. فماذا تقول ؟

● قال : «إن نهارى يبلغ الأسبوعين طولا ، ويتعرض سطحى فى هذا النهار لشمس ساخنة محرقة .. وهو السطح المضيء ، وترتفع درجة الحرارة عند خط استوائى الى أكثر من درجة غليان الماء عندكم» !

ـ قلت : ومتى يحدث عكس ذلك ؟!

● قال : (يحدث عكس ذلك أثناء الليل الطويل إذ يبرد السطح بسرعة كبيرة فليس هناك طبقة عازلة من الهواء ، ولهذا تهبط درجة الحرارة الى ٢٤٠ ف وهذا المدى يبلغ نحو ضعف المدى الحرارى المطلق الذى سجل على سطح الأرض فى تاريخها الطويل) .

ـ قلت : على مهلك .. توقف . كيف عرفت هذه المعلومات عن نفسك ؟

● قال باسماً : ألم تقولوا أنتم رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه ؟!

ـ قلت : صحيح .. ولكن هذه المعلومات وزعتها إدارة الأبحاث الأمريكية من سنوات !

● قال : تريد أن تقول انى أمريكى ؟!

ـ قلت : ليس هذا ... وإنما لعل معلوماتك عن نفسك أمريكية !

● قال : اذن اسمع وتعلم .. «القمر خال من الهواء الجوى .. لذا يتعرض الانسان الى أشعة الشمس المباشرة فيكون هناك اشعاع شديد من الأشعة فوق البنفسجية . وبعض الأشعة السينية الشمسية» !

ـ قلت : ماذا فى هذا الكلام ؟

● قال : كلام علماء الروس !

ـ قلت : إخيه ـ بتشديد الخاء ـ اذن فأنت شيوعى . حتى القمر يحاولون جعله شيوعياً ؟!

● قال : لا شيوعياً .. ولا أمريكياً ، ولكنى مشدود من الطرفين .. كل فريق يريد أن يأخذنى فى أحضانه قبل الآخر !

ـ قلت : وأنت ماذا تريد أن تكون ، أو الى حضن من تلوذ ؟

● قال : شوف .. الحضن الشيوعي يمحي الشخصية . وينكرني فى النهاية فلا يعد للناس قمر بعد ذلك ، والحضن الأمريكي يضعني فى فترينة بديكور ، ويكتب على وجهي U.S.A بحجة أنه يحميني من الآخرين !

ـ قلت : قل لي ياقمر ، ما رأيك فى لجنة « سيتكس » التى كونتها أمريكا من سنوات لتبحث فى نتائج العدوى التى يخشى أن تصيب القمر والكواكب عن طريق البعثات الأرضية ؟!

● قال : والله هي عدوى بلا شك .. فأنتم ياسكان الأرض مشاهدتكم عن بعد أكثر سلامة من الاختلاط معكم ، ولهذا فانا فى داخلي عراقيل ستتعب رواد الفضاء وكذلك فى الكواكب الأخرى . والسبب أننا لا نأمنكم ونعتقد أن فيكم وباء لا يصح أن يصيبنا !

ـ قلت : على هونك ياقمر .. لرد عليك بحقيقة أخرى فلقد قالوا : « يجب حماية المكتشفين فى القمر ضد الأشعة الضارة .. ولذلك فان الآلات التى تسجل باستمرار فى المحطات القمرية ستعطينا المعلومات الضرورية عن هذه الأخطار قبل أن يضع الانسان قدمه فوق أرض القمر ! » .

● قال : ربما أعطتكم آلاتكم المعلومات .. لكن ذلك سيكلفكم كثيرا حتى تصلوا !!

ـ قلت : نغير الموضوع ، فحدثني عن

الحب على سطحك ؟!

● قال : عندنا جميلات مثل الأرض !

ـ قلت وبعدين معاك ؟ الأرض حجارة ومستنقعات وأتربة .

● قال : ألم تقولوا أن فى القمر أيضاً جبالا وحجارة واشعاعات قاتلة .. ومع ذلك أتيت إلي .. تتأملني وتسألني وأنت شحنة شجن ؟!

ـ قلت : علماء الأرض قالوا : « إن تحليل ترابك اذا لم تصبه عدوى من يد الانسان فهو هيدروكاربونات إنبعثت فى الفضاء الكوني » ! .

● قال : إن ترابي هو تاريخي ، وأنا لن اسمح لكم ياسكان الأرض أن تلوثوا تاريخي .

ـ قلت : ول ، أنت حمقان جداً !!

● قال : أنا أدافع عن تاريخى !

ـ قلت : طيب . قال العلماء إن الانسان على ارتفاع ٥٠ ألف قدم لا يفقد قابليته للحب .. فكيف يكون الحب عندك ؟!

● قال : الحب هنا التئام .. إن كل السكان متمرسون على أنواع الرياضة البدنية ، وعلى الانزلاق المستمر ، فخطوات السكان هنا كلها انزلاق !

ـ قلت : يا حلاوة ياقمر على الانزلاق فى الهواء !

● قال : أما فى الأرض فأنتم تنزلقون على أهوائكم ورغباتكم ، ولهذا فقد أرادت امرأة من عندكم مرة أن تهرب وترضى أن تصعد فى مركبة فضائية ، وتجرب انعدام الوزن ـ إنما على خفيف ـ ولو قدر لها أن تخرج فى الفضاء من مركبتها لأحبت الانزلاق فـي الهواء .. فهو يقرب الاثنين بعضهما الى بعض .. دائما ، أما انزلاقكم فى الأرض فهو يبعد الاثنين دائماً . وبسبب انزلاقكم تأتون .. وتتطلعون الى ضيائي . وتشكون قلة بختكم .. وهجران أحبائكم عنكم !

ـ قلت : لكن هذا لا يمنع من الاقتناع بحقيقة تقول : إننا نحب !

● قال : تحبون على طريقتكم ، ثم تتأوهون وتنوحون وتقولون غناء : ياقمر : إيش حصل بيني وبينك .. حتى عن عيني تغيب » فيا أيها الأرضي أنا أرفض الاستجداء فى الحب ، فكونوا سماويين !

ـ قلت : عندنا حب الروح .. ألا تعرف عنه شيئاً ؟!

● قال : نعم نعم .. يذكرني هذا بحكاية طريفة شاهدتها من علوى ، فقد كان أحد المحبين طافشاً مهموماً حزيناً .. اختلف مع حبيبته ، أو هى تركته لتذيبه ، فجاء الى نافذته وجلس يتطلع إلي ، والدمع يترقرق فى عينيه ، فسطع نوري عليه .. منحه صبابة وطمأنينة .. وأخذ يفكر ، ويستغرق فى تأمله .. ونام على حافة النافذة . وفى الليلة الثانية رأيتهما معاً ـ هو وهي ـ وضحكاتهما تشوش على جلال الهواء من حول نوري على الأرض !

ـ قلت : ياسلام .. شيء حلو . ؟

● قال : مبسوط ؟! مساكين .. فرحتكم مستعجلة ، وغضبكم عاجل !

ـ قلت : ومن الذى يحب يا قمر ؟!

● قال : الذى يبكي !

ـ قلت : إذن .. الدموع فى رأيك هي تعبير عن الحب . ؟!

● قال : الدموع هى حدقات الوجدان ، فبعدما يبكي الانسان يرتاح ويبصر أكثر .

ـ قلت : عجيب .. ومتى يحب الانسان ؟

● قال : يحب .. عندما ينكر ذاته !

ـ قلت : ولكنهم يقولون : الذى يحب يترف نفسه ، والذى يترفها يحب نفسه .. وهو الانانى .

● قال : الأنانية عندكم فى كل شيء ، فقط .. تختلف ابعادها ، ومفعولها ، ودوافعها .. فهناك أنانية مضيئة !

ـ قلت : لا تجنني !

● قال : لقد جن غيرك ولكني عرفتكم جيداً يا سكان الأرض !

ـ قلت : والحب عندكم هنا .. أليس فيه أنانية ؟

● قال : عندنا الذى ينزلق على الهواء منفرداً دون أن يلتئم بمن يحبه أناني !

ـ قلت : عال !.. تعني أن الانزلاق على الهواء طموح ؟!

● قال : أبداً .. انه طبيعة الحياة ، والذى لا يشارك فى هذه الطبيعة .. انسان أناني !

ـ قلت : ولماذا أناني ؟ .. هل الانزلاق على الهواء منفردا متعة ، ويجب أن يشترك من يحبه فى هذه المتعة . ؟!

● قال : بالضبط !

ـ قلت : طيب .. أليس كل واحد يستطيع أن ينزلق بمفرده ؟

● قال : إذا لم يكن يحب لايستطيع (!)

ـ قلت عجيب !. إذن كلكم تحبون !!

● قال : أليس هذا موطن القمر ، والقمر هو ملاذ العشاق والمحبين . ؟!

ـ قلت : ياقمـر تسلم لي عينـك !!

● قال : إذا أردت أن تعود الي ثانية فلا تحضر منفرداً ـ وحدك ، فسأرفضك !! لا أريد صحفياً بورق فقط !

ـ قلت : لكني جئت وفى صدري قلبي .. وفى قلبى وجداني كله !

● قال هذا لايكفيني .. فأنا أعبر عن « طموح » الحب والمحبين !

ـ قلت سأنادي الآن تحت ضيائك :

هلت ليالي القمـــر .. تعال
نسهـر سوا .. فى نور بهـاه !

عبد الله جفري

فصول أبي البهاء

أبو البهاء منقذاً



بقلم الدكتور،
عبد السلام العجيلى

قلت لصاحبى أبى البهاء :

– وعدتنى بأن تروى لي أحد فصولك القديمة ... حكاية الملهى فى بيروت . هل نسيت ؟

قال : لم أنس . اتهمتنى يومها بأنى دبرت ذلك الفصل لأستفيد منه شخصياً ، والحقيقة غير ذلك .

فسألته وأنا أبتسم : وما هى الحقيقة يا أبا البهاء ؟

قال : قد أكون فعلت ما فعلت ، كما قلت لك قبل اليوم ، لأنتقم من أصحاب ذلك الملهى الذين كانوا يفرغون جيوب رواده من محتوياتها بأكثر الأساليب بعداً عن الشرعية . وقد يكون السبب هو رغبتى فى انقاذ صديقنا مجد الدين من مأزق الافلاس الذى كان واقعاً فيه تلك الليلة . أنت تعرف مجد الدين ...

قلت : أعرفه بالشكل : رأس ضخم على قامة قصيرة وكرش مدورة ، وبشرة مغرقة فى السمرة . نقيضك فى لون البشرة وتكوين الجسم . وأحسب أنه نقيضك فى المزاج ، فهو لا يخلو من ثقل الدم . ما الذى جمعك به فى بيروت ؟

قال : لقيته فيها مصادفة فى احدى الأمسيات . كان ذلك منذ أعوام ، قبل خراب تلك المدينة الجميلة . قال لي حين التقينا انه يحب أن يسهر معى . لم يكن لدى ما يشغلنى فقلت له : نسهر إذن فى الكريزى هورس . قال : لا تمزح .. إنهم يسلخون جلود الزبائن سلخاً فى ذلك الملهى .. من ناحيتى أنا مفلس تماماً ، وما أظن فى جيبك أنت ألف ليرة لتدفعها ثمن السهرة ! قلت له لا تحمل هم تكاليف السهرة .. كل ما أريده أن تتبع تعليماتى على وجه الدقة . وكانت تعليماتى أن أسبقه الى صالة الملهى وأحتل احدى الطاولات ، فاذا دخل بعدى فليجل نظرة بين الحضور على موائدهم ثم ليقف على رأسى فيستأذننى فى الجلوس على مائدتى كأنه لا يعرفنى . والبقية علي ...

وهنا قاطعت أنا أبا البهاء بقولى : كأنك كنت تملك خطة جاهزة لغزو ذلك الملهى ...

قال : كانت خطة بنت ساعتها . لعلى استوحيتها من المعطف الفضفاض ، المهترىء الأكمام والحواشى ، الذى كان يرتديه آنذاك مجد الدين . كان الوقت شتاء ، وعلى أن جو بيروت دافىء فى الشتاء فقد كانت الأمسية باردة ، وكان الساهرون أمثالنا يرتدون معاطفهم تخوفاً من زمهرير آخر الليل . احتللت فى الصالة المزدحمة بروادها مائدة انتقيتها فى زاوية قليلة الانارة . وانقضت برهة قبل أن يلحق بى مجد الدين ، بعد أن تخفف من معطفه البغيض وسلمه ، كما فعلت أنا ، لفتاة المشلح المؤتمنة على معاطف الساهرين فى كوتها عند المدخل . تجول بين الموائد فى البدء كالحائر ، ثم مالبث أن استأذننى فى الجلوس معى متظاهراً بأنه لم يجد مكاناً آخر . هذه أول مرحلة فى الخطة ، وقد تمت على مايرام . ماذا أقول لك ... كانت سهرة رائعة . طعام شهى وشراب كما تتمنى ، وموسيقى ، ولوحات رقص مثيرة تؤديها أفتن فنانات علب الليل العالمية ! ومع ذلك فقد بدا مجد الدين وكأن الخوف

سيقتله . كلما صفقت للغرسون أستزيده من الطعام أو ليعيد ملء كأسينا لكزنى بكوعه وهو يغص بلقمته قائلا : وأخرتها ؟! كيف نؤدى حساب كل هذا ؟ ولم أكن أجيبه ، منتظراً أن تحين الفرصة التى أريدها . وحانت تلك الفرصة حينما أطفئت أنوار الصالة على المتحلقين حول الموائد ، وأعلن مذيع السهرة عن مشهد تشترك فيه فنانات الملهى برقصة جماعية مثيرة على أنغام ملتهبة صاخبة . قلت لمجد الدين عندها : اذهب أنت الآن ودعنى هنا ، وعند الباب تصرف كما أقول لك . وأفهمته بما يجب أن يفعله عند خروجه ، فأسرع بالذهاب مسروراً بأن يبتعد عن مواجهة هو شديد التخوف من أن يكون طرفاً فيها ...

سألت أنا أبا البهاء : أنت تتكلم كالذى يطرح لغزاً . ما الذى كان على مجد الدين أن يفعله ؟

قال : اصبر قليلا . من ناحيتى صبرت نصف ساعة قبل أن أصفق للغرسون كى يأتينى بالحساب . جاءنى الرجل بورقة مطوية فى ثنايا منديل أحمر موضوع فى صحن ناصع البياض . كان الحساب مبلغاً كبيراً لا يحتوى جيبى عشره ، إلا أن ذلك لم يزعجنى . تظاهرت بأنى أفتش عن محفظتى فى جيوبى المختلفة ، وبأنى لم أجدها ، فطلبت من الغرسون أن يتبعنى الى مشلح الثياب عند المدخل ، حيث معطفى ، لأنى تركت محفظتى فيه . وامتثل هو لأمرى . وحين قدمت لفتاة المشلح القسيمة التى كانت بيدى ، تلك التى تحمل رقم المعطف المودع عندها ، ناولتنى معطفاً رددته اليها بسرعة مع الرجاء بأن تعيد قراءة القسيمة وتعطينى معطفى أنا . تطلعت الفتاة الى القسيمة وقالت مصرة : بل هذا رداؤك يا سيد . أفهمتها أنها مخطئة ، ولأبرهن لها على ذلك لبست الرداء الذى ناولتنى اياه فبدوت فيه كقضيب نحيل فى كيس عريض متهدل . كان معطفاً واسعاً وقصيراً ، واضح أنه لم يفصل ليرتديه انسان ممشوق القامة طويلها مثلى . ولا عجب فى ذلك ، فقد كان معطف مجد الدين الذى تركه فى المشلح مبادلا إياه بمعطفى ، حين أعطيته قسيمتى وأخذت منه قسيمته ، فغادر الملهى عندما كان خدمه ، مثل رواده ، مشدودى الأبصار الى المسرح المنار وراقصاته العرايا الفاتنات ...

ومن جديد قاطعت أبا البهاء ، وأنا أبتسم ، بقولى : وماذا كنت تقصد بذاك الذى فعلته ؟

قال : كنت أقصد أن يجرى الذى جرى بعد ذلك . حدثت ، عند مشلح الثياب ، مشادة بينى وبين فتاته ، بينما وقف الغرسون محرجاً لا يدرى ماذا يفعل . ورفعت صوتى فى تلك المشادة رافضاً أن أتحرك من مكانى قبل أن يأتى مدير الملهى ليعرف الصلة بين هذه الفتاة وبين الرجل القصير الضخم الذى أعطته هى قسيمتى كى يذهب بمعطفى الثمين ... ذهب بمعطفى الثمين وفيه محفظتى وأوراقى الشخصية وترك لي هذا الرداء الرخيص ، المزرى فى قماشه وخياطته ، والخالية جيوبه إلا من بقايا بزر فى قيعانها ! وتجمع علينا الخدم فى البداية ثم ما لبث مدير الملهى أن جاء الينا مسرعاً . ولما عرف المدير بتفاصيل الأمر كما رويته له لم يجد مجالا لارضائى ، ولصرفى عن طلب التعويض عما فقدته ، إلا بتقريع فتاة المشلح المسكينة بأقسى الألفاظ على أن أخذ المعطف البديل لأسلمه الى صديقى عادل بك ، مدير الشرطة السياحية ، لعل رجاله يهتدون الى صاحبه ويعرفون منه مصير معطفى. ولقد شكرنى مدير الملهى وأعطانى كل الحق لما قلت له ان المعطف لم يكن يهمنى بذاته ولا بما تحويه محفظتى فيه من نقود ، ولكنها أوراقى الثمينة ، أوراقى الشخصية هى التى تهمنى ...

وسكت أبو البهاء ، بينما تحولت ابتسامتى الى قهقهة وأنا أتصور الموقف عند مشلح الثياب : أبو البهاء متعنتراً يحتج ويطالب بمعطفه الفاخر الثمين والمدير يترضاه ويرجوه أن لا يحتد ويرفع صوته أمام جمهور مؤسسته الراقية ، والفتاة المسكينة تكفكف دمعها لهذا الخطأ الفادح الذى لا تدرى كيف وقعت فيه .

وسألت صاحبى :

ـ وبعد ذلك ؟

قال : بعد ذلك عدت الى فندقى حيث كان عبد المجيد ينتظرنى ، فتبادلنا معطفينا بكل بساطة . أعطيته معطفه وأخذت منه معطفى . ما أكلناه وشربناه فى الكريزى هورس تلك الليلة لم ينزل بميزانية ذلك الملهى عجزاً كبيراً . كل ما فعلته أنى أتحفت صاحبى السيد عبد المجيد بسهرة ممتعة وأنقذته من موقف الجائع المفلس . هل ترانى أخطأت فى هذا ؟

● ●

لم أفكر فيما اذا كان أبو البهاء أخطأ أو أصاب فيما فعل تلك الليلة . إلا أنى تذكرت لقوله انه أنقذ صاحبه من موقف الجائع المفلس فى بيروت حكاية له كان دوره الانقاذى فيها أوضح . لم يحدثنى هو بتلك الحكاية ، وإنما رواها لي فى حلب ابن بلدى ، صديقه وصديقى ، أحمد الحاج ابراهيم .

كنت فى حلب حين أبصرت أحمد الحاج ابراهيم يسير فى الشارع مسرعاً كأنه يسعى الى موعد يخشى أن يفوته . لم يكن يرانى . كانت على شفتيه ابتسامة عريضة كان كأنه يضاحك بها نفسه ، فاعترضت طريقه وأنا أقول : من يرى سرعة خطوك وسعة ابتسامتك يحزر أنك ذاهب الى ميعاد غرامى ! فوقف وقال : ليس الأمر ما تظن ، ولكنه مأزق خلصت منه الان ، فأنا أبتسم لغبطتى بالخلاص . سألته : أى مأزق ؟ قال : دائن ثقيل ما كنت أستطيع التملص منه ، وجاءنى أبو البهاء فأنقذنى . قلت : أبو البهاء ؟ أين هو ؟ قال تركته منذ قليل .. تعال لنجلس فى هذا المقهى وسأخبرك ...

وفى المقهى سمعت من أحمد حكاية مأزقه الذى خلص منه منذ دقائق ، قال :

ـ أنت تعرف الضائقة التى نعيش فيها ، نحن معشر المزارعين ، فى هذا الفصل من السنة . محاصيلنا فى هذا

فصول أبي البهاء

أبو البهاء منقذاً

العام سيئة ، ودائنونا كثيرون . غالبية الدائنين تعرف وضعنا فتمهلنا فى استيفاء حقها الى أن يفرجها الله علينا . إلا أن أحد أبناء أعمامى ، واسمه خميس ليس من هذه الغالبية المتفهمة . إنه انسان بسيط لا يخلو من الطيبة ، غير أنه فى مطالبته فى استيفاء حسابه ملحاح لا يقبل عذراً منى على الرغم من قرابتى له . أنا فى هذه المدينة منذ أيام ، وكنت حسبت أنى ببعدى عن بلدتنا قد استرحت بعض الوقت من مطالبة خميس بما استحق له فى ذمتى . وفى هذا الصباح فوجئت به يقطع علي الطريق ليقول لي انه وصل لتوه من البلد وانه جاء ليستوفى دينه منى . حاولت اقناعه بتأجيل مطالبته الى أن نرجع الى أهلنا ، ولكنه لم يقتنع ، وظل متشبثاً بى حتى تعللت له ببعض المواعيد التى علي أن أذهب اليها . وهكذا كان ممسكاً بذراعى حين مر بقربنا أبو البهاء فتوقف لحظة ليحيينى فيها . خطر لي عند ذاك خاطر ، فملت على أبى البهاء وقلت له بعجلة ، وبصوت خافت : «انه خميس ... ابن عم لي ملحاح .. قدم الآن بالاتوبيس من البلد ، وهو يضايقنى ...» . قلت هذه الكلمات ثم عدت الى خميس وحديثه المقيت المزعج ، بينما تابع أبو البهاء طريقه دون أن يظهر عليه أنه أولى ما قلته له اهتماماً . إلا أنه ما إن ابتعد خطوات حتى التفت الينا وقال يخاطبنى بصوت عال : أحمد .. أريد أن أسألك .

قلت ، وقد توقعت فرجاً مما أنا فيه : تفضل واسأل . قال بلدتك صغيرة ، ولاشك فى انك تعرف أكثر ناسها . قلت : صحيح ... من تريد منها ؟ قال : أسأل عن شخص جاء منها صباح هذا اليوم بالاتوبيس . قلت : الذين جاءوا بالاتوبيس كثيرون ... من هو ذلك الشخص ؟ قال : هو رجل قصير القامة ، يلبس ثياباً بدوية ، واسمه خميس .. أنا لا أعرفه شخصياً ، ولكن شرطة المدينة كلها تبحث عنه هذه الساعة . فسألته أنا متظاهراً بالقلق : ولماذا تبحث الشرطة عن خميس ؟ قال : لجناية ارتكبها وهو فى طريقه الى هذه المدينة ... جناية يستحق عليها الحبس والجلد بالسياط ... ذلك اللعين لم يعرف أن الفتاة التى احتك بها فى الاوتوبيس وأساء الأدب بحقها هى ابنة أخ العقيد صالح قائد الشرطة فى البلد ، وأنها أخبرت عمها بما جرى لها حال وصولها فأصدر أمره بالبحث عن الرجل فى كل مكان .. يا ويلك يا خميس متى وقعت فى أيديهم !

لم أتمالك نفسى من الضحك لما رواه أحمد الحاج ابراهيم ، وقلت : هذا طابع أبى البهاء فى فصوله المشهورة . ما أسرع بديهته فى هذه المواقف !

فتابع أحمد الرواية بقوله : اسمع الخاتمة . فى هذه الأثناء أحسست بأن خميساً ، قريبى القصير القامة الذى كان يرتدى ثيابه البدوية ، قد اختبأ وراء ظهرى كأنه يخشى أن يتعرف محدثى فى شخصه على الجانى المطلوب . وسمعته يقول من ورائى بصوت مبحوح : أحمد ... صدقنى ، هذا غير صحيح ... نعم ، كانت فى الاوتوبيس فتاة مدنية ... ربما فتيات ولكنى والله ما مددت يدى الى واحدة منهن ... ما تعرضت لاحداهن بكلمة ! أما أبو البهاء فقد استمر فى وصف العقاب الأليم الذى يتوقعه للجانى المزعوم حين يقبض عليه زبانية العقيد ، مما زاد فى هلع خميس البسيط المعرفة والساذج التفكير . وعندما ابتعد أبو البهاء من جديد قال لي خميس بصوت مرتجف : أحمد .. اعلمنى ، ماذا أفعل ؟ قلت : سمعت بأذنك .. عليك أن تعود الى البلد حالا . قال ، وقد نسي دينه الذى جاء من البلد ليطالبنى به : أعود ... حالا ... ولكن قد يكون رجال الشرطة فى موقف السيارات يبحثون عنى هناك ! قلت : لا أظنهم يتوقعون أن ترجع فى نفس اليوم الذى جئت فيه ... ومع ذلك فسأرافقك لأطمئن الى أن أحداً من الشرطة لم يتعرف عليك ! ... وهذا ما حصل . رافقته الى موقف السيارات واطمأننت من أنه استقل الاوتوبيس المتجه الى بلدتنا دون عودة . وكان كما قلت لك مأزقاً سلنى منه أبو البهاء كما تسل الشعرة من العجين ...

● ●

ذكرت أبا البهاء بحكايته القديمة هذه مع أحمد الحاج ابراهيم وقريبه ، وقلت له :

– يجب أن نضيف الى القابك الكثيرة لقب المعين أو المنقذ . أنقذت أحمد الحاج ابراهيم من مأزقه ، وواسيت مجد الدين فى افلاسه فسقيته وأطعمته دون أن يتكلف فلساً ...

فهز أبو البهاء رأسه موافقاً على مديحى له ، غير متكلف التواضع ، وقال: ولا تنس نفسك .

قلت : أنا ؟! بماذا اعنتنى ، أو من ماذا انقذتنى ؟

قال : من المحرجات التى تقع فيها أحياناً بصفتك كاتباً . أعرف أن قلمك فى الموضوعات التى تكتب فيها عادة يشتط أحياناً فيعود بالضرر ، اذا لم يكن عليك شخصياً فعلى الدوريات التى تنشر فيها. بينما أعطيك أنا مادة تكتبها وتسلى بها قراءك دون أن ينال أحد ضرراً بسببها ...

ابتسمت وقلت : قد يكون ما تقوله صحيحاً . يلزمنى اذن أن أشكرك .

قال ، وهو يشد على يدى مودعاً : لا شكر على واجب . أنا دوماً تحت تصرف أصحابي ، إذا لم يكن لانقاذهم فلاضحاكهم . الى اللقاء ...

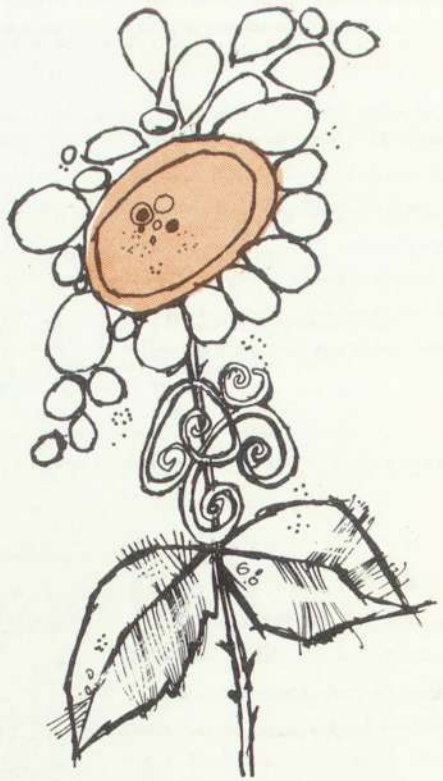
وابتعد وطابع الجد مرتسم على كل تصرفاته ، تلك التصرفات التى تملأ نفوسنا نحن أصحابه بالمرح وتبعث على شفاهنا أوسع البسمات .

د. عبد السلام العجيلى



محمد الفهد العيسى

في البدء كانت الحروف



بعد أن حطبتني الهموم والأحزان
بعد أن تطاولتْ بدربيَ الجدران
كم ألف ليلةٍ جفَّ فيها الدمعُ
وعز الصَّبرُ ..
كم جزعتُ من تهدّج الحرمانْ

●●

بعد أن جدَّلت ليالي اليأسِ
لي أنشوطَةَ انكسارْ
جئت يا ...
إليكِ
جئتُ والنَّدَى فى راحتيْ كفَّيْكِ ..
والتقتْ عيناىَ فى عَيْنَيْكِ
والتقَتْ راحتايَ واستقرتا
.... بين راحتَيْكِ

●●

فى حبك الدفيىء بالحنانْ
تلاشتْ الأحزانْ
تهاوتْ الجدرانْ
احتوى شجون خوفيَ الأمانْ
من ـ حروفكِ ـ العِذابْ ...
عرفتُ الرِّى بعد أن ظمئتُ ألفَ عامْ
عرفت معنى أن ـ أحببتُ ـ
ماالهوى .. ما الحب .. ما الانسانْ ..

●●

فى البدء .. كانت الحروفُ
كيف لي .. أصوغُ عقداً من جُمَانْ
الصمت يا ....
(قس) عاشق مثلي
بليغ فى معاناة الحروف والبيانْ

طلعت حسن محمد جاد الله

قـــراءات

الإعـــجـــاز الصـــوتي للقـــرآن الكـريـــم

إذا نظرنا إلى القرآن الكريم من ناحيـــة «الصوت» فقط سنجده معجزاً أيما اعجاز فى معانيه وألفاظه ونظمه وصوته .

ولناخذ آية من سورة الاعراف «الآيتان ١٧٥ ، ١٧٦» . هى قوله تعالى : « واتل عليهم نبأ الذى اتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان ، فكان من الغاوين . ولوشئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » صدق الله العظيم .

فلننظر فى اختيار القرآن الكريم للكلمات ، ثم لننظر إلى أي حد عبرت هذه الكلمات عما وضعت له من معنى ، لننظر فى كلمة « يلهث » التى تكررت مرتين والتى هى وجه الشبه بين الكافر والكلب ، واللهاث سرعة ضربات القلب ، وسرعة الشهيق والزفير بسبب الحر أو التعب والكلب عندما يلهث ، يخرج لسانه خارج فمه ، ولكن لم اختار الله جلت حكمته « الكلب » ، من بين المخلوقات كلها ، ونحن نرى حيوانات كثيرة تخرج لسانها عند اللهاث مثل الحمير والخيل والبغال والبقر والجاموس والغنم عندما تشتد بها وطاة الحر أو الارهاق ؟ .

يحدثنا علم الطب والتشريح أن «الانسان» هو الحيوان الوحيد من بين الحيوانات جميعاً الذى بجسمه « مسام » يخرج منها العرق الذى يتطاير فى الجو حاملا معه بعض حرارة الجسم ، وينتج عن ذلك تلطيف درجة حرارة الجسم بما تناقص منها ، أما الكلب فليس له هذه المسام ، فهو يخرج لسانه خارج فمه ، فيتطاير لعابه فى الجو حاملا معه حرارة الجسم فتتناقص حرارة جسمه .

والآن لننظر إلى كلمة « يلهث » من حيث الصوت ومخارج الحروف ، فالكلب لسانه فى حركة دائبة وهو يلهث يخرج لسانه يعرضه للجـــو ، فيجف ما عليه من لعاب حيث يتطاير حاملا بعض حرارة الجسم ، فاذا جف أدخله ثانية إلى فمه ليبلله باللعاب .

فكما ترى : هذه كلمة تتكون إن نحن قمنا بعملية اللهاث حتى وإن لم نقصد كلاماً ، وليجرب كل منا أن يدخل لسانه فى فمه ثم يخرجه مع حركتي الشهيق والزفير ، سيسمع بوضوح الحرفين « هث » بنفس الضبط ، والهاء مفتوحة ، والباء بالسكون وقبلهما « اللام » مضبوطة بالسكون عند اضطراب اللسان من التعب ـ داخل الفم بين طرفي الأسنان واللثة العليـا .

مســجـــد.. مـــواد بنـــائـــه خُلطت بالمسك

مسجد « كتبية » من الآثار الاسلامية المعروفة فى العالم الاسلامي ، شيد هذا المسجد فى الرباط وتفرد بمزايـا خاصة جذبت إليه السيلح من جميع أرجاء المعمورة .

من أهم ما يميز هذا المسجد عن غيره منارته العالية التى تنشر حولها رائحة ذكية ، تنبعث من جدران المسجد وقبوابه لتغمر المنطقة المجاورة له بأريج تطيب له النفوس ، ومصدر تلك الرائحة العطرة أكياس من المسك خلطت مع مواد بناء المسجد عند تشييده قبل ستمائة عام ومايزال بعضها مرصوصاً فى أرجاء المسجد وممراته .

من الخواص الأخرى التى عرف بها مسجد كتبية حصر الأذان فى هذا المسجد بالمؤذنين المكفوفين رغم مرور ستة قرون على بنائه . ويعود السبب فى ذلك إلى أن منارته العالية تشرف على انحاء المدينة مما يتيح للمؤذن الصاعد الى المنارة كشف ما حوله من منازل . لهذا منع المؤذنون المبصرون من ارتقائها .

أحسن ما قرأت

من اراد صديقاً ... فالله يكفيه
ومن اراد مؤنسا ... فالقرآن يكفيه
ومن اراد غنى ... فالقناعة تكفيه
ومن اراد واعظاً ... فالموت يكفيه
ومن لم تكفه الأربع ... فالنار تكفيه

قدم .. الخير

قدم لنفسك خيراً ... وانت مالك .. مالك
قبل أن تصبح فرداً ... ولون حالك .. حالك
ولست والله تدري ... أي المسالك .. سالك
أما لجنة عدن ... أو في المهالك .. هالك

كلمات للحياة

عريان .. لا يخجل

قال العقوق : غطوني بورق التين
وقال الشر : البسوني ملابس الخير والصلاح
وقالت الرذيلة : زينوني برداء الفضيلة
وقال الخداع : ضعوا تاج الأمانة على هامي
وقالت الكراهية : البسوني ملابس الحب
وقال الظلم : اعطوني صولجان التسامح
وقال الاستبداد : البسوني رداء الحرية
وقال الاهمال : جملوني بثوب الواجب
وقالت الكبرياء : البسوني رداء التواضع
وعند ذلك قال الحق : اتركوني عرياناً فانا لا اخجل !

« للشاعر الانجليزي روبنسون »

الأحسن

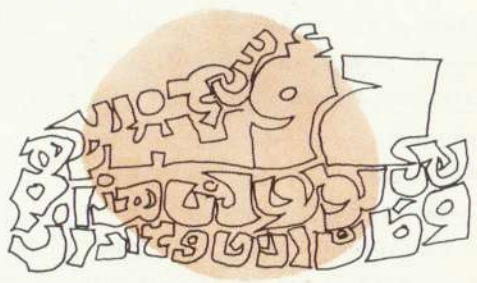
احسن انيس ..... هو القرآن
احسن معلم ..... هو الزمن
احسن كتاب ..... هو الدنيا
احسن واعظ ..... هو الضمير

الرجال أربعة

قال الخليل بن احمد : الرجال اربعة .
رجل يدري ، ويدري انه يدري ، فسلوه.
ورجل يدري ، ولا يدري انه يدري ، فذكروه
ورجل لا يدري ، ويدري انه لا يدري ، فذاك مسترشد فعلموه .
ورجل لا يدرى ، ولا يدري انه لا يدري ، فذاك جاهل ، فارفضوه .

كلمات في الأدب

أعظم كلمة هي الله
أعمق كلمة هي النفس
أطول كلمة هي الأبدية
أسرع كلمة هي الوقت
أقرب كلمة هي الآن
أقتم كلمة هي الخطيئة
أحقر كلمة هي الربا
أقوى كلمة هي : الحق
أوسع كلمة هي : الصدق
أرق كلمة هي : المحبة
أعذب كلمة هي : الوطن
أعز كلمة هي الأمل



في العدد القادم والأعداد التالية

- د. جلال شوقي
- د. عيسى الناعوري
- د. ميسوم عبد الإله
- د. قاسم عبده قاسم
- أحمد العنافي
- د. الطاهر أحمد مكي
- د. محمد عمارة
- دريني الأمير
- عبد القادر عقيل
- محمود شيت خطاب
- سمير فريد
- حبيب صايغ
- عبد الوهاب داود
- أحمد شفيق أبو عوف
- أحمد عامر
- جمال الغيطاني
- فاروق منيب
- د. عبد العزيز جادو
- إبراهيم السمان
- محمد فتحي عبد الفتاح
- أحمد محمد غندور
- محمود الشرقاوي
- يوسف محمد سليمان
- كامل يوسف حسين

بدوي الجبل

آخر الراحلين

من عمالقة الشعر العربي المعاصر



بقلم : خيري عبد ربه

هو ذا شاعر منحدر من الجبل البعيد ، يلبس عباءته وعقاله المقصب ، ويدخل المدن الكبيرة على حصان الشعر .. أول المدن : دمشق ، ثم بيروت ، فاستنبول ، وروما وفيينا ، وجنيف ، وذلك منذ أواخر ١٩٥٦ وحتى ١٩٦٤ وآخر المدن كانت دمشق ..

التوقف عند بدوى الجبل ، الشاعر السورى الكبير ، يعنى بالضرورة التوقف عند أبرز شعراء اللغة العربية الذين ينتمون إلى الكلاسيكية الجديدة .. يعنى التوقف عند جموح القصيدة التى تنقلت من أصابع الشاعر لتثبت ذاتها وخصوصيتها إلى درجة يشعر المرء معها أنه أمام قصيدة خلقت نفسها بنفسها .

ربما لا نبالغ اذا قلنا إن لقب «بدوى الجبل» تجاوز إلى حد كبير اسم الشاعر نفسه ، عرفه الناس بلقب بدوى الجبل ، وغاب عن أذهان كثيرين اسمه الحقيقي . فمن أين جاءت التسمية ؟ :

« اسمي محمد سليمان الاحمد وبدوي الجبل لقب اطلق علي وأنا فى الرابعة عشرة من عمرى ، اذ نظمت أبياتاً شعرية أرسلتها إلى جريدة «ألف باء» والتى كان يصدرها فى سوريا المرحوم يوسف العيسى ، فأعجب بها ونشرها بتوقيع «بدوى الجبل» وعندما سألته لماذا لم ينشرها باسمي قال : يا بني انك فى سن لا يقرأ الناس فيه شعرك ، واذا قرأوه

لا يقيمون له وزناً ، فاكتم بيني وبينك هذا السر ولا تقل انك بدوى الجبل وسنرى كيف يستقبل هذا الشعر . وهكذا بدأت تنشر باسم بدوى الجبل .. وطغت على اسمي هذه التسمية » .

واتجاه بدوى الجبل فى تناول موضوعاته بدأ اتجاهاً صدامياً ، فهو لم يتوقف عن تعرية الاستعمار الفرنسى ، ومقاومته ، ودعوة الناس للتمرد عليه وإشعال روح الثورة ضده ، وضد كل من تحدثه نفسه بأن يسرق حق هذا الوطن من الحرية والاستقلال . فقد كانت قصائد مجموعته الأولى (البواكير) التى صدرت عام ١٩٢٥ ، تطرح بمجملها هموماً قومية وتتغنى بالأمجاد العربية والبطولات ، والمواقف التى تشحذ الهمم .

لنقرأ هذا المقطع من قصيدة « اني لأشمت بالجبار » :

يا سامر الحي هل تعنيك شكوانا
رق الحديد وما رقوا لبلوانا
أمنت بالحق يذكي من عزائمنا
وأبعد الله اشفاقاً وتحنانا
ويل الشعوب التى لم تسق من دمها
ثاراتها الحمر أحقاداً وأضغانا
هل فى الشام وهل فى القدس والدة
لا تشتكى الثكل إعوالا وارنانا
يعطى الشهيد فلا والله ما شهدت
عيني كاحسانه في القوم إحساناً
إني لأشمت بالجبار يصرعه
طاغٍ ويرهقه ظلماً وطغيانا
سمعت باريس تشكو زهو فاتحها
هلا تذكرت يا باريس شكوانا

هذه اللغة العاتبة حيناً ، والمتدفقة الصاخبة حيناً آخر ، نجدها تحمل تيارين شعوريين اثنين ، الأول يخاطب الضمير ولذا فهو ينطلق على عربة اللغة الوجدانية المؤطرة ، والتيار الثانى يخاطب الهمم ويدفع فيها شيئاً من بركان الشعر وجموحه ، وربما لا يخفى على القارىء النسيج الخاص الذى تتمتع به قصائد «البدوى» حيث يشكل المشهد الخلفى لشعره الشيء الأهم فى التواصل مع القارىء ، فالقصيدة لا تنتهى بمجرد انتهاء مفرداتها ، وانما على العكس تكون بدايتها ، وبداية إصابتنا بما يمكن تسميته بمس الشعر .

لنقرأ أيضاً هذا المقطع من قصيدة «الشهيد» التى قيلت فى المرحوم «ابراهيم هنانو» .

نزّه آلامى عن الدمع والأسى
فتؤنسها فيّ الطلاقة والبشر
وأضحك سخراً بالطغاة ورحمة
وفى كبدى جرح وفى أضلعى جمر
أبا طارق هذى سراياك أقبلت
يرف على أعلامها العز والنصر

ولبدوى الجبل وقفته الصقرية فى كل مناسبة قومية ، مهما يكن ثمن هذه الوقفة فهو لم يتخل لحظة عن تسجيل موقفه الذى ينسحب عليه موقف الشعب .

فحين قام الانتداب الفرنسى باقامة دويلات فى اللاذقية وحلب وجبل الدروز ، وحاول نسف الجذور الوطنية والقومية التى تصل بينها حتى يعزز مواقعه .. قال البدوى :

تغنى وما أجدى الحسام ولا غنى
قواف من الأشعار تبقى ولا تغنى
أدرت على الأسماع منها سلافة
وأرضيت فيها الله والعرب والفنا
تحذرني قرض القريض مهذبا
عصابة شر لا تقيم له وزناً
وهددني بالسجن قوم سفاهة
فتى العرب الانجاد لا يرهب السجنا
سأبعث من شعرى جياداً مغيرة
عليها كماة تحسن الضرب والطعنا

ونجد فى هذا المقطع ، كما فى مقاطع أخرى ايمان الشاعر «البدوى» ، بأهمية الكلمة وقدرتها على الحياة .. قدرتها على نقل الموقف من الانفعال إلى الفعل ، من الموقع الذهنى إلى الموقع العملي الجاد .. من فكرة النضال ، كفكرة مجردة إلى مرحلة تحريك الأصبع على الزناد .. إلى مرحلة الاغارة والضرب والطعن .

وبدوى الجبل هو كما قال عنه الشاعر الكبير (بشارة الخورى) المعروف بلقب الأخطل الصغير :

« ما عرفت شاعراً لا يدل شعره عليه كبدوى الجبل أو محمد سليمان الأحمد . ان شعره أرجح من عمره ، وجزالة نظمه لا تناسب لطف نفسه ، إلا أحياناً . ان الشعراء فى سوريا كأصبع الكف الواحدة عدداً وحجماً ، وبدوى الجبل أحد هذه الأصابع . فى نفسه شاعران اذا انتصر أحدهما للقديم اعترضه نصير الجديد فما خرجت القصيدة من نفسها الا وعليها طابع الشاعرين .. هذا هو بدوى الجبل في شفق عمره فكيف به وهو فى رأد الضحى ..؟! » .

جهد بدوى الجبل وخلال مسيرته كلها فى رحاب الشعر ، لتعميق مساراته ، وبلورة حنجرته الخاصة ، فغنى بصوته ولم يستعر حنجرة غيره ، وقد تميزت قصائده بصفة تكاد أن تكون متفردة إلى حد بعيد ، حيث اعتمدت في بنائيتها الشكل الكلاسيكى والمضمون الحديث ، فالبدوي طوال حياته لم يتخل عن شكل القصيدة الخليلى ، وإنما تخلى عن قوالب الصورة الشعرية ، فكتب القصيدة التى تنمو صورها من الداخل ، والتى تتعامل مع العالم من منظور حديث ومبتكر . ومع أنه استطاع ـ كما أشرت ـ أن يكون رائداً من رواد الكلاسيكية الجديدة . فهو فى مقاطع عديدة من شعره وأحاديثه ، ينظر إلى الشعر خارج سجون الأوزان والقوافى .

أنا أبكى لكل قيد فابكى
لقريضى تغله الاوزان

الا أن بكاء البدوى هنا لم يدفع به إلى كسر قيد الشكل الكلاسيكى وركوب موجة التيارات الجديدة ، على صعيد الشكل الفنى للقصيدة ، بل بقى مصرا على موقفه من الشعر الحديث ورافضاً الاعتراف بشرعية وجود مثل هذا الشعر ، فهو لا يؤمن بالشعر الحديث . ذلك أن هذا الشعر يفتقد إلى الطابع المميز في اللغة العربية . « ما يسمونه تجديداً نزوة سينتهى أمرها عندما يعود إلى اللغة العناية بها فى المدارس وعندها يخرج الطالب من المدرسة وقد تذوق لغته وفهم أسرارها » .

كان البدوى يبحث فى مسيرته كلها عن جزالة اللفظ ورقة المعنى ، وقد ساعده على تحقيق ذلك ثقافته الواسعة وخبرته بخفايا اللغة وكشفه كنوزها . الا انه حاول وباستمرار أن يخرج بتجربته إلى معطيات العصر الحديث التى يعيشها وأن ينقل هذه التجربة إلى الشعر من خلال اللغة التى تنطلق غالباً من رقة وعذوبة يمكننا أن نطلق عليها اصطلاحاً «اللغة الوجدانية» . ولعل أوراق «البدوى» التى كان من المفروض

أن تخرج فى «مذكراته» قبل موته تكشف لنا بعض تلك الينابيع التي تنضح من مخزون الذاكرة .. ففى قصيدة قالها في (مي زيادة) ، نجد شفافية «البدوى» القادم من الجبل عندما يحب .. «البدوى» الذى يأخذ من الجبال نسيمها ، ومن الصحراء اتساعها ومن الأحراش وحشيتها ومن الأزاهير أريجها .. كل هذه العوالم تجتمع فى عالم بدوى الجبل فتكون القصائد ويكون الشعر . يقول فى مي :

أنا إن بعدت عن الديار فانني
يا مي قلبي في ديارك باق
لا ترقبوا مني تناسي عهدكم
إن الوفاء المحض من أخلاقي

البدوى عاشقا

ولقصة بدوى الجبل مع الشعر ما تفضحه لغة القلب ولغة العواطف المنسجمة مع الروح . فعلى الرغم من أن النساء اللواتى استوقفن الشاعر لم يستطعن متفرقات ولا مجتمعات اعتقاله أو جره إلى عزائمهن حيث ظل «بدوى الجبل» داخل قيود زوجته ، لم يحب غيرها . على الرغم من ذلك فقد افلتت بعض القصائد من بين يدى «البدوى» لتتجسد شعراً جميلا تتحدث عن اللواتي مارسن عليه فعل السحر . فقد أثارت احدى شقراوات «جنيف» قريحته فحركت فيه كوامن الغزل فقال :

هد هد همومك عندى
على حيائي وصدى
حور النعيم تمنت
نعمى هواى ووجدى
هل عندهن رحيقي
وهل لديهن شهدى ؟
ومن معانيه عطرى
ومن قوافيه وردى
تأنق الله دهراً
يعد في ويبدى
حتى جلاني شعراً
يا حسرة الشعر بعدى

وتدل وجدانيات الشاعر وغزلياته على رقة كبيرة فى الاحساس ، وشفافية مفرطة إلى درجة نقرأ فيها ذوب روح الشاعر فى أحرفه ، وتوزعه فى قصائده فأصابع «البدوى» متواجدة دائماً ، بكل رقتها فى خلايا شعره تحرك فيه النبض ، وتلون صوره .. أصابع «البدوى» متربصة دائماً خلف الأحرف لتعتقل القارىء متلبساً بتهمة الدهشة ، والوقوف فى منطقة الغرابة .

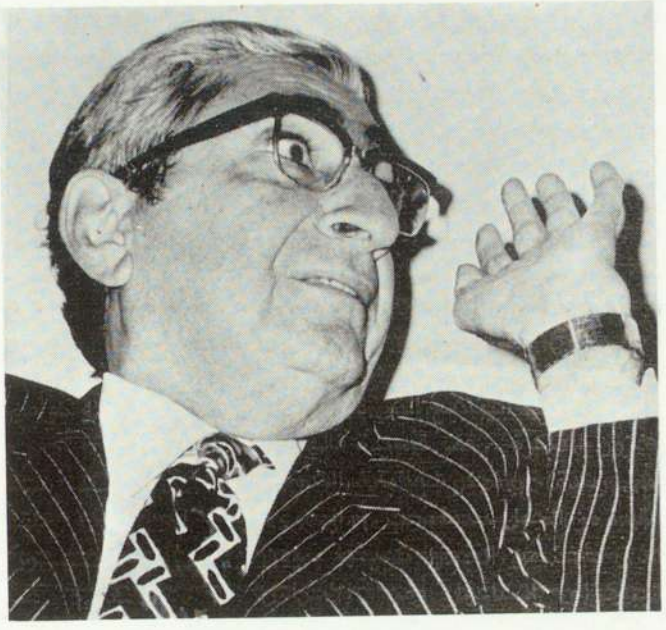
يعرف الفجر أن دمعى أصفى من نداه ،
ويعرف الريحان
يعرف الطيب أن دمعى أذكى منه عطراً
وتعرف الأردان
تعرف الريح ان دمعى سلاف وجفونى كؤوسها والدنان
أدمعى فى السماء أنجمها الزهر وفي البحر دره والجمان

كتابة الشعر عند «البدوي» لون من ألوان التعبد ، والدخول المؤبد فى هالة الحب ، هى المصير الذى لا مفر منه ، إنها الحتمية التى تكاد تأخذ صورة القدرية .. أن تكون شاعراً فهذا يعنى بالضرورة أن تكون عاشقاً ومحباً .. يعنى أن ترسم بأنملتك وجه الغد القادم بكل الرؤى الخيرة ، ووجه الحلم المشع من الداخل .. الحلم الذى لا ينطفىء .. معنى ذلك أن تقامر بحريتك ليربح كثيرون حرياتهم ، وأن تذوب شعراً ، ليتكون الآخرون . لنقرأ هذا المقطع من قصيدة ـ اللهب القدسي ـ :

يحب قلبى خباياه ويعبدها
اذا تبرأ قلب من خباياه
طفولة الروح أغلى ما أدل به
والحب أعنفه عندى وأوفاه
ما الحسن الا لبانات منمقة
لكن يؤلهه أنا عشقناه

ويطرح السؤال هنا نفسه : كيف الحب فى أعنف صوره وهو الرقيق ، الحالم الذى يدافع عن نفسه بروحه وشفافيته ووجده .. ؟ يجيبنا «بدوى الجبل» حول فكرة العنف فى الحب فهو أولا لا يقف موقف الوسط فى عواطفه فاما أن يكون عاشقاً متيماً ، وإما أن يكون جباراً محطماً بقبضته كل ما حوله . وهذا التناقض الحاد فى شعر البدوى ، أو لنقل فى موقفه الحياتى من الحب ، يضفى على قصائده خصوصيتها ، ويجعله متفرداً فى زحمة العشاق من الشعراء .

أيا دمية انشأتها وعبدتها
كما عبد الغاوون منحوت أحجار
سكبت بها روحى وأهواء صبوتى
وألوان أحلامى وبدعة أطوارى
ويا دمية انشأتها ثم حطمت
يداى الذى انشأت تحطيم جبار
أينكرنى حسن خلقت فتونه
فيخنقني عطرى وتحرقنى نارى
وكما يبقى الخالق أكبر من مخلوقاته



بدوي الجبل
شاعر الكلاسيكية الجديدة



بدوي الجبل مع احفاده

وأروع ، يبقى « بدوى الجبل» على امتداد مسيرته ، أكبر من قصائده وما يطرحه من خلالها .. يبقى أكبر من المشهد الشعرى الذى تجسده عبقريته ، ولذا فهو دائماً يملك امكانية الخروج من حقل ألغامه مخلفاً للقارىء مساحة من الدهشة . فتمرد اللوحة التى أبدعها «بدوى الجبل» عليه ، الى درجة أنكره حسن خلقه ، وحاول خنقه ، عطر كان قد قطره بنفسه ووضعه فى الموقف الضد .. موقف النقيض فكان أن أعاد الشاعر الحسن المبدع ـ بضم الميم ـ إلى طينته .

رددتك للطين الوضيع وما حنا
على روضك الهاني هبوبي واعصارى
وفارقت اذ فارقت الطين وحده
وعادت إلى نفسي عطورى وأنوارى

وجدانيات بدوى الجبل

الشاعر بدوى الجبل فى أغلب قصائده ان لم نقل فى جميعها يتعامل مع العالم بلغة وجدانية حالمة ، لانه يعرف جيداً أن الشعر هو لغة الوجدان ، ولغة القلب .. ولذا فان أولى مهامه أن يمس شغاف القلب ، ليؤثر بعد ذلك مع المفردات الذهنية . إلا أنه وعلى الرغم من أن «بدوى الجبل» ينكر أنه يعتبر بشكل أو بآخر من شعراء المناسبات فهو شاعر مناسبة دون شك ، وذلك أن عدداً لا بأس به من قصائده جاء إثر مناسبة قومية ، أو اجتماعية عاشها فخلدها شعراً . فأثناء هجرته فى «فيينا» مثلا كتب قصيدة لحفيده «محمد» الذى بلغ من العمر سنة واحدة ، نقرأ منها .

وسيما من الأطفال لولاه لم أخف
على ـ الشيب ـ أن أناى وأن أتغربا
تود النجوم الزهر لو أنها دمى
ليختار منها المترفات ويلعبا
يزف لنا الأعياد عيداً إذا خطا
وعيداً إذا ناغى وعيداً اذا حبا
ويارب من أجل الطفولة وحدها
أفض بركات السلم شرقاً ومغربا

وفى قصيدة أخرى ـ وكان الشاعر قد كتبها بمناسبة زفاف ابنة قريبه قبل ستة أشهر من وفاته ـ يقول :

سميى بيننا قربى وحب
على الأيام معروف قديم
اذا ما راح يحبسنى سقام
فحبى لا الحبيس ولا السقيم
ترف على عروسينا صلاة
يسلسل طهرها ملك كريم

والشاعر «بدوى الجبل» كما هو معروف له مواقف «شعرية» مشهورة ، يقف من خلالها إلى جانب قدسية الشعر وينادى ضمناً ، بضرورة صون هذا الشعر ، وعدم التنازل عن تركيب حرف واحد منه ، عندما تكون ظروف خلقه لها خصوصيتها ، فهو يسرد لنا حادثة جرت بينه وبين المطربة الكبيرة أم كلثوم : في الخمسينات جاءت أم كلثوم إلى دمشق ، وأحيت حفلتها الفنية فى مدرسة «اللاييك» وقد دعتنى إلى حضور الحفلة فذهبت إلى هناك ، على الرغم من أننى لا أحب مثل تلك الحفلات الغنائية الصاخبة .. فى اليوم التالى زارتنى فى المنزل يرافقها «محمود رياض» «سفير مصر بدمشق آنذاك» وطلبت مني أن أسمح لها بغناء قصيدتى المسماة «شقراء» التى نظمتها بفتاة «سويسرية» ومما قلته في تلك القصيدة :

شقراء يالون حسن
محبب مستبد

وقد طلبت «أم كلثوم» أن أبدل كلمة «شقراء» بـ «سمراء» فاعتذرت عن تحقيق طلبها لأن القصيدة بالاساس الهمتنى إياها فتاة (سويسرية) (شقراء) وليست (سمراء) !! ثم زارتني «أم كلثوم» أكثر من مرة بمنزلى بهدف أن أغير رأيي فباءت محاولتها بالاخفاق » .

هذه تقريباً أبرز ملامح شعر «بدوى الجبل» محمد سليمان الأحمد الذى ملأ الوطن العربي منذ حداثة سنه وحتى وفاته باشعاره ، فكان للكلمة بين شفتيه صفة الخلود ، وكان لعبقريته قدرة الخلق والابتكار والتفرد فى زحمة أسماء ونتاجات الشعراء العرب .

ويجدر بنا فى نهاية هذه القراءة النقدية ، أن نقف عند تعريف بدوى الجبل للشعر فهو يرى ان الشعر يرتكز على العاطفة والخيال وترف الروح ، وأن فى العالم صراعاً بين العقل والقلب ، ولابد أن ينتهى بانتصار القلب .

مات أخيراً بدوى الجبل بعد أن حقق فى جزء كبير من قصائده فكرة انتصار القلب ، فماذا رحل معه إلى المقبرة ؟ وماذا بقى منه فى قصائده التى أبدعها طوال رحلته الحياتية ؟

بدوى الجبل متغلغل فى قصائده وموزع بها ..

انه الآن يكتب قصيدته الجديدة ..

خيرى عبد ربه ـ دمشق

في العدد ٦٦ « يوليو الماضي » نشرت الدوحة مقالا تحت عنوان « جبران خليل جبران لماذا بدأ ثائراً وانتهى مهادناً للاستعمار » بقلم الأديب الناقد الأستاذ حارث طه الراوي وفي العدد ٧٠ « أكتوبر الماضي » نشرنا ردين على هذا المقال ، أحدهما للأستاذ يوسف محمد سليمان ، والثاني للأستاذ فوزي معروف .

كذلك كتب الأستاذ سعيد فرحات في جريدة الرأي العام الكويتية مقالا يرد فيه على مقال الأستاذ الراوي . وفي هذا المقال يرد الأستاذ الراوي على المقالات الثلاث ، مركزاً رده على مقال : الأستاذ سعيد فرحات ، حيث يجسد هذا المقال الأخير ما جاء في المقالين السابقين :

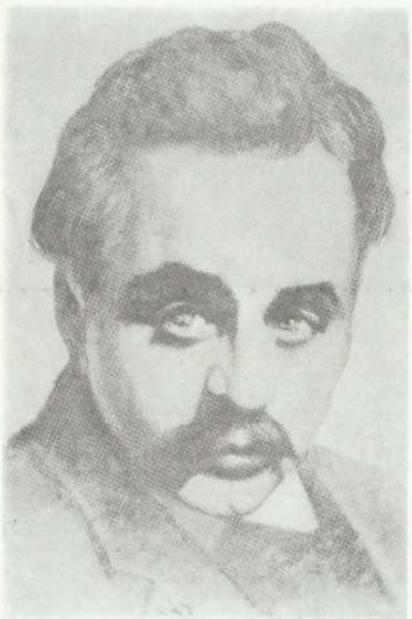
آراء حرة

المعركة مستمرة حول جبران

لم أحاكم جبران

ولكني طالبت بدَيْن أمّته عليه

بقلم : حارث طه الراوي



قرأت في العدد ٦٣٦٤ من جريدة «الرأي العام» الكويتية الغراء الصادرة بتاريخ ٢٨ تموز (يوليو) ١٩٨١ مقالا تحت عنوان «محاكمة جبران ما الهدف منها» للأستاذ سعيد فرحات يرد فيه على مقالي «جبران خليل جبران بين عهدين» الذي نشرته مجلة «الدوحة» القطرية الغراء بعنوان آخر هو «جبران خليل جبران .. لماذا بدأ ثائراً وانتهى مهادناً للاستعمار» . والظاهر أن العنوان الذي استبدلته المجلة للمقال قد استفز الأستاذ صاحب الرد فضلا عن المقال نفسه بدليل أنه جعل عنوان رده «محاكمة جبران ما الهدف منها» . في حين أني لم أقصد محاكمة جبران لا في عنوان المقال ولا في صلبه ، لأنني مهما اختلفت مع جبران في هذا الرأي أو ذاك

أو هذا الموقف أو ذاك ، فلا أنكر أننى تتلمذت على الرجل منذ ما يقارب الأربعين سنة ، وللمعلم حرمة كبيرة عندى . ولكن جبران نفسه لا يرضى لتلاميذه أن يكونوا عبيداً له ، فهو القائل: «يقولون لي : من علمك حرفاً صرت له عبداً ، ولهذا بقيت جاهلا حراً ..» . وهكذا يفضل جبران الجهل مع الحرية على العلم مع العبودية . فاذا تصديت لموقف من مواقف جبران بالنقد وتمنيت لو كان له موقف آخر ، فأنا لا أستعمل حقى كباحث وناقد وحسب بل كتلميذ قديم من تلامذة هذا الرجل الذى يجل الحرية ويحترم الأحرار ...

• • •

قلت فى مقالى المشار اليه حول هفوات جبران اللغوية : «ويقتضينا الانصاف أن نقول ان هفوات جبران اللغوية وركاكته البيانية قد سلم منها الكثيرون من أدبائنا الذين هم من عيار جبران أو دون عياره» .

وقال الأستاذ فرحات معلقاً : «ولكن الكاتب لم يذكر لنا واحداً من هؤلاء الذين من عيار جبران ودون عياره سلم من هفوات جبران اللغوية وركاكته البيانية . وكان عليه ـ للأمانة ـ وهو يدين جبران ، أن يقدم مثلا ، خاصة ممن اعتبرهم من عيار جبران على الأقل . كما لم يذكر مثلا على هفوات جبران وركاكته اللغوية ، وهذا يقتضى البحث العلمى والموضوعى فهل اكتفى بما أشار اليه ولي الدين المعجب بجبران كما تقدم؟ كما لم يقدم مثلا على عثرات جبران اللغوية والنحوية ، وهذا أيضاً يتطلب منطق الاتهام فى سياق الموضوع» .

وأقول للأستاذ فرحات ان الاشارة فى موضوع الكتاب الذين هم من عيار جبران أو دون عياره تغنى عن ذكر الأسماء ، وهذا ما يجمل أن يكون فى المسائل الخلافية . لأن معاييرنا مهما كانت دقيقة فى تصنيف أدباء طبقة واحدة فلا يمكننا ـ مهما ادعينا الموضوعية ـ أن نتنصل ونتبرأ من الأمور المزاجية والذوقية .. فالاشارة اذن أولى ..

أما الأمثلة على عثرات جبران اللغوية وركاكته البيانية فهى من الوضوح بحيث تغنينا عن أتعاب التنقيب ومشقة التقصي والمراجعة الطويلة . وبيدى ، الآن ، طبعة سنة ١٩٢٣ من كتاب «العواصف» لجبران أعنى طبعة دار الهلال بالقاهرة ، أقلبه فأعثر على الكثير مما يسيء الى جمال لغة جبران وبيانه . وعلى سبيل المثال لا الحصر أقول : جاء فى مقال «حفار القبور» الذى استهل به جبران عواصفه السؤال التالى «وأى منى ولدت» ص ١٢ والصواب أن تقتلع «وأى» ليبقى السؤال الصحيح : «ومتى ولدت» . وفى الصفحة التالية أعنى ص ١٣ يقول جبران : «وفى المساء أسخر بالطبيعة» والصواب «أسخر من الطبيعة» وفى الصفحة نفسها يقول جبران «ثم أحدق بعينى» ، والصواب أن يقول : «ثم حدق بعينى» لأن أحدق تعنى أحاط وجبران يقصد نظر .

وفى مقال «الأضراس المسوسة» ص ١٠٤ قال جبران «.. مثلما تلعب القطة بصيدتها» والصواب : بصيدها .

وفى مقال : «مات أهلى» ص ١١٨ يستهل جبران مقاله الجميل بهذه الجملة الركيكة : «مات أهلى وأنا قيد الحياة» والصحيح أن يقول : «ومازلت على قيد الحياة» .

وفى مسرحية أو حوارية «الصلبان» جاء فى ص ١٨٩ قول جبران : «وهو للآن لم يشكرنى» . فهل تعذر عليه أن يقول : «وهو لم يشكرنى حتى الآن» . وتحت هذه الجملة يقول على لسان يوسف مسرة «هذه بالحقيقة حكاية لذيذة» والصواب أن يقول : «هذه فى الحقيقة حكاية لذيذة» والأصوب والأصح أن يقول : «حقاً إنها لحكاية لذيذة» .

● أمثلة كثيرة على ركاكة جبران وعثراته اللغوية

وأكتفى بهذا القدر الضئيل من النثر الجبرانى المتعثر ، لأشير الى بعض ما ورد فى شعره من هفوات لا يصح أن تصدر من أمثاله . وأمامى ديوانه «المواكب» المطبوع بمطبعة المقطم بمصر سنة ١٩٢٣ . فى ص ١٧ يقول جبران :

فسارق الزهر مذمـــوم ومحتقـــر
وسارق العقل يدعى الباسل الخطـر

والصواب أن يقول : «يدعى الباسل الخطرا» . وفى الصفحة نفسها ورد البيت التالى :

ففى العرينة ريح ليس يقربـــــه
بنو الثعالب غاب الأسـد أم حضروا

والصواب أن يقول : «ففى العرينة ريح ليس يقربها» لأن الريح مؤنث ولا يجوز فيها التذكير .

ويقول جبران فى ص ٢٩ من مواكبه :

هل تحممت بعطر
وتنشفت بنـــور

ولا يوجد «تحمم» فى العربية بل «استحم» . ولا تقنعنى حجة زميله الأستاذ ميخائيل نعيمة فى الدفاع عنه فى كتابه «الغربال» التى خلاصتها كيف يحق لبدوى فى الصحراء أن يقول استحم ولا يحق لجبران ابن المدنية والعبقرية أن يقول «تحمم» ؟! وهى حجة تنادى على نفسها بالضعف وتفضى الى فوضى لغوية لا أول لها ولا آخر ..

• • •

ويقول الأستاذ فرحات : «وأيضاً لم يخبرنا الكاتب كيف وصل جبران بأسلوبه ومعانيه بكتاباته بالعربية والانكليزية الى قمم الابداع الشاهقة ، وكيف ضاع أسلوبه العربى فى غير مستوى القمم ؟ .

وأقول للاستاذ فرحات ان التفاصيل التى يطلبها والشواهد التى يريدها لا يمكن أن تتوفر إلا فى دراسة مستفيضة عن جبران أو بمحاضرة طويلة عنه لا بمقال مركز عرض الدعائم الرئيسية للأدب الجبرانى كمقالى . ولا يخفى على

المعركة مستمرة حول جبران

الأستاذ فرحات ومعظم المطلعين على نتاج جبران انه كان ذا أسلوب شعرى يتميز بالصور المبتكرة والألوان الزاهية وقد أعانته فى ذلك مخيلة خصبة غنية بالصور والخيالات الجميلة التى تموج فى أذهان المصورين المبدعين ، فضلا عن تفكيره الشمولى ونزعته الانسانية الواضحة ، وهذه عدة أكثر الكتاب العالميين الذين وصلوا بنتاجهم الى مستوى القمم ، فلا عجب اذا ما وصل جبران الى ما وصلوا اليه من قمم بهذه العدة التى يملكها ويملكونها ، وإن كان جبراننا دون مستوى الكثيرين منهم فى مجالات القصة أو الرواية أو المسرحية .

إن أكثر مقالات «العواصف» ذات مستوى عالمى من حيث الأفكار الانسانية العالمية والأسلوب العالى فى العرض والتصوير . وفى طليعة هذه المقالات التى تترجم الى اللغات العالمية فتقف بمستوى مقالات الكتاب العالميين المبدعين : «العبودية» و «على باب الهيكل» و «الجنية الساحرة» و «يا بنى أمى» و «بين ليل وصباح» و «مساء العيد» و «الجبابرة» و «مات أهلى» وغيرها . ولا يتسع صدر هذا الرد للاستشهاد . وهذا لا ينفى أن نقول ان هذه المقالات الرائعة لو كتبت بأسلوب عربى رصين محكم لكانت أكثر روعة وأشد تأثيراً فى النفس العربية .

ويقتضينا الانصاف أن نقول : بالرغم من الهلهلة والركاكة فى بعض جوانب الأسلوب الجبراني فان قوة تعبيره الشعري وشدة تدفقه الوجداني وسرعة انطلاق خياله الجوال قد حققت لجبران فى مجال التجديد حضوراً متميزاً وفضلا لا ينكر ..

ويقول الأستاذ فرحات : «ومن الواضح أن الكاتب اتهم وأصدر حكمه فى نفس الوقت دون مناقشة لتطور الفكر الانسانى عند جبران الى المثالية الانسانية» .

وجوابى هو أن ما يسميه الكثيرون تطوراً للفكر الانسانى عند جبران الى المثالية الانسانية ، لا أراه كذلك ، لأن مثالية جبران عريقة فيه ، لم تفارقه حتى إبان ثورته فى عهده الأول ، إذ لم تكن ثورته ذات هوية علمية واقعية محددة . والمعروف عنه أنه وضع أصول كتاب « النبي » فى فجر شبابه وفجر حياته الأدبية ثم زاد عليها فيما بعد وصور ولون . فلماذا استقل بمثاليته بعد كتاب النبى وأبعد عنها ثورته ؟ هذا هو السؤال المهم الذى لا تكون الاجابة الصحيحة الصريحة عليه فى صالح جبران المهادن الذى أغلق عينيه أمام مآسي أمته وأغلق أذنيه لئلا يسمع صيحاتها واستغاثاتها . وهذه هى مهادنة الاستعمار . وكنت أود لو أن الأستاذ فرحات قد جاءنى ولو بشاهد واحد يثبت أن جبران لم يهادن الاستعمار وانه كان ذا موقف وطنى رافض مع الغزاة الجدد لوطنه الذين جثمت كوابيسهم الثقيلة على صدر لبنان بدلا من أن يخبرنى بما لا أجهل وهو ان جبران كان يقود ثورة ضد التعصب الدينى ، وهذا بعض ما تنطوى عليه ثورته التى أشرت اليها فى عهده الأول .

ولم يكن جبران ، فى عهده الثانى مهادناً للاستعمار وحسب،بل كان يفكر بعقلية المستعمرين وليس أدل على ذلك من أنه كان يعتقد أن الشعب السورى ، وكان يقصد به الشعب اللبنانى أيضاً ،

● لم يكن جبران في عهده الثاني مهادناً للاستعمار فحسب.. بل كان يفكر بعقلية المستعمرين

ليس أهلا لأن يحكم نفسه بنفسه ولابد له من أن يوضع تحت رعاية دولة غربية كبرى لمدة لا تقل عن ١٥ سنة !! والدولة الكبرى التى كان يسعى بالحاح لهيمنتها على وطنه هى الولايات المتحدة الأمريكية وليس أدل على ذلك من الرسالة التى بعثها الى صديقه أميل زيدان رئيس تحرير مجلة «الهلال» مع مجموعة من الرسائل بين سنتى ١٩١٩ – ١٩٢٢ والتى نشرتها مجلة «الهلال» القاهرية فى عدد مارس ١٩٣٤ تحت عنوان «نثرات من رسائل لم تنشر لجبران خليل جبران بين سنة ١٩١٩ – ١٩٢٢» فقد جاء فى الرسالة المعنونة «مستقبل سورية» ما اليك نصه :

«أنا من القائلين بالمحافظة على وحدة سورية الجغرافية وباستقلال البلاد تحت حكم نيابى وطنى عندما يصبح السوريون أهلا لذلك . أى عندما تبلغ الناشئة الجديدة أشدها ، وقد يتم الأمر بعد مرور خمس عشرة سنة . وأنا من القائلين بان تكون اللغة العربية هى الأولية فى المدارس والرسمية فى جميع دوائر الحكومة .

أما وضع سورية تحت رعاية أميركا ففكرة جميلة الى درجة قصوى ، فاذا تحققت كنا أكثر شعوب الشرق حظاً ولكن لتعاستنا لن تتحقق لأن الحكومة الأميركية لا تريدها والصحافة الأميركية تعترض عليها والشعب الأميركى يتأفف منها . ولقد حادثت وكاتبت الكثيرين من وجهاء هذه البلاد ومفكريها فظهر لي أنهم لا يريدون دخول أميركا فى مشاكل أوربا اجمالا ولا فى مسألة الشرق الأدنى خصوصاً» .

● ● ●

وأقول أخيراً للأستاذ سعيد فرحات اننى لو كنت فى مجال محاكمة جبران لما أحجمت عن إيراد هذه الوثيقة التى أوردتها الآن للتدليل على العقلية السياسية المتخلفة لجبران . ولم أكتب مقالى عنه إلا للمطالبة بدين أمته عليه . وما أكثر ديون الأمة على الكثيرين من كبار أدبائنا المعاصرين ...

حارث طه الراوي – بغداد

لم يظلم النحاة المرأة العربية !

بقلم: عودة الله القيسي

فى العدد (٧٠) من مجلة «الدوحة» .. قرأت كلمة السيد (محمد العدنانى) عن «المرأة العربية والنحاة» .

ولقد لفت انتباهى «التطرف» فى الأسلوب الذى استخدمه السيد العدنانى ، واللهجة «الدرامية» التى خاطب القارىء بها . لقد تباكى على ما عد ظلماً من النحاة للمرأة ، ولم يعرض الأمر عرضاً علمياً مجرداً . من أمثلة هذا الأسلوب قوله :

ـ «فلماذا تجيز الفصحى ـ حرمان ـ الأم تاء تأنيثها التى تعتز بها ، والتى لها معنى كبير لدى الأبناء ولدى الجنس الخشن» .

ـ «ولكن النحاة لم ينسوا هنا إلحاق ـ الظلم ـ بحواء» . .

ـ «وإذا جاء طفل واحد مع مليون امرأة قلنا جاءوا ، ولم نقل : جئن . فيا للظلم ـ الفادح ـ الحال بأمهاتنا ، وأخواتنا ، وبناتنا ، وحفيداتنا» .

ـ مسكينة أنت يا أنثى البشر ويا أنثى الطير » ... الخ

يضاف الى ذلك أننى لا أوافقه ، من منطلق النحو واللغة ، على بعض ما جاء فى كلمته ، وأوضح موقفى فى النقاط التالية :

● يقول الكاتب : «فمن الظلم الذى تلحقه الفصحى بالمرأة ، أنها تحرمها تاء التأنيث ، التى تتحلى بها فى آخر الكلمة ، عندما يكون الفعل خاصاً بالأناث دون الذكور ، فيقولون : هذه مرضع ، وتلك حائض ، بدلا من مرضعة وحائضة . ولست أرى مسوغاً لغوياً لذلك» .

وأقول : إن المسوغ اللغوى لمثل هذه الحالات .. قائم . لماذا يؤتى بتاء التأنيث ـ أصلا ـ مع المؤنث . ؟ النحاة يقولون : يؤتى ـ أصلا ـ بتاء



التأنيث مع المؤنث للتفريق بينه وبين المذكر . فاذا قلت : رجل ذكى ، قلت : امرأة ذكية . ولكن ـ وهنا المسوغ ـ إذا كانت الصفة خاصة بالاناث دون الذكور انتفى لزوم تاء التأنيث ، لأن التمييز ـ فى هذه الحالة ـ حاصل بين الذكور والاناث من حيث ان الصفة لا تلحق إلا الاناث ، فلا يعود هناك مجال للبس أو داع للتفريق بين الجنسين أو التمييز بينهما .

وهناك مسوغ آخر أكبر من هذا ، يعد من أصول «فلسفة» اللغة العربية . هو «الايجاز» . فالعربية لغة الايجاز فى اللفظ والبنية والأسلوب حيث لا داعى للاطالة . يظهر ذلك جلياً فى «بنية» الكلمة العربية ، إذ الكلمة ، فى أساسها تقوم على الحروف دون الحركات ، بحيث لا نضبط فى الكتابة للكبار ، إلا كلمات قليلة فى كل ألف كلمة ، كلمات قليلة تشكل قراءتها .

وهذا يجعل الكتاب الأجنبي ـ واللغات الأجنبية تتكون الكلمة من الحروف والحركات معاً ـ الذى يقع فى ألف صفحة يترجم الى العربية فى خمسمئة صفحة أو ستمئة . ويجعل الكتاب الغربى الذى يقع فى خمسمئة صفحة يترجم الى اللغة الانجليزية بألف صفحة أو حولها . والصفحة الواحدة تتسع لألفاظ من العربية أكثر مما تتسع له من الأجنبية .

فاذا نظرت الى هذا الفارق الهائل الذى يقرب من النصف .. أدركت ما «للايجاز» من فضل فى العربية ، وأن ذلك يوفر ملايين الدنانير فى الطبع فى العالم العربى فى العقد الواحد من السنين ، إذا عرفت أن مئات الآلاف من الكتب تطبع فى عقد واحد .

والايجاز فى النقطة التى نتناولها أن العربية تنظر فى الكلمة ، فاذا كانت تلتبس بغيرها كأن تلتبس صفة المؤنث بالمذكر أضافت ما يزيل هذا اللبس ، وهو هنا تاء التأنيث . أما اذا لم تكن لتلتبس بغيرها كالصفات الخاصة بالاناث ، «أزالت» منها ما أضافته الى صفات المؤنث التى لا تخص الاناث وحدها بل تنسحب على الرجال أيضاً .

هذه الفلسفة عبر عنها النحاة ولم يوجدوها ، وإنما هى مكتنة فى طبيعة اللغة . وفضل النحاة كان الكشف عنها. قد يقال : وهل كان العرب ، فى الجاهلية يدركون هذه الفلسفة ؟ فأقول : لا . وإنما هى سليقة مستسرة فى أنفسهم أودعها الله فيهم .. الله الذى أراد للعربية أن تكون لغة كتابه المعجز : القرآن الكريم .

أرجو أن يكون المسوغ قد عرف الآن ! وأن العربية والنحاة كذلك .. لم يظلموا المرأة وإنما أعطوها حقها ،بالقسطاس المستقيم !

● ويقول الكاتب : «وتظلم الضاد الفتاة عندما تصبح يافعة ، فتنسبها الى الصبى ، وتقول : هذه صبية . لماذا لا نقول : هذه بنتية ، مادامت وحدها هنا ، دون أن يشاركها فى النسبة صبى. يجعل النحاة يجدون لهم مخرجاً ، ويقولون : تغلب الذكر (الصبى) على الأنثى (البنت) فكانت النسبة اليه لا اليها» .

لم يظلم النحاة المرأة العربية !

أولا ـ أما يعتقد الأستاذ العدنانى أن النسبة الى «بنت» بهذه الصورة الغريبة هو أقرب الى استعمال الأعاجم للغة العربية من استعمال العرب لها ؟

وثانياً ـ أنا أعتقد أن الكاتب لم يقرأ شيئاً من التعليل الذى أورده فى أى كتاب نحوى جدير بالاعتبار . وقد حمله على الاعتقاد أن هذا تعليل النحاة ، لهذه الحالة .. ظنه أن صبية حملت على صبى فى النسبة إذ تغلب الذكر على الأنثى . والصواب غير ذلك .

الصواب أن كلمة صبى وكلمة صبية ليست «نسبة» أساساً ، وإنما هى «صفة مشبهة» أخذت معنى الأسمية لطول الاستعمال دون الموصوف إذ الأصل : ولد صبى ، وبنت صبية . فاذا جاءت من الفعل : صبى يصبى ، فهى على وزن «فعيل وفعيلة» مثل قدير وقديرة . وإذا جاءت من الفعل : صبأ يصبو ـ كما يرى بعض اللغويين ـ فهى جاءت على وزن «فعول وفعولة» مثل حمول وحمولة الأولى للجمل الذى يحمل أمتعة القوم والأخرى للناقة .

وفى كلتا الحالتين تضاف التاء المربوطة للمؤنث دلالة على التأنيث . وفى الحالة الأولى (على وزن فعيل) حدث للكلمة «إعلال» بأن سكنت الياء الأولى وأدغمت فى الياء الثانية . وفى الحالة الثانية حدث (إعلال وإبدال) إذ سكن الواو ثم قلب ياء أو أبدل بياء إذ الأصل هكذا «صبوى» دون تشديد .

مبدأ التغليب

● ويقول : «وإذا جاء طفل واحد مع مليون امرأة ، قلنا : جاءوا ، ولم نقل : جئن . فيا للظلم الفادح الحال بأمهاتنا» ! .

وهذه مبالغة ولاشك . فان المتكلم عادة ـ وفى النحو ـ لا يمكن أن ينظر الى وجود طفل بين مليون إمرأة ثم يخاطبهن بالتذكير ، بل الصحيح أنه يخاطبهن بالتأنيث فيقول : «جئن» لا جاءوا .

لأن مبدأ «التغليب» أصلا مبدأ نحوى بلاغى معاً . (بل إن الاستعمالات النحوية هى استعمالات بلاغية ، ويمكن أن يراجع فى ذلك كتاب «دلائل الاعجاز» لعبد القاهر الجرجانى) .

هو مبدأ بلاغى .. لأن الأصل أن المرء الذى يشاهد جمعاً من الرجال والنساء ، أمامه خياران : الأول أن يقول مثلا : (رأيت رجالا يهتفون ونساء يهتفن) فيأتى بالفعل مع كل فريق . والثانى أن يقول : (رأيت جمعاً من الرجال والنساء يهتفون ـ بصيغة المذكر) .

ولكن هذين الخيارين ليسا مطلقين من ناحية بلاغية . بل هما مقيدان بما يثير انفعاله ويتصل بنفسه ، فاذا كان النساء يهتفن كالرجال قوة وتأثيراً .. عبر بالخيار الأول . أما إذا كان تأثير الرجال فى هذا الموقف أشد عبر بالخيار الثانى ، وهو مبدأ «التغليب» .

الأصل فى الأمر ، إذن ، «التأثير» والتغليب يأتى من باب أن الرجال يعطون تأثيراً فى المواقف العملية ، وخاصة فى الحروب وما يستدعى القوة .. أكثر من النساء .

وإذن ، .. يتفرع عن هذا .. أنه لو حصل موقف اجتمع فيه رجال ونساء وأثر فيه النساء فى نفسك من حيث علاقتهن بالموقف أكثر من الرجال .. جاز أن تغلب النساء . ومثل ذلك الحالة التى عرضها الكاتب : إذا وجد طفل بين مليون امرأة .. بل إذا وجد عشرة رجال بين ألف امرأة ، وكن فاعلات فى الموقف أكثر منهم جاز تغليبهن .

بيد أن النحاة يحملون دائماً على «الأصل» وهو أن الرجال أكثر فاعلية فى المواقف من النساء .



● ويقول الكاتب : «ولست أدرى لماذا نقول : «رأت فيه رجل أحلامها» ولا نقول : «رأى فيها امرأة أحلامه» ؟ .

وأجيب الكاتب أننا نقول ذلك ، أما سمع وقرأ فى القصص عشرات المرات قولهم : «ورأى فيها فتاة أحلامه» ؟

كل ما فى الأمر أنهم لا يقول «امرأة» وإنما يقولون «فتاة» ، لأن امرأة قد توحى بالمتزوجة أما الفتاة فتوحى بالعذرية .

والمتزوجة ليست مجالا لأحلام الآخرين . أما بالنسبة لزوجها فلم تعد «حلماً» وإنما هى «واقع» .

● ويقول الكاتب : «وضمير الرفع المنفصل «أنْتُنَّ» قد نقرأه (أنْتَنَ) ، إذا لم يكن مضبوطاً بالشكل كجل المطبوعات العربية ، بينما الضمير (أنتم) لا يمكن أن نخطىء فى قراءته ، ولا تصبح رائحته كريهة منتنة» !

ونقول للأستاذ العدنانى : يمكن أن نغتفر ما تعثرت فيه مما سبق . ولكننا لا نغتفر لك أن تشكك فى أصول الكلمات ماذا تريد ؟ أتريد أن نسوى فى الضمائر بين الاناث والذكور ، شأن اللغات الغربية التى يعتبر ذلك نقصاً فيها ؟ أما تعتقد أن كل فرق فى المعنى يستدعى فرقاً فى اللغة ، عندما تكون حية ناضجة ؟ أليس من فرق ـ إذن ـ بين الرجل والمرأة ؟ إذن .. لابد ، أيها الأستاذ الكريم ، من الفرق فى استعمال الضمير بين المؤنث والمذكر .

أما ما تدعيه من خشية قراءة هذا الضمير قراء «أنتن» إذا لم يكن مشكولا .. فهى خشية فى غير محلها . لماذا ؟ لأننا عندما نكتب الكلمات للصغار نكتبها مشكولة عادة . أما عندما نكتب للكبار فنحن لا نكتب كلمات متفرقة وإنما نكتب كلمات مترابطة فى جمل ، وجملا مترابطة فى موضوعات ... وعندئذ يكون من السهل أن يدل «السياق» على المعنى المقصود ، فلا يلتبس الضمير (أنْتُنَّ) بالفعل (أنْتَنَ) . وهل يقرأ الضمير المذكور قراءة الفعل (أنتن) فى مثل هذه الجملة «أنتن نساء جميلات» غير مختلط العقل ، والعياذ بالله ؟!

وفى الختام تحياتى الى الأستاذ العدنانى والى مجلة «الدوحة» الغراء .

عودة الله القيسى ـ دبى

إخوان الصفاء

ليسوا من المفكرين الأحرار بل هم جماعة سرّية هدّامة

بقلم: الحاج عبد الأمير علوش

لفت نظري المقال المنشور في مجلة الدوحة الغراء بعددها ٦٩ سبتمبر ١٩٨١م بقلم الاستاذ خالد محمد خالد العالم الديني المشهور تحت عنوان « أنا أفكر إذن أنا مسلم » . وكان المقال يدور حول حرية الفكر في الاسلام ، وقد جاء فيه عن جماعة « إخوان الصفاء » :

« سنختلف مع اخوان الصفاء كثيراً .. ولكن سيظل المغزى العظيم مائلا فيما كان للفكر من حرية فريدة في ظل الاسلام » .

أقول : كم كنت اتمنى أن يتفضل الأستاذ بتوضيح وجهة نظره واختلافه مع اخوان الصفاء بعد أن أشاد بنشاطهم الفكري ومختلف ابحاثهم ولكنه أحجم عن ذكر وجهة اختلافه معهم ، مما دعاني إلى كشف بعض (حقيقة إخوان الصفاء) لنرى رأيه فيهم بعد أن يتبين انهم كانوا يدعون إلى غاية مقصودة وهي اقامة أمام بعينه وبصراحة ولكنهم أحاطوا هذه الصراحة بلون من دقة البحث ونعومة النسج واتقان الصقل .

وخلاصة أمرهم انهم أسسوا «جمعية سرية هدامة» في مطلع القرن الرابع الهجري أفرغت على نفسها هذا اللقب البراق الخادع ، ظاهرها طلب المعرفة والانتصار لبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وباطنها (هدم بيت محمد) أي دينه الشريف النظيف السمح وازالة دولته الموحدة من الوجود ، واقامة دولة لها دين مزيج من اسلام ووثنية بحيث لا يستطاع فصل أحدهما عن الآخر . لذلك كان الاقدام على البحث في ذلك المزيج إقداماً على عمل خطير محفوف بكثير من المزالق وغير مأمون العاقبة .

وقد اصطلح أرباب هذه النحلة على تسمية تلك الدولة العاملين بجد والهادفين إلى خلقها مهما كلفهم الأمر (بالدولة – أو الخلافة الفاطمية) .

ومما تجدر الاشارة إليه أن بعض المؤرخين كانوا يطلقون على الخرمية أصحاب بابك الخرمي لفظ. (الفاطميين) نسبة إلى فاطمة بنت أبي مسلم الخراساني استغلالا لبعض الاسماء المقدسة لدى جمهور المسلمين .

وقد ألف هؤلاء الدجالون عدة رسائل أطلقوا عليها (رسائل إخوان الصفاء) وهي عبارة عن سياحة تنتقل بك من حقيقة إلى خرافة ، ومن حق إلى باطل ، ومن منطق إلى سفسطة فهي سياحة متموجة ذات تعاريج وتضاريس وعرة ومنعطفات ملغمة بأنماط من تعاليم مزدك وماني وزرادشت .

وإن السائح في رسائلهم تجده بينما هو في صحيح مكشوف إذا هو في نفق مستور .. وإذا هو في ذروة شاهق إذا به ساقط على أم رأسه في واد سحيق لايعلم قراره إلا الله .

وهم قوم ملحدون وزنادقة يموهون بمظاهرة كل فرقة بينهم ويجرون في ذلك مجرى المجوس والماسونية التي استهوت مختلف الطوائف والانماط فهم أعرف الناس بدس السم في الدسم . تارة باسم المعرفة وأخرى باسم البركات والنفحات الروحانية.

والحق أن الانسان مهما كان فطناً يقظاً تستهويه هذه العبارات التي افتتحوا بها الرسالة الأولى :

« هذه فهرست رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء واهل العلم والعدل وابناء الحمد وهي اثنتان وخمسون رسالة في فنون العلم وغرائب الحكم وطرائف الأدب وحقائق المعاني عن كلام الخلصاء من رجال الصوفية صان الله قدرهم وحرسهم حيث كانوا في البلاد »

وحسبك أن قولهم (كلام الخلصاء

إخوان الصفاء

ليسوا من المفكرين الأحرار بل هم جماعة سرّية هدّامة

الصوفية) ورط جمعاً كبيراً من رجال الدين والمنتسبين إلى التصوف . فبعد أن كانوا فى وداعة وبهاء أصبحوا من زملاء إخوان الشياطين من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون .

وقد انخدع فى أعمال هذه الجمعية السرية ورسائلها كثير من رجالات الفكر والأدب والدين . كما خدعت واستهوت الماسونية مثل هذا الجمع الغفير ومن ذوي الميول والغايات !! دون أن يعلموا أنها خدينة الصهيونية العالمية .

أقول إن الاستاذ خالد محمد خالد قد يتفق معي إذا قلت إن رسائل (إخوان الصفاء) التى تترجم عن أفكار (ابن ميمون) لم تخلص للاسلام ولا للفلسفة ولو أنها اخلصت لاعتذر عنها بأنها أرادت توجيه الاسلام توجهاً فلسفياً مع حفظ الجوهر ، ناظرة الى تطورات الزمن لكنها لم تكن كذلك بل لوثت الاسلام .... وأقل نتائجها أنها جرؤت على تحريف القرآن الكريم وإخراجه عن ظاهر التفصيل إلى بواطن التأويل . كل ذلك تحت ستار الزهد المبرقع والانقطاع إلى الله كما فعل الكثيرون من دعاتهم دون أن يُفطن إليهم وإلى مراميهم الهدمية . !

بين طه حسين والملاح

طبعت هذه الرسائل فى المطبعة العربية بمصر وعليها مقدمتان : مقدمة الدكتور طه حسين وأخرى للعلامة أحمد زكي باشا . ثم توالت البحوث حولها وعنهم فكتب الدكتور جميل صليبا ، والدكتور جبور عبد النور ، والاستاذ الفاضل عبد اللطيف الطيباوى ومما جاء في مقدمة الدكتور طه حسين فى الصفحة «٦» ما يلي :

« وإنما هم مفكرون مستقلون يحاولون أن يصبغوا ما انتهى إلى المسلمين من آثار الأمم الأخرى صبغة إسلامية . وكان من زعمائهم جماعة كالفارابي وابن سينا وغيرهم » .

وقد علق الاستاذ الشاعر المرحوم محمود الملاح كثيراً على هذه الرسائل وعلى مقدمة الدكتور طه حسين بقوله :

« إن هذه النحلة الهدامة تحاول صبغ الملة الاسلامية صبغة الأساليب الوثنية المتضمنة للشرك والعبودية والرجوع بالمسلمين إلى الوراء بعد أن ذاقوا نعمة التوحيد الحر الخالص .

ومما قاله الدكتور طه حسين فى صفحتي «١١» و «١٢» مايلي :

« ولسنا نقول شيئاً جديداً حين نقول إن رسائل اخوان الصفاء أشبه شيء بدائرة معارف فلسفية جمعت كل مالم يكن بد من تحصيله للرجل المثقف فى هذا العصر . »

« وإن هذه الرسائل ليست إلا مدخلا إلى «رسالة جامعة» هي خلاصة العلم وغاية الغايات .. »

« ومن يدري لعل قراءة هذا الكتاب فى عناية وتحقيق تكشف عن أشياء لم تظهر بعد . »

« فهل يبعد أن يكون رجل كالغزالي قد تأثر إلى حد قريب أو بعيد بفلسفة هذه الجماعة ولا سيما حين نلاحظ أنه نشأ فيلسوفاً وانتهى صوفياً ؟ .»

يرد الأستاذ المرحوم محمود الملاح بقوله :

● إن هذا الوصف صحيح لو خلا الموصوف مما أفسده الواصف باتخاذه وسيلة رخيصة إلى خدمة جهة مادية مزيفة .. فيكون ضررها أكثر من نفعها .

● كما وأن الدكتور لم يقرأ الكتاب (الرسالة الجامعة) بالشروط التى ذكرها (وهي العناية والتحقيق والتمحيص) بل قرأها قراءة عابرة وترك الجذوع والجذور ، وترك القاريء واقفاً على أصابع قدميه حائراً .

● أما المرحوم أبو حامد الغزالي فقد كان معروفاً بمحاربة الباطنية فيبعد أن يتأثر بفلسفة الجماعة المذكورة . نعم يجوز أن يكون تأثر بفلسفتهم الظاهرية العامة التى كانت مشاعاً بين الفلاسفة أو كانت بينهما نقطة التقاء مشتركة . وهناك فرق بين الفلسفة الظاهرية العامة وبين الفلسفة الباطنية الخاصة المتسترة بالفلسفة الظاهرية العامة .

ويلاحظ أن الدكتور طه حسين قد اغتر بالآفاق ولم يتوغل فى الأنفاق تلك الأنفاق الحلزونية وعدم توغله فيها سبب له صدور حكمه على الرسائل «حكماً سطحياً» .

وسرعان ما استأنف الدكتور البصير طه حسين هذا الحكم بنفسه عن نفسه فنقضه بسهولة حيث قال :

« على أن من الحق أن نلفت أنظار الناس إلى أن هذه الرسائل لم تقصد بها الفلسفة من حيث هي . ولا العلم من حيث هو . وانما أريد بها تكوين ثقافة معينة لنحو من السياسة معين ففيها من التأويل والدوران وفيها من الحيل والخيال ما يحسن الالتفات إليه ، والاحتياط منه » .

إن هذا الحكم الأخير الذى اصدره الدكتور لا يحتاج إلى تمييز . ولكن هل كان حكمه مقترناً بالجزم أم كان على

● وفرة الكتب التي ظفر بها ابن تيمية من غنائم المكتبة الفاطمية .. ساعدته على فضح سوءات الهدامين كإخوان الصفاء والقرامطة

● إذا وقع البسطاء تحت تأثير كتب إخوان الصفاء وشراكهم وحبائلهم فلهم عذرهم . لكن ماهو عذر بعض العلماء ورجال الفكر ؟!

● في تعاليم إخوان الصفاء رواسب من وثنيات مختلفة ، ومن الأدلة على ذلك مذهبهم في الكواكب والأفلاك !!

سبيل الاحتياط والتحفظ ؟!

لنقف قليلا عند أقوال الدكتور طه حسين وإطنابه وتهربه حيث يرى «أن هذه الرسائل كنز لم يقدر ثمنها إلا بعد معرفتها » .

ولم يعلم صاحب المعاني البصير أنه كنز مملوء بالأفاعي والعقارب وأن قيمة الرسائل تخس بخسة الغاية والهدف .

لذلك يتبين أن الدكتور طه حسين كان متموجاً فى مقدمته وبحثه ، مع تطاول الأعناق المخدوعة إلى أحكامه الحاسمة فى ميادين النثر والنظم ، وهو ممن يحسن ضبط «الفذالك» وصقلها ، فهو (صيقل) لا (فيصل) !

وكان من جملة اعتذاره عن أصحاب الرسائل قوله فى آخر صفحة «١٤» :

« وقد كان إخوان الصفاء أنفسهم مخلصين ! فقدروا ذلك ولفتوا إليه ودعوا وألحوا ألا تعطى هذه الرسائل للناس إلا بمقدار ! » .

وقال : « وكل ما يجب علينا لأنفسنا ولشبابنا إنما هو التنبيه إلى ما يجب من الاحتياط والحذر » .

ولهذا القول والاعتذار وجه لو كان أصحاب الرسائل أنفسهم معتقدين بما في رسائلهم ومؤمنين بها ومخلصين للفلسفة وهم ليسوا كذلك ـ كما يبدو ـ ولكنهم أذكياء ولا يجتمع الذكاء والهراء والمنطق والاسفاف وطلب الحق والعطف على نزعة سياسية أثمة بل كانوا متلاعبين ومأجورين لخدمة نحلتهم المسمومة والجهة التى يريدون خدمتها للوصول إلى الغاية وإلى معبودهم الآخر !

عرض تاريخي لاغير

أما مقدمة العلامة أحمد زكي باشا فهي بلاشك جمعت فأوعت من حيث التحقيق والتنقيب بما تيسر له . وعمله جيد مشكور وسعى مبرور ولكن الذى أخذناه من جهده كان عرضاً تاريخياً لا حكماً ايجابياً . قال رحمه الله فى صفحة « ١٨ » :

« اشتهر هذا الكتاب بين بنى الآداب وعلا قدره وطار صيته حتى صار موضوعاً لحديث القوم فى كل ناد ... يهيمون بالمذاكرة فى تاريخه وأصله فى كل واد وما تجلت عرائس الحقيقة إلا لنفر من نخبة الأفاضل المدققين فاستجلوها وضنوا بها على السائلين » .

ثم قال : « ولم يظهر بدر هذا الكتاب فى أفق المعارف حتى تزاحم عليه الناس من جميع الطبقات والمذاهب وعنوا بقراءته والاعجاب به . وقد شغفوا بمعرفة مؤلفيه ـ لكونهم كتموا اسماءهم حتى بلغ صيته المشارق والمغارب .. وقد عرف حكماء الافرنج وجهابذتهم مقامها فأحلوها المحل الرفيع واعتنوا بالتنويه بها والتنبيه عليها . ثم قال : ولا يغرب عن بال القاريء أن الأعمال العظام والتاليف المعتبرة ونوابغ الرجال قد كانت وستكون فى جميع الأزمان عرضة لسهام الطعن والانتقاد : ص ٢٠ » .

واعلم أن هذه الرسائل حازت قبولا كثيراً عند جماعة من الناس كما استوجبت لأصحابها السخط واللعنة عند فريق آخر » .

وبعد هذا الاغراق في المديح (لبدر هذه الرسائل ـ وتجلى عرائس الحقيقة) يقول (ونحن لا نتشيع لأحد المذهبين حول هذه الرسائل بل ترك الحكم عليها لمن يطلع عليه) .

أصل القرامطة

يقول المرحوم محمود الملاح :

« إن هذا الثناء والاطراء يدل على أن الباشا ـ طيب القلب ـ اطلع على حروفها دون كنهها واسرارها . ولا شك أن الباشا كان ذا عقل رزين ودين متين ـ ومن العجب أن أحدهما أو كليهما لم يوقفه على المقاصد التى تنافى العقل تارة والدين تارة أخرى . أما كتمان الأسماء فقد نفعهم من جهتين : انهم تضللوا بكهف التقية الكثيف لئلا تخترقها أشعة السيف . وأن الرسائل بكتم الأسماء تكون أكثر إغراء للناس وتشوقاً إلى رسائلهم » .

تم نقل الباشا عدة كلمات عن القفطي وحديث ابى حيان التوحيدي وقع فيها بعدة أخطاء فى مصدر الحديث لم يشر إليه المصححون .

وننقل هنا بعض أقوال لأبي حيان التوحيدي حول أولئك الدجالين :

« وكانت أفراد هذه العصابة قد تآلفت فوضعوا بينهم مذهباً زعموا أنهم قربوا به الطريق إلى الفوز برضوان اللـه » .

وقال أبو حيان : « قد رأيت جملة من الرسائل وهي مبثوثة في كل فن وهي خرافات وكتابات وتلفيقات وتزييفات » .

قال عنها الشيخ أبو سليمان المنطقي « تعبوا وما أغفوا ونصبوا وما أجدوا ونسجوا فهلهلوا » .

ومما تجب الأشارة إليه أن الباشا قد توقف فى الحكم .. بعد أن اتضح له أنهم أصل القرامطة . فهل يشك الباشا فى أعمال القرامطة ؟!

وهل نسي الباشا وقائع القرامطة ومذابحهم فى المسلمين فى الشرق

إخوان الصفاء

ليسوا من المفكرين الأحرار بل هم جماعة سرّية هدّامة

والغرب بل وحتى فى وسط الكعبة وسرقتهم للحجر الأسود وما إلى ذلك من المصائب والويلات ؟

والشيخ ابن تيمية بعيد الغور ممارس للأديان والملل والنحل مع خبرة واسعة فى مقاصد الهدامين المتظاهرين بالاسلام والرافضين لتعاليمه .

وصراحة ابن تيمية وفضحه لأساليب ولسوءات الهدامين المتبرقعين بالاسلام جلبت له بلاء كبيراً ومنكراً ونكيراً فقد حورب حياً وميتاً.

وقد ساعد ابن تيمية على فضح عورات الهدامين كاخوان الصفاء والقرامطة وفرة الكتب التى ظفر بها من غنائم المكتبة الفاطمية وغيرها .

وبلغ حقد هؤلاء وغيرهم من المتبرقعين بالاسلام دثاراً انهم ينذرون إلى الله إذا رزقوا بمولود ذكر يشترون أحد كتبه ويحرقونه حتى نفدت بعض كتبه القيمة من الأسواق .

ما عذر العلماء ؟

إذا وقع البسطاء تحت تأثير كتب إخوان الصفاء وشراكهم وحبائلهم فلهم عذرهم . ولكن المؤسف أن نرى بعض العلماء الأعلام والمتخصصين من رجال الفكر والدكتوراه يقعون فى شباك الهدامين وليس لهم من عذر لأن القراءة السريعة دون التعمق وسبر الأغوار توقع الناس فى المهالك . فالاستاذ الفاضل عبد اللطيف الطيباوي قد يكون معذوراً حينما يتناول آراء مطروحه .. ولكن الدكتور جبور عبد النور ما عذره حينما يقول عنهم :

« نفوس متوقدة توارت وراء غيوم السياسة وبثت من خلالها أشعة العلم والمعرفة ».

أما الحقيقة فانها نفوس متلوثة توارت وراء غيوم الشعوذة وبثت من خلال أشعة العلم والمعرفة كلمات متراكمة لغايات دنيئة فيها استعباد الانسان روحاً وجسماً وعقلا .

ثم يعود الدكتور فيناقض نفسه ، حيث يقول فى صفحة «٨٣» :

« فى تعاليم إخوان الصفاء رواسب من وثنيات قديمة مختلفة فتعاليمهم أشبه بقوس قزح من حيث تعدد الألوان ومن تلك الألوان مذهبهم فى الكواكب والأفلاك ».

ومنها قوله « اعتمد إخوان الصفاء على الغايات الظاهرية لتحقيق الغايات الباطنة . فتراهم يغتنمون فرصة الكلام عن الموسيقى ليدسوا فيه نغمات خافتة من ميلهم ».

أقول : وهل فى الاسلام والدين الحنيف ظاهر وباطن أو تأويل مبطن لكتاب فصلت آياته من لدن حكيم عليم .. لا يأتيه الباطل ؟

إننا لا نبخس الدكتور جميل بحثه فى صفحة «١٦» عندما تكلم عن (غايتهم الباطنية) ولا ماجاء فى ص ٢٤ حول معالم الوثنية فى مذهبهم حيث قال :

« إن في وسعنا القول إنّ إخوان الصفاء معتزلة . وفيثاغوريون . وأفلاطونيون ومجوس لأن لكل هذه النزعات أثراً بارزاً فى الرسائل ولأن هذا الخليط يتجاوز فيها على غير وفاق ...

ونحن واجدون فى نصوصهم فقرات مموهة تشير إلى أن فى قرارة نفوسهم ميلا إلى الوثنية معدلة ومخففة وهنات مكثفة بحيث يضيع على الدارس تعدد الأصداء ... »

أقف عند هذا الحد لأرى ما سيقوله الأستاذ خالد محمد خالد بعد مراجعته للرسائل وباب التأويلات والحكايات الواردة على لسان الحيوانات واتهام القرآن بسر النقط والحروف والبسملة ..وكذلك الأرقام وفواتح السور الكريمة وأسرارها التى تفوق ماورد فى كتاب مشارق اليقين لمؤلفة رحب البرسي الصادر عن دار الفكر فى بيروت عام ١٣٨٤هـ وآخر قولي كلمتين جامعتين أثرتا عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وهما :

- الدين النصحـــة
- من غشنا ليس منـــا

وللبحث عود وإنا بانتظار رد العلامة الجليل وسائر الباحثين والمفكرين . والله من وراء القصد .

الحاج عبد الأمير علوش

بغداد

مصادر البحث

- الرسائل بالذات
- حقيقة اخوان الصفاء للمرحوم محمود الملاح (مطبوع)
- آراء الملاح فى اخوان الصفاء (مخطوط)
- تعليقات الاستاذ محمد جعفر مال الله حولهم (مخطوط)

تصـــويـــب

تلقينا من الـكاتب الكبير خالد محمد خالد هذا التصويب لبعض ما ورد فى مقاله فى عدد أكتوبر ١٩٨١ من أخطاء مطبعية .

عزيزى رئيس التحرير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد ، فكل عام وانتم بخير ، وأرجو لكم دوام النعمة والتوفيق .

طلعت فى عدد اكتوبر من الدوحة مقالي عن الضمير الانساني، وألفيت فيه بعض الأخطاء التى لا اعتبر خطي مسئولا عنها ، وهي اخطاء لا يمكن أن تلتبس على مصحح بصير .

وبالمقال خطأ ارجو ألا يمر بدون تصحيح له فى العدد التالي إن شاء الله .

في ص ١٠ العمود الثالث نلتقى بهذه الفقرة :

« إن اخناتون واحد من الأفذاذ الذين يختارهم الضمير الانساني لكي يقوموا بعمل جيل أو أجيال ، فيوم ذاك ، وقبل الميلاد بسبعين وثلاثمائة والف عام يوجه الضمير عن طريق اخناتون ضربة للتعداد الذى راه شركاً ، ويعلن أن أخناتون هو الاله الواحد ، وليس هناك إله اخر سواه الخ » .

كيف يستقيم هذا الكلام مع الكلام السابق له والتالي له ..؟

إن الصواب هو « ويعلن أن آتون هو الاله الواحد الخ . فما كان أخناتون سيكون من الرجال الأفذاذ إذا اصطنع من نفسه إلاهاً لا شريك له ، وما كان سيبتهل إلى الاله على النحو الذى تراه وتتلوه بعد هذه الفقرة من المقال .

لهذا أرجو شاكراً أن ينشر هذا التصحيح مع مقالي القادم ، وأرجو مخلصاً للأخوة المصححين أن يكونوا أكثر يقظة وأوفر اهتماماً .

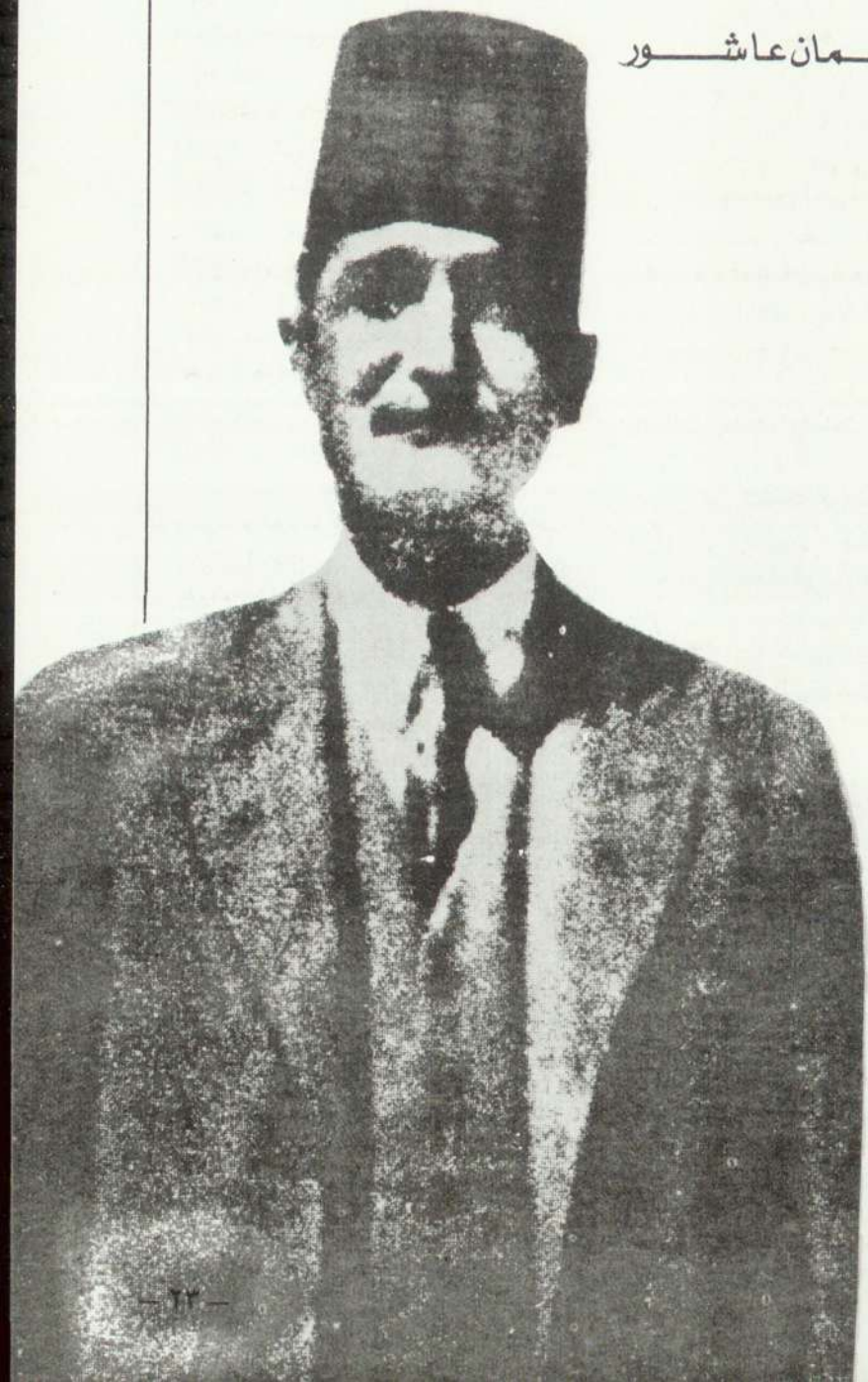
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم : خالد محمد خالد

العقاد كما عرفته

ذكريات شخصية وأدبية

بقلم : نعمان عاشور



● لم يحاول العقاد أن يفرض عليّ رأيًا.. وإنما أوصاني أن أتردد على ندوته لكي أعرفه على حقيقته

● جنحت به مواهبه وملكاته وطاقاته إلى الموسوعية ، وباعدت بينه وبين الخلق الابداعى ، ولهذا غلب الجانب الدراسى على مؤلفاته وكتاباته . ● اتجه فى مقارعة المتهوسين الدينيين وأعدائهم من الملحدين الخارجين إلى الكتابات التى يمكن أن نصفها بالاسلاميات البحته . فكما كتب عن «الله» عاد فكتب عن «إبليس» وفى كلا الكتابين تجلت براعته الاقناعية والمنطقية التى تميز بها أسلوبه اللغوى نفسه . ● كان يجمع بين الجدية الكاسحة والسخرية اللماحة التى تستند إلى الفكاهة الخالصة .

مكنة الساعة الخامسة .. أى القطار الذى يربط بلدنا بالقاهرة كان يصل دائماً عند الغروب .. وهو عبارة عن عربتين .. أحداهما للبضائع والأخرى للركاب .. ولهذا لم تكن تطاوعنى نفسى على الرقاد فى الظهيرة حتى ألحق بعربة البضائع وهم ينزلون منها جرائد المساء .. ويناولنى عم سيد الزنجى .. بائع الجرائد الوحيد فى بلدنا .. نسخاً من جريدة البلاغ آخذها منه وأنا أكاد أطير فى الهواء عائداً الى بيتنا .. واقبع فى ركن قصى من الغرفة المخصصة لي ولشقيقى وأنفرد بنفسى لأقرأ أو على الأصح لأحفظ مقال العقاد اليومى ... فقد بلغ اعجابى بالعقاد أننى كنت أحفظ كتاباته عن ظهر قلب كما نفعل فى مادة المحفوظات المدرسية ولم يكن يعنينى كثيراً ما يطرقه فيها من موضوعات .. لأن مقالاته كانت كلها تدور حول السياسة .. إنما كان شغفى واعجابى ينصب على أسلوب الكتابة نفسها ... فقد سحرنى العقاد بأسلوبه لسنوات عديدة فلما اتسعت دائرة اهتماماتى .. وشرعت فى قراءة طه حسين والمازنى ثم توفيق الحكيم بدأت أزهد فى قراءة العقاد . لكنى على مدار الثلاثينات كنت أتعقب العقاد فى معظم كتاباته وكتبه ... وشيئاً فشيئاً بدأت تخف حدة اعجابى به وهوايتى له . ولم يكن ذلك بتأثير من أحد ... أعنى أننى لم أجحد العقاد مفضلا عليه غيره .. ولكننى جحدت العقاد بسبب ما أخذ يتطور فى داخليتى وتكوينى من آراء ومثل وقيم ومبادىء كانت كلها تتناقض مع ما يكتبه ...

الاطار السياسى

على بداية الأربعينات كان العقاد قد وصل الى عدة مفاهيم ومواقف محددة فى كثير من القضايا الفكرية والاجتماعية بل والسياسية أيضاً ... لذلك برز فى كتاباته الكثير من الآراء المخالفة لما كان يكتب عنه وينادى به قبلا .. فقد تحول الى محافظ متعنت يتقيد بآراء جامدة بعد أن كان مفكراً حراً ينحاز للتيارات الشعبية .. ولعلنا نستطيع أن نلمس ذلك بوضوح كامل فى مواقفه السياسية .. ففى البداية انفرد بين الآخرين بمشايعته لحزب الأغلبية .. حزب الوفد ـ وكان كما وصفه سعد زغلول «جبار القلم» وبلغ به الأمر الى حد أن سجن بتهمة العيب فى الذات الملكية ... لكنه لم يلبث بعدها بسنوات أن تحول ليصبح أكثر الكتاب تطرفاً فى مناصرة السراى وحكم الأقليات وأكثرهم دفاعاً عن الديمقراطية على الصورة التى فرضها الانجليز بالذات فى جانبها المحافظ الذى يرجح حكم الارستقراطية عما عداها من فئات ، ووقعت الحرب العالمية الثانية والعقاد يقف على رأس التيار المعادى للفاشية فى دفاع محموم صارخ عن النمط الديمقراطى الغربى ، وبالذات أسلوب حكم المحافظين الانجليز ، فلما اقتربت قوات المحور من العلمين وأصبح روميل على مسيرة أميال من الاسكندرية هرب العقاد من مصر وارتحل الى السودان ... وكانت هذه هى المرة الأولى والأخيرة التى يغادر فيها العقاد القاهرة

ظاهرة العقاد

فاذا خرجنا بكم عن هذا الاطار السياسى الذى كان يلف الحياة العامة للعقاد كاتباً ومفكراً ... فقد يلزم أن نرتد الى بدايات العقاد ... شاعراً وأديباً ورائداً من الرواد الكبار لحياتنا الثقافية .. وفى هذا أيضاً لا يمكن فصل العقاد عن السياسة لأنه مهما كانت قيمة الدور الذى لعبه العقاد ... وهو دور بارز لا شك ... فان هذا الدور تحدد دائماً بموقف العقاد السياسى .. ودعكم من أنه علم نفسه بنفسه وكان مثقفاً عصامياً لم يتابع الدراسة المنتظمة التى حظى بها بقية الرواد من معاصريه فهذه العصامية الثقافية التى دائماً ما تلصق به ليست بالشىء المستبعد على تكوينه ... وليست هى أيضاً التى ميزته عن الآخرين ... فقد كان العقاد من الأصل يتمتع بما يمكن أن نسميه مواصفات المثقف .. رجل كثير القراءة .. قادر على الكتابة وله أسلوبه المميز القوى ... لكن مواهبه وملكاته وطاقاته تجنح به جميعاً الى الموسوعية وتباعد بينه وبين الخلق الابداعى .. ولهذا غلب الجانب الدراسى على مؤلفاته وكتاباته ... فهو قد يكون باحثاً ودارساً ومنقباً وربما ناقداً .. أكثر منه روائياً أو شاعراً ... ولهذا فقد لا نجد له بين مؤلفاته الوافرة العديدة غير رواية واحدة يتيمة هى «سارة» وعمل بارز آخر تمتزج فيه الدراسة بالابداع هو

● انفجر العقاد شاعرًا في ذروته ، ورماني في لحظة غضب بأقسى العبارات





المازني



سعد زغلول



روميل

كتابه عن «ابن الرومى» ولهذا أيضاً فان دواوينه الكثيرة من الشعر لم تشفع له أن يتبوأ ما كان يصبو اليه دائماً من مكانة بارزة كشاعر .. وقد وجد له خير متنفس لهذا الجانب الخابى من طاقاته الخلاقة فى كتابه ... «العبقريات» وهى تراجم كانت من ملكة الخلق الفنى الابداعى التى تطمرها قدرته على الدراسة والبحث وما تمده به قراءاته المنوعة من طاقات ومنطلقات .. فاذا أضفنا الى ذلك شخصية العقاد نفسه وهى شخصية يعرف صاحبها كيف يفرضها على الآخرين فى تسلط وهيمنة واعتداد لما استعصى علينا أن ندرك حقيقة التمايز الذى أوجد ما يمكن أن يسمى ظاهرة العقاد ذلك أن العقاد كان كاتباً ومفكراً وأديباً ... ولكن العقاد كان أيضاً شخصية ولهذا فان أغلب ما يكتب اليوم عن العقاد .. لا ينصب فى مجموعه على انتاجه الأدبى والفنى .. ناهيكم عن شعره.وانما يتركز فى الأعم الأغلب على شخصيته .. ثم ما كانت هذه الشخصية تمثله سواء فى كتاباته أو ندواته أو مواقفه كسند لمختلف الآراء والمفاهيم التى يتميز بها الفكر المحافظ ...

الطود الصامد

فى عام ١٩٤٩ كان العقاد ، وهو من سبق الكتاب فى المناداة بالحرية ... يتصدر الصفوف التى تقف فى وجه كل منطلق فكرى متقدم وحر ... بل كان قد نصب نفسه نهائياً وبحكم قامته الأدبية المديدة وكأنه السد الشامخ المانع لكل ما يعتقده ، انحرافاً عن النهج القويم ...



ابن الرومي

ويقصد بذلك نهجه المحافظ ... ولهذا غلبت على كتاباته استعمال ألفاظ قاطعة مانعة من ألفاظ الوجوب والحتم والالزام والمفخمات اللفظية التركيبية التى تميز أسلوبه عامة ... وفى تلك الفترة كانت مصر تموج بالتيارات اليسارية على صورة جارفة وتغلغل صارخ لم تعرفه من قبل ... وكان رد الفعل الطبيعى لذلك ظهور الجماعات الدينية المتطرفة التى نهضت لمقاومتها بالعنف .. وأصبح لابد للعقاد أن يختط لنفسه ، وفى مجال الصراع الفكرى والعقائدى الذى ولد قيام مثل هذه المتعارضات ، منهجاً واضحاً .. منهج يتفق مع ترفعه الثقافى وابتعاده الكلى عن مضمار النشاط السياسى ويحفظ له كيانه كشخصية لها تأثيرها المتصل فى المجال الواسع للرأى العام فكان أن رسخ فى ندوته يجمع من حوله الأشياع والأتباع والمعجبين يذود بالقول والفكر ... وباللسان والقلم عن كل ما يصدر عن الجانبين المتطرفين ... فى أقصى اليمين وفى أقصى اليسار من كتابات .. هى فى نظره «عين الضلال» لهذا اتجه فى مقارعة المتهوسين الدينيين وأعدائهم من الملحدين الخارجين الى الكتابات التى يمكن أن نصفها بالاسلاميات البحته .. فكما كتب عن «الله» عاد فكتب عن «ابليس» ... وفى كلا الكتابين تجلت براعته الاقناعية والمنطقية التى تميز بها أسلوبه اللغوى نفسه ...

جريمة نقد العقاد

أيامها كان العقاد اذا ظهر كتاب أو مقال أو رأى يخالف ما كتبه ينبرى فى عنف وسخط وسباب واضح مرتكناً على ما لصق بشخصه من اعتداد وتسلط أو ما كان يتصوره أنصاره من جبروت نتيجة لاعجابهم الصارخ به ... حدث أيامها أن صدر للعقاد نفسه كتيب عن برنارد شو ... ويظهر أنه كتبه بسرعة مستنداً الى قراءاته القديمة ومعلوماته العامة عن الكاتب الايرلندى .. وكنا أيامها (مجموعة من الشبان الأدباء) نصدر مجلة «الأديب المصرى» باشراف الاستاذ مفيد الشوباشى الذى كان من ألصق أصدقاء العقاد ومن أكثر الشعراء تأثراً بأسلوبه الشعرى «العقلانى» كما كان يسميه . ولم يعجبنى كتاب العقاد بعد أن قرأته واستفزنى فى اللهجة التى كتبه بها والمعلومات الأولية الساذجة التى اشتمل عليها .. وكنت حينذاك متشبعاً ببرنارد شو الى درجة اعداد أربع مسرحيات كاملة من أعماله وتقديمها فى الاذاعة مما يتعارض مع ما فى كتاب العقاد عنه من قدح وبالذات لما عرف عن برنارد شو من تسخيره لمسرحياته للترويج لآرائه ومذاهبه .. وقد انصب تسفيه العقاد لبرنارد شو فى كتابه عنه على هذا الجانب .

قدمت نقدى عن الكتاب الى المطبعة مباشرة ولم أستشر فيه الاستاذ مفيد وكنت بذلك أحاول وضعه أمام الأمر الواقع خشية أن يمنع المقال بحكم صلته بالعقاد ... ولكنه ما كاد يراجع بروفات العدد حتى أقبل يحيينى فى اطراء بالغ لأننى نقدت الكتاب وما فيه من معلومات وحقائق عن برنارد شو باتزان ودقة مع استنكار مبطون لأن يصدر مثل هذا الكتاب الساذج عن كاتب فى قامة العقاد .. وكان العقاد يقرأ المجلة لأننا نرسلها له ... وطبيعى أن ينفجر تأثيراً لما كتبته عنه ... وعلمت من بعض رواد ندوته الأسبوعية أنه يشتمني بأقذع العبارات واتهم الرابطة جميعها بأنها تضم مجموعة من « العيال الذين يلعبون » والعبارة رسخت فى ذهني لأنها لا تستبعد على لسان العقاد إذا غضب ...

مواجهة العملاق

لكن الذى حدث أكثر من ذلك أننى بعدها بأيام دخلت مكتبة الانجلو بغية الحصول على كتاب جديد فاذا بى وجهاً لوجه أمام العقاد وهو ينتقى عدة كتب من هناك كما كانت عادته .. ولم يكن العقاد يعرفنى بالطبع ... وأين أكون أنا منه ؟ كاتب شاب مجهول لم يبلغ الثلاثين ويتطاول على عملاق ! وبغتة ... أشار إلي أحد أتباعه المرافقين له «أهه» ... اللي هاجم كتابك عن برنارد شو ، ونظر إلي العقاد ... ولكن نظرته لم تكن تنم عن الغضب مع أنى توقعت وهو ينظر الي أنه على الأقل سيأمرهم باخراجى من مكتبة الانجلو . قال العقاد وهو يشير باصبعه وكان على غير المألوف لا يرتدى

نظارته وعيونه شديدة الاحمرار . ولم تكن الكوفية التقليدية تحيط بعنقه لاننا كنا فى الصيف ... كانت صورته مختلفة عن الصورة التى تعودت أن أراه عليها ..

ـ أنا شفتك قبل كده ؟ انت جيت الندوة ؟.

وكان يقصد ندوته الأسبوعية فى داره بمصر الجديدة ، وهى الندوة المشهورة التى ظل يعقدها حتى وفاته ... أجبته أننى حضرتها مرة واحدة .. فرد وفى صوته حشرجة ...«مش كفاية» ... وتقدم منى أحد الأتباع وأخبرنى أن الأستاذ يريدنى أن أتردد على الندوة ...

موقف العقاد

لم أكن محرجاً أبداً ... ولكننى كنت حانقاً على الطريقة التى عاملنى بها لأنه سرعان ما تجاهل وجودى حين جاءه موظف المكتبة باحدى المطبوعات ليعرضها عليه . من الواضح أن شيئاً كان قد أصاب عيونه لأنه لا يرتدى المنظار كما قلت .. وطلب الى أحد مرافقيه أن يقرأ له عنوان كتاب ثم أعاده الى موظف المكتبة وأنا فى غاية الحرج .. لا شك أن العقاد يريد أن يظهر لي أننى تافه لا أستحق أن أواجهه ... لكنه لمحنى وأنا أغادر المكتبة بعدها بلحظات وكان قد جلس على أحد المقاعد وأمامه كوب من الماء وفنجان قهوة .. وناداني .. فلم أتردد فى العودة رغم أنى كنت قد وصلت الى عتبة الباب الخارجى لمدخل مكتبة الانجلو وطلب لي مقعداً لأجلس ...

أشعلت سيجارة وأنا جالس فى صمت والكل ينتظر أن يتكلم العقاد وتنحنح بحشرجته المعهودة .. «هه ... واضح أنك بتعرف انجليزى كويس» فأجبته بأننى خريج قسم اللغة الانجليزية بكلية الآداب .. وهز رأسه ... «انت مجتهد وعندك أسلوب» فلاحقته بأن الفضل له وأننى أخذت أسلوبى عنه .. وكنت صادقاً فيما أقول ...

ـ واضح جداً أنك مش «طه حسينى»

وكان يقصد فى أسلوب الكتابة .. واستطرد بعدها ..

ـ لكن انت متهجم ...

فأجبته الفضل لك يا استاذ ... فقهقه ضاحكاً ثم راح يوجه كلامه الى المحيطين به شارحاً .. بأن هذا الجيل الجديد من أمثالى ... مضلل ... لكنه مثقف بثقافة عاجزة وعقيمة تشل عقولهم وتكبل أرواحهم ومن المؤسف أنها تدفعهم الى التطاول .. «فاهمين فى روحهم أكثر من اللازم» ... فقمت واقفاً محتجاً .. وهنا انقلبت سحنة العقاد وتخلى عن السماحة والتبسط الذى أظهره من قبل .. ثم انطلقت منه العبارات وكان يوجهها للآخرين ... مساكين مضللين تجردوا من أى منطق أو معقولية ثم التفت الي وأنا على وشك التحرك لانسحب متمماً ..

ـ اسمع يا ابنى ... هو الميزة الوحيدة فى الكلام اللى انت كتبته انك كنت مهذب ... لكن هذا لا يشفع لك تطاولك .. انت تعرف برنارد شو أكثر منى ؟ ..

فأجبته بأننى لم أدع ذلك ..

ـ لكن كلامك بيدل على كده ... ما أنا عارفكم .. كلكم دماغكو ناشفة ... كان العقاد يتكلم بحدة .. ولذلك انتهزت فرصة دعوة أحدهم له كى يشرب القهوة قبل أن تبرد .. وانسحبت ، وكان العقاد قد بدأ فى ارتشاف القهوة فلم يحاول حتى أن ينظر إلي وأنا أغادر المكتبة ... ولحق بى واحد من أتباعه على الباب ...

ـ ابقى تعال الندوة .. دى تعتبر دعوة مفتوحة ... عمر العقاد ما عملها .

وأجبته موافقاً وأنا أقول ...

ـ عارف لو كان معاه العصايا .. كان حيضربنى بيها ...

ولكنه أنكر زعمى ..

ـ أبداً .. العقاد مش كده ... انتوا مش فاهمينه كويس ...

الرقة العاطفية

حين قابلت الأستاذ مفيد الشوباشى بعد ذلك أخبرته بما حدث فابتسم ضاحكاً وأفهمنى أن العقاد إنما يعاملنى بهذه البساطة ... اكراماً لخاطره .. والواقع أن هذا كان غير صحيح .. لأن العقاد على قدر تهجمه وعنفه وعلى قدر ما يبدو عليه فى صورته العملاقة التى كان يصوره بها أعوانه وأتباعه .. لم تكن تنقصه الرقة أو الليونة .. وهى رقة عاطفية كان يجتهد دائماً فى إخفائها وكأنها مسبة أو ضعف يتعارض مع ما يجب أن ترسخ عليه صورته فى أذهان الآخرين ... وهذا الجانب الخافى من شخصيته لم يكن يبرز إلا فى شعره ثم فى معاملاته الجانبية لمن يحيطون به من أهله واللاصقين بحياته .. وهذه الصفة تقابلها صفة أخرى للعقاد ... وهى صفة الجمع بين الجدية الكاسحة ... والسخرية اللماحة التى تستند الى الفكاهة الخالصة ... ولعل هذه من أبرز الصفات التى تتحلى بها كتاباته فى أبعادها الصحيحة اذا طرحنا عنها المفهومات السائدة عن التهجم المتسلط والجمود المتجبر الذى كان يلصقه به عادة ... معظم المعجبين به البعيدين عنه ...

مع ذوى القربى

ذات مساء وكنت فى دعوة عشاء مع المرحوم الشاعر عبد الرحمن صدقى جرى الحديث عن العقاد فلم أستطع أن أكتم رأيى فى الكثير مما أثير خلال الأمسية . وكان اعتراضى فى مجمله ينصب على أن العقاد كظاهرة أدبية لها قوامها الشامخ الوطيد ... لا تستند مكانته الى كتاباته وحدها ... لأنها مكانة تعتمد على شخصيته أيضاً وأن العقاد فى أروع مواهبه ... كاتب مقال لا يشق له غبار حسب الوصف المعتاد ... ولم يعجب هذا الكلام معظم الموجودين فيما عدا عبد الرحمن صدقى رحمه الله ... فقد وافقنى على اننى لمست فى العقاد جانباً خافياً على معظم من يقدرونه وهو ما يتميز به من شخصية تجعله أقرب ما يكون من «فولتير» الفرنسى ... أو كما أضفت فى حوارى معه .. بل «دكتور جونسون» الانجليزى ... لأنه أقرب الى



● توالت المطاعن على "طه حسين" أمامه فقال : لا أسمح بهذه الأقوال على الدكتور العميد

ما يمكن أن يتمثله العقاد فى نفسه بحكم ثقافته .. وإزاء هذا التوافق كان لابد أن أستجيب لدعوة عبد الرحمن صدقى فاصحبه بعدها بأسبوع واحد الى ندوة العقاد ..

الندوة

ترددت طويلا قبل أن أستجيب للدعوة ... وسرعان ما وجدتنى فى صحبة عبد الرحمن صدقى رحمه الله .. وإذا بنا فى حضرة العقاد . مثل هؤلاء الناس ما دمنا أحياء معهم لابد أن نراهم طالما أننا نقرأ لهم ونتأثر بهم ... ولهذا كنت أسعى دائماً الى مثل هذه اللقاءات فى سعادة غامرة لأنها تحفر فى داخليةنفسى ذكريات لا تنسى خصوصاً وأننى تعودت أن أسجل ما يدور فيها بعد الانتهاء منها ...

لا أرانى فى حاجة لكى أصف لكم شقة العقاد أو أروى لكم الكثير عن ندوته .. لأنها أشياء استهلكتها الكتابات الصحفية العديدة ولا تزال تتحدث عنها الأقلام التى عاش أصحابها مع العقاد باتصال لا ينقطع فى ندوته الشهيرة الى درجة أن بعضهم يطالب بالعودة الى عقدها بعد العديد من السنين التى انصرمت على وفاة عملاقها ... جلست قبالة العقاد مع عبد الرحمن صدقى وكان يرتدى طاقية ويلتفح بالكوفية حول عنقه .. إذ كنا فى الشتاء .. وكانت صحته جيدة ومعنى هذا بالنسبة للعقاد أن مزاجه سيكون رائقاً .. وبالفعل كان العقاد يومها كذلك ... وحين حاول المرحوم عبد الرحمن صدقى أن يقدمنى له ابتسم وقال أنه يعرفنى لأننى هاجمته من سنوات . وخشى الرجل أن يهاجمنى العقاد فرجاه أن يسامحنى وأخبره بما جئنا من أجله وهو أننا نختلف فى تحديد شخصيته لأنى أرى أنه أقرب الى الدكتور جونسون منه الى فولتير كما يراه هو .. وتجهم العقاد قليلا ثم قال ...

ـ هذا تصور غير صحيح فلا أنا هذا ولا أنا ذاك ... أنا عباس محمود العقاد .. وكفى ...

ورد عليه أحد الأشياع فى اطراء ظاهر .. لم يسبقه أحد ولن يلحق به أحد ... قال العقاد وهو يتململ ..

ـ دعونا من مثل هذه الترهات .. فلا يجب أن ننغلق على أنفسنا . ونادى أحدهم فى طلب الشاى معلناً أن الندوة مفتوحة .

كنت أعرف بعض أصحاب الوجوه من الجالسين .. أعرفهم بأسمائهم كما كشف عنها الحوار الذى دار بعد ذلك حول عديد الموضوعات ولكنه انصب فى أغلبه على رأى لطه حسين كان قد ظهر فى حديث له مع أحد الجرائد خلال الأسبوع وهو رأى يحبذ فيه طه حسين ضرورة الاتجاه نحو ما يسمى أيامها بالاصلاح الاجتماعى .. وأنبرى احدهم يستثير العقاد .. لكن العقاد لم يكن فى حاجة الى أدنى استثارة ... فسرعان ما انطلق ...

ـ هذا رأى طه حسين على الدوام .. يجارى الموجة وأحياناً ما يسبقها . طه حسين كان حراً دستورياً ... واليوم أصبح أكثر الوفديين تطرفاً ومع ذلك فأنا لا أستبعد أن ينشق بعد ذلك على الوفد .. وتوالت المطاعن على طه حسين ... ولكن العقاد سرعان ما نادى بصوته المجلجل ...

ـ لا .. أنا لا أسمح بمثل هذه الأقوال فى الدكتور العميد ... ويبدو أن بعضهم أخذ كلمة الدكتور العميد على أنها عبارة تهكمية يسخر بها العقاد من طه حسين ... ولكن الواقع أن العقاد كان جاداً وحازماً فطالبهم بأن يحتفظ كل منهم برأيه لنفسه فى هذا الموضوع ثم بدأ يتحدث عن نيته فى الانتهاء من كتاب يعده للطبع عن الشيخ الامام محمد عبده .. ومع تشتت الحديث الى مختلف الموضوعات كان العقاد .. لا بوصفه صاحب الدار .. ولا بوصفه استاذاً للجالسين جميعاً ... يأخذ على امتداد الجلسة سمتاً عجيباً خيل لي معه أنه أشبه بتمثال فرعونى ضخم وضع على مدخل الكرنك وسط طريق الكباش المتراصة حوله على مختلف المقاعد ...

تمايز الرواد

وانفضت الندوة ... وخرجت كما جئت فى صحبة المرحوم عبد الرحمن صدقى ... ولم يحاول الرجل أن يفرض علي رأياً .. وإنما رجانى أن أتردد على الندوة لأدرس العقاد جيداً حتى أعرفه على حقيقته وهذا نوع من الاخلاص النادر الذى كان يتميز به كل من ارتبطوا بالعقاد أو داروا فى فلكه ... بعدها بسنوات قليلة مات العقاد ومنذ سنوات قليلة أيضاً كنت فى جلسة مع توفيق الحكيم فى رواقه بفندق سميراميس قبل هدمه . ودار الحديث حول العقاد وكانت المناسبة الاحتفال بانشاء قبر له فى مسقط رأسه بأسوان لتخليد ذكراه وكان الحكيم كعادته منطلقاً فى الحديث مستأثراً بالكلام يروى ذكرياته عن العقاد وطه حسين وعلاقته بهما ... وفجأة سأله أحدهم عن رأيه الصريح فيهما .. فلم يتوقف الحكيم وإنما راح يحدد مكانة العقاد ومكانة طه حسين وعلاقته بهما .. وفى صراحة عجيبة لا تستغرب أحياناً منه قال الحكيم ان كلاهما كان فذاً فى مجاله ولكن كلاهما توقف بانتاجه عند الحدود الفاصلة .. بين المقال الأدبى ... والابداع الفنى وأنه وحده الذى حمل عبء الابداع الفنى الخالص من دونهما ... ولكم أن تسألوا توفيق الحكيم عن ذلك وهو لن يتجنب الرد لأن ميزة هذا الجيل من الرواد مهما اختلفت نظرتنا اليهم .. .. ان كل منهم كان يبنى نفسه بنفسه ويحكم على الآخرين وهو يقف فوق قمة ما بناه بغض النظر عن أى خلاف أو اتفاق يمكن أن تكون قد أنبتته العلاقة الشخصية وهذا يصدق على العقاد مثلما يصدق على توفيق الحكيم ومثلما يصدق على طه حسين ... فلا مكان عندهم للحقد أو الغيرة أو الجحود ... وإنما كان يحركهم دائماً ... ما يمكن أن نسميه الاحساس بالتمايز الذى قد يربطهم بالمستقبل .

نعمان عاشور

محمد عبده



برناردشو



أدباؤنا.. والبادية

بقلم : درويش مصطفى الفار

ظن كثيرون ، أن الجيل الذى إنتمى إليه جارفس ، وباركر ، وويلسون ، وبالمر ولورانس وستانلى ، وموورى ، وبيدنل ، وبرثرام ، وفيلبى ، وفرايا ستارك ، وجلوب ، وبيرثون ، وعشرات غيرهم ممن جاسوا خلال البوادى العربية فيما بين المحيط غرباً والخليج شرقاً ، واندسوا بين البدو وخالطوهم ، وامتطوا ظهور الابل ، وشربوا ألبان النوق ، ومشوا حفاة على رمال القفر ، والتحفوا السماء ، وافترشوا الغبراء ، أعواماً طوالا ، يجمعون المعلومات ، ويدرسون العادات والتقاليد ، ويسجلون الأساطير والقصص ، ويؤلفون الكتب وينشرون المقالات والبحوث ، جيل قد انتهى وولى ، وانقضت مهمته ، ولم يعد في القوم بعد السيدة جوليان التى كانت قبل زواجها (مس جوان بلاودن) من يستطيع أن يتحمل مشقة السفر على ظهر بعير من عيون موسى قرب السويس عبر أوعر تضاريس سطح الأرض قاطبة فى جنوب شبه جزيرة سيناء ، إلى العقبة فوادى الرم فالقدس الشريف لتكتب بعد ذلك كتابها الضخم الفخم الذى سجلت فيه احداث تلك الرحلة العجيبة تحت عنوان (مرة فى سيناء) ولكن من يهتم ، يجد القوم حتى الآن نشطين مولعين بالبدو والبادية يؤلفون الكتب عن الابل ، وطريق الحرير ، وطريق الملح وطريق البخور ، ويبكون ضياع معالم (البادية) الأزلية تحت وطاة مستحدثات العصر من السيارات والآلات ، ومنهم من يلعن حتى آبار وأنابيب البترول الى تمتد عبر الصحارى ، فتشوه (كما يزعمون) منظرها الذى فطرها الله عليه .. وتخرج المطابع حتى اليوم العديد من الكتب والمقالات الحسنة الاخراج والتبويب (بأقلام الأجانب) عن بدونا وباديتنا ..

وتتلفت باحثاً ، لاهثاً ، عن قلم أديب عربى ، غاص صاحبه فى أعماق الصحراء أو حتى قرب من مشارفها ، يستطلع البادية والبدو ، فلا تجد ... ولما كانت البادية ببدوها هى الرباط الذى لم تنل منه أحداث الزمان ، وظل عنواناً يجسد وحدة هذه الأمة الناطقة بالضاد عبر القرون ... ولما كنا «رغم كل شىء» نؤمن بأنها أمة واحدة ... فلا أقل من أن نعترف بالتقصير ، بترك أقلام غير العرب تحدث الناس عن بادية العرب ، وتكتب ما يحلو لها أن تكتب ، من مثال تلفيقات جارفس (محافظ شبه جزيرة سيناء بين سنة ١٩٢٣ و سنة ١٩٣٦) كقوله فى أسطورة من اختراعه ينسبها إلى بدو سيناء وفلسطين والأردن ، ان الله سبحانه حين خلق الكون ، اخذ قبضة من هواء الصحراء النقى ، وصنع منها الانسان البدوى ! ثم خلق من التراب جملا لمنفعة البدوى ، ومن بعر الجمل خلق بقية المخلوقات ، وهذه لاشك (اسرائيلية) صدقها جارفس ، حيث أن بنى اسرائيل يعتقدون أن الله خلق الخلق على ثلاث رتب ، أعلاها اليهود ، وتحتها البهائم والحيوانات العجماء ، وبعد ذلك بقية الناس ... فهل آن الأوان لنجد جيلا من أدبائنا الشبان يتجشمون مشاق السفر والعيش فى الصحراء ليكتبوا عن البدو والبادية فيما بين المحيط والخليج ، ويصنعوا لنا أدباً جديداً طريفاً ، من آلاف الأقاصيص والحكايات والأساطير التى تمتلىء بها البادية ... ويكفينى على سبيل تأكيد إمتلاء البادية بالقصص التى تحتاج إلى قلم أديب حاذق عميق الفهم ليخرجها إلى بنى قومه فى ثوب قشيب نافع ، أنه فيما أعلم عن بادية سيناء ، وهى رقعة

صغيرة من بادية الوطن العربى فى مصر لا تتعدى مساحتها واحداً وستين ألف كيلو متر مربع ، ان ليس هنالك جبل أو واد أكمة أو منخفض ومرتفع الا وله إسم وتسمية ، وان وراء كل تسمية قصة طريفة أو أسطورة يفوق خيالها ما نقرأ فى ألف ليلة وليلة ، هذا فضلا عن ما لدى البدو من أشعار وقصص لا تتعلق بالأمكنة والديار وحدها ، أشعار عذبه عميقة تحتاج إلى دراسة .. إن الاقتصار على ما تكتبه أقلام الأجانب ، وما تقدمه إذاعاتنا المسموعة والمرئية ـ أحياناً ـ عن البدو والبادية العربية ، وعدم إقدام أدبائنا على اقتحام البادية لاستخراج ما فيها من كنوز أدبية ، أمر يدعو إلى الأسى والأسف .. ولقد اعترانى نوع من الحزن والغيرة حين قرأت منذ أيام كتاب (جيمس ويلارد) عن رحلته عبر الصحراء الكبرى إلى مالى ثم عودته صوب موريتانيا ، وتمنيت لو أننى اقرأ مثل تلك الرحلة لكاتب عربى ، يكون بهذا العمق وتلك الدقة وقوة الملاحظة ...

فهل أطمع فى أن يحدث شىء يؤدى إلى :

● عمل (ببليوغرافيا) أو ثبت بكل ما كتبه الكتاب عن البدو والبادية ، تمهيداً لتجميع هذه الكتب فى مكتبة عربية فى أى قطر عربى ؟

● ترجمة بعض هذه الكتب ، مما يستحق الترجمة للاستفادة منها .

● قيام بعض شبابنا من الأدباء والباحثين بالتصدى لخوض مظان البوادى العربية واستقصاء ما فيها من أدب وقصص وتراث شعبى ؟

إننى أهيب بمجلة الدوحة ، أن تتبنى هذا الاقتراح ، لاسيما وأنها تصدر فى عاصمة دولة عربية فتية حريصة على المآثر العربية وما يعود بالنفع الفكرى أو المادى أو المعنوى على الانسان العربى بين المحيط والخليج ، وأهيب بكل قارىء عربى يسترعى اهتمامه هذا الموضوع ان يتفضل بالرأى والمشورة فى كيفية تحقيق هذا الأمل ، وذلك بالاتصال بمجلة الدوحة .

درويش مصطفى الفار

رسائل غير عادية

إليك أيها العربي

بقلم : معروف رفيق

أخي العربي .. سلام أرق من نسائم جبل لبنان ، وأحلى من حلاوة رمان الطائف ، وألذ من لذاذة المانجا المصرية .. وأطيب من طعم الفستق الحلبى ، وأشهى من منّ السما العراقي ...

سلام ممزوج بعبق الكرمة فى الخليل ، وعسل النحل فى جبال الجليل ، وماء بردى فى غوطة دمشق ،...

وبعد السلام يا أخي العربي ، أرجو أن أحيطك علماً ، بأن عناية الله ، قد اختصت أرض أمتنا بالديانات الثلاث ، فجعلتها أرضاً مقدسة مباركة ، منعمة بالخيرات والثمرات ..

وإذا كان الاستعمار ، قد قسم أرض العروبة والاسلام ، فجعل من المشرق الواحد مشارق ، ومن المغرب الواحد مغارب ، وجعل من أمتنا شعوبا تخوض فى بحر لجي متلاطم الأمواج ، تاهت زوارقه ، ولهثت أنفاسه وراء شراع النجاة ، وخشبة الحياة .. فان الاستعمار قد رحل ، ولا ملامة على راحل ، وعليك يا أخى تقع الملامة الآن ، وعليك تقع مسئولية لم الشعث وجبر ما انكسر ...

لقد مات « سايكس » ورحل « بيكو » الى الأبد ، مضى عليهما وعلى اتفاقيتهما أكثر من ستين عاماً .. فلماذا لا تخلع الفواصل عن الحدود المصطنعة ؟ ولماذا لاتجتث أشجار الكراهية المزروعة فى النفوس والصدور ؟

ـ لقد رحل الاستعمار وبقيت له الظلال ... وأنت وحدك يا أخى ، المسئول عن اقتلاع آثاره السيئة ، وفكره المسموم ..

عناية الله أرادت لوطننا الكبير ، أن يكون ذا خير وبركة ، غنياً فى روحانيته غنياً فى خيراته وماديته ، فمتى تتشابك الأيدى ولا تشتبك ؟ متى تصفو النظرة وتصفو الرؤية الشمولية ؟..

متى يا أخى تنقشع من سماء الوطن الكبير ، نذر الهزيمة وبوادر السقوط الحضارى ؟.. أما الاستعمار ، فقد لعناه سراً وجهراً وفى كل كتاب ... رحل وبقيت ظلاله .. فلنمح تلك الظلال بالارادة والعمل الذى لا يتوقف ..

ولتكن يا أخي مدارسنا طريقاً الى المجد.

ولتكن إرادتنا سلما الى التطوير والتحديث .. ولنبدأ البناء الذاتى ..... فما حك الجلد مثل الظفر .. ولا بدد الظلام مثل النور ، ولا قتل التخلف مثل الارادة ...

فى الوقت متسع ، وفى الوقت فسحة أمل .. فلا تيأس ...

لأنه لا حياة مع اليأس ... والى اللقاء ..

يهود معارضون للصهيونية

بقلم : عصام شريح



فالنسيا لا نغر

ليس المستشار النمساوى برونو كرايسكى هو اليهودى الوحيد المعادى للصهيونية ، إذ هناك يهود آخرون لهم مواقف مماثلة أو شبيهة بموقف كرايسكى من الصهيونية ، وهذا التناقض بين شخصيات يهودية بل واسرائيلية أيضاً يكشف فى الواقع عن مازق حاد تواجهه الحركة الصهيونية ، لأن هذا التناقض يعبر أولا عن حالة عقائدية متصادمة مع العقيدة الصهيونية ، وثانياً لأن هذا التناقض مرشح لأن يكبر ويتحول الى التعبير عن نفسه بأساليب أخرى غير أسلوب الاحتجاج اللفظى ، وخاصة اذا عرف العرب كيف يغرقون «اسرائيل» بالأزمات فى ظهر الأزمات ، تماماً كما حدث فى أعقاب حرب عام ١٩٧٣ ، وبذلك يصب «نضال» هؤلاء المستنيرين فى المجرى التاريخى السليم ، الذى سوف يؤدى فى النهاية الى وضع نهاية وخاتمة لما يسمى «بدولة اسرائيل» ، وقيام دولة فلسطين الديمقراطية العربية .

ونتناول هنا بالعرض آراء ثلاثة من هؤلاء اليهود المعادين للصهيونية ، اضافة الى طائفة «ناطورى كارتا» السلفية .

يورى أفنيرى

كان أفنيرى الذى هاجر الى فلسطين المحتلة فى عام ١٩٣٣ ، قادماً مع أبويه من المانيا ، كان صهيونياً متحمساً ينظر الى فلسطين باعتبارها «أرض الأجداد» ، وكان قتل العرب والقاء المستعمرين الانجليز خارج فلسطين هو الأسلوب الوحيد الذى يلقى قبولا عنده ، لكن أفنيرى بدأ يسير فى طريق مختلف بعض الشىء منذ تركه منظمة الأرغون الارهابية إثر انشقاق حصل فيها ، وفى الشهور القليلة التى سبقت قيام اسرائيل على أرض فلسطين المغتصبة فى عام ١٩٤٨ ، أنشأ منظمة سياسية صغيرة جعل لها هدفاً هو اقامة «جبهة سامية» تشمل العرب واليهود ، وتقود نضالا مشتركاً هدفه توحيد «المنطقة السامية» !

والمهم أن أفنيرى بدأ يطرح أفكاراً غير مألوفة بالنسبة للصهاينة ، ويصف نفسه بقوله انه تحول بعد قيام اسرائيل الى «داعية تفاهم مع العرب» . وكان لاصابته بجرح غير خطير فى حرب عام ١٩٤٨ فى جبهة سيناء ، أثر بالغ كما يقول فى حياته ،حيث ترك الجيش بعد ذلك وتفرغ للعمل السياسى بعد أن اشترى امتياز صحيفة مايزال يصدرها حتى الآن هى «هعولام هزه» (هذا العالم) ، لكن أهم انتاج فكرى له كان كتاباً نشره فى علم ١٩٦٨ تحت عنوان : «اسرائيل بلا صهيونية» .

ومن خلال قراءة أفكار وآراء أفنيرى يتضح أن هذا الصهيونى القديم ، أو اليهودى المعادى للصهيونية ، قد اخذت تتنازعه بعد قيام الكيان الصهيونى أفكار وهواجس مختلفة ، تصب كلها فى محاولة البحث عن تسوية للصراع العربى ـ الصهيونى ، ترضى العرب !! ولا تمس اسرائيل بكيانها الذى كان قائماً قبيل حرب عام ١٩٦٧ .

ولهذا نلحظ أن أفنيرى يحاول تقليص الصراع من صراع بين حركتين وقوتين لابد لاحداهما من الغلبة فى نهاية المطاف ، الى ترتيبات هامشية ، تمنع التمدد الصهيونى السرطانى فى الأراضى العربية ، وتعيد للعرب الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، ليقيموا عليها دولة فلسطينية الى جانب «الدولة اليهودية» ، على أن يتعايش «الكيانان» ضمن صيغة سلام مدونة . ويقول أفنيرى فى هذا الصدد : «إن المناعة القومية فى البلاد تتحقق بايجاد دولتين : «دولة



البروفسور يسرائيل شاحاك

اسرائيل» ودولة فلسطين ، على أن تكونا مرتبطتين بروابط اقتصادية وسياسية واستراتيجية ، وعلى اسرائيل أن تشجع قيام دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، شريطة أن تدخل هذه الدولة منذ البدء فى حلف سياسى ودفاعى مع اسرائيل» !

لكن النقطة الحاسمة فى تفكير أفنيرى هى دعوته «دولة اسرائيل» لأن تصبح «جزءاً لا يتجزأ من منطقة شرق آسيا وشمال أفريقيا» ـ أى المنطقة العربية ـ ثم تحديده الهدف الأساسى للجيل الحالى فى اسرائيل «بضمان الاندماج فى المنطقة كشريك مستقل ومتساو فى الجسم السياسى والاقتصادى لهذه المنطقة المتعددة القوميات» !! كما أن أفنيرى يكمل فكرته المتقدمة عن الاندماج ، بدعوة اسرائيل «الى التجاوب بشكل مبدئى مع رغبة العالم العربى فى التحرر القومى والتقدم الاجتماعى والنمو الاقتصادى» ، ويقول فى موضع آخر ، ان «على دولة اسرائيل ألا تمد يد المساعدة الى أى جسم عالمى أو من المنطقة يهدف الى سلب شعوب المنطقة حقوقها الكاملة فى كنوزها الطبيعية ، أو الى استعبادها للمصالح الاستعـ و الرأسمالية»

العقدة الصليبية

فى ضوء ما تقدم ، وبخاصة تركيز أفنيرى على اعتبار اسرائيل جزءاً لا يتجزأ من المنطقة العربية ، ودعوته اياها الى الاندماج فيها ، يطرح السؤال التالى: لماذا هذا الالحاح على مسألة الاندماج فى المنطقة لدى أفنيرى ؟؟ وما هى رؤياه فى هذا النطاق ؟

فى الحقيقة تشكل العقدة الصليبية منعطفاً حاسماً فى تفكير أفنيرى . فهو يخشى أن يكون مصير اسرائيل فى نهاية المطاف كمصير الدولة الصليبية قبل حوالى ثمانمائة سنة أو أكثر ، وإن كان يحاول استبعاد هذه الكأس المرة عن اسرائيل بالاشارة الى فرضية تقول ان التاريخ لا يكرر نفسه بشكل حتمى أو بصورة ميكانيكية .

لكن القلق يبدو واضحاً فى كلام أفنيرى وهو يروى العبر التى استخلصها من قراءته لكتاب «ستيفان رونسيمان» بعنوان «تا ي الحملا الصليبية» ، ويقول انه وصل الى الفصل المتعلق بتحصينات الصليبيين مقابل قطاع غزة ، والهادفة الى حماية «ممتلكاتهم» !! من العرب ، أصيب باضطراب شديد ، بسبب تفكير اسرائيل فى احتلال نفس المواقع عندما كان هو نفسه جندياً فى الجيش الاسرائيلى فى عام ١٩٤٨ .

ويضيف انه خلال قراءته لكتاب «رونسيمان» هذا ، كانت تبرز أمام ذهنه مئات التشابهات الصغيرة والكبيرة ، حتى بين الشخصيات الصهيونية المعاصرة ، وتلك الصليبية البائدة ، ويقول متسائلا : أى اسرائيلى يا ترى يطابق أمير الجليل الصليبى ، ومن هو الاسرائيلى الذى يشبه أمير الأردن الصليبى .. «إن التشابه مثير للغاية» .

ويقتبس أفنيرى عن «رونسيمان» فكرته القائلة بان الخطأ الاستراتيجى الذى وقع فيه الصليبيون إنما يكمن فى اعتمادهم على الامدادات المالية والتبرعات اضافة الى الهجرات من الغرب ، فى حين كان عليهم أن يقيموا قاعدة اقتصادية مستقلة فى الشرق ، وذلك لم يكن بالامكان تحقيقه إلا بالتفاهم مع جيرانهم ، وهو أمر أخفقوا فى تحقيقه تماماً ، فكانت لهم تلك النهاية المفجعة .

لقد تلقف أفنيرى هذه الفكرة ، وطلع بنظرية اندماج اسرائيل فى المنطقة ، ظناً منه أنه يتحاشى بذلك الخطأ المميت الذى وقع فيه الصليبيون .

ولعل ما عزز هذه الفكرة لدى أفنيرى ، انه لمس أن هناك عاملين أساسيين قد لعبا دوراً حاسماً فى انهاء الاحتلال الصليبى واندثار الدولة الصليبية ، وهما : الرفض العربى لشرعية الاحتلال ثم منطق الاحتلال نفسه الذى لا يستطيع إلا معاداة العرب والتحالف مع الغرب ـ أوروبا . وفى هذا الاطار يلاحظ أفنيرى أن وضع اسرائيل منذ قيامها شبيه تماماً بوضع الدولة الصليبية فى هذه الناحية .

يسرائيل شاحاك

أما الشخصية الثانية المعادية للصهيونية والتى سنستعرض آراءها فيما يلى فهى «البروفسور يسرائيل شاحاك» . وشاحاك هو من مواليد وارسو عاصمة بولندا فى عام ١٩٣٣ ، وقد عاش فى ظل النازية من عام ١٩٣٩ حتى عام ١٩٤٥ ، وأمضى سنتين فى معسكر اعتقال نازى ، وهو متخصص فى

يهود معارضون للصهيونية



يورى أفنيرى

الكيمياء العضوية وحصل على الدكتوراه فيها ، ثم تابع دراسات اضافية فى جامعة ستانفورد بكليفورنيا بالولايات المتحدة ، وعاد الى الكيان الصهيونى ليحصل على لقب «أستاذ» فى الجامعة العبرية بالقدس المحتلة .

بدأ نشاطه مدافعاً عن حقوق الانسان فى عام ١٩٦٨ ، وفى آذار (مارس) ١٩٧٠ انتخب رئيساً «للرابطة الاسرائيلية لحقوق الانسان» وكانت هذه الرابطة قد تأسست فى عام ١٩٣٥ تحت شعار الدفاع عن الحقوق الانسانية لليهود والعرب . ومنذ بدأ البروفسور شاحاك نشاطه فى حقل الحقوق الانسانية بدأ يلاقى اضطهاداً منظماً فى كل مكان ، وبالرغم من أنه يصل أحياناً الى حافة اليأس من امكان احداث تغيير فى مفاهيم وسلوك يهود اسرائيل نحو الفلسطينيين العرب ، فانه يبدو مصرا غاية الاصرار على المضي قدماً فى مهمته كمدافع عن حقوق الانسان العربى فى الكيان الصهيونى والأراضى العربية المحتلة .

على صعيد الاضطهاد الذى يلاقيه شاحاك يومياً ، يلقى ذلك فى الصحافة الاسرائيلية التى لا تتوقف عن مهاجمته دون أن يعطى حق الرد على «التهم» المنسوبة اليه ، وليس هناك شك فى أن التركيز الاعلامى فى الصحف الاسرائيلية (جميعها تقريبا) وتكرار الشتائم ضده والدعوة الى قتله أحياناً وطرده من اسرائيل أحياناً أخرى ، هو تصرف موحى به رسمياً من قبل السلطات العليا الاسرائيلية ، وكمثال على ذلك كتبت احدى الصهيونيات المتزمتات فى صحيفة «الجيروزاليم بوست» تقول : «إذا كانت الجامعة العبرية فى القدس تسمح لأساتذتها بالاشتراك فى مؤتمرات منظمة التحرير الفلسطينية ، فانه يتوجب علينا أن نتساءل فيما إذا كنا نرغب فعلا فى استمرار هذه الحرية الأكاديمية ، إن شاحاك يتصرف كمجنون ، بل لابد أنه مجنون فعلا» .

وتضيف «الجيروزاليم بوست» متسائلة : ماذا نفعل بهذا الاستاذ البائس ؟ وهل ندخله المستشفى ؟ هل نستعمل ضده قليلا من الارهاب ؟ لماذا يبرر الارهاب ضدنا ؟ أليس من الأفضل أن نضع طرداً ملغوماً أمام منزله ؟

أما الأطفال ، فهم يجتمعون أمام باب منزله ليوجهوا اليه شتائم وإهانات مختلفة ، والصراخ عالياً : «شاحاك «فتح» .. «شاحاك خائن» . ومن الشتائم التى توجه ضده ، أن يصرخ أحدهم : لماذا وجه شاحاك مشوه ؟ (والمعروف أن وجه شاحاك أصيب بحروق خلال احدى تجاربه الكيميائية فى المختبر) ، وتجيب المجموعة : لأن وجه شاحاك انتاج عربى !!

آراؤه

يصر شاحاك على أن المؤسسة الصهيونية سواء تمثلت بحزب الليكود أو حزب العمل ، ذات موقف عنصرى ثابت ، بل انه يتهم اسرائيل بكونها دولة نازية . ويقدم شرحاً ضافياً عن عنصرية اسرائيل وسلوكها النازى نحو العرب (عرب ١٩٤٨) نقتطف منه ما يلى : على الرغم من الوضع فى المناطق المحتلة (الضفة الغربية وقطاع غزة) سيء للغاية ، فان المساس بحقوق الانسان والتفرقة العنصرية والعرقية فى «اسرائيل نفسها» متأصل بشكل أشد ، وأذكر هنا بعض الأمثلة : ان أكثر المشكلات أهمية فى «اسرائيل» هى مشكلة الأراضى ، فالأراضى العمومية هى اسرائيلية بصورة قانونية ورسمية ، وهى ليست مخصصة لفائدة مواطنى أو سكان اسرائيل بل لفائدة واستخدام اليهود فقط ، لذلك تجرى ادارتها من قبل مؤسسة الكيرن كاييمت (الصندوق القومى اليهودى) ، ووفقاً لذلك توجد فى اسرائيل مدن كاملة مثل كرمئيل والناصرة العليا وحاتسور وعراد وغيرها ، لا يمكن لمن هو ليس يهودياً أن يسكن فيها ، أو يزاول أى عمل بها . وفى مدن أخرى توجد أحياء مثل حى «رامات أشكول» فى القطاع الشرقى من القدس ، حيث يمنع بشكل قانونى على من كان غير يهودى أن يشترى مسكناً فيه ، وأستخدم عبارة «من كان غير يهودى» عن قصد ، رغم أن المتضررين الأساسيين هم الفلسطينيون بالطبع ، وأفعل ذلك لسببين : أولا : لأن هذا المصطلح فى اسرائيل هو مصطلح قانونى ، حيث كل شىء هنا مقسم ومصنف الى يهودى وغير يهودى ، وثانياً : لأنه يتوجب على الفلسطينيين أن يعرفوا أن هذه التفرقة العنصرية موجهة ضد كل من هو ليس يهودياً ، وهى جزء مما يسمى الطابع اليهودى «لدولة اسرائيل» ، وبالطبع فأنا أعرف أن هذه الأراضى التى يستخدمونها ضمن تعريف عنصرى كما فى جنوب أفريقيا ، قد سلبت بالأساس من الفلسطينيين» .

ويمضى شاحاك قائلا : «إن المشكلة الثانية فى «دولة اسرائيل» هى مصطلح «هتيشبوت» والترجمة الفعلية لهذا المصطلح هى «استيطان» ، فحكومة اسرائيل توصل مثلا الكهرباء والماء وتشق الطرق الى كل مستوطنة يهودية جديدة قبل أن يدخلها المستوطنون . فى

حين أن معظم القرى العربية تفتقر لتلك الخدمات ، وإذا توفرت فى احدى القرى العربية ، فهى قد أقيمت بأموال سكانها العرب ـ ومن يعرف اللغة العبرية يعلم أن الاسرائيليين لا يقولون ان «عربياً يستوطن أو عربى مستوطن» ، بل يقولون «عربى يسكن ، لأن ذلك عندهم أمر مؤقت ، وبنفس الأسلوب يعلمون الأطفال الاسرائيليين ما يسمونه «بطهارة الأرض» ، وتعنى هذه العبارة أن كل قطعة أرض يملكها من هو غير يهودى (عربى) تعتبر غير مطهرة بعد ، ولا تصبح طاهرة إلا عندما تنتقل ملكيتها الى شخص يهودى ، وجدير بالذكر أن الاشتراكيين والرأسماليين بين الصهاينة يعترفون بهذا المبدأ ، وأى اشتراكى صهيونى ، وحتى الأكثر يسارية ، يردد ذلك عن أى حقل كان يملكه فلاح فلسطينى فقير ، وانتقلت ملكيته الى مليونير يهودى» .

ويمضى شاحاك فى ايراد عشرات الأمثلة على التمييز العنصرى المطبق ضد العرب فى الكيان الصهيونى ، وليس آخرها منح أى يهودى أو متهود فى العالم حق الهجرة الى اسرائيل واكتساب جنسيتها حالا ، اضافة الى تقديم مسكن وقرض كبير اليه واعفاء من ضريبة الدخل لمدة ثلاث سنوات .. الخ فى حين يمنع على أى فلسطينى أن «يجمع الشمل» مع أحد أفراد عائلته ، أو حتى اذا تزوج من خارج اسرائيل ، فيمنع عليه احضار زوجته !! والهدف من كل ذلك هو خفض عدد العرب فى الكيان الصهيونى بقدر المستطاع ، وهذا بحد ذاته تصرف عنصرى .

ويحذر شاحاك أخيراً ، من أن اسرائيل قد تشعل حرباً خامسة فى المنطقة بهدف الاستيلاء على بعض منابع النفط العربى ، ويقول ان اسرائيل تطمع فى الاستيلاء على الكويت بالتحديد (مجلة الحوادث اللبنانية بتاريخ ١٩ ـ ١٢ ـ ١٩٨٠) .

فالتسيا لانغر

أما النموذج الثالث بين المعادين للصهيونية من اليهود فهو المحامية الاسرائيلية فالتسيا لانغر ، التى اخذت على عاتقها منذ سنوات طويلة (فى أعقاب حرب ١٩٦٧) الدفاع عن المعتقلين العرب ، وهناك محامية يهودية أخرى انضمت الى لانغر فى هذه المهمة هى «ليئا تساهل» .

تقول السيدة لانغر «دفاعاً» عن مهمتها فى الدفاع عن المعتقلين الفلسطينيين انها مؤمنة بحق الشعب الفلسطينى فى أن تكون له دولة مستقلة أولا ، لأن موكليها يحاربون المحتلين لأراضيهم ، وتضيف ان من حق الشعب المضطهد والواقع تحت الاحتلال الأجنبى ، أن يقاتل المحتلين بكل الوسائل المتوفرة لديه بما فيها أسلوب العنف ، وهى لذلك تطالب باعتبار المناضلين الفلسطينيين الذين يقعون فى أسر الاسرائيليين ، أسرى حرب .

وتقول السيدة لانغر انها كانت تضع مسئولية أعمال العنف التى يلجأ اليها الفدائيون الفلسطينيون على سياسات الحكومة الاسرائيلية ، لأن هذه الحكومة ترفض الاعتراف بشرعية النضال الفلسطينى ضد الاحتلال .

وتقول المحامية لانغر ان عملها فى الدفاع عن المعتقلين العرب هو عمل مكروه فى اسرائيل ، وتبرر قيامها بمهمتها بالقول انها تفعل ذلك بسبب معتقداتها السياسة (كيسارية) ، ثم بسبب فهمها وايمانها بمبادىء القانون ، ولكى يعرف الأطفال الفلسطينيون بأن فالتسيا لانغر تساعد أباءهم وأمهاتهم ، وتصف عملها بأنه نوع من الجسور الى السلام بين الاسرائيليين والعرب . (مجلة نيوزويك الاميركية ـ تموز (يوليو) ١٩٧٨) .

طائفة ناطورى كارتا (حراس المدينة)

تعارض هذه الطائفة التى تعيش فى «بنى براك» قرب تل أبيب وفى حى «مى شعاريم» بالقدس المحتلة ، تعارض الصهيونية وتقاومها بشكل شرس ، وترجع معاداتها للصهيونية الى معتقداتها الدينية القائلة إن «اسرائيل» كدولة لن تقوم إلا عندما يأتى المسيح ليخلص «الشعب المختار» من آلامه ويقيم له دولته ، أما اقامة الدولة على أسس سياسية أو غيرها فهو عمل مخالف لتعاليم الدين اليهودى وللتوراة نفسها .

وقد طالب أبناء هذه الطائفة «الصغيرة العدد» بالانضمام الى الأردن قبل سنوات ، ولخص حاخام الطائفة «موشى ليب هيرش» مدى مقاومة طائفته للصهيونية السياسية بقوله : «لن نقبل بدولة صهيونية حتى ولو قبل العرب بها» وقد رفض اعضاء «ناطورى كارتا» منذ عام ١٩٤٨ ، أن يصبحوا مواطنين اسرائيليين ، وقد هددتهم السلطات الاسرائيلية بالغاء اعفاء طلاب المدارس الدينية الخاصة بهم من الخدمة العسكرية ، إلا أن هذا التهديد لم ينفذ حتى الآن . ويقوم انتقاد «ناطورى كارتا» للصهيونية ورفض الدولة اليهودية على أساس فهمهم لمعنى «اليهودى» :

«ولد الشعب اليهودى خلال تلقى الشريعة على جبل سيناء ، وان شريعتنا تبين لنا كيف يجب أن نتصرف كيهود فيما بيننا وتجاه الأمم» ـ هذا ما يقوله الحاخام أهارون كاتسينيلبوجن الزعيم الروحى للطائفة فى القدس ، والحياة كلها بالنسبة لهذه الطائفة اليهودية هى عبارة عن تقوى وورع ، والعيش وفقاً للشريعة اليهودية هو فى نظرهم ما يجعلهم يهوداً ، أما الصهيونية بالنسبة اليهم فهى ارتداد عن الدين اليهودى ، لأنها بتوكيدها على الهوية القومية والعرقية لليهود تنسف أهمية الشريعة اليهودية ، ودولة اسرائيل فى نظرهم تدمر الحياة اليهودية عن طريق العلمنة لأن العلمنة تؤدى بدورها الى الاندماج . وتصر «ناطورى كارتا» على أن الحكومة الاسرائيلية لا تمثلهم ولا تمثل اليهودية ككل ، وهى تريد أن تقيم جبهة مشتركة مع العرب الفلسطينيين ، وهم يرحبون باقامة دولة علمانية فى فلسطين كما تقترح ذلك منظمة التحرير الفلسطينية .

عصام شريح

المؤسسة الصهيونية ذات موقف عنصرى ثابت

● قصـــــة ●

الحب من بعيد

بقلم : عبـــاس خضـــر

نظرت إلي نظرة بليغة قالت لي بها كل شيء ،وعززتها بابتسامة فصيحة كان من فصاحتها ثنايا مرصوفة باقية برغم تقدم العمر ، وأكدت ذلك باستبقاء يدى فى يدها مع ضغطة خفيفة ..

وماذا قالت تلك النظرة ؟

لم تتلجلج ، ولم تفأفىء ، ولم تثاثىء ، كما يفعل اللسان ... لم تقل : لا أدرى كيف أقول ومن اين ابدأ .. ولم تتلفظ بما يمكن ان يكون فيه ماتندم عليه ، او ما لاينبغى قوله ، او كان غيره احسن منه ، او ... الخ .

بل قالت :

ـ لقد ذهب العمر هباء ، الى متى نظل نتجاهل ؟ انا احبك واعلم انك تحبنى ، ولكناكتمنا الحب ، رأيناه اعظم من ان نبوح به .. كان الشباب قادراً على الكتمان المدل .. معتزاً بقوته . والآن ألم تضعف مثلى ؟ لماذا لم تتزوجنى ؟ هل فكرت فى زواجى ؟ لو حدث ذلك لكنت الآن زوجتك .. زوجة المهندس وام اولاده ، يعيش فى المدينة ، كنت اصير «بندرية» بدلا من هذه الفلاحة زوجة الفلاح . طالما رأيتني اسوق البقرة الى الموردة لأسقيها او اعود بها ، ابتسامتان خفيتان من بعيد . او صباح الخير من قريب .

● ● ●

كان قد جاء الى القرية فى إحدى زياراته ، وجاءت تسلم عليه كعادة الجيران التى جرى عليها أهل القرية ، تلبس جلباباً قاتم اللون محتشماً ، وعلى رأسها خمار أسود ، قد تغلف بطرفه يدها وهي تصافح رجلا غريباً ، ولكنها الآن لم تفعل ، بل صافحته كأنه ليس بغريب ..

احبها ، نعم صدقت . كانوا جيراناً ، وكانت الى هذا تذهب مثله وهما صغيران الى «الكتاب» مع الصبيان ، لكى يتعلموا ويقرءوا القرآن ، ولم يكن يحب فى الكتاب غيرها ، كان كل شيء هناك قاتماً ، وكانت هى الاشراقة الوحيدة .

... وفجأة سمع امها تحادث امه ، جارتان تتحادثان ، كانتا تقولان : انها كبرت وصارت عروساً ، وستزف عما قريب !

خرطها خراط البنات ، فصار لها جسم الأنثى الفاتن ، النهدان برزا ، والقوام يتثنى كالغصن الرطيب يحمل اشهى الثمر

سيأخذها العريس المحظوظ ، اما هو فما ابعد فكرة الزواج عن عالمه .. هو فى مثل سنها ، ليس للذكور خراط ، فمازال يبدو صغيراً ، وليس الزواج لعب عيال !

وربما كان تطلعه الى حياة اخرى فى المدينة يبعد عنه التفكير فى الزواج ببنت من القرية ، فالعقل هناك مع التقدم فى التعلم ، والوجدان هنا معها .

● ● ●

وهب انى تزوجتها ، تصور ذلك فقط ، انا لااستطيع ان اصنع «سيدتى الجميلة» كما تخيل صاحب القصة المشهورة والذين حاكوه او اقتبسوا منه .. لا استطيع صنع دجاجة فضلا عن امرأة . دع عنك هذا ، فهو ليس فى الواقع ، ودع مايقولونه عمن تزوج فتاة صغيرة : اخذها حتى يطبعها بطباعه ويعودها على عاداته . هذا كلام .. ومن يفعل يخدع نفسه قبل ان تخدعه الصغيرة !

وثانياً .. هل كان يمكن ان يتشرد قيس بن الملوح العامري ويهيم فى الأودية والقفار وينشد الاشعار لو تزوج ليلى ؟ هل كان يصير مجنوناً .. مجنون ليلى ؟

وهل كان قيس الآخر يموت فى حب لبنى لو لم يطاوعها ارضاء لأبيه ، الذى جلس فى الشمس وابى ان ينتقل الى الظل حتى يطلق ابنه زوجته الحبيبة ...

وهل كان روميو يروح شهيداً للغرام لو تزوج جولييت ؟

هل كانت توجد اصلا تلك القصص لو صارت الحبيبة حليلة او استمرت زوجة ؟

فقط كنت تستريح من قراءة هذا «الهذيان» لو تزوجتها !

إذن فليحى الحب من بعيد ..

وهكذا كان .. ظللت عمرى احبها .. اغذى القلب بطيفها غائبة ، ورؤيتها حاضرة ، وساظل كذلك ما بقيت الحياة .

ولحسن الحظ تزوجت فى الجيرة ، تخطر حاملة جرة الماء التى ملأتها من الترعة عائدة الى المنزل . وقد اذهب الى حيث تملأ الجرة كان الأمر صدفة .. واعاونها فى حمل الجرة ، واظفر بابتسامتها الشاكرة ..

واحياناً اراها تسوق بقرتها الى مورد الماء لتسقيها ، ما احلى بقرتها ! صفراء فاقع لونها تسر الناظرين !

وأتذكر أياما من الطفولة ، اذ كنت أضع لها «قطرة» فى عينيها وهى لا تزال صغيرة لم يتكور فى صدرها شيء بعد .. كانت تضع رأسها فى حجرى مستلقية وأنا أسند الرأس الجميل وأشحذ سهام العينين بسقيهما بالقطارة . وكانت تأتى الى طائعة عندما أزعم لها أن عينيها تحتاجان إلى قطرة ! لا أعبأ بتهديد أمى وأنها ستبلغ أبى انى أحضر زجاجة القطرة من مكانها وألعب بها مع العيال .. مع البنات «يابتاع البنات» هكذا تقول أمي وفى صوتها نبرة اعتزاز بى خفية !

وأياما من الشباب الأول إذ هى جالسة أمام الفرن فى بيتنا تخبز .. كبرت ما شاء

الله .. ما أحلاها وقد حسرت عن ساعديها ولم يبق على رأسها الا المنديل «أبو أوية» . نسوة أخر يخبزن هكذا ، ولهن مثل ذراعيها البضتين ورقبتها البضة ، ولكن هى بالذات يشع منها ـ من جملتها ـ إشعاع لا يوصف .. ليس يشع من غيرها .

كانت قد عرفت أننا سنخبز . سنوقد الفرن . والخبز ينتشر بين الجارات ، فمنهن من تأتى ـ عند ما يعمل الفرن ـ حاملة فوق رأسها طبقاً كبيراً مسطحاً مصنوعا من سعف النخيل ، فيه أقراص خبز الذرة الذى لايسوغ أكله بارداً فصاحبته تأتى لتجمرد فى الفرن ، ومنهن من ترجو أن تضع فى الفرن بعد انتهاء الخبز قدراً من الفخار بها فول للتدميس ، ومنهن من تأتى ببعض العجين ترجو أن تخبزه ، وهكذا قالت نفيسة ـ اسمها ـ لأمى :

ـ صباح الخير يا خالتى أم على ـ اسمى على ـ هل يمكن أن أخبز عندكم قليلا من العجين ؟

ـ ولم لا يا بنتى ؟ تعالى اخبزى ، الفرن فرنك والبيت بيتك .

وأنا .. ما أسعدنى فى مثل هذا اليوم .. أجلس على «برش» هناك أو بردعة حمار موضوعة الى جدار قريب من الفرن ، قد ينطلق لسانى بكلمة أو أقول نكتة تبتسم لها نفيسة .. فأكاد أطير من الفرح !

غير مرة لم أفرح فيها ، بل على العكس شعرت بشىء من الانقباض .. عثرت على كتاب بيرم التونسى اسمه «سيد ومراته» وهو قصة مكتوبة باللغة العامية ، فيها حوار ظريف بين رجل وامرأته عائدين من باريس ، قلت فى نفسى : اقرؤه أمام الفرن لأسمع نفيسة هذا الحوار الظريف ، وجعلت أقرأ ، ولكن راعنى قولها :

ـ ولماذا هذه الدردشة الفارغة بعد أن عادا من السفر ؟

هل تقصد أنى أقرأ كلاماً فارغاً لا داعى له ؟ هذا ما تبادر إلى فهمى ، فشعرت بالانقباض .. وطويت الكتاب .

فكرت فى الأمر بعد ذلك ، فاستقر فكرى على أنها لم تقصد ، إنما هى حساسيه زائدة من جهتى ، ثم قلت فى نفسى :

ـ يا أخى ، وما الداعى لذلك ؟ تريد أن تقرأ شيئاً افعل بينك وبين نفسك .

الواقع أنى كنت غرا أو قل عبيطاً بصريح العبارة ، اذ ظننت أن ما أحبه لابد أن يحبه غيرى ..

بقيت هكذا مشغولا بحبها طول العمر ، أنتشى بذكراها وطيفها وأنا بعيد ، وأسعد برؤيتها وبحديثها وأنا قريب .

لم أنس حبها قط ، وان كان يغيب عنى فى فترات أنشغل فيها بشئون الأولاد ، ومطالب الزوجة ، وهموم الوظيفة من حيث الترقيات والعلاوات والاحتكاك فى العمل بمن يحسد ويحقد ويناوىء .

وكأن حب نفيسة واحة فى صحراء ، يأوى إليها فراراً من المتاعب والمشاغل ، فهي الظل الظليل الذى يعيد إليه سكينة نفسه ويشعل فى قلبه الشمعة الدائمة .

وفى خلال ذلك كبرت ، وصار لى شارب ، وجعلوا يخاطبوننى بعلى افندى ، فلم يعد لائقاً بي أن اجلس على البرش عند الحريم أمام الفرن .. وأحيانا أعوض عن هذا بدعوة الى الشاى من زوجها فى بيته ، حيث تقدم هى لنا الشاى وتقول :

أنستنا يا علي أفندى ، لقد زارنا النبى !

ـ شكر ألك يا نفيسة ، سلمت يداك اللتان صنعتا هذا الشاى المضبوط .

والنساء فى قريتنا لا يحتجبن عن الرجال ، بل يكفى أنهن محتشمات يدنين عليهن من جلابيبهن .



• • •

جلس لاستقبال الرجال الذين توافدوا على «المندرة» يسلمون عليه .

ولما انفض الجمع دنا منه زوج نفيسة قائلا فى شبه همس :

ـ الحقنى يا على أفندى ..

ـ ماذا جرى ؟

ـ نفيسة امرأتى !

قال وهو يكتم شعوراً بالانقباض :

ـ مالها ؟

ـ غضبت وتركت البيت وذهبت الى بيت أخيها .

أفرخ روعه فقال فى شىء من الارتياح :

ـ هيه ...

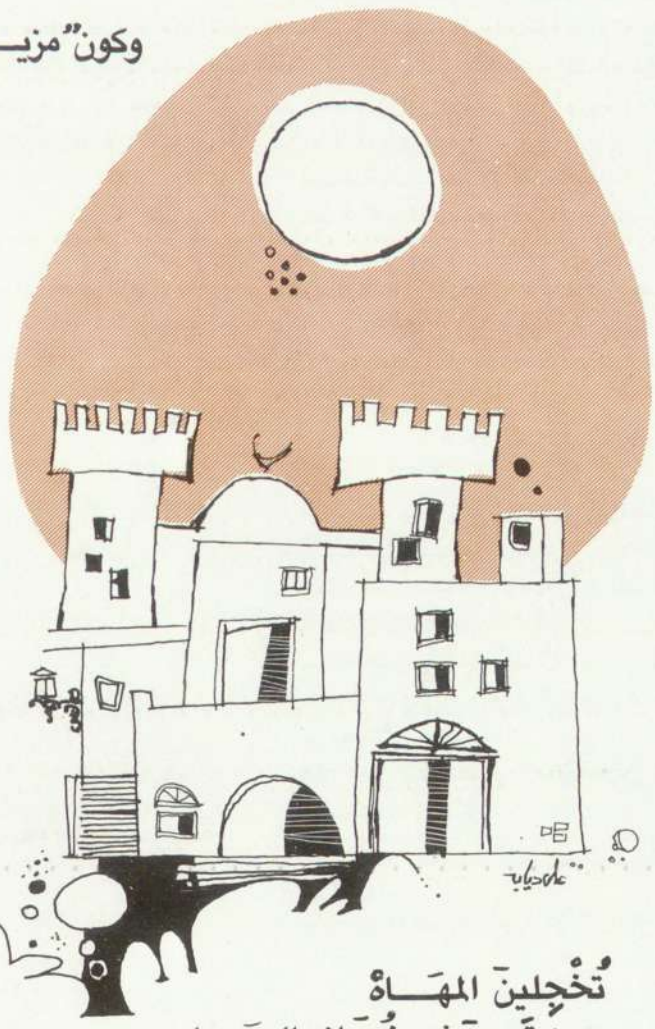
ـ كنت أتفاهم مع أبيها الله يرحمه ، كان رجلا طيباً ، أما أخوها فقد قلت فى نفسى ليس له الا أنت ، والحمد لله جئت فى الوقت المناسب .

عبـاس خضر

بنَفْسَجَة للوطن

وَطَنٌ :
وطنٌ مُستَطَاعٌ .. ونَهرٌ مُطيعٌ
بَلْدَةٌ :
بَلدةٌ عِدَّةٌ .. وقَطيعٌ جَميعٌ
وَرْدَةٌ :
وردةٌ فَرْدَةٌ .. وأَريجٌ أَجيجٌ
ومَاءٌ فُراتٌ وَمَاءٌ خليجٌ

وكونٌ مزيجٌ



وَردةٌ .. آهِ ما أنْتِ منْ وردةٍ !
بلدة هجدةٌ
سَجدةٌ مُدَّةٌ وهُجُودٌ وجُودٌ
وناسٌ مصلون.. ناسٌ حجيجٌ
وحزنٌ بهيجٌ

وَردةٌ : وَرْدتانْ
اللّغاتُ : اثنتانْ
فَأُولىٰ تخُونُ
وأُخرىٰ تُخَانْ
والشّجاعُ : الجبانْ

تُخْجِلينَ المهَاةْ
حين تَبدينَ فى خُيَلاءِ الهَواءِ
.. وفي شفتيكِ ندىٰ البُرْعُمِ
تحتمينَ بأوجِ المسافةِ ، والذّكرياتِ

شعر : حسن طلب

فَلا تحْتمي
يا بنفسجتي المُشتهَاه
واسْلَمي
إنّما أنْت لي زهرةٌ
زهرةٌ كثرةٌ .. وأثيرٌ عبيرٌ
ومَنْظومةٌ حُرّةٌ
أنتِ لي لغةٌ مُصْطفَاه
ومَواويلُ مأمورةٌ بالبكاءِ
وشعرٌ أميرٌ
وأنتِ شجًى بالغٌ مُنتهَاه

بلدةٌ .. آهِ ما أنتِ من بلدةٍ !
يابنفسَجَتي المرتجَاه
أنتِ لي وردةٌ فردةٌ
وأريجٌ مزيجٌ
وليسَ كجاهِكِ في القلبِ جَاه
فالنجّاةَ .. النجَاه

وردةٌ : وردتانْ
الهوَىٰ : هَيْلمانْ
صُبحُهُ مِهْرجَانْ
ليْلُهُ معمعانْ
والمُعِينُ : المُعَانْ

تُشبهينَ الوطنْ
حينَ تُزهِرُ في اسْميْكُمَا وردةٌ من دمي
وردةٌ سُدّةٌ .. وقصيدٌ رَصيدٌ
فلا تندَمِي

يابنفسجَتي المُبتَلاه
إنّ مِيعادَنا لم يَجِنْ



وردةٌ : بلدتانْ
المدىٰ والأوَانْ
فيكِ يجتمعانْ
وعَقيقُ الزمانْ
أينَما كُنتِ كانْ
بلدةٌ : وردتانْ

بلدةٌ هجدةٌ عِدّةٌ
وردةٌ فردةٌ سُدّةٌ
سَجدةٌ مُدّةٌ
شِدّةٌ
حدةٌ
صَهْدةٌ
رِعدةٌ رِعدتانْ
.....
الأمَانَ .. الأمَانْ

مؤرخ يهودي يشوّه سمعة كليوباترا

بقلم الدكتور أحمد عثمان

كثيرة هي المسلمات التى ينبغي أن نعيد النظر فيها ، ومنها القول بأن التاريخ يحفظ الحقائق دون سواها . فهذا القول ـ وإن صح فى مجمله ـ يغفل حقيقة أخرى ملموسة وهي أن التاريخ حفظ لنا أيضاً بعض الأكاذيب . والصورة التاريخية التقليدية لكليوباترا السابعة (٧٠/٦٩ ق.م ـ ٣٠ ق.م) ملكة مصر وآخر الملوك البطالمة هي اكذوبة كبرى . ولقد توارث المؤرخون والأدباء هذه الصورة جيلا بعد جيل وصرنا لا نرى فى كليوباترا سوى امرأة لا تجيد سوى فنون الهوى ونسي المؤرخون والأدباء أن هذه الصورة التقليدية لكليوباترا ـ أعني هذه الأكذوبة الكبرى ـ هى من صنع أجهزة الاعلام الامبراطورية المغرضة فى روما . فكليوباترا هى التى تحالفت مع أنطونيوس ووقفت فى وجه امبراطور روما أوغسطس فأوعز الأخير الى الدوائر الأدبية الرومانية بشن هجمة دعائية لم يعرف لها التاريخ مثيلا من قبل على كليوباترا الملكة الشرقية المتمردة . ولقد قاد هذه الحملة الاعلامية فرجيليوس أمير الشعر اللاتينى وكذا هوراثيوس وبروبرتيوس. ثم جاء بلوتارخوس وواصل الحملة مع بقية مؤرخى وأدباء الامبراطورية الرومانية . وسنترك أمر تفنيد هذه الادعاءات والافتراءات الرومانية الى دراسة مفصلة لا يتسع لها المجال هنا . ويهمنا الآن التنويه الى أن اليهود لم يتركوا هذه الفرصة السانحة فقد ساهموا مساهمة فعالة فى الحرب الاعلامية الرومانية وشاركوا فى تشويه سمعة كليوباترا .

هذا المؤرخ المغرض

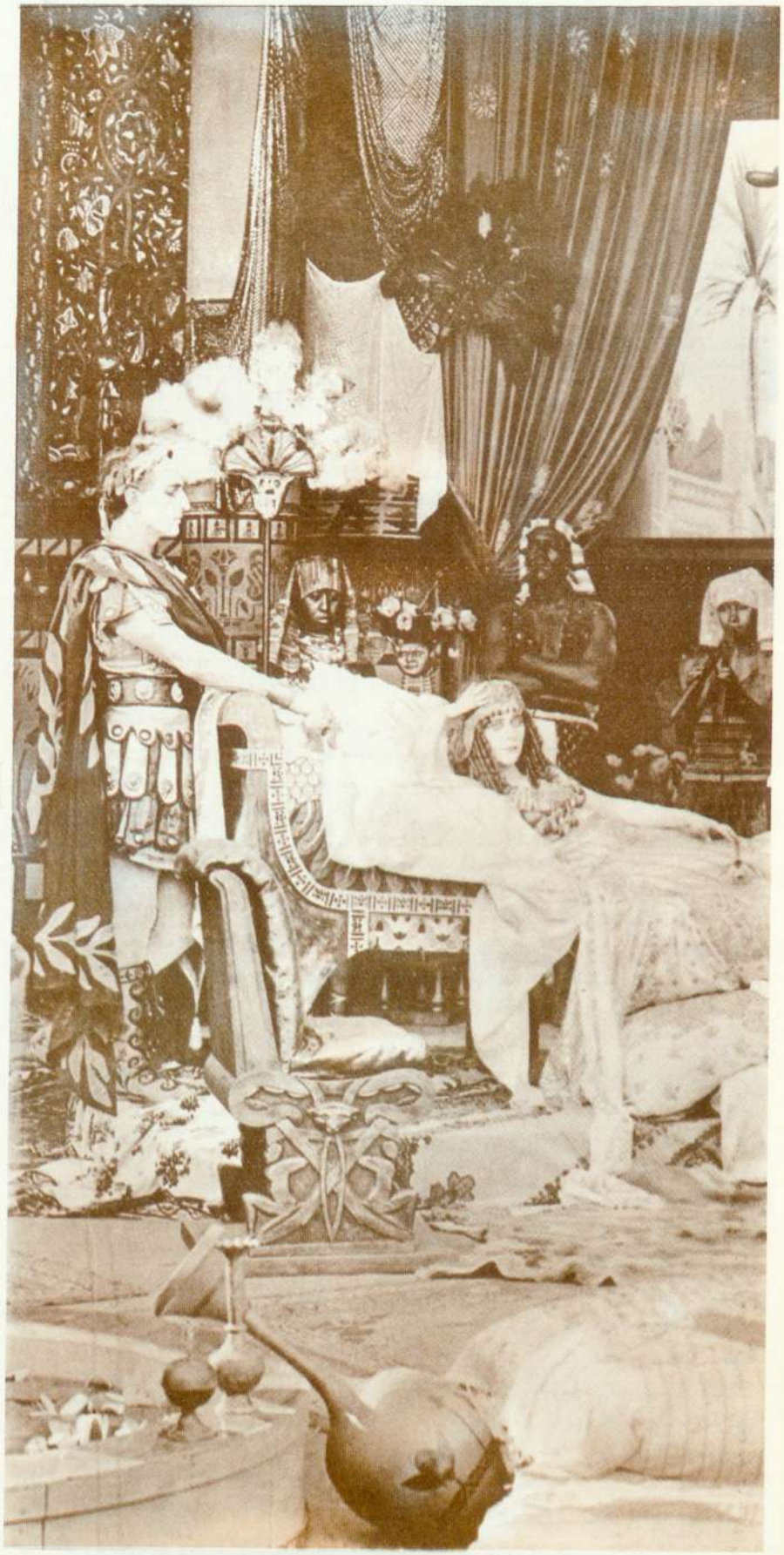
كان نيكولاوس الدمشقى (المولود حوالى ٦٤ ق.م) مربياً لأبناء كليوباترا ، ثم ترك خدمتها وانضم الى حاشية الملك اليهودى هيرود (هيروديس) الكبير (حوالى ٧٣ ق.م ـ ٤ ق.م) . ونشر نيكولاوس الدمشقى هذا ترجمة ذاتية بالاضافة الى سيرة تمجيدية لشباب أوغسطس وتاريخ عالمي فى مائة وأربعة وأربعين كتاباً يبدأ من أقدم العصور وينتهى بموت الملك اليهودى سالف الذكر . ولقد وصف بالتفصيل الأحداث التى عاصرها وعاشها بنفسه مما يعطى لكتاباته أهمية كبرى لا يعوضنا عن فقدانها سوى ما اقتطفه منها المؤرخ اليهودى فلافيوس يوسيفوس (٣٧ / ٣٨ م ـ ١٠٠ م) .

ولقد ألف هذا المؤرخ اليهودى كتاباً بعنوان «عن الحروب اليهودية» نشر عام ٧٤ ـ ٧٩ م . وله مؤلف آخر بعنوان «الآثار اليهودية» نشر عام ٩٣/٩٤ م . فى عشرين جزء . ولقد ضمن فلافيوس يوسيفوس الكتابين معلومات قيمة عن علاقة كليوباترا بالملك اليهودى هيرود الكبير . وبادىء ذي بدء كيف يمكن الاعتماد على رواية هذا المؤرخ الذى استمد معلوماته فى غالبيتها من مذكرات الملك اليهودى نفسه ومن نيكولاوس الدمشقى الحاقد على كليوباترا بعد أن فقد شرف خدمتها فصار من أخلص أتباع هيرود ؟ . وإذا أردنا أن ندلل على انحياز المؤرخ اليهودى فلافيوس يوسيفوس انحيازاً تاماً لسيده ملك اليهود هيرود فلن نفعل أكثر من الاشارة الى مقالة بعنوان «فى الرد على أبيون» وفيها يهاجم هذا المؤرخ ويفند الآراء «المعادية للسامية» ـ إن صح التعبير ـ لدى مختلف الكتاب القدامى من القرن الثالث ق.م الى أبيون الذى تحمل المقالة اسمه وهو اغريقى متمصر عاش فى الاسكندرية ثم رحل عنها الى روما أيام الامبراطور

تيبريوس (١٤ م ـ ٣٧ م) وظل هناك حتى عصر كلاوديوس (٤١ م ـ ٥٤ م) . بقي أن نعرف سر هجوم فلافيوس يوسيفوس على أبيون : لقد نسب الى أبيون مقالا يمتدح فيه كليوباترا وينتقد اليهود ! فما كان من فلافيوس يوسيفوس إلا أن اتهمه بمعاداة السامية لأنه شايع كليوباترا . والسؤال الآن ماذا سيفعل هذا المؤرخ بكليوباترا نفسها ؟

لقد غطت توسعات كليوباترا فى الأرض ـ بفضل هدايا حليفها وعشيقها وزوجها انطونيوس ـ مساحات شاسعة من منطقة الشرق الأوسط كما نسميها الآن . لقد أرادت هذه الملكة أن تحيي الامبراطورية البطلمية التى أسسها جدها بطليموس الأول المنقذ (حوالى ٣٦٧/٣٦٦ ـ ٢٨٣/٢٨٢ ق.م) . وهى امبراطورية ضمت أجزاء كبيرة من سوريا ، ولبنان ، وفلسطين ، والأردن ـ كما تسمى هذه المناطق الآن ـ بل وشملت أجزاء من آسيا الصغرى . وهذه الممتلكات التى استعادت كليوباترا معظمها غطت مناطق غنية بالغابات التى استغلت كمصدر أساسى للأخشاب فى عصر البطالمة الأوائل بل ومنذ العصر الفرعونى . ومن هنا نفهم حرص كليوباترا على ضم هذه الأراضى من ناحية ومدى أهمية أن تمتلك مصر هذا العمق الاستراتيجى اللازم لبناء الأساطيل من ناحية أخرى . ويمكن أيضاً أن نتفهم لماذا وهب انطونيوس هذه الأراضى الى كليوباترا فلقد أراد أن تلعب مصر بأساطيلها القوية دور الشرطى فى شرق البحر الأبيض المتوسط حيث توفرت لدى مصر القوة البشرية والخبرة الملاحية ولم يكن ينقصها سوى الأخشاب وها هو انطونيوس يسد هذا النقص .

ما يهمنا الآن أن كليوباترا أخذت بعض الأراضى من ممتلكات هيرود ملك اليهود ، وكانت علاقاتها بهذا الملك من قبل مثار ضيق وحرج لأنطونيوس . فبعد أن كانت الملكة المصرية على علاقات ودية معه تغير الحال وصارا



كليوباترا : تناولتها اقلام الكتاب في العالم بالدراسة .. وأيضاً كاميرات السينما وخشـــبات المسرح .

مؤرخ يهودي يشوّه سمعة كليوباترا



كليوباترا

عدوين لدودين . ذلك أنه بعد أن كان هيرود أميراً مناضلا فى المنفى أصبح الآن حاكماً فى جيروسالم (القدس) وهو المركز الذى جعله يمثل العقبة الكئود أمام طموحات كليوباترا فى احياء الامبراطورية البطلمية . وبالمنح التى وهبها أنطونيوس الى كليوباترا أصبحت الملكة المصرية تحكم أراض تحوط بالمملكة اليهودية من كل جانب مما دفع هيرود الى أن يحصن حدوده الجنوبية خوفاً من وقوع غزو مصرى مفاجىء .

أما أنطونيوس فقد تنازعه هدفان أراد أن يحققهما فى وقت واحد . إذ كان يزمع توسيع ممتلكات حبيبته وحليفته المصرية ولكنه بنى سياسته الشرقية على أساس قيام دولتين قويتين لا دولة واحدة إحداها مصر والأخرى تحت حكم هيرود . ويبدو أن المملكة اليهودية كانت تمثل بالنسبة له وفى حروبه القادمة سنداً قوياً وإلا فلماذا بذل جهوداً مضنية فيما بين (٤٠ و ٣٧ ق.م) ليجلس هيرود على عرش جيروسالم (القدس) ؟ خلاصة القول ان أنطونيوس لم يكن على استعداد لأن يضحى بالمملكة اليهودية من أجل عيون كليوباترا التى حاولت ذلك مراراً بالعتاب اللين حيناً وبالتضرعات العاطفية أحياناً ثم سعت بعد ذلك جاهدة بالسياسة والمكر وذهبت كل مساعيها سدى .

بيد أن أنطونيوس قد أجبر هيرود على تقديم بعض التضحيات وأولها أن يتنازل عن الشريط الساحلى لمملكته . ذلك أن يوليوس قيصر كان قد أعطى لليهود ميناء جوبا وهو الميناء الذى يسلمه أنطونيوس الآن الى كليوباترا مع بقية المدن الساحلية المجاورة باستثناء «عسقلون» التى بقيت مستقلة و «غزة» التى تركت لهيرود لتكون المخرج البحرى الوحيد لمملكته . وبذلك أصبح ساحل البحر المتوسط الشرقى حتى أقصى شمال لبنان الحديثة ملكاً لكليوباترا . ولكن الذى حز فى نفس هيرود بصفة خاصة هو أنه خسر بساتينه التى كانت تدر عليه أموالا طائلة . وهى بساتين تقع على مسافة ليست ببعيدة عن النهاية الشمالية للبحر الميت وتضم أشجار النخيل التى تنتج على مستوى اقتصادى مرتفع أجمل وألذ أنواع البلح المعروف فى العالم . وبها أيضاً مزارع البلسم والذى كانت أسعاره مرتفعة جداً لأنه كان يستخدم كعطر سحرى ودواء طبى ، يعالج الكثير من الأمراض ، ولقد تم التوصل الى ترتيبات معينة يستأجر بموجبها هيرود من كليوباترا هذه البساتين التى ضاعت منه على أن يدفع مبلغاً معيناً من المال كل عام . ولقد كان هيرود سعيداً بهذه الترتيبات الى أقصى حد فأخشى ما كان يخشاه حينئذ هو أن يتدفق الرسميون المصريون الى هذه المنطقة الغنية التى لم تكن تبعد عن جيروسالم سوى خمسة عشر ميلا . وجدير بالذكر أن كليوباترا كما يروى أخذت بعض الشتلات من شجيرات البلسم لكى تزرعها فى هيليوبوليس بمصر الوسطى !

وبأمر من أنطونيوس قدم العرب النبطيون (أو الأنباط) أيضاً بعض التنازلات فى الأرض الى كليوباترا . ولقد كانت دولتهم هى أكبر دولة عربية موجودة فى تلك الآونة . كما أنها لم تك تابعة للرومان بصفة واضحة وإن كانت تعتمد عليهم كثيراً وتخضع لنفوذهم . كانت أراضى هذه الدولة العربية تضم الأردن الحديث ثم تمتد جنوباً على ساحل البحر الأحمر فتشمل خليج العقبة وأجزاء من شبه جزيرة سيناء . وربما كانت كليوباترا تطمع فى ضم أراضى هذه الدولة برمتها الى ممتلكاتها ولكنها على أية حال لم تنل سوى قطعة صغيرة فى أقصى جنوب البحر الميت .

وأهم من ذلك أنها حصلت على امتياز استغلال القار (أو الحمر) الذى كان يطفو على سطح هذا البحر ويستخدم كعقار طبى ، وكمادة حافظة ، ومبيد حشرى ، وملاط للبناء . وتم التوصل الى ترتيبات معينة تسمح للعرب النبطيين باستغلال القار نظير ايجار سنوى يدفعونه الى كليوباترا . ولكن هيرود ملك اليهود الذى لم تغمض له عين منذ فقد بساتينه الغنية رأى أن يعوض خسائره فتقدم بعرض بارع فيه كثير من المكر والدهاء . لقد عرض أن يكون الوسيط بين العرب وكليوباترا أى أن يكون هو المسئول عن المبالغ التى يدفعها العرب النبطيون لكليوباترا . ومع أن هذه المهمة تعرضه لكثير من المتاعب إلا أنها تمثل ضربة لعصفورين بحجر واحد . حقاً انه كان مرتبطاً بملوك العرب النبطيين عن طريق المصاهرة والتجارة إلا أنه لم يكن مستريح البال فى تعامله معهم . ومن ثم كان يدبر عن طريق العرض المقدم منه للتدخل فى شئونهم الداخلية بهدف التخريب . ومن ناحية أخرى فعن طريق نفس العرض كان يجامل أنطونيوس بطريقة غير مباشرة لأنه كان يعلم أن إرضاء كليوباترا يدخل السرور على نفس أنطونيوس .

وإذا كان هيرود يظن أنه بذلك قد

● عندما أخذت كليوباترا بعض الشتلات من شجيرات البلسم لتزرعها في مصر الوسطى

● قصة محاولة كليوباترا الايقاع بـ "هيرود" هي محض افتراء مغرض !

أشبع نهم كليوباترا فقد أخطأ لأنها كانت فى الحقيقة تحلم بازالته هو ومملكته من الوجود نهائياً ، وإلقائه فى البحر . ولقد برهنت كليوباترا على نواياها تلك بمحاولاتها المتكررة للتدخل فى شئون المملكة اليهودية الداخلية . فيحكى أن هيرود كان قد تزوج من ماريام (أو ميريام) أميرة الأسرة الملكية الهاسمونية القديمة عام ٣٧ ق.م . فحل فى الحكم محلها وكان الهاسمونيون السابقون كهنة يهود لهم مكانتهم كما كان بعضهم ملوكاً وامراء . أما هيرود الذى صار الآن ملكاً فلم يستطع أن يتولى منصب الكاهن الأعظم لأنه لم يسبق له أن تولى أية مناصب كهنوتية من قبل . وطفق يبحث عن شخص مناسب يتولى هذا المنصب فلم يجد سوى أخ ماريام ويدعى أريستوبولوس ، ولكنه فى اللحظة الأخيرة عدل عن هذا الاختيار واستبدله بشخص آخر متخذاً من صغر سن اريستوبولوس الذى لم يجاوز السادسة عشرة ذريعة . وهنا غضبت أم الأخير وتدعى الكسندرا وأرسلت الى صديقتها العزيزة كليوباترا أحد المغنين لكى يطلعها على الموقف ويطلب منها أن تمد يد العون لها ويوصف كليوباترا «إيزيس الجديدة» رأت أنه من المناسب أن تتبنى قضية النساء وتدافع عنها أمام سيد المنطقة كلها أنطونيوس . ونجحت كليوباترا فى مسعاها مما اضطر هيرود ملك اليهود الى التراجع والرضوخ بتعيين اريستوبولوس فى منصب الكاهن الأعظم .

رواية مريبة !

وفى ضوء ما تقدم يمكن أن ننظر الآن دون أى تخوف الى صورة كليوباترا فى رواية المؤرخ اليهودى فلافيوس يوسيفوس التى ساهمت دون شك فى تثبيت سمعة كليوباترا السيئة على صفحات التاريخ . لقد قامت الملكة المصرية ـ وفق هذه الرواية ـ بزيارة المملكة اليهودية بفضل وساطة نيكولاوس الدمشقى الذى كان عندئذ يقوم على تربية أطفالها والذى انتقل فيما بعد الى خدمة هيرود وأصبح مستشاره الخاص . ولقد حفظ لنا فلافيوس يوسيفوس بعض الفقرات المقتطفة من مؤلف نيكولاوس الدمشقى «تاريخ العالم» ومنها الفقرة التالية التى تعطى لنا رواية هيرود المريبة لزيارة كليوباترا الغريبة للمملكة اليهودية :

«عندما اجتمعت كليوباترا بهيرود عدة مرات حاولت إغراء الملك . وربما شعرت فعلا بشىء من الميل نحوه ولكنها على الأرجح كانت تدبر سراً للايقاع به فى فخها متظاهرة بأنها قد غلبت على أمرها . ولكن هيرود الذى لم يكن على علاقات ودية مع كليوباترا منذ أمد بعيد وكان يعرف الكثير عن غدرها بالرجال توفرت لديه الأسباب العديدة لكى يحتقر مغالاتها الى هذا الحد . فاذا كانت تسعى حقاً للايقاع به فى فخ الاغواء فمن الأولى أن تكون له غداء قبل أن تقدمه هى على مائدة العشاء . ولهذا السبب تحاشى عروضها واستشار خلصاءه فيما اذا كان عليه أن يقتلها وهى الآن فى قبضة يده . وقال انه بهذه الطريقة قد يخلص ليس فقط أولئك الذين أوقعتهم فى حبائلها المهلكة بل أيضاً الذين قد يقعون مستقبلا ضحايا لشرورها الكثيرة . ودلل على أن مثل هذا العمل سيكون لصالح أنطونيوس نفسه فهى لم تبد أية بادرة للوفاء له فى ساعات الحاجة وأوقات الشدة . ولكن أصدقاءه حالوا بينه وبين تنفيذ خطته . وأشاروا عليه بأن الأمر أولا وقبل كل شىء لا يستحق أن يورط نفسه فى خطر داهم قد ينجم عن هذه الخطوة ثم توسلوا اليه ألا يتصرف فى هذا الموضوع بتهور ، وقالوا ان انطونيوس لن يصفح قط عن من يقدم على مثل هذا العمل ولو تبينت له المزايا المترتبة عليه مستقبلا . فمن جهة سيزداد حبه لها اشتعالا على اشتعال إذا تسرب الى ظنه أنه قد حرم منها بالقوة أو بالخيانة ومن جهة أخرى فلن يكون هناك أى عذر مقبول لديه للتآمر ضد امرأة احتلت على أية حال المكانة العظمى بين أهل زمانها . وأما عن الفائدة المرجوة من مثل هذا العمل إذا كانت هناك حقاً أية فائدة فسوف تتلاشى إن قرنت بالطيش الواضح فى عدم تقدير موقف أنطونيوس . ومن ثم فان هذا الطريق ـ كما لا يصعب على أحد أن يرى ـ محفوف بالمخاطر وسيجلب شروراً لا نهاية لها على عرشه وأسرته (أى هيرود) ... وبعد أن زرعوا الخوف فى قلبه وبينوا له الأخطار الكامنة فى مثل هذه المحاولة منعوه من تنفيذها» .

ومن الجلي الذى لا يحتاج الى توضيح أن هذه الرواية اليهودية عن محاولة كليوباترا إغواء الملك اليهودى هيرود مختلقة ولا أساس لها من الصحة . لقد كان هدف هذا الملك متطابقاً مع هدف كليوباترا فى أن يظل كل منهما عند حسن ظن أنطونيوس وعلى وئام تام معه . وليس بقتل كليوباترا سيكسب هيرود رضى العاهل الرومانى كما أنه ليس باغواء هيرود ستحافظ كليوباترا على حب وحماية أنطونيوس لها . ومن المرجح أن الذى حدث هو أن الملك اليهودى بعد موت كليوباترا وأنطونيوس أراد أن يكسب ثقة عدوهما المنتصر أوغسطس فزعم ما زعم وأشاع أنه قد حاول مراراً أن ينصح أنطونيوس بالتخلص من كليوباترا والتخلى عنها وأنه نفسه كان يفكر فى قتلها لتخليص العالم من شرورها . إن قصة محاولة كليوباترا لاغواء هيرود هى محض افتراء مغرض من جانب هذا الملك اليهودى الداهية أريد بها تلطيخ سمعة كليوباترا وتشويه صورة هذه الملكة التى سيطرت على عقل وقلب أنطونيوس محرك الأحداث فى منطقة الشرق آنذاك .

د. أحمد عتمان

● نافذة على الأدب اليمني ●

محكمة في جنة الشعراء !

بقلم : عبد الرزاق البصير

تلقيت ، بكل ابتهاج ومسرة ، مسرحية كتبها الأديب اليمنى المعروف أحمد محمد الشامى بعنوان «محكمة فى جنة الشعراء» ، فأقبلت عليها بكل شوق وشغف لأن هذا الأديب من الذين يحترمون قراءهم حين يصدرون آثارهم .

فهو لا ينشر أثراً من آثاره ، شعراً كان أو نثراً ، إلا إذا اعتقد أن فى هذا الأثر اضافة جديدة ، بالاضافة الى أنه متفرغ للعطاء . حريص أشد الحرص على متابعة ما يجرى فى الساحة اليمنية من نشاط فكرى وأدبى ، بل هو يشارك مشاركة قوية فى هذا الميدان ، فله مؤلفات كثيرة تشهد له بذلك . وأنا من الذين يسألون أنفسهم عندما يفرغون من قراءة أى عمل أدبى : هل ظفرت بجديد ؟ فان كان الجواب بالايجاب زاد تقديرى لمن قام بذلك العمل واعتقدت أننى لم أضع وقتاً سدى . وإن لم أحس لذلك العمل أثراً فى نفسى ندمت على ما فرطت من وقت ، وما أكثر الأعمال التى تنسب الى الأدب والفكر وليست فى الواقع إلا فقاقيع لا تسمن ولا تغنى من جوع .

والحق أنى كدت أنصرف عن هذه المسرحية حينما بدأت فى قراءة مقدمتها إذ أنها تقول بأن المؤلف استمد مسرحيته من مقالة للشاعر الأستاذ أحمد المعلمى عنوانها «كابوس مرعب» ، ومقالات للأستاذ علي بن علي صبرة تحت عنوان «الهبل : رافضاً ومرفوضاً» ، ومقالة للدكتور أبو بكر السقاف تحت عنوان «اللغة والثقافة» ، ومقالة للمؤلف تحت عنوان «جلد الشعراء وكابوس المعلمى» ثم أتبع ذلك بقاموس ذكر فيه بعض المصطلحات اليمانية مثل لفظة : عيفط ، والعكفة ، وفايلين . وأنا أرى أن المؤلف لو أورد المقالات التى اعتمد عليها فى تاليف هذه المسرحية لكانت الفائدة أكبر وأعم لأن هذه المقالات نشرت فى صحف يمنية متفرقة لم يطلع عليها إلا من قدر له أن يتابع تلك الصحف ، ثم أنى متأكد بأن تلك المقالات غنية طريفة ينتفع بها كل من يطلع عليها .

ولكننى مع ذلك أقبلت على قراءة المسرحية ، فوجدت فيها تصويراً لما كان الأدباء والشعراء يعانونه أيام حكم يحيى حميد الدين . ومن المعلوم أن زمن ذلك النظام قد مضى وانقضى وأن الكثرة الكاثرة من المثقفين المتقدمين فى السن يملكون صورة لتلك الحقبة التى مر بها اليمن السعيد حتى ليخيل الى كثير من الناس أن إعادة رسم تلك الصورة من الأمور التى لا داعى لها ، غير أن الموهبة الفنية التى يتصف بها المؤلف تشد القارىء اليها . على أن فيها مواقف — وإن كانت مستوحاة من تلك الحقبة اليمانية البائدة — فانها كثيراً ما تنطبق على حالات مايزال الشعب العربى يعانى منها أشد المعاناة ، منها ضيق كثير من الذين يملكون زمام الأمور فى وطننا العربى بالشعراء والأدباء الذين لا هم لهم إلا تنبيه الجماهير وإثارتهم على ما يقع من تقصير فى حقوق الشعب . فلنقرأ قول المؤلف على لسان ذلك الملك المستبد :

«جلد الشعراء ، جلد الأدباء ، لله در البردونى انه لألمعى لدود وحصيف وداهية ، فالشعراء والأدباء هم الوباء وسبب البلاء ، وكل شر حل باليمن على مدى العصور هم صانعوه» .

وأنت اذا قرأت هذه الفقرة بطولها تجد أن المؤلف قد ضرب عصفورين بحجر فأما أحد العصفورين فهو ما أشرت اليه من ضيق المستبدين بالشعراء والأدباء المخلصين ، أما العصفور الثانى فانه ينتقد الشاعر اليمنى المعروف فى تعبيره فى احدى مقالاته أو قصائده بأن الشعراء يستحقون الجلد . والذين تابعوا آثار هذا الأديب يعرفون أن خصومة أدبية عنيفة قد اشتعلت بين المؤلف وبين الدكتور عبد العزيز مقالح من جهة وبين الشاعر البردونى من جهة أخرى ، ويبدو أنها ماتزال مشتعلة وكنت أتمنى لو أن المؤلف أوضح لقرائه الموقع الذى استعمل فيه البردونى جلد الشعراء والأدباء .

بين الأدباء والشعراء

ومهما يكن من أمر ، فان القارىء لا يكمل استمتاعه بهذه المسرحية إلا اذا كانت عنده خلفية لما يجرى بين الأدباء اليمانيين وشعرائهم من نشاط فكرى وأدبى وما يحدث من خصومات نشأت عن اختلاف فى الاتجاه والتفكير ، أعنى أن هناك رافداً ثرا من الأدب العربى لا يكاد يعرفه أحد غير اليمنيين مما يحتم على مؤلف هذه المسرحية أن يضع حواشي يبين فيها ملامح عن نشاط أدباء اليمن . فأنت حين تأخذ فى قراءة هذه المسرحية يتبين لك أن مقال «الكابوس المرعب» الذى كتبه الأستاذ الشاعر أحمد المعلمى وهو من أعلام الأدب اليمنى ، هذا المقال أحدث ضجة بين المثقفين اليمنيين ، فعقب عليه بعض الكتاب ، كما تجد أن ملك اليمن السابق أحمد حميد الدين قد خمّس قصيدة لأبى فراس وقصيدة أخرى لقطرى بن الفجاءة ، ولم يكن هو الذى خمّس هاتين القصيدتين ، وإنما الذى قام بتخميسهما أحمد الحضرانى ومؤلف هذه المسرحية . تجد ذلك كله فى حوار شيق يجريه المؤلف مع ابنته فى أول الأمر ومع ابراهيم الحضرانى ، أحد شعراء اليمن ، فيما بعد ، فى حضرة أمير الشعراء القدامى امرؤ القيس وهو يحمل المتحاورين على أشعة ملونة ربما يخترعها العلم الذى أوصل الناس الى القمر ، فان أكثر

المخترعات العلمية قد نشأت عن خيال شاعر أو حلم فنان ، وقد لا يخطىء من يظن أن تخيل مؤلف هذه المسرحية ناشىء من جو رسالة الغفران أو من رواية واق الواق التى أنشأها محمد محمود الزبيرى ، أحد نوابغ اليمن ، فقد كان امرؤ القيس جالساً فى محفل يضم أصحاب المعلقات وأبى الطيب المتنبى وأبى تمام والشريف الرضي والحسن الهبل وأبى نواس والبحترى ومهيار وعمارة اليمنى . أما مناخ هذا الحفل فانه مناخ مثالى تسوده المساواة والعدالة والحرية ومفاهيم انسانية خالصة ، بعيداً عن مفاهيم الساسة وأصحاب المذاهب الاقتصادية والفكرية التى أفرزتها ظلمات القهر والاستعباد فى دار الأحياء والتى تصطنع ألفاظاً مزخرفة لا تعنى أكثر من المجاملة والخداع .. وهذه الدولة متكاملة الجوانب ، لها وزراء ولجان وأمناء سر للجان والوزراء ، على أن عمل هذه الدولة مقصور على القضايا الأدبية كالشعر الحديث واللهجات الدارجة التى كثيراً ما تكون مفرداتها من اللغة الفصحى دون أن يعرف أهلها ذلك . لهذا تجد فى هذه المحاكمة معظم ما حدث من خصومات بين شعراء اليمن وأدبائها كخصومة المؤلف وكثير من الشعراء للشاعر البردونى ، غير أن المؤلف يدفعه تجرده وانصافه بأن يعلن بأن قدم البردونى راسخة فى الشعر .

كما بين أن الدكتور عبد العزيز مقالح أديب فاضل باحث ، إلا أن المداراة تغلب عليه فتراه يثنى على أصدقائه بما لا يستحقون . وكمثال على ذلك ما كتبه المقالح من إطراء فى مقدمته لكتاب أبى بكر السقاف «دراسات فكرية وأدبية» مع ما فى هذا الكتاب من تراجم ركيكة التعبير ضعيفة الحبك لأشعار روسية وتهجمات مغرضة على المثل العليا والقضية الوطنية والزعماء الأحرار ، طبقاً لما يقوله الأستاذ الشامى مؤلف هذه المسرحية . ويتطرق المؤلف فى هذا المشهد الى أمور أدبية كثيرة يضيق المجال عن ذكرها ، إذ أنه اتخذ هذه المسرحية وسيلة لابداء آرائه وأحكامه على خصومه وأصدقائه ، فقد بلغ من شدة رفضه للشعر الحديث أنه تخيله صواريخ شدخ بها رأس محمد محمود الزبيرى ومن معه وهم فى طائرة أخروية. وقد لاحظ الدكتور عبده غانم أن قذائف تلك الصواريخ «ليست ذات نبرة عربية ، مما يدعو الى الريبة ، فربما أنهم قد استعانوا بخبراء أجانب ، وهم ـ مهما أتقنوا اللغة العربية تعبيراً وكتابة وقراءة ونحواً ـ لا يستطيعون أن ينسجموا مع أوزان الشعر وتفعيلات أبياته وقوافيها» . من هذه الفقرة يتبين مقدار رفض الأستاذ الشامى للشعر الجديد ، وقد كانت على لسان شاعر أشك فى أنه يشارك الشامى فى استبعاده للشعر الحديث ، وعلى كل فان هذه الفقرة قد قيلت لأمير الشعراء امرىء القيس وهى مبدأ حوار لتشكيل محكمة للبردونى وعلي صبرة وجماعة من الشعراء اليمانيين فى محاولة طويلة أراد منها المؤلف أن يثبت تجرده فى أحكامه لأنه لم يقبل أن يكون رئيساً لتلك المحكمة فهو معروف بخصوماته الأدبية للشعراء الذين يصطنعون الشعر الحر ، ثم انتهى الأمر بأن تكون غزال المقدشية رئيسة المحكمة وهى احدى شاعرات اليمن ، ولعل المؤلف قصد أن يوضح بأنه من الذين يناصرون المرأة ويعطونها ما تستحق من التكريم ، فانت تجد له أبياتاً يعرض بها رأى أبى العلاء المعرى فى المرأة معارضة شديدة . فأبو العلاء المعرى يقول :

علموهن الغزل والنسج والردن
وخلوا كتابة وقراءه
فصلاة الفتاة بالحمد والاخلاص
تغنى عن يونس وبراءه
يهتك الستر بالجلوس أمام
الستر إن غنت القيان وراءه

ويرد عليه المؤلف قائلا :

تفسد المرأة الذكية إن لم
تك تدرى كتابة وقراءه
جهلها لا يصونها واذا تفقه
تزداد حكمة وجراءه
زهرة بالخمول والجهل تذوى
وبغيث العرفان تزهو طراءه
هى خير من الغلام ذكاء
وحنانا وعفة وبراءه

أعضاء المحكمة

أما أعضاء المحكمة فانهم كانوا من مشاهير الشعراء المعاصرين أمثال الجواهرى ، وعلي محمود طه ، وفدوى طوقان ، على أن يكون المراقبون من الأكفاء وهم بشار بن برد وأبو العلاء المعرى ومحمد سالم البيحانى وكاتب هذه السطور لاعتقاد المؤلف أنى خبير بآداب اليمن ، وهذا شرف ليتنى أستطيع أن أبلغه . والأمانة العلمية تفرض علي أن أعترف بأنى ـ وإن كنت معجباً بالأدب اليمنى ، معتقداً بأنه رافد من روافد الأدب العربى السخية ، ولكننى مع هذا كله لم أستطع أن أواكب هذا الرافد مواكبة تجعلنى قادراً أن أبدى رأياً فيه أو أن أصدر حكماً عليه . وقد أنصف الشامى حين قال عن الشاعر البردونى بأنه لا يستجدى عطف أحد وإنما يسعى ليبدى النقاد آراءهم فيه ، سواء كانت له أو عليه . فقد أصبح هذا الشاعر الضرير علماً من أعلام الشعر العربى . أما اذا كان أصدر أحكاماً قياسية على فئة كبيرة من أدباء اليمن ، فانه حر فيما يبدى من آراء ، إذ أنه كان بما أصدر من أحكام محور نشاط فى الميدان الأدبى ، على أن المؤلف قد أوضح بأن البردونى كان وجماعة من الشعراء المجددين فى جزيرة اللامبالاة ، فكأنه يريد أن يقول بأن هذه الجماعة من الأدباء مقتنعون بآرائهم المتطورة فى الشعر والأدب ينشرونها غير مكترثين بسخط من يسخط عليهم أو رضا من يرضى عنهم .

وبما أن المؤلف قد جمعنى مع زمرة من فحول الشعراء ، فانه لابد لي من أن أهمس فى أذنه بأنى لا أرفض الشعر الحديث رفضاً قاطعاً ، فكثيراً ما أستمتع ببعضه وأجد فيه غذاء لعقلى ، ولاسيما ذلك الشعر الذى يكون رمزه مضيئاً فهو عندى لون من ألوان الأدب فيه الغث والسمين .

وبالجملة ، فان هذه الرواية تعتبر ـ فى رأيى ـ نافذة واسعة تمكن نسائم الأدب اليمنى الفواح من أن يهب على كل من يريد أن يتعرف على ذلك النبع السخى . وكم كنت أتمنى لو وضع أديبنا الشامى لمسرحيته هذه هوامش يوضح فيها مواقع القضايا الأدبية التى أشار اليها فى مسرحيته ، كما ذكرنا من قبل ، إذ أنها قضايا رفيعة المستوى تثرى من يطلع عليها ، وتعطيه متعة وفوائد أدبية وفكرية جليلة .

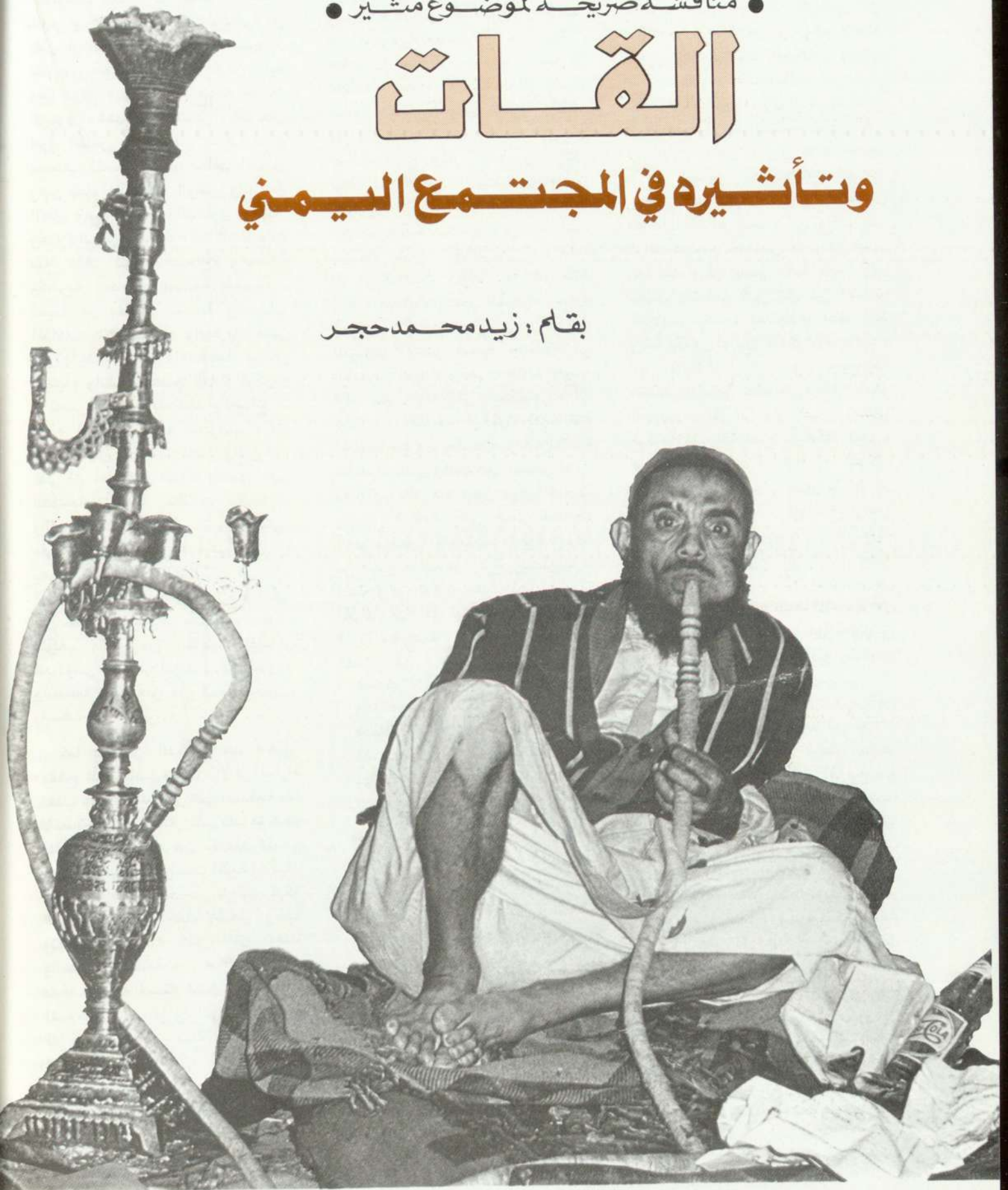
عبد الرزاق البصير ـ الكويت

• مناقشة صريحة لموضوع مثير •

القات

وتأثيره في المجتمع اليمني

بقلم : زيد محمد حجر





حقل من حقول نبات القات

لعل القارىء يدرك أن موضوع القات وأثره على المجتمع له أوجه ومسائل لـم يتناولها البحث العلمي من قبل ومن أهم المسائل التى سنتناولها فى هذه الدراسة الموجزة هي :

ما هو القات .. ؟ أين ينبت .. ؟ وكيف يسوق .. ؟ وما هي أنواعه .. ؟ وما هي مجالس القات .. ؟ وما مفعوله على الجسم .. ؟ وما هو تركيبه الكيمائي .. ؟

وبعد ذلك نطرق الناحية التاريخية ونبحث عن منشأ القات وكيفية دخوله اليمن إلى حين ظهر أدب القات وقبل الختام نستعرض أسباب سيطرة القات على المجتمع اليمني ، وفى النهاية نوضح الخلاف حول الدور السياسي لتشجيع عادة مضغ القات .

والقارىء يدرك ولا شك أن هذا الموضوع له جوانب عديدة ولكننا قد اعتمدنا كثيراً على السير فى منهج البحث حيث توجد كثير من المصادر التى لا يعتمد عليها إذا ما وضعت تحت التحليل التاريخي ونظرالقلتهـــا .

القات نبات يقال له بالانكليزية « كاثا ايدوليس فورسكال » ، ويدعى باسم آخر «شاي العرب» ويسميه اليمنيون «أكسير الحياة».

يزرع فى الهضبة العليا من المناطق اليمنية على ارتفاع ٨٠٠ متر من سطح البحر ويصل طول الشجرة إلى ستة اقدام . وهي شجرة معمرة دائمة الخضرة صيفاً وشتاء . وتتحمل البرد والرياح . كما أن التربة اليمنية ومناخها ملائمة لطبيعة نمو تلك الشجرة ، وتشغل مساحة كبيرة فى المناطق المذكورة سابقاً ، وتبعد كل شجرة عن الأخرى بحوالي ستة أقدام وأحياناً ثمانية أقدام .

ونبات القـات شجرة لا تزهر غالبـاً وأوراقها فاتحة الخضرة وتقطف الأوراق الطازجة وتجمع فى ربط ثم تلف بالأعشاب لكي تحتفظ بطراوتها ونضارتها وتنقل إلى الأسواق . وتوجد أنواع مختلفة تختلف أسماؤ باختلاف المكان الذى تغرس فيه . فهناك قات الوادي ، والظلاعي ، والتعزي ، والصبري ، والبرعي ، والريمي . وأجود أنواع القات هو النوع الظلاعي ، ولاشك أن اليمنيين يحسنون التمييز بين تلك الأصناف .

والقات هو الاداة أو الوسيلة لجمع عدد من الناس فى جلسات لقضاء فترة بعد الظهر ابتداء من الساعة الثالثة ـ تقريباً ـ إلى غروب الشمس وقد وصف نزيه العظم مجلس القات أثناء زيارته إلى صنعاء فى أوائل العقد الرابع ، إلا أن وصفه كان قاصراً ، وسنورد وصفاً آخر لمجلس القات على لسان أحد أبناء اليمن فيقول :

يجتمع عدد من الأصدقاء أو الجيران دون سابق موعد أحياناً فى «مكان نظيف أبيض مفروش بالسجاد ويحيط جميع جدرانه بوسائد قطنية ، ويترك وسط الغرفة خالياً وتتخلل ماضغي القات وسائد صغيرة يتكئون عليها ،

القات

وتأثيره في المجتمع اليمني

وأمام كل شخص يمضغ القات ثلاجة صغيرة مليئة بالمياه المثلجة تنبعث منها ريحة عطرية ، وفى وسط المكان توجد المداعة (الارجيلة) لتداول التدخين أثناء مضغ القات ، وأحياناً توجد بعض المرطبات لشربها مع القات. ويفضل بعض الماضغين للقات تناول قطعة صغيرة من النعنع ليلطف مذاق القات القلوي فى فترات متقطعة والبعض الآخر يفضل شرب قهوة القشر المرسخة بقليل من السكر .

وتبدأ جلسة القات وتنشر ربط القات وتوضع فى وضع منظم داخل منشفة مبللة أو قطعة مشمع صغيرة لتحفظ طراوة القات لتلك الفترة ، وجميع منافذ الهواء فى تلك الغرفة مغلقة خشية الاصابة بالبرد . وتمضغ الجرعة الأولى من أوراق القات الطازجة وتترك الكفته أى الأوراق الخشنة وتمضغ الأخرى . وفى النهاية يصبح أحد خدي ماضغ القات بارزاً عن وضعه الطبيعي بمقدار بوصة . وفى أثناء جلسة القات يشرب (المخزن) ماضغ القات قليلا من الماء لفترات متقطعة لتبليل أوراق القات وسهولة مضغها . ومن خواص القات الميل المتزايد لشرب المياه بصورة غير عادية كما أنه يتخلل مجالس القات بعض النكت الطريفة والقصص الجميلة . وفى مجالس الولائم يتخلل مجالس القات بعض التواشيح الدينية، ويقوم المضيف بوضع العطور على أيدي ما ضغي القات كما تدور فى هذه المجالس مناقشات أدبية وأحياناً تتنوع موضوعاتها من أخبار الساعة الى المشاكل الاقتصادية والاجتماعية .. الخ ويلاحظ فى مجالس القات أنها تضم مجموعة من الناس تنتمي إلى مختلف الطبقات والمكانة الاجتماعية .

ومفعول القات يرجع الى مركباته الكيمائية المكونة من :

الكاتين ـ والكولون ـ وحامض الأمينين ـ وحامض التنيك وبعض الفيتامينات والمواد المعدنية وله خاصة متوسطة بين الكوكائين والأفيون ويصف ماضغ القات مفعوله بأنه فى البداية يجد حدة فى الطعم يجعله فى حالة دوار ويلى ذلك وجود شعور بالتفاؤل حيث تبدو جميع المشاكل سهلة الحل . ويرجع ذلك إلى تولد الكثير من الأفكار والخيال الخصب ويشعر الانسان بتفتح العقل ونشاطه الذى يستمر لمدة ساعتين أو اكثر ، وكذلك تزداد رغبة ماضغ القات أثناء العمل ، ولكن بعد فترة مضغ القات يشعر الماضغ للقات بالبرد فى أطرافه ويميل إلى الصمت وتخيم عليه الكآبة لفترة طويلة من الليل.

وبعد أن استعرضنا بايجاز تعريف القات وخواصه ومجالسه ومفعوله ننقل القاريء الى نقطة أخرى وهي منشأ القات ودخوله الى اليمن .

الموطن الأصلي والظروف الأولى

يرجح كثير من المؤرخين الذين كتبوا عن القات أن موطنه الأصلي هو الحبشة ويعود فضل اكتشافه الى الأسطورة القائلة : فى أحد الأيام لاحظ أحد رعاة الماعز أن إحداها يزداد نشاطها دون سبب ظاهر وأنها تأخذ فى القفز والجري بصورة طبيعية . وأخذ يدرس هذه الظاهرة . واكتشف أن العنزة يبدو عليها النشاط بعد تناولها وجبة من أوراق هذا النبات . وقد جرب الراعي أوراقه فوجد أنه يصبح منطلقاً بعد تناوله . وسارع بالرجوع الى بلدته وكان أول من لقيه بعد ذلك أحد الشعراء فشاركه اكتشافه ومضى الشاعر الى التلال فأيقن من صدق رواية الراعي بعد أن جرب أوراق النبات بنفسه .

وأما حادثة تاريخ دخول القات إلى اليمن فأغلب الظن أنه دخل مع حملة الحبشة على اليمن فى عام ٥٢٥ ميلادية .

وهناك قصة أخرى لطيفة عن اكتشاف القات ودخوله الى اليمن . تقول القصة : أن الذى أدخل القات إلى اليمن متصوف حضرمي يدعى ابراهيم أبو زربين .. سافر الى بلاد الحبشة .. وفى يوم من الأيام فى أثناء تجوله رأى قطيعاً من الماعز مستسلماً لنوم عميق وفى فم كل شاة بقايا ورق أخضر من أشجار مجاورة . فجرب الشيخ ابراهيم هذا النبات وكان هو القات فاستعذبه وقرر نقله إلى بلاده . وفيه يقول الشاعر :

أمس يجمع منه
حتى تملى الجراب
مشى يحدث عنه
وفي الحديث الصواب
فصدقوه وذاقوا
من مثله واستطابوا

ولكننا نرى أنه إذا وضعت تلكما الحادثتان تحت مجهر الفحص التاريخي فاننا لا نجد أثراً فى المصادر الأصلية والنقوش أو غير ذلك .. ولعل ذلك راجع إلى الاهتمام بالقات واقتصار همة الباحثين للبحث عن خواصه وتأثيراته الصحية دون أن يبذلوا الجهد الكبير فى تقصي موطنه وتاريخ انتشاره .

وأول اشارة تاريخية كتبت عن القات ، جاءت فى الموسوعة المسماة «مسالك الأبصار» لابن فضل الله العمري (١٣٠١ ـ ١٣٤٨) الذى نشر مجلده الأول عام ١٩٢٠ . وتوجد وصفة طبية عن القات فى كتاب الأفرباذين «العقاقير المركبة» نسخت تلك الوصفة الطبية من ذلك المخطوط الفريد السابق الذكر عام ١٢٣٧م للمؤلف نجيب السمرقندي .

وإذا سلمنا بحادثة دخول القات الي اليمن التى سبق الكلام عنها عن طريق الشيخ ابراهيم أبو زربين الحضرمي المتصوف فى بداية القرن السادس الميلادى فان احتمال زراعته كانت فى المناطق المرتفعة وأغلب الظن أن موطنه



قاعة المجلس فى بيت يمني

الأول فى اليمن كان فى لواء اب .

ويبدو أن ظروف البلاد فى تلك الحقبة التاريخية لم تساعد على انتشار القات لصعوبة المواصلات وغير ذلك مما حالت دون انتشاره،وكما هو معروف أن أية ظاهرة اجتماعية كالقات لابد لها من فترة تطول أو تقصر إلى أن يطمئن الناس اليها ويبدأ المجتمع فى تداولها واستعمالها وقد بدأ استعمال القات قديماً كمشروب قبل أن تصبح عادة مضغه هى السائدة .

فى مدح القات

ونعتقد أن استعمال القات فى عصر الأمام شرف الدين ـ أي قبل أربعمائة سنة ـ قد بلغ شأناً عظيماً فى نفوس أبناء اليمن . والقصيدة الآتية تبين روعة أدب القات وإلى أي حد وصل إليه فى تلك الفترة . وهي تؤكد لنا أيضاً أن القات قد ظهر فى اليمن قبل هذا العصر (أي قبل فترة الامام شرف الدين) . غير أن تحديد مكان وزمان ظهور القات غير معروفة وفى حاجة إلى همة الباحثين التاريخيين*. والقصيدة هذه للعلامة عبد الله بن الامام شرف الدين يمدح القات ويبين فيها إلى أي حد بلغ نفوس الناس :

أدر غصون يواقيت من القات
زبر جديات أوراق وريقات
يجلو تناوله قلبي ورؤيته
طرفي وتجلو به حالي وأوقاتي
قلوبه تحمل الاسرار تودعها
قلوبنا ثم تسري فى السريرات
براج معراج قلبي حين يصعده
جزيل قلبي إلى أعلا سماواتي
زيتونة زيتها الأضوا بها اتقدت
فتيلة النور فى مصباح مشكاتي
كل المرادات فيه جمعت فلذا
توجهت نحوه كل الارادات
لين القدود وتلوين الخدود وتنعيم
الورود ولذات المذاقات
كله لما شئت من دنيا وآخره
وجلب نفع ودفع للمضرات
وأكله منه قال الراشدون بها
تنوير سر اعتكاف الأربعينات
فما أردت ارتقاء فى سما نظري
في الكون إلا جعلت القات مرقاتي

وفى هذه الحقبة من التاريخ تبين القصيدة السابقة للقاريء مميزات القات التى كان الناس يعتقدون بفوائد شجرة القات وتاثيراتها الصوفية وجدال فقهاء الدين حول تحليله وتحريمه وهذا الجدل بلاشك قد لعب دوراً فكرياً كبيراً وبلغت شجرة القات من نفوسهم مرتبة التقدير والاجلال كما يصوره الشاعر على بن الامام شرف الدين فى القرن العاشر للهجرة .

ولابد من النظرة الفاحصة لأسباب سيطرة القات على المجتمع اليمني كظاهرة فريدة لتزيد القاريء توضيحاً بأن أية هيئة رسمية بيدها القوة على تصريف الأمور لا تستطيع أن تقوم فى ليلة وضحاها بمنع القات لما يعتقده الكثيرون من آثاره السلبية أو الايجابية فى المجتمع اليمني . فالقات يكاد أن يكون مؤسسة اجتماعية فرضتها ظروف كثيرة ، قد يكون من أبرزها عزلة اليمن عن العالم الخارجي واحتفاظه بعادات فريدة فرضت عليه منذ زمن بعيد . ويمكن القول أيضاً بانه نتيجة لتلك العزلة الطويلة التى عاشتها اليمن لم تجد فرصة للتبادل التجاري مع العالم لتؤمن لمحاصيلها الزراعية الفائضة عن حاجتها سوقاً تجارية . فكان للقات

القات

وتأثيره في المجتمع اليمني

مجال واسع للزراعة على حساب المحاصيل الأخرى المربحة والتى تناسبها الظروف المناخية ونوعية التربة كالبن مثلا .

ونتيجة أخرى للعزلة أثرت لسيطرة القات على المجتمع اليمني بأنه ظل منغلقاً على نفسه غير متطلع إلى مجالات الحياة الواسعة الأخرى وغير واقف على ما توصل إليه العالم من أسباب لتحسين مستواه الاقتصادى والاجتماعي . وبحكم تكوين المجتمع اليمني القبلي العشائري فقد وجدت نزعة التجمعات الحذرة المتحفزة للصراع، كما أثر ذلك بالنسبة لسكان المدن الذين تعرضوا لغزوات كبيرة من قبل القبائل المغيرة الطامعة إلى ما فى المدينة من خيرات حرموا منها ، وقد يكون هذا الأثر ذا طابع نفسي (سيكلوجي) هيأ للقات مناخاً لأولئك المجتمعين المترقبين لأي حادث يطرأ بصفته الملهاة البريئة الوحيدة فى نظر المجتمع لتقضية مثل تلك الأوقات الحرجة . فعدم الاستقرار قد ساهم مساهمة كبيرة فى غرس مثل هذه العادة . وقد يكون من المفيد شرح هذه النقطة لأهميتها . فسلوك المجتمع المحافظ الذى تحكمه القوانين الدينية لم تترك للفرد اللجوء إلى وسائل أخرى مثل المسكرات وغيرها فى حالات اليأس والخوف مثلما يجري فى مجتمعات أخرى غير مقيدة بمثل هذه القيم .

تلك هي لمحة موجزة للظروف الأولى التى وجد فيها القات بيئة صالحة لزيادة تناوله .

ومازالت هذه العادة تقوى مع مرور الزمن ، وتعزز فى نفوس الناس بمفاهيم قد تشابه أسباب انتشار تلك العادة فى مراحلها الأولى مع أخذها مسوغات جديدة كما يظهر فى الاجابات الآتية التى حصل عليها أحد المهتمين بدراسة عادة مضغ القات من فريق قام بتقديم اسئلة حول الأسباب التى دفعت أفراده لتناول القات :

أجابت الفئة الأولى وتمثل ٤٩٪ بأن القات يعطي القوة والنشاط .

وأجابت الفئة الثانية وتمثل ٢٠٪ بأنها تمضغ القات لقضاء الوقت والهروب من الملل .

وأجابت الفئة الثالثة وتمثل ١١٪ بأن مضغ القات هو الطريقة الوحيدة للاجتماع .

وأجابت الفئة الرابعة وتمثل ٥٪ أنها تمضغ القات لتتجنب النوم بعد الظهر .

وأجابت الفئة الخامسة وتمثل ٥٪ انها تمضغ القات لأنه يعطيها راحة وسعادة .

وأجابت الفئة السادسة وتمثل ٤٪ أنها تمضغ القات لأنه يلهم الانسان ليعمل عملا جيداً .

وأجابت الفئة السابعة وتمثل ٣٪ انها تمضغ القات لأنه يهدىء الأعصاب

وأجابت الفئة الثامنة وتمثل ١٪ انها تمضغ القات لأنه ليس محرماً كالحشيش وغيره .

وأجابت الفئة التاسعة وتمثل ٢٪ انها تمضغ القات ولا تعطى أسباباً لماذا تمضغ القات .

وقد قمنا بمسح لبعض مجالس القات فى صنعاء ووجدنا تقارباً كبيراً للأسباب والدوافع المشار إليها سابقاً .

القات .. سياسياً

وإذا أتينا الى موضوع الدور السياسي لتأسيس القات فى المجتمع نصادف رأيين متعارضين أحدهما يرى أن عهد الامامة قد شجع انتشار هذه العادة فى المجتمع اليمني ليتسنى له الحكم بمصيره ومقدراته ، وليشغله عن التفكير فى محاولته التغيير والثورة . ويرى الفريق الآخر أنه ليس للقات أثر سلبي إن لم يكن ايجابياً على نشاط الحركة الوطنية منذ ظهور القات ونورد لكل من الفريقين رأيه حول هذا الموضوع .

● يرى الفريق الأول من الذين عاصروا حكم الامامة «يحيى وأحمد» أن القات هو أفيون الشعب اليمني ودليله (أي هذا الفريق) أنه كان يشجع من قبل السلطة الحاكمة فى البلاد منذ زمن طويل ولأنه يقلل من إحداث الشغب والمنازعات التى قد تؤدى فى النهاية إلى قلب السلطة ، ولأن الفراغ الكبير سيؤدى فى النهاية الى تزايد الغضب واشتداد المطالبة بتغيير الواقع المعاش حينذاك الى مستقبل أفضل ، وقد كان الامام أحمد يطارد الذين يحاربون القات بل ان هذا الفريق من الناس يرى أن القات يسيطر على تفكير الفرد فى كيفية الحصول عليه وقضاء الوقت الثمين الذى هو فى حاجة ماسة له لرفع مستواه الاقتصادي والاجتماعي .. الخ

وهذا الفريق يعتبر القات مصيبة وكارثة وبلية أصابت اليمن وعاقت نموه وتطوره ، وكانت ترى هذه الفئة من الناس أن أية مهاجمة للقات هو بمثابة متنفس لها ، ولكنها أصيبت بخيبة الأمل لتلك الحجج التى سردها الامام يحيى فى قصيدته المشهورة وقد وجدت حينذاك كثيرا من المؤيدين فى تلك الفترة للرد على قسطنطين الذى زار اليمن مع أمين الريحاني :

وللثغور صباغ
زمردي مذاب
أحسن بثغر مليح
له المذاب رضاب
ياما احيلاه ظلما
تشفي به الأحباب
وللنفوس مريح
وللنشاط انجذاب
ويشحذ الفكر حتى
يخاف منه التهاب
ويطرد النوم عمن
له الجليس كتاب

أما الذى قاله قسطنطين فهو سراب :

أليس مُرّهُ جاوزَ الحد
أكلُه والشرابْ
يكون عرضة حصر
ويعتريه اكتئابْ
والأكل والشرب مالا
به الكرام تعابْ
وإنما العيب إسراف

منه يبدو العجـــابْ
هـذا الملغـق يا قسطنطين
منـــا الجـــوابْ
يهـدى اليـك عليـه
مـن الحيـاة ثقـابْ
لأنـه ليـس كفـؤا
للـدر وهـو تـرابْ
فاستر ملغـق يمحـى
فالستـر فيـه ثـراب

● وأما الفريق الآخر من الناس فيرى أن مجالس القات كانت فى المدينة تمثل الخلايا الأولى لتطوير الفكر السياسي حسب مفهوم ذلك الوقت ومحاولة تغيير الواقع إلى الأفضل فتعززت تلك الروابط وأصبحت مفاهيم مجتمع جلسات القات قريبة من بعضها ، ونتج من تلك الاجتماعات أحاسيس موحدة وآمال مشتركة لتغيير الواقع المعاش آنذاك .

ويقول هذا الفريق أنه إذا أمعنا النظر الى تاريخ الثورات اليمنية نجد أن النواة الأولى كانت بدورها مجالس القات التى زادت أحاسيسها وآلامها الشديدة وآمالها فى تغيير ذلك الواقع إلى الأفضل . فمثلا ثورة ٤٨ كانت من مجتمعات القات . وكذلك ثورة الثلاثاء .

ويذهب هذا الفريق أكثر من ذلك لينفى بأن القات هو أفيون الشعب اليمني . فالقات ليس له التاثير الجسمي والفكرى الذى يصاب به مدمن الأفيون والحشيش . ودليلها أن الشعب اليمني هو من أنشط المجتمعات العربية المجاورة وطاقته الانتاجية تفوق كثيرا من إنتاج متوسط الانتاجية لعمال البلدان المجاورة ، يذكر ذلك كثير من خبراء الأمم المتحدة . وأن أسباب التخلف هو الفراغ والعزلة وعدم وجود المصادر الطبيعية الغنية فى البلاد . فهذه الأسباب لم تتح للمجتمع فرص العمل والحياة فى رغد وسعة . وكما ذكر سابقاً بأن الشعب اليمني قد قدم الكثير من التضحيات فى سبيل الخروج من النظام القائم فى تلك الفترات وكانت منطلقاتها مجالس القات البريئة . وتسترسل هذه الفئة من الناس فتقول :

إن إمكانات البلاد محدودة بل إن موقعها الاستراتيجي (اليمن الشمالية) لم يجعلها تدخل ضمن البلدان التى تطمع فيها الدول الكبرى لتصبح ضمن إطار مناطق نفوذها . فهي أي اليمن لم تحتك بدول أخرى تكسب من حضارتها لكي يستطيع أن يتطور فى مجالات عديدة كان يأمل ويحلم بها .

أخيراً ترى هذه الفئة أنه لم يكن للقات الأثر الكبير فى محاولات الشعب اليمني للتخلص من الأنظمة السياسية منـذ ظهـور القـات ، ولـم يكـن عائقـاً للشعـب اليمـني أمـام مقاومتـه للاحتـلال التركي . فالشعـب اليمني ممثل فى مقاومته القوية كان يدافع بكل امكانياته أمام الجيش التركي المدجج بالسلاح وغير ذلك من الوسائل الحربية التى تضمن له النصر

وأخيـــراً ..

من كل ما تقدم نرى أن عادة مضغ القات هي ملهاة مضرة ولكنها ليست بالصورة التى يعتقدها كثير من المحاربين لهذه العادة . وسنزول فى نظرنا بزوال الأسباب والظروف التى أدت الى نشأتها . فنحن نرى أن كثيرا من الشباب اليمني يميل الى ترك مثل هذه العادة بسبب انعدام الفراغ ووجود الأعمال التى تشغل كل وقته ، ولانفتاح اليمن على العالم الخارجي ، وتحطيم العزلة التى عاشها وللاستقرار الذى بدأ ينعم به لوجود الملاهي البريئة التى يرى فيها الشباب متنفساً لقضاء أوقات فراغـه كالسينما والنوادى الرياضية والتليفزيون . والوقت كفيل بالقضاء على مثل هذه العادة . ونرى أن فى التوصيات الآتية فائدة كبيرة مساعدة للقضاء على مثل هذه العادة تدريجياً :

● على الحكومة أن تفرض ضريبة تصاعدية على البائع .
● فتح وتشجيع النوادي الرياضية
● تشجيع المزارعين على زراعة المحاصيل المربحة مثل البن ومحاولة ايجاد أسواق لها .
● منع موظفى المؤسسات الرسمية وغيرها من مضغ القات أثناء الدوام .
● منع رواد السينما والنوادي الرياضية من مضغ القات
● التوجيه والحملات الاعلامية المنظمة .

زيد محمد حجر

سكرتير اول سفارة الجمهورية العربية اليمنية بدولة قطـر .

ملاحظة :

● لقد تم اعداد البحث قبل صدور قرار مجلس الوزراء بمنع مضغ القات ، ونامل استكماله فى المستقبل من الناحية الاقتصادية ،

المراجـــع :

(١) نزيه العظم : رحلة فى بلاد العربية السعيدة من صنعاء إلى مصر ـ ص ٦٣ .
(٢) هانز هولفريستر : اليمن من الباب الخلفى ـ ص ٩٩ .
(٣) محمد سعيد العطار : التخلف الاقتصادى والاجتماعى فى اليمن ص ١٣٩ ـ ١٤٠ .
(٤) المصدر السابق والصفحات .
(٥) نفس المصدر ص ١٤٠ .
(٦) هانز هولفريستر : اليمن من الباب الخلفى ـ ص ١٠١ .
(٧) سليم الزبال : مجلة العربى الكويتية عدد ١٤٨ ـ ص ١٠٢ ـ ١٠٣ .
(٨) أمين محمد سعيد : ملوك المسلمين للعاصرين ودولهم ج/١ ص ١٧٠ ـ ١٧١ .

REFERENCES:

1. AKIL, A.E. : COMMUNITY PEOPLE OF HOJJORYYA Y.A.R., A.U.B.,1971 P. 128.

2. LOUGMAN, F.M.: YEMEN 1970, ADEN, P. 150

3. AI-ATTAS, O.M.: FINAL REPORT ON UNITED NATIONS FEL. AT THE UNITED NATIONS NARCOTICS LAB., GENEVE, G71/13930.

4. DR. EL MABI,T. : A PRELIMINARY STUDY ON KHAT " CATHA EDULIS FORSKAL" WHO, MARCH 1962, EM/MENT/29/4.



لم يمنعه اداء العمل من « التقييت »

قـــالوا هـــذا الشهـــر...

● لي معارف كثيرة فـي جميع الدول العربيـة .. حتى فى دول الرفـض لي أصدقـاء ، ومـن جانبي أحس بأن الموقـف بين مصـر وبين العالم العربي أفضل ، خاصة وإننى أقفلـت سجـل الهجـوم الاعـلامي ضـد العـرب نهائياً ، وحتى لو هاجمني البعض فاني أشعر بأن قلوبهم معنـا .

الرئيس المصري حسني مبـارك

● سأقاتل بكل ما تبقى من عمـري إلى جوار الرئيس حسني مبارك .

د. يوسف إدريس

● اسرائيل جزء من الغرب ، ولذلك فانها مثل الغرب تماماً تهتم بأمرين أساسيين : الاعلام المنظم والعلمي ، والمخابرات المنظمة والعلمية .

د. محمد الرميحي

● إن الحريق العربي إذا اشتعـل فسيكون غير قابل للاخمـاد ولا بواسطة مائة قوة من قوات التدخل السريـع ذات القيمة المسرحيـة فقط .

أحمد بهاء الدين

● الطلبة العرب فى انجلترا هم أقل الطلبة الأجانب زواجاً من فتيات انجليزيات أثناء دراستهم الجامعية أو بعدها . كما أن الطلبة العرب هم أقل نسبة من الطلبة الأجانب الذين يعيشون مع زوجاتهم داخل الحرم الجامعي .

« جريدة الشرق الأوسط »

● إن مشروع السلام السعودى المؤلف من ثماني نقاط قـد صيغ بأسلوب « محـنك » ولكنه يهدف فى الحقيقة للقضاء على اسرائيل تدريجياً .

« مناحيم بيجن »

● لقد برهنت اسرائيل برفضها مشروع السلام السعودي أنها لا تريد السلام بل على العكس من ذلك تريد حلولا استسلاميـة .

محمد عبده يماني
وزير الاعلام السعودي

● إن محاولة نزع صفحات البطولة من تاريخ أية أمة ينزع قلب الأمة ويمزق روحهـا ولا يبقى منها إلا السلبيات .

أحمد بهاء الدين

● على رأي أنطون تشيكوف نحن بحاجة إلى كاتب لكل ألف إنسان . والمفروض أن يكون فى بلد مثل مصـر ٤٢ ألف كاتب ومع ذلك إذا اقتربنا من الواقع سنجد أن الكتاب الموجودين وينشرون فعلا لا يتعدون ٤٠ كاتباً فقط .

د . يوسف إدريس

● أزمة النقد الأدبي عندنا هي جزء من المأزق العربي العام فى الفكر والسياسة والاجتماع والاقتصاد .

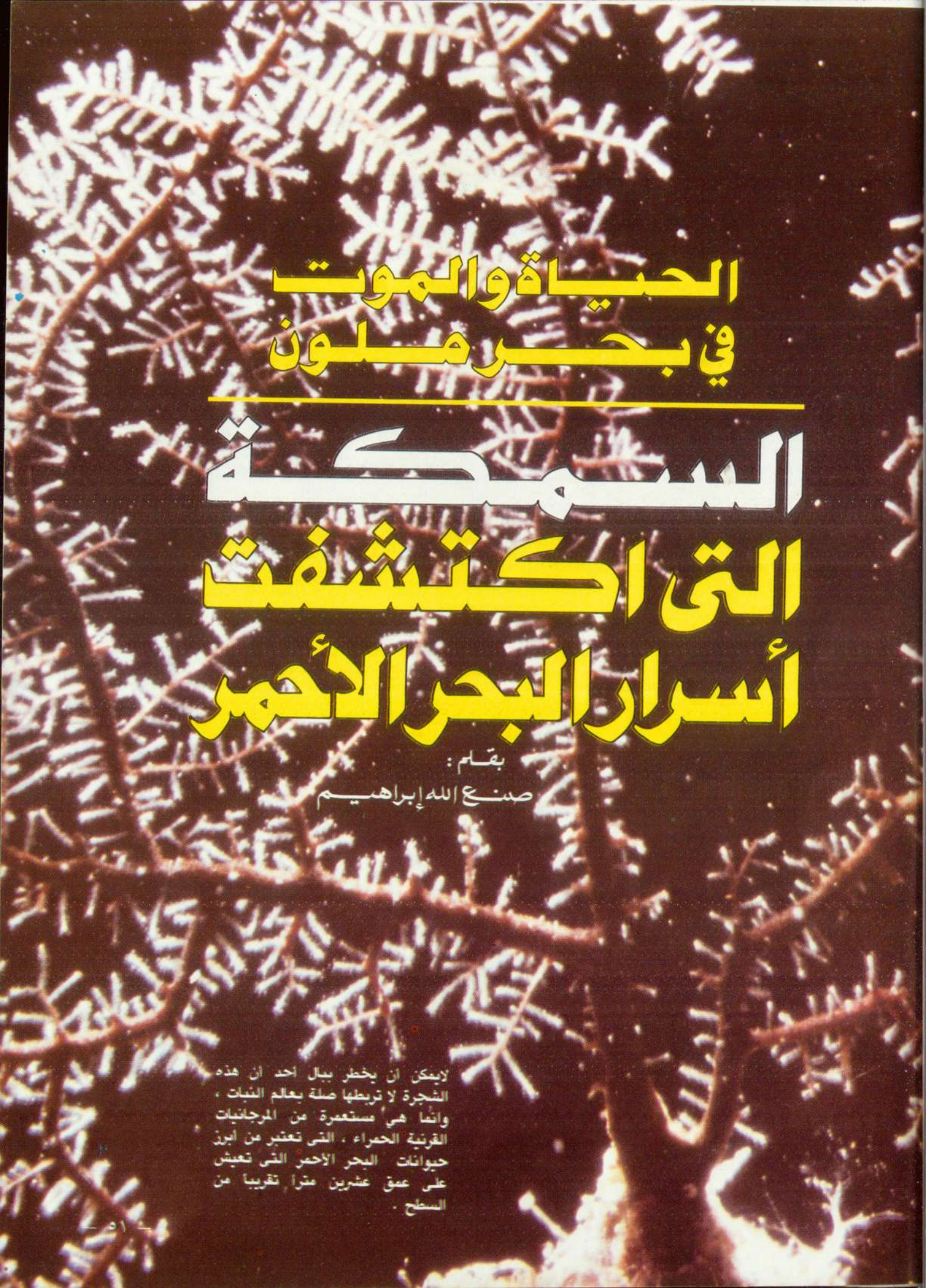
محمد على شمس الدين

● السينما العربية تمر بحالة اكتئـاب نفسي !

المخرج السينمائي
حسين كمال

● إن معاملـة اسرائيـل لأهل الضفة الغربية تشبه معاملة النازية لليهـود .

لورد كارينجتون
وزير الخارجية البريطانيـة



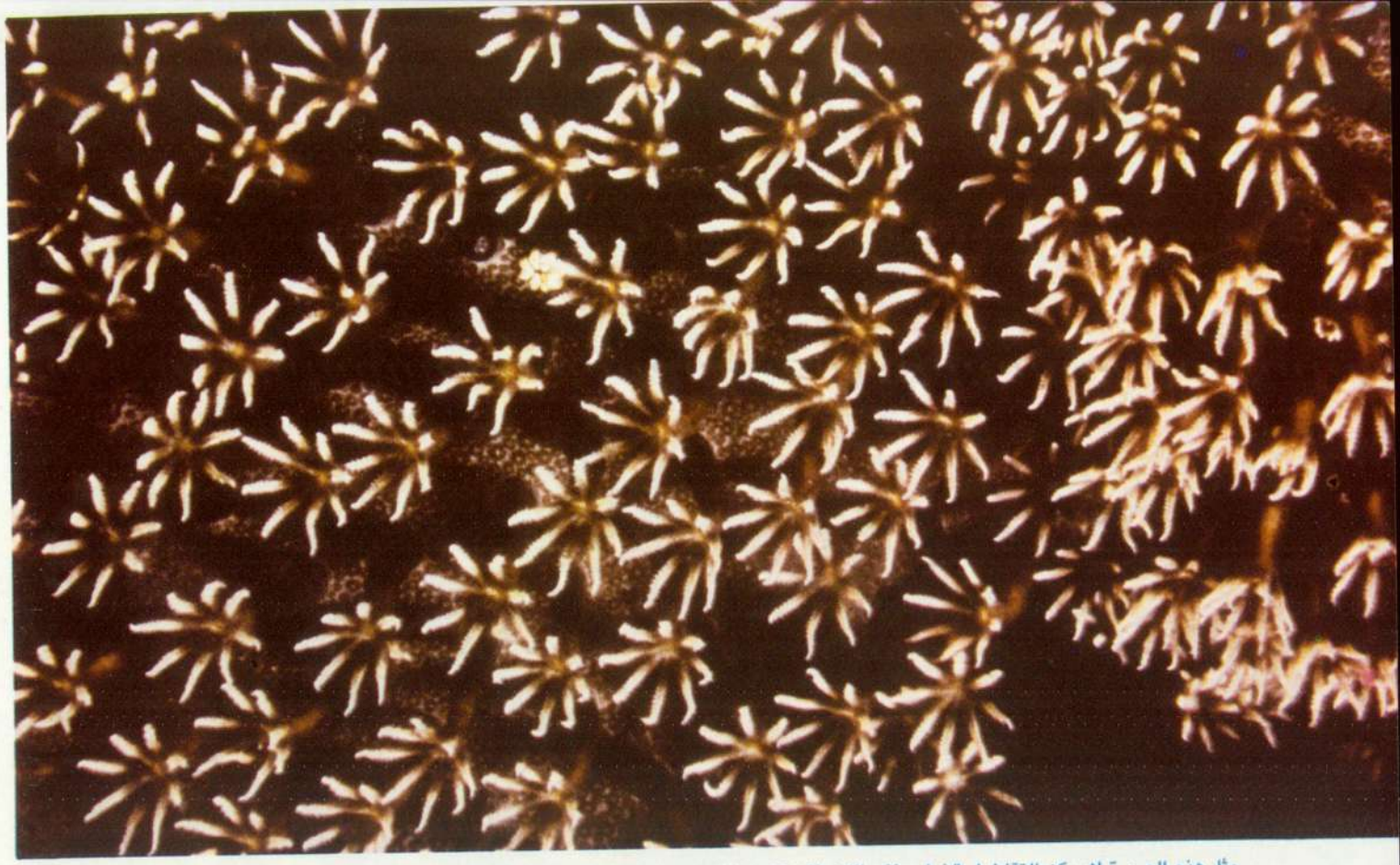
الحياة والموت في بحر ملون

السمكة التى اكتشفت أسرار البحر الأحمر

بقلم :

صنع الله إبراهيم

لايمكن أن يخطر ببال أحد أن هذه الشجرة لا تربطها صلة بعالم النبات ، وانما هي مستعمرة من المرجانيات القرنية الحمراء ، التى تعتبر من أبرز حيوانات البحر الأحمر التى تعيش على عمق عشرين متراً تقريباً من السطح .



مثل هذه الصورة لا يمكن التقاطها بالنهار . ففى الليل فقط تتمدد البوليبات المرجانية (تظهر بوضوح الى يمين الصورة) ، وتنبسط لوامسها التى تبدو كبتلات الزهور ، وتنشط لتتصيد الكائنات الدقيقة الهائمة .

الحياة والموت في بحر ملون

السمكة التى اكتشفت أسرار البحر الأحمر

ليس بوسع أحد أن يجزم بشأن جذور السلوك الذى انفردت به سمكة «أبو دقن» الصغيرة رقم ٢٩٩٩ .

فما اتسمت به هذه السمكة بالذات من طباع ، لا يعتبر من خصائص النوع كله، الذى ينتشر بين الشعاب المرجانية فى البحر الأحمر ، ويكتسي أفراده لونا أصفر يتحول الى الوردى إذا ما توغلت السمكة فى الأعماق ، كما يتميزون برؤوسهم المسحوبة على شكل رأس العنزة ، وبالزائدتين اللتين مثل اللحية من مقدمة الفك السفلي لكل منها .

ومن ناحية أخرى ، فان التجارب القليلة التى مرت بها منذ تحولها من بيضة الى سمكة بالغة ، لا يمكن أن تكون وحدها المسئولة عن تميزها بطباع خاصة عن آلاف غيرها من أبناء وبنات نفس الأم والأب . فهي تجارب مشتركة ، تتعرض لها أغلب الأسماك الصغيرة .

ولعل من الأوفق القول بأن البيضة التى وضعتها «أم دقن» الأم فى شق بين الشعاب ، داخل شريط طوله عدة أقدام يحتوى على ٤٩,٩٩٩ بيضة ، تشكلت المواد المكونة لخلاياها بنسب معينة ، جعلتها تستجيب بصورة معينة لما تعرضت له من مواقف مفعمة بالأخطار !

أول وجبة

وقد تلاحقت هذه الأخطار من الوهلة الأولى .

فلم تمض دقائق على وضع البيض ، حتى جرفت المياه عدة آلاف منه ، انضمت الى مجتمع الكائنات الدقيقة الهائمة ، تصعد وتهبط معها فى حركتها اليومية التى تنظمها حركة الشمس .

وبين عدة ملايين بيضة من نفس النوع ، قضت البيضة رقم ٢٩٩٩ عشرة أيام من الحياة الحرة ، متخبطة هنا وهناك ، مفلتة بمعجزات حقيقية من عمليات الافتراس التى أودت بعدة آلاف من أخواتها .

وخلال ذلك تكونت السمكة الصغيرة داخل كيس المح ، الذى أبقاها طافية فوق ظهرها ، الى أن اكتمل نموها ، فانكمش الكيس وتقلص ثم انفصل . وعندئذ استطاعت السمكة الصغيرة التى لا يتجاوز طولها سنتيمترين أن تعتدل لتستقر ببطنها فوق المياه ، فى الوضع الذى سيرافقها حتى النهاية .

وعلى الفور انفرج فمها ثم انغلق ، مبتلعاً المياه فى بحث غريزى عن الأوكسجين اللازم للتنفس . فقد مرت المياه فوق صفوف من خيوط تحتوي على



احد أنواع الأسماك الهلامية وهي من أقارب البوليبات المرجانية .

لقطة نادرة لمجموعة من البوليبات المرجانية وقد بدت مثل باقة من الزهور. وترجع ألوانها الزاهية الى تاثير النباتات الدقيقة التى تعيش داخل الكؤوس المرجانية . وتبدو فى الصورة أفواه البوليبات وقد أحاطت بها اللوامس المتمددة .

شعيرات دموية ، امتصت الأوكسجين الذائب فيها ثم شحنتها بما لديها من ثاني أوكسيد الكربون . واتجهت المياه مباشرة الى فتحتين مغلقتين على جانبي السمكة هما فتحتا الخياشيم . فما إن بلغتهما حتى ارتفع الغطاء العظمي لكل منهما ، سامحاً للمياه بالعودة الى البحر

أحدثت هذه الحركات البسيطة تموجات خفيفة للغاية وسط المياه المحيطة بالسمكة ، ضغطت عليها ، فتطلبت منها ضغطاً مضاداً . هكذا بذلت ٢٩٩٩ أول محاولة لتحريك عضلاتها وزعانفها ، فعامت .

وفى الحال تبينت أنه لابد من دفع المياه .. وأنها لهذا يجب أن تتلوى يساراً ويميناً الى الأمام كالأفعى ، فتزيح المياه جانباً برأسها وانثناءة جسدها وذيلها المرن ، وتوجهها الى الخلف ، حيث



يعيش هذا الدود داخل أنابيب جيرية من افرازاته ، بينما يلتقط طعامه ويتنفس بواسطة لوامس مروحية يمكن سحبها داخل الأنابيب عند أي خطر

تتجمع عند الذيل ، ضاغطة على جسدها ، دافعة إياه إلى الأمام .

لكن الزعنفات البارزة من ظهرها ، وجوانبها كانت أضعف من أن تواجه تيارات الماء ، فكفت عن محاولة الحركة ، وتركت نفسها للماء ، فطفت قريباً من سطحه بين جيرانها من سكان مجتمع الكائنات الدقيقة .

وجعلها المجهود تشعر بالجوع . ولم تجد أية صعوبة فى العثور على ما يؤكل. فالمياه الجارية فى فمها فوق خياشيمها ، حاشدة بالنباتات وحيدة الخلية – وهي الطحالب المسماه بالدياتومات – وباعداد غفيرة من بيض الأسماك الأخرى والقواقع والقشريات . وقد قامت مصفاه خاصة تقع قرب البلعوم ، باحتجاز هذه الكائنات الدقيقة ومنعها من الانسياب الى الخارج . وسرعان ما انزلقت الى معدة السمكة .

طعم الدماء

كان الطعام متوفراً للغاية ، لا يتطلب من السمكة ٢٩٩٩ سوى جهد الالتقاط .

لكن المائدة الحافلة حوت ، بالاضافة الى الطحالب الدقيقة ، يرقات شفافة وجمبريات صغيرة ، وقشريات غيرها فى حجم البرغوث .

وكان ثمة جاذبية خاصة فى هذه القشريات ، بسبب أجسامها المستديرة وسيقانها الشبيهة بالمجاذيف ، التى تخفق فى ارتعاشات متتابعة أثارت اهتمام السمكة الصغيرة وفضولها . وكان لها مذاق متميز رائع .

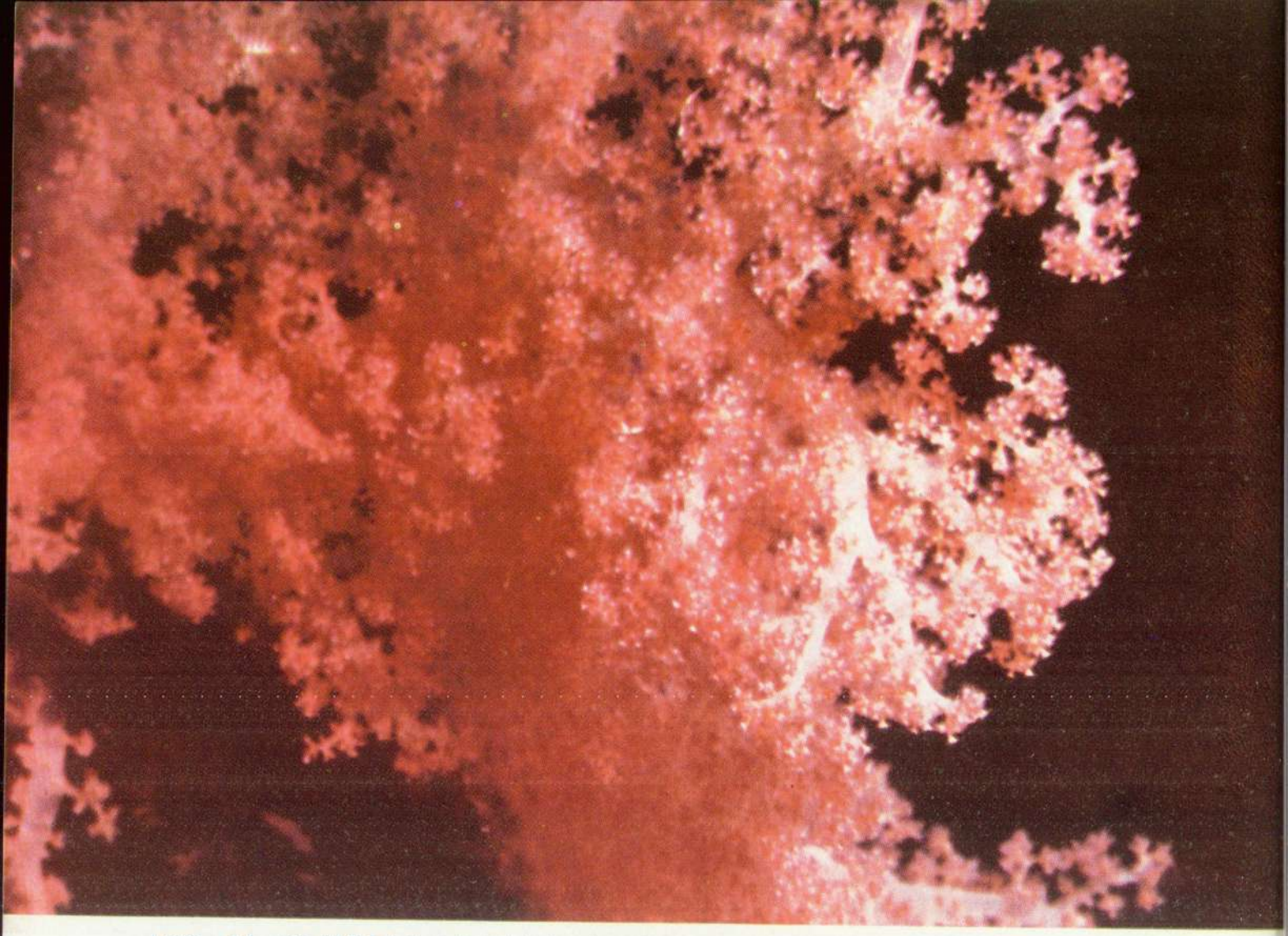
ونسارع بالقول ان السمك لا يملك حاسة للذوق بالمعنى الانسانى ، وإنما تنتشر براعم التذوق الدقيقة على الرأس والجسد الخارجى والذيل والزعانف ، فتميز بين أنواع الاطعمة من قبل أن يبتلعها الفم .

كانت القشريات اللذيذة ، دائبة الحركة ، واضطرت السمكة ٢٩٩٩ لأن تندفع خلفها . وبالتدريج اكتشفت أنها لو حركت زعنفتيها الصدريتين قليلا أمكنها أن تتقدم الى الأمام ، وإذا مدتهما فى زاوية قائمة مع جسدها توقفت فجأة . وأن الزعنفة البطنية هى التى تساعدها على الانثناء فى الماء ، وكل من الزعنفتين الظهرية والحوضية أو الشرجية ، تحميها من التعرج أثناء العوم .

وتتابعت الاكتشافات المثيرة .

فثمة كيس بداخلها ، اذا امتلأ بالهواء ثقل جسدها وغاصت الى أسفل ، واذا خف صعدت .

وعلى جانب جسدها خط من الخلايا الحساسة ، القادرة على التقاط أدق الذبذبات البعيدة فى الماء ، والتمييز – بالتعاون مع الخياشيم – بين درجات



مستعمرة كبيرة بعض الشيء من المرجان اللين . وتظهر الفروع البيضاء للمستعمرة يمين الصورة ومنها تدلت البوليبات الدقيقة التى تنتهي بلوامس كالأهداب .

الملوحة والحرارة ، والأماكن المختلفة بالتالى .

ولم تقتصر اكتشافاتها على امكانيات جسدها وأعضاء مجتمع الكائنات الدقيقة ، فسرعان ما تعرفت على سكان البحر الكبار .

فقد اندفعت تطارد جمبرية صغيرة ، عندما ألفت نفسها وجهاً لوجه أمام كائن ضخم ، تخطف ألوانه البصر .

وما بدا لها كائناً ضخماً ، لم يكن سوى واحد من سمك الصندوق الذى ينفرد بين أسماك الشعاب المرجانية بهيكل عظمى على هيئة الصندوق يحيط بكل جسمه ، ويكبله بحيث لا يسمح بالحركة إلا للزعانف وقاعدة الذيل .

كان ثمة ما يبعث على الخوف فى فم الصندوق الذى انفرج كاشفاً عن عشر أسنان فى كل فك . لكن السمكة ٢٩٩٩ لم تفكر فى الابتعاد ، وأوشكت أن تنزلق بين فكى الصندوق لولا أن حملته موجة قوية مفاجئة بعيداً .

وتلاحقت الأحداث بسرعة .

فقد ألفت السمكة ٢٩٩٩ نفسها محاطة بسحابة كثيفة من الحيوان القشرى شبيه الجمبرى الذى يعرف باسم الروبيان ويتميز بعيونه الكبيرة . ولم يكن الروبيان يتغذى على الكائنات الدقيقة ، ولا كان طافياً فى طمأنينة ودعة ، وإنما كان يندفع الى الامام بأقصى ما يملك من سرعة مستعيناً بأرجله السابحة التى تفلطحت وتحولت الى شفرات مجاذيف ، هرباً من الأفواه الفاغرة لفوج من أسماك الرنجة الجائعة وبعضه كان يقفز خارج الماء فتتلقفه طيور النورس المنتظرة .

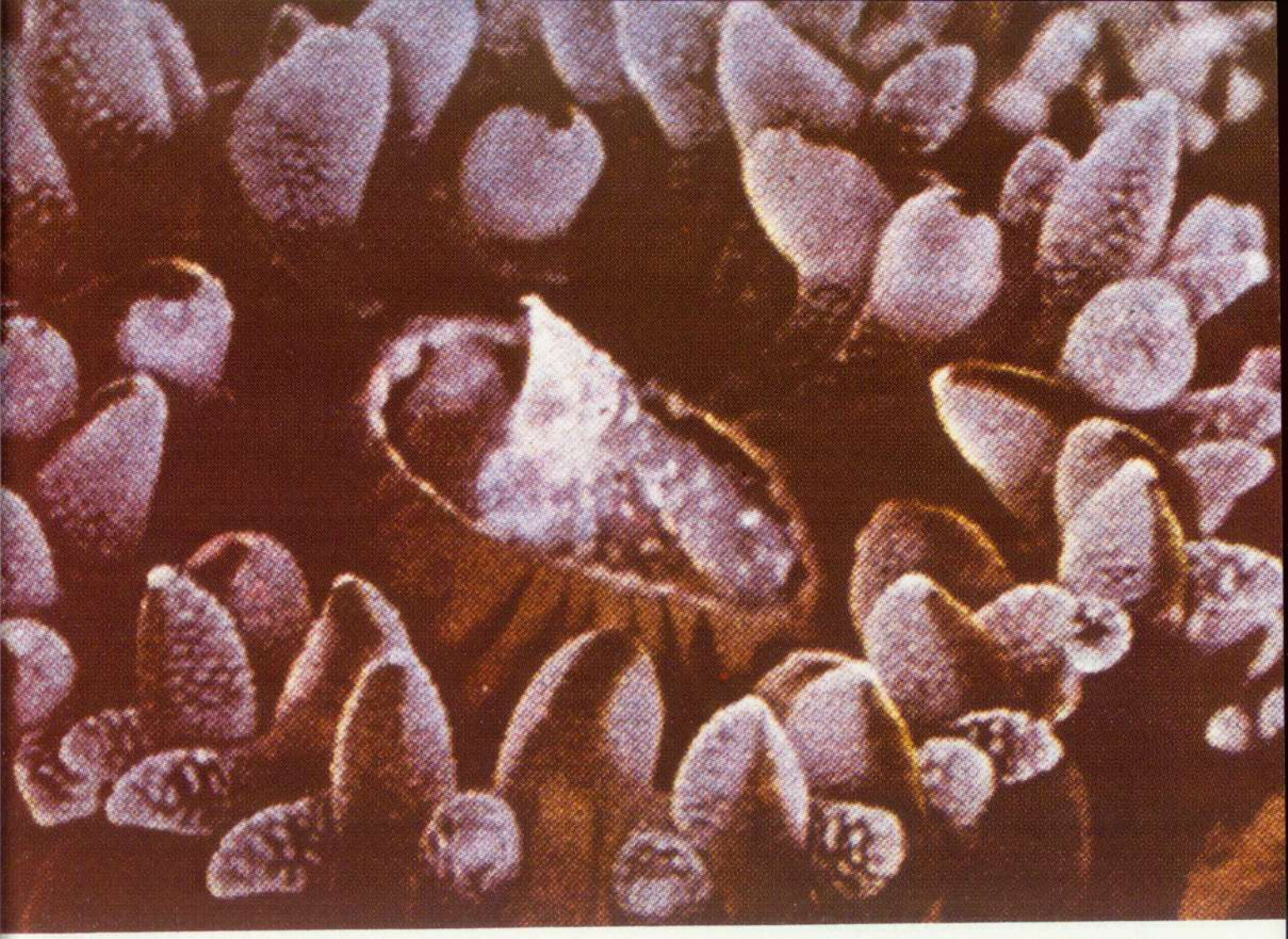
ومن الطبيعى أن السمكة ٢٩٩٩ لم تتبين شيئاً من هذا كله وسط الاضطراب العنيف الذى ساد المياه ، لكنها أصيبت بذعر حقيقى عندما أبصرت احدى أسماك الرنجة ، الفاغرة الفاه ، تشق المياه نحوها بسرعة فائقة .

وضاعف من ذعرها أنها كانت منساقة نحو الفم الفاغر ، عاجزة عن المقاومة .

أصبحت أخيراً على بعد سنتيمترات من فم الرنجة ، وكادت تنزلق اليه مع تيار ماء امتصته السمكة ، لولا أن الأخيرة تعرضت الى لطمة عنيفة من زميلة لها كانت مندفعة فى رعب ، ومن خلفها بقية الفوج .

وما حدث بالضبط لم تعلمه غير النوارس التى حلقت على مقربة من سطح البحر .

فهى أول من لمح السمكة الكبيرة التى تجاوز طولها المترين ، وخلا جلدها من الحراشيف ، وهى تمرق تحت سطح الماء دون أن يبرز منها خارجه سوى الزعنفة الخلفية الطويلة ، والفص العلوى من



لقطة مكبرة لبوليب مورجاني يلتهم قطعة من الطعام .

زعنفة الذيل .

وهى التى ميزت السيف الطويل الذى يمتد من رأس السمكة مسافة المتر . وتابعت صاحبته وهى تقتحم صفوف الرنجة .

لكنها لم تر شيئاً مما حدث بعد ذلك بسبب الاضطراب العنيف الذى ساد المياه والرذاذ الذى ارتفع فوقها حاجباً الرؤية . واضطرت النوارس للاقتراب ، وقد أثارت المذبحة المرتقبة انفعالها ، فاستقر بعضها بأرجله فوق سطح الماء . وعندئذ رأت السيف تهاجم وتدور وتطعن ، يساراً ويميناً ، فى حركات مجنونة ، وسط صفوف الرنجة الهاربة .

هدأت المياه التى غطتها الرغاوى البيضاء بعد قليل ، فطفت على السطح عشرات من أسماك الرنجة الجريحة ، والأخرى التى لم تصب بشىء وإنما شلها الخوف ، فعامت فى ذهول لتمسكها «السيف» بسهولة ويسر .

اصطبغ الماء بلون الدم الذى انتشر فى ثناياه على هيئة بقع داكنة . وتسلل الى فم وخياشيم السمكة ٢٩٩٩ طعم جديد هو طعم الدماء !

داخل الفم المفترس

كان أول رد فعل غريزى لمذبحة الرنجة من جانب السمكة ٢٩٩٩ ، هو الابتعاد بسرعة عن المكان الذى انتشر به مذاق الدم .

ورد الفعل الغريزى الثانى هو الانكماش فى مكان آمن .

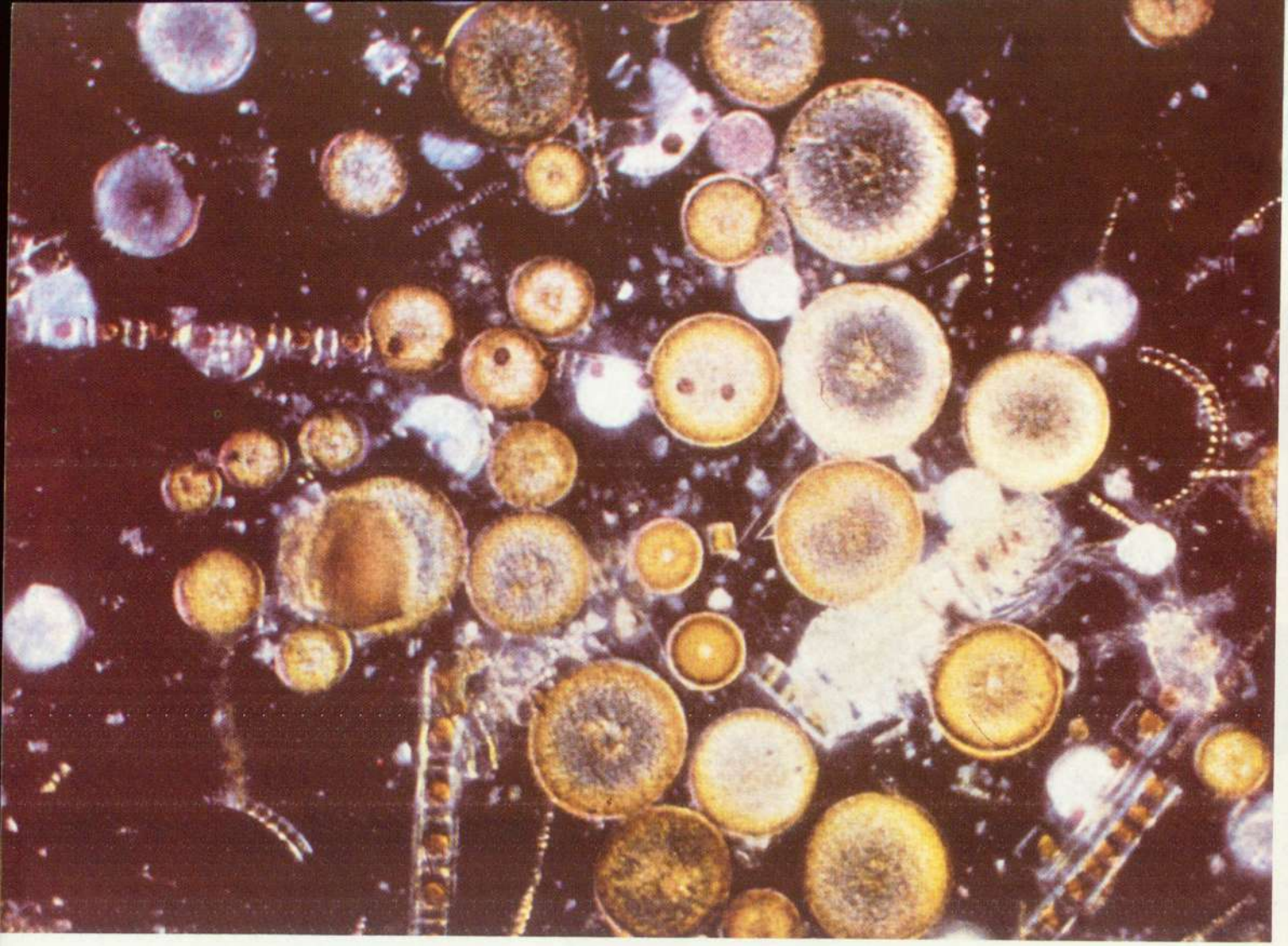
وقد اعتمدت فى بحثها عن هذا المكان الذى قادها الى أسفل بعيداً عن الضوء ، على ما يحمله اليها الخط الجانبى من أحاسيس ، أكثر مما اعتمدت على عينيها المحدودتى الرؤية ، اللتين لا يتجاوز مدى ابصارهما أمتاراً قليلة .

هبطت فى محاذاة حقل عمودى من كائنات لينة على شكل نباتات ، اتخذ كل ساق منها لوناً مختلفاً . ومرت أسفل حدائق معلقة كالمظلات ، من مراجين صخرية ، وسفنجيات على شكل أقماع متشابكة ، وكرات من الطحالب الخضراء فى حجم قبضة يد الانسان ، وأسماك متنوعة الزخارف والألوان .

كانت تسبح فى عالم أزرق ذى صبغة خضراء . ولم تكن لتميز اللون الأحمر ، فهو والظلام الكثيف ، بالنسبة لها ، سواء . لكنها تبينت اللونين الأصفر والأخضر بسهولة .

استقرت فوق درجة بارزة من درجات الشعاب ، ودفنت نفسها فى أول شق قابلها .

كان الخوف مازال مستولياً عليها . فقد أيقظت تجربة المذبحة ذكرى إحساسات مبهمة بالخطر ، اختزنها الجهاز العصبى الرقيق عندما كان أسيرا لكيس المح ، تتلاطمه الأمواج وتدفعه



(تحت المجهر تبدو القطرة الواحدة من مياه البحر أشبه بلوحة تجريدية من أشكال هندسية ليست سوى دياتومات أو طحالب دقيقة للغاية) .

هنا وهناك ، معرضة إياه للالتهام فى أية لحظة .

تركزت كل أحاسيسها فى محاولة تحديد ما يجرى خارج الشق . وعند أية حركة مفاجئة ، كانت تدفن نفسها أكثر .

لكن الانفعال الذى تعرضت له ضاعف من نشاط جهازها الهضمي . وعجزت الكائنات الهائمة التى تحملها المياه الى الشق بين الحين والآخر ، عن إشباع جوعها .

وبعد ساعات طويلة لم تعد تحتمل الجوع ، فجازفت بالخروج من مكمنها .

كان الظلام الكثيف يسود الماء ، فعامت الى جوار حائط الصخور والمراجين الذى بدا ممتدا الى ما لا نهاية . وعندما التقطت حواسها ذبذبات مألوفة ، اتجهت نحو مصدرها .

عامت الى جوار كتلة من الصخور المتلاحمة تغطيها مرجانيات متفرعة حتى أشرفت على مجموعة من الديدان ، تعلقت فى الصخور بمؤخراتها ، ودلت رؤوسها فى الماء وقد انفرجت أفواهها تلتقط الدياتومات الميكروسكوبية بواسطة مراوح دائبة الحركة من الريش تحيط برؤوسها .

أجفلت السمكة ٢٩٩٩ من حركة المراوح ، فابتعدت عنها ، واتجهت نحو حشد من القشريات الصغيرة ، فالتقطت احداها وسحقت جسدها الشفاف على سقف فمها قبل أن تبتلعها . ثم التقطت قشرية ثانية وثالثة .

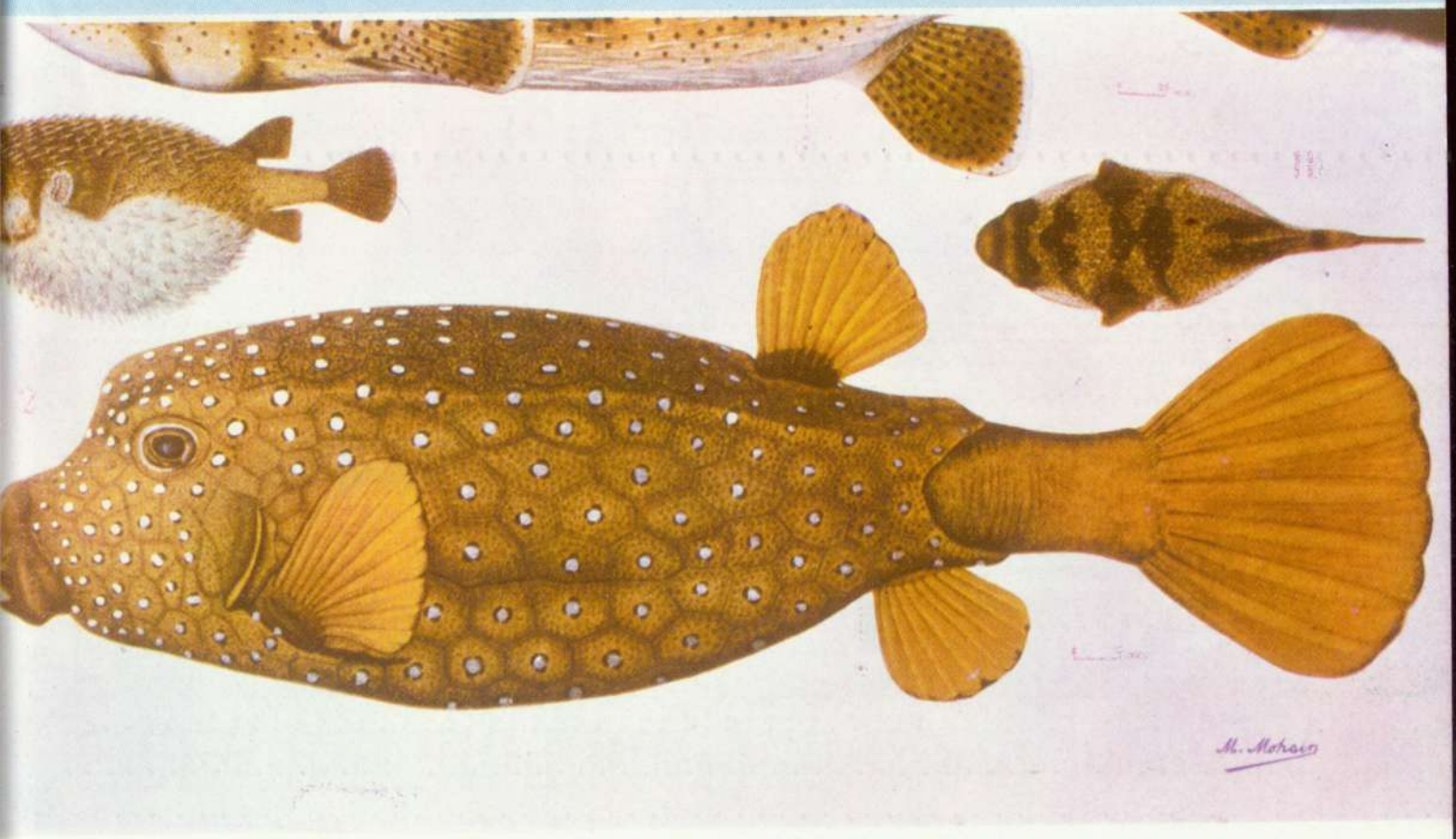
شجعها هذا الصيد السهل على مطاردة واحدة ممتلئة ، فاندفعت خلفها الى أعلى حتى اقتربت من سطح البحر . وفجأة ومض أمام عينيها ضوء ساطع اكتسح الماء ثم تلاشى . وتبعه على الفور وهج فى ألوان قوس قزح ، استقرت فى أعلاه كرة بيضاوية ، يصدر عنها وميض فسفورى واهن .

اجتذبها الضواء فتقدمت منه فى فضول دون أن تعرف ، بالطبع ، أنها فى حضرة واحدة من أخطر الكائنات المفترسة على سطح البحر .

كان ثمة جماعة كبيرة من هذه الحيوانات الطافية ، التى تسمى أحياناً بعنب البحر ، لأن الواحدة منها تشبه فى شكلها وحجمها حبة من حبات هذه الفاكهة .

لكن الاسم الذى تعرف به عادة هو الهلاميات المشطية ، أو حاملات الأمشاط . ذلك أن حبة العنب التى يتألف منها جسد الحيوان ، تعوم بواسطة ثمانية صفوف من أهداب متلاحمة على هيئة الأمشاط ، تتحرك فى الماء كما تفعل مجاذيف السفن الشراعية القديمة .

أصبحت السمكة ٢٩٩٩ على مبعدة نصف متر من الحيوان الغريب ، الذى كان يتحرك ببطء بالدوران حول نفسه الى



توجد فى البحر الاحمر عدة انواع من سمكة الصندوق اشهرها هذا النوع المعروف باسم ابو صندوق النجم .

الخلف ثم الأمام ، وهو يصدر ضوءاً أخضر اللون .

ومن السطح العلوى لجسم الحيوان – الذى لا يزيد طوله عن سنتيمترين – امتد فجأة لامسان رفيعان ، فى سمك الشعر ، أخذا يستطيلان حتى بلغا السمكة الصغيرة فالتفا حول ذيلها .

جذبت السمكة ٢٩٩٩ جسدها بعيداً ، لكن هذه الحركة ضاعفت من قبضة اللامسين ، فقد كانا مغطيين بخلايا لقيقة تفرز سائلا صمغياً ، يلزق بالفريسة ، فلا تملك منه فكاكاً .

وعلى حين غرة ، أخذ اللامسان يتقلصان ، ويتضخمان فى الوقت نفسه ، حتى أصبحا فى سمك خيط سنارة الصيد ، جاذبين السمكة العزلاء الى الفم المفترس الذى توسط سطح الحيوان السفلى ، مستقرا فوق الماء .

وتعلقت عينا السمكة ٢٩٩٩ بوهج فوسفورى ، كاد يعميهما ، انبعث من الأمشاط الممتدة على جسد الهلام ، بالصورة التى تمتد بها خطوط الطول على سطح الكرة الأرضية .

وللمرة الثانية خلال ساعات قليلة ، كانت السمكة ٢٩٩٩ على شفا الهلاك .

ومن حسن حظها ، أن الهلام المفترس كان قد أمسك بسمكة أخرى قبل نصف ساعة فحسب . ولم يكن قد تمكن بعد من ابتلاعها كلها ، فظل ذيلها بارزاً من فمه . وكان على السمكة ٢٩٩٩ أن تنتظر بين طيات الملامس حتى ينتهى من هضم السمكة الأولى بالتدريج .

هكذا كانت على قيد الحياة ماتزال ، عندما ظهرت سمكة سوداء مندفعة كالطوربيد ، فتحت فمها لتبتلع الكتلة المؤلفة من الحيوانات الثلاثة ، ثم فتحته مرة أخرى فى تقزز لتلفظ الهلام المشطى ، وقد تقطعت أوصاله ، بحيث انفصل اللامس المحيط بأم ذقن وفقد لزوجته ، فتحررت سجينته !

مصادفات البحر

خرجت السمكة ٢٩٩٩ من هذه التجربة برضوض عديدة فى زعانفها ، فشقت طريقها فى إعياء ، باذلة جهداً بالغاً للمحافظة على توازنها ، هابطة الى حيث يوجد الشق الذى اكتشفته بين الشعاب .

لم تجد مشقة فى الاهتداء اليه ، مسترشدة بشبكة من المعالم الدقيقة المختزنة فى ذاكرتها الضئيلة ، تتألف من ذبذبات وتيارات معينة ، وتغيرات طفيفة فى درجات الحرارة والملوحة . وما إن بلغته حتى ولجته فى حذر ، واستلقت على جانبها وهى تتنفس بسرعة .

ظلت فى مكانها طوال اليومين التاليين ، لم تغادره إلا مرة واحدة كى تعتدل على جانبها الآخر . وتحسنت صحتها بالتدريج فاستعادت شهيتها للأكل . وقنعت فى البداية بالكائنات



مجموعة من أسماك البحر الأحمر تضم سمكة السيف الشهيرة ، وفوقها ثلاث سمكات كبيرة من نوع التونة ، وتظهر ثلاث من أسماك الرنجة الصغيرة الى أقصى اليسار .

الشاردة التى تحملها المياه الى الشق بين الحين والآخر . وأسعفها الحظ فعثرت بكتلة متماسكة من بيض القواقع ذات مرة ، وفى مرة أخرى أمكنها أن تلتقط جماعة من الدود السمين غادرت مكامنها فى انفعال عندما اشتمت رائحة ثعبان بحرى جريح .

لكن هذه المصادفات السعيدة لم تكن تتكرر كثيراً ؛ واضطرت أن تلجأ الى الطين الناعم الذى يحيط بها ، فتأخذ منه ملء فمها ، وتطحنه على مهل بين فكيها مثل البقرة ، الى أن تستخرج ما به من طحالب دقيقة لا تغنى أو تسمن .

وفى صباح اليوم الرابع لحادث الهلام المشطى ، أحست بموجة مفاجئة تصطدم بخطوطها الجانبية . وتبعتها موجات أخرى متباينة الأثر . وبدا للسمكة المنكمشة فى شقها ، وجه شبه بين الضغط الناشىء عن هذه الموجات ، وذلك الذى أحدثته المعارك التى شهدتها فى الأيام القليلة الماضية .

استولى عليها انفعالان متعارضان . فبقدر ما أوحت ذبذبات المياه بالخطر ، أوحت أيضا بالطعام بفريسة مبتعدة أو تصارع صائدها .

وتغلب شعورها بالجوع على خوفها ، فأبرزت رأسها من الشق وهى تمتص المياه يميناً ويساراً ، لتتعرف على مصدر «الأصوات» التى تتلقاها . ولم تلبث أن غامرت بالخروج ، وعامت نحوه فى فضول .

اعترضتها صخرة بارزة تغطيها اسفنجيات داكنة ، فدارت حولها فى بطء ، ثم جمدت مكانها .

ألفت نفسها أمام جماعة من الأسماك المختلفة الأحجام والألوان يغلب عليها اللون الأصفر ، وتتدلى من ذقونها تلك الزوائد الجلدية التى تملك السمكة ٢٩٩٩ اثنتين منها .

أحاطت بها الأسماك الملونة ، وهى ترمقها بفضول ، ثم اقتربت منها فاغرة الأفواه .

لم يطرأ أى تغيير على عينى السمكة ٢٩٩٩ ، اللتين تشبه حدقتاهما حلقتين معدنيتين تدوران ببؤبؤ العينين . لكن العدستين انتقلتا قليلا الى الأمام ، حتى أمكنهما التركيز على الأفواه المقتربة .

شعرت بعدد منها يستقر فوق أطرافها ثم ينطبق عليها ، كأنما يهم بالتهامها .

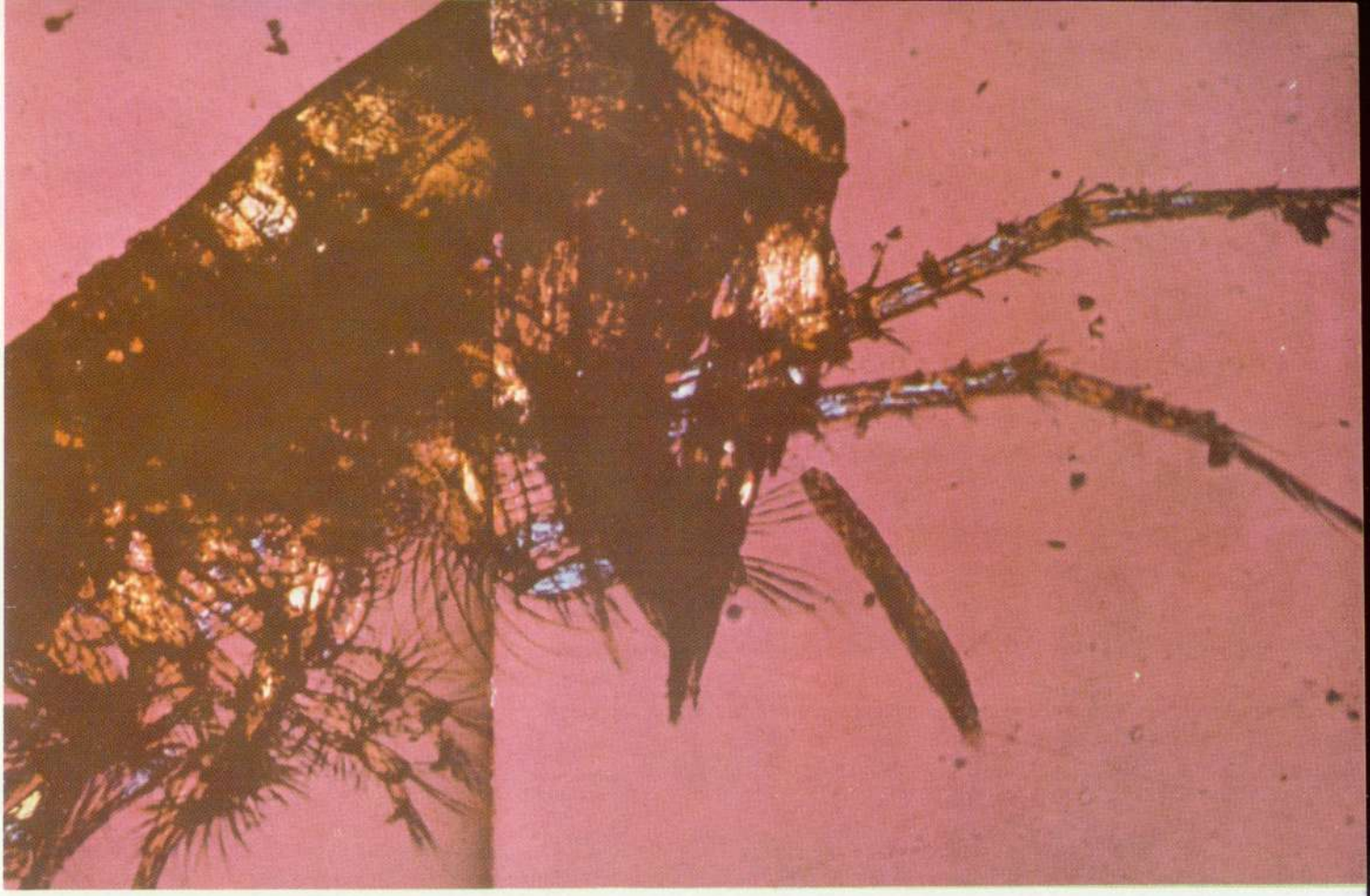
وصدرت عن كل فك ضغطة خفيفة ، استمرت لحظات ، ثم توقفت .

وتكررت الضغطة عدة مرات .

وتبينت السمكة ٢٩٩٩ ، أخيراً ، أن الأسماك الملونة تلعق جسدها .

وحقيقة الأمر أنها كانت تمتص الافراز الرغوى الذى يغطى أجساد الأسماك ، ليحميها من الصدمات ويساعدها على العوم .

وسواء تبينت الأسماك أمر السمكة ٢٩٩٩ عندذاك ، أو أنها عرفت فيها ، من



صورة مكبرة لاحدى القشريات الصغيرة التى لا يزيد حجمها الطبيعي عن حبة ارز ، وتعرف باسم برغوث البحـر .

الوهلة الأولى ، قرينة من نفس النوع بل والجماعة ، فانها كفت فجاة عن امتصاصها ، ثم استدارت مبتعدة .

سكن روع السمكة ٢٩٩٩ ، وبدأت خياشيمها تعمل فى قوة ، واذا بها تشعر باضطراب عنيف فى المياه . وبطرف عينها رأت احدى سمكات «أم دقن» الصغيرة تندفع نحوها فى سرعة البرق .

لم يكن ثمة شك فى أن هدف السمكة الأخرى هو الاصطدام بجانبها . لكن السمكة ٢٩٩٩ بوغتت بالأمر فلم تتمكن من الابتعاد ولو قليلا . وكانت السمكة الأخرى هى التى انحرفت فى الوقت المناسب ، دون أن تنقص من سرعتها ، فمرقت أسفلها ، محدثة موجة صغيرة لطمتها بشدة .

دارت رأس السمكة ٢٩٩٩ من الصدمة ومضت لحظات فقدت فيها كل قدرة على الادراك ، حتى شعرت بالسمكة الأخرى تدفعها برأسها فى جانبها ثم تقرض طرف ذيلها .

أيقنت السمكة ٢٩٩٩ بعد قليل أن السمكة الأخرى لا تبغى بها شراً ، وأن كل ما تسعى اليه هو قليل من المداعبات التى لا تؤذى ولا تضر . ولم تعرف – بالطبع – انها أمام أخت لها من أمها وأبيها ، تتقدمها قليلا فى العمر ، ويجعلها ترتيبها فى الخروج من البيضة جديرة برقم ٣٧٥ .

ولابد أن نذكر هنا أن الاشارة الى السمكتين بصفة التأنيث لا يعين حقيقة جنس كل منهما . ففى مقتبل العمر يستحيل تحديد جنس السمك ، إذ تحتفظ أفراده بمكونات كل من الذكر والأنثى ، الى أن تبلغ مرحلة النضج ، فتتغلب احداهما على الأخرى .

غريزة الجماعة

استجابت السمكة ٢٩٩٩ لدعوة ٣٧٥ مستسلمة لحاجة غريزية لدى كافة الحيوانات فدفعتها برأسها فى جانبها ، وحاولت أن تجذبها من زائدتى ذقنها ، ثم جرت أمامها ، واختفت منها خلف احدى الاسفنجيات ، وأخيراً طاردتها بين المرجان إلى أن شعرت ٣٧٥ بالضجر فانسحبت من اللعب . وانطلقت تلحق بجماعتها .

وما إن قطعت ٣٧٥ عدة أمتار ، حتى شعرت بمن ينزلق الى جوارها ، صوبت ذيلها نحوه فى ضيق ، وحاولت الابتعاد . وتراجع الغريب الى الخلف قليلا ، ثم عاود الاقتراب وهو يهز ذيله متودداً .

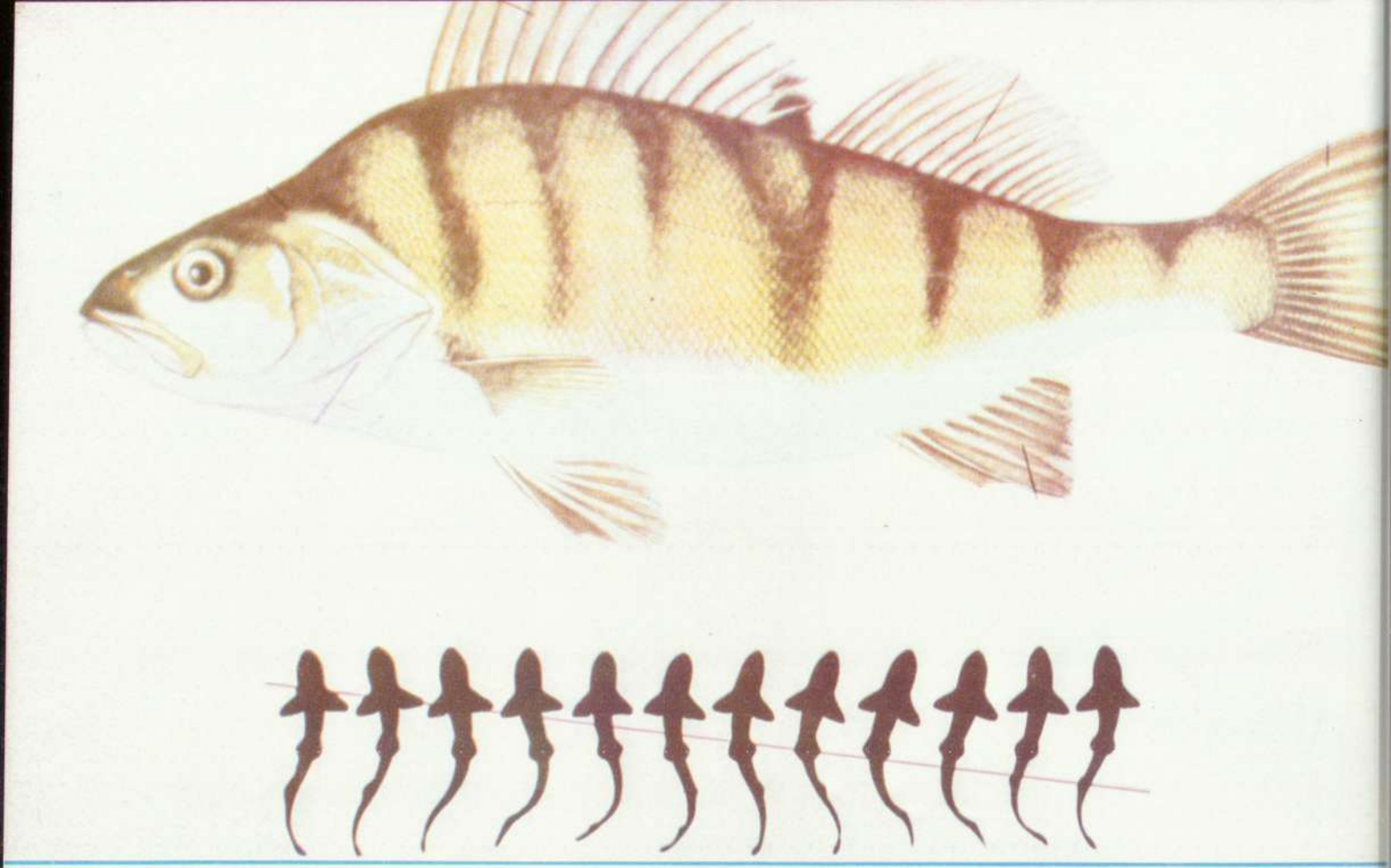
لوت ٣٧٥ جسدها قليلا ، وبطرف عينها تبينت فى الغريب السمكة رقم ٢٩٩٩ .

لم تفهم ما يدفع الأخرى لملاحقتها ، ومن عدم الفهم نبع احساس بالخوف ، فحاولت أن تتخلص منها .

لوحت لها بذيلها مهددة ، فابتعدت الأخرى بسرعة . واستأنفت ٣٧٥ طريقها . وتبينت بعد لحظات أن الأخرى تقتفى أثرها .

لم تكن السمكة ٢٩٩٩ تضمر شراً . كل ما هنالك ، أنها التمست شيئاً من الطمأنينة والتسلية فى رفقة السمكة الأخرى . وهو شعور يبلغ درجة الحاجة الغريزية لدى أفراد الأنواع التى تعيش عادة فى جماعات .

لكن ٣٧٥ ضاقت بالحاحها رغم أنها تبينت فيها واحدة من نفس جماعتها ، بحكم اللحية المدلاة من ذقنها ، والظلال



(تشكل جسد السمكة بحيث يساعدها على الانزلاق بخفة وسط الماء) .

اللونية المشتركة بين جميع الصغار ، والتى ستتحول فى الوقت المناسب الى غطاء كامل من اللون الأصفر الزاهي

ولعلها حنقت عليها لهذا السبب بالذات . فغالباً ما تكون العلاقات بين أبناء نفس الجماعة من الأسماك ، متوترة أكثر منها بين أفراد الجماعات والأنواع المختلفة . وسبب ذلك هو الصراع الذى لا يتوقف بين أبناء نفس الجماعة على توزيع المساكن والمناطق .

لم يكن ثمة مفر من الاشتباك مع السمكة ٢٩٩٩ ، فاندفعت نحوها فى غضب ، وطاردتها عدة أمتار حتى أجبرتها على الاختفاء بين الشعاب .

لكنها لم تكد تبتعد قليلا ، حتى شعرت بها تتبعها عن كثب .

جربت الافلات منها بأن عامت بأقصى ما تملك من سرعة ، لكن السمكة ٢٩٩٩ لاحقتها ، ونجحت فى أن تبقيها فى مجال حواسها .

ولم يلبث اليأس أن انتاب ٣٧٥ ، فاستسلمت للأمر .

وكأنما شعرت السمكة ٢٩٩٩ بما طرأ على موقف الأخرى من تغير ، فتشجعت على الاقتراب منها حتى أوشك رأسها أن يلمس ذيل ٣٧٥ .

فى المستعمرات المرجانية

استقبلتها الجماعة فى غير مبالاة ، بل بشيء من العداء الذى تجلى واضحاً عندما احتلت أحد الشقوق ، فطردتها منه سمكة أخرى أكبر منها ، بعد أن أوشكت أن تمزق لها زعنفتها الظهرية .

وفيما عدا هذا الحادث ، بدا أن الجماعة قد قبلتها بين صفوفها ، وسمحت لها أن تستقل بشق خاص ، وإن كان ضيقاً بعض الشيء ، قريباً من تيارات الماء ، مما يضعها فى طريق المفترسين .

ولم يمض وقت قليل حتى تجلت لها فوائد الحياة الجماعية . فلم تكن مضطرة لركوب المخاطر سعياً وراء الطعام ، إذ كان عبء اتخاذ القرار يقع على عاتق الجماعة ، الذى يعرف أماكن الطعام وأسرار الشعاب .

لهذا تسبح الجماعة كلها كتلة واحدة وقد تلاصقت رؤوس البعض بذيول غيرهم ، واتجه انتباه الجميع الى القائد فمن تصرفاته يدركون ما يحدث ، وما يتعين عمله . فهم يعرفون اندفاعاته السريعة عندما يرى شيئاً ذا بال ، والتماع زعانفه الصدرية وخطه الجانبى عندما يستدير على جانبه ليضرب عدواً ، والحركة السهلة لذيله المتأرجح عندما يركب التيار فى ظل صخرة منتظراً ، أو بروز زعنفته الصدرية الى الأمام اشارة الى أنه رأى عدواً ، وأنه يستعد للاختفاء فى حفرة يعرفها الكل .

وأهم ما فى الأمر ، أن التجمع المشترك يحمى الأفراد جميعاً من المفترسين . إذ أن السمكة المفترسة ترتبك فى مواجهة كتلة من الأسماك المتراصة ، ولا تتمكن من فريستها ـ عادة ـ إلا اذا انفردت بها.

مما جعل أسماك الشعاب المرجانية تفضل الحياة الجماعية ، نظراً لكثرة المفترسين المحليين والعابرين ، ولامكانيات الاستقرار المتاحة ، وإن كان بعض الأفراد يميلون للانفصال عن الجماعة والاستقلال بذواتهم ، حالما يتجاوزون أطوار الطفولة والصبا .

على أن ما أثار اهتمام السمكة ٢٩٩٩



فوج صغير من اسماك « ابو دقن » المعروفة باسماك العنزة .

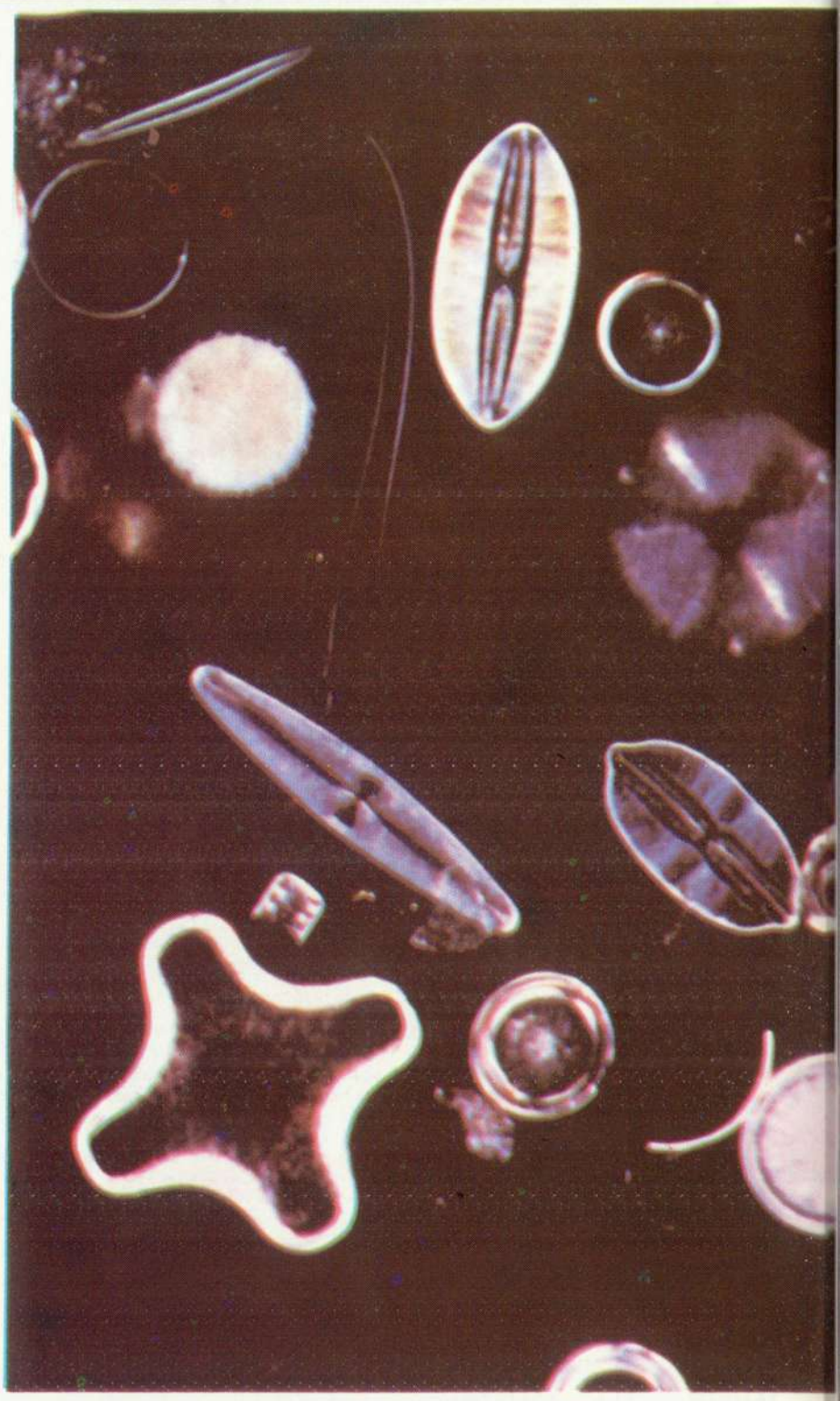
بالحياة وسط الفوج ، هو ما أتاحته لها من فرص اللهو والعبث .

فقد كان أفراده ، فيما يبدو ، مغرمين بلعبة الاستخفاء ، فكثيراً ما ينطلقون خلف بعضهم البعض ، فى مطاردة طويلة بين الفروع الصخرية ، يتعمد اسرعهم خلالها الابطاء حتى يلحق به الآخرون ، فيغافلهم فجأة ، ويتقدم عنهم ثم يختبىء فى أحد الشقوق أو خلف فرع مرجانى وينتظر أن يعثروا عليه ، أو يثير دخاناً كاذباً من الرمال البيضاء المتناثرة فى أكوام فوق درجات الشعاب وأسفل المستعمرات المرجانية ، ويستغله فى الاختفاء عن زملائه .

خطوة جريئة

مضت الحياة بالسمكة ٢٩٩٩ هنيئة وادعة ، لا يعكر صفوها غير شىء واحد .

وسواء كان الأمر راجعاً لما خلفته التجارب الأولى فى الحياة من خوف وذعر ، أو أن وجودها وسط الجماعة قد كشف عن استعداد طبيعى عندها للتواكل والاعتماد على الآخرين ، أو أن تكوين جسدها ذاته جعلها ثقيلة الحركة بطيئة التصرف ، فان أقرانها كانوا يسبقونها دائماً الى الصيد والتهام ثماره .



صورة اخرى للنباتات الدقيقة الهائمة مما تبدو تحت المجهر .

فاذا لمحت احدى القشريات واتجهت نحوها ، كانوا أسرع منها الى التقاطها ، واذا خرجوا فى رحلة جماعية للصيد ، لوقعوا بالفرائس والتهموها قبل أن تتمكن من الاشتراك معهم ، ولا تجد أمامها حينما تفعل سوى الدماء والقشور والعظام المتناثرة .

وبالتدريج أقلعت عن الاشتراك فى حملات الصيد الجماعية ، بل وعن أى مغامرات فردية فى هذا الشأن ، اللهم إلا اذا كانت الفريسة فى متناول فكيها ، ولم يكن هناك خطر ، وكان بعض الأفراد على مقربة ، تفصلها عنهم مسافة كافية ، تجعلها بمأمن من شرهم ، وتتيح لها فى الوقت نفسه أن تحتمى بهم عند اللزوم .

والنتيجة أنها بدأت تعانى من الجوع .

وكانت منذ التحاقها بالفوج ، حريصة على أن تكون قريبة من السمكة رقم ٣٧٥ التى قادتها اليه ، رغم التناقض الذى تجلى بمرور الوقت بين «شخصيتيهما» ، أو ربما بسببه . فبقدر ما كانت السمكة ٢٩٩٩ خاملة ، وادعة تهاب المغامرة ، لا يساروها فضول أو رغبة فى المعرفة ، كانت السمكة ٣٧٥ على عكسها ، متوثبة نشاطاً وحيوية ، دائبة الحركة ، لا تتوقف عن محاولات الاستكشاف ، ولا تتراجع أمام الخطر .

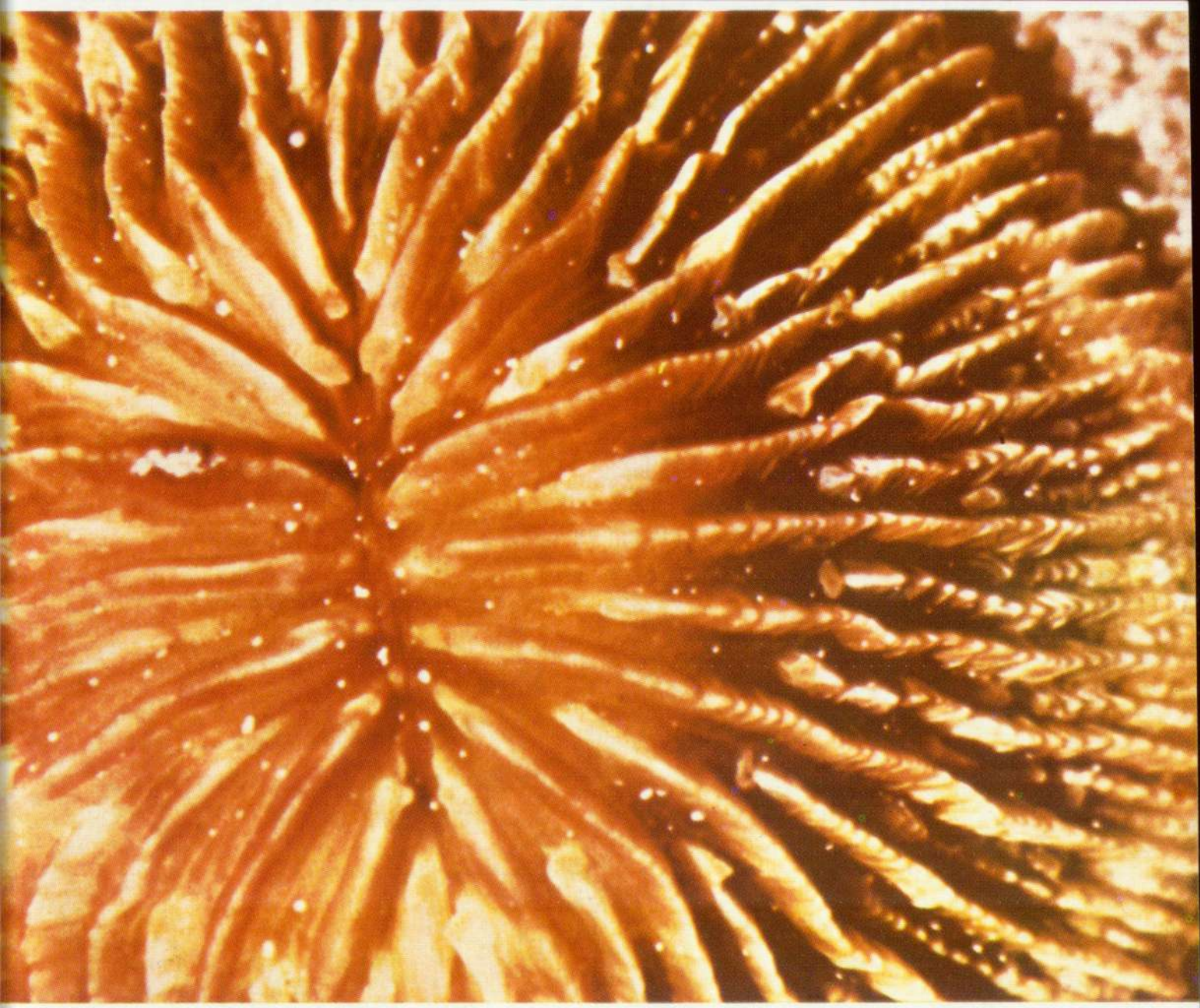
وكثيراً ما كانت السمكة ٣٧٥ تغادر الجماعة ليوم أو بعضه ، كأنما تستعد للحظة قريبة تستقل فيها بنفسها ، فتطارد سرطاناً وحيداً أو تستكشف كهفاً مجهولا . وساعدتها هذه المغامرات اليومية على الاحتفاظ برشاقتها ، وخفتها ، وسرعة بديهتها . فبغير زملاء يمكن أن يساهموا فى ارباك العدو ، كان مصيرها يتوقف على مقدار ما تبدى من دقة فى الملاحظة ، وسرعة فى التصرف .

ودفع الجوع السمكة ٢٩٩٩ ذات يوم للاقدام على خطوة جريئة للغاية . فقد تبعت السمكة ٣٧٥ عندما رأتها تبتعد عن الفوج . وحالفها الحظ ، إذ قادتها السمكة ٣٧٥ الى فجوة بين الصخور ، اختفت مياهها تحت ستار من الجمبريات الصغيرة الشهية .

انتظرت السمكة ٢٩٩٩ حتى تقدمت السمكة ٣٧٥ من الفوج وبدأت فى التهام أفراده . وعندما اطمأنت الى أنه ليس هناك خطر ما ، تشجعت على الاقتراب ثم التقطت أقرب الجمبريات اليها .

ملأت السمكة ٢٩٩٩ بطنها لأول مرة منذ زمن بعيد . وعادت الى مسكنها راضية .

ومنذ تلك المغامرة ، لم تدع السمكة الأخرى بعيداً عن ناظريها لحظة واحدة ،



يشبه هذا المرجان نبات الفطر المعروف ولهذا يسمى باسمه . ،هو لا يفرز جيراً ، كما انه يعيش فى مستعمرات . ولا تظهر البوليبات فى هذه الصورة

ولزمتها فى حلها وترحالها ، بعد أن وجدت فى مرافقتها حلا مثالياً لمشكلتها .

لكن السمكة ٣٧٥ التى لم تبد اهتماماً بالأمر فى البداية ، لم تلبث أن ضاقت ذرعاً بوجود السمكة ٢٩٩٩ دائماً قرب نيلها ، ومشاركتها إياها فيما تجنيه من صيد . وفى أكثر من مناسبة ثار غضبها ، فاندفعت اليها ، وصوبت اليها لطمة برأسها ، تلقتها الأخرى فى هدوء واستسلام دون أن تبتعد عنها ، أو تقلع عن تتبعها .

وما وقع بعد ذلك كان نتيجة محتومة للشخصية التى كونتها الظروف للسمكة ٢٩٩٩ ، وإن بدا كأنه مكيدة من تدبير السمكة ٣٧٥ ، (وهو أمر غير صحيح بحكم القدرات العقلية المحدودة للأسماك عامة) .

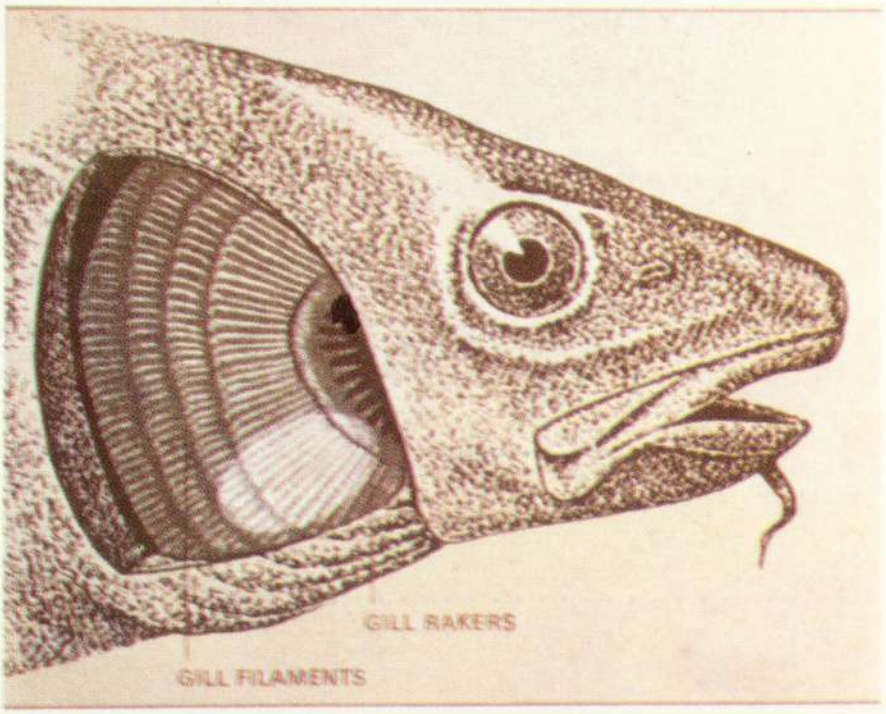
الأسماك الشفافة

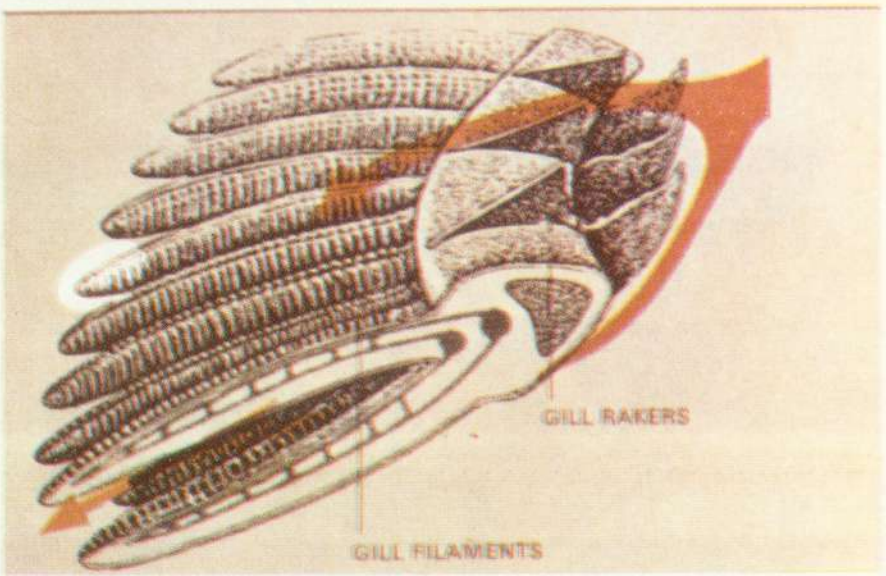
فقد كانت السمكة ٣٧٥ تعوم ذات مساء على عمق عشرين متراً من سطح الشعاب ، فى الطريق الى مساكن الفوج ـ تتبعها السمكة ٢٩٩٩ كالعادة ـ عندما أشرفت على عدة مستعمرات من المرجانيات اللينة تجمعت فوق قطعة صخر لا يتجاوز قطرها القدم .

وتختلف هذه المرجانيات عن غيرها بأن بوليباتها (أى أجسادها الصغيرة العمودية التى تنتهى من أعلى بقرص عمودى يتوسطه فم دقيق وتحيط به لوامس متفرعة) لا تفرز هياكل صخرية ، وان كلا منها يملك ثمانية لوامس أو مضاعفاتها بدلا من ستة ومضاعفاتها فى حالة المرجانيات الأصلية ذات الهياكل الصخرية .

وبسبب الظلام السائد ، كانت البوليبات متمددة ، تتدلى بلوامسها المنبسطة من فروع المستعمرة ، التى لا يزيد قطر كل فرع منها عن سنتيمتر ونصف سنتيمتر ، ولا يتجاوز طوله ثمانية سنتيمترات . أما البوليبات نفسها فلا يزيد طول الواحد منها ـ دون اللوامس ـ عن سنتيمترين ، ويبعد عن أقرب زميل له عدة ملليمترات .

وفى قليل من الضوء ، تكشف هذه





رسم توضيحى لخياشيم السمكة وتركيبها . وفى القسم الأعلى من الرسم تظهر الفتحة الخيشومية عارية بعد نزع غطائها ، وداخلها المصفاة التى تحتجز جزئيات الطعام ، وشبكة الخيشومية التى تظهر فى الجزء الثانى من الصورة تتخللها شعيرات دموية (السهم الأحمر) هى التى تمتص الأوكسجين من المياه المتدفقة .

البوليبات عن أجساد شفافة داخل البعض منها ذرات مستديرة سمراء اللون ، عبارة عن نباتات دقيقة ، ليس لها جذور أو سيقان أو أوراق ، لكنها تستطيع القيام بعملية كيميائية معقدة ، فتحول ثانى أكسيد الكربون والأملاح التى يتخلص منها جسد البوليب الى ما يحتاج اليه من سكريات وبروتينات .

اقتربت السمكة ٣٧٥ من احدى المستعمرات التى تضم بضعة عشرات من البوليبات ، ودارت حولها ، وهى تدرس الحيوانات الصغيرة التى كانت لوامسها تنطوى وتنبسط فى ايقاع متسق .

كانت تعرف من تجاربها ، أن هذا النوع من البوليبات لا يؤذى أحداً ، لأنه يعتمد فى طعامه على الطحلب المزروع داخل أنسجته . لكن لوامسه لم تفقد الخاصية الوظيفية التى تتمتع بها كافة لوامس الحيوانات المرجانية الأخرى وأشباهها من الحيوانات البحرية ، من الشقائق الى الأسماك الهلامية . فما أن يقترب منها كائن حي حتى تنطوى فوقه وتحتجزه فوق سطح القرص الذى تتوسطه فتحة الفم الدقيقة .

وهنا لا يسع الحيوان المسالم إلا أن يحاول التخلص من هذا الكائن ، فيضخه بفمه الى الخارج فى قوة . وفى أغلب الحالات لا ينجح فى ذلك من أول محاولة ويضطر الى تكرارها عدة مرات ، يتحول خلالها الكائن الغريب الى عجينة دائرية على شكل القرص .

وخلف هذه العجينة الجاهزة للهضم كانت السمكة ٣٧٥ تسعى .

وقد وجدت بغيتها بسهولة لدى أحد البوليبات ، لكنها لم تكد تهم بالتقاط العجينة الشهية من بين اللوامس المنطوية ، حتى كان البوليب قد ضاق ذرعاً بفشل محاولاته فى التخلص منها ، فمال بجسده كله جانباً ، وانبسطت اللوامس مرة واحدة ، فسقطت العجينة فى الماء .

التقطت السمكة ٣٧٥ العجينة الدائرية من الماء ، فابتلعتها ثم مضت بين البوليبات ، تلتقط العجائن المماثلة . وعندما اكتفت لجأت الى معابثة البوليبات بأن ترقد بين لوامسها ، فتنطوى هذه فوقها على الفور وتحاول جذبها الى الفم ، بينما ينكمش البوليب ذاته . وبعد لحظات تنبسط اللوامس من جديد ، ويتمدد البوليب ثم يميل جانباً ، وبخفقات متسارعة من اللوامس يلقى بالسمكة بعيداً ، دون أن يمسها أذى .

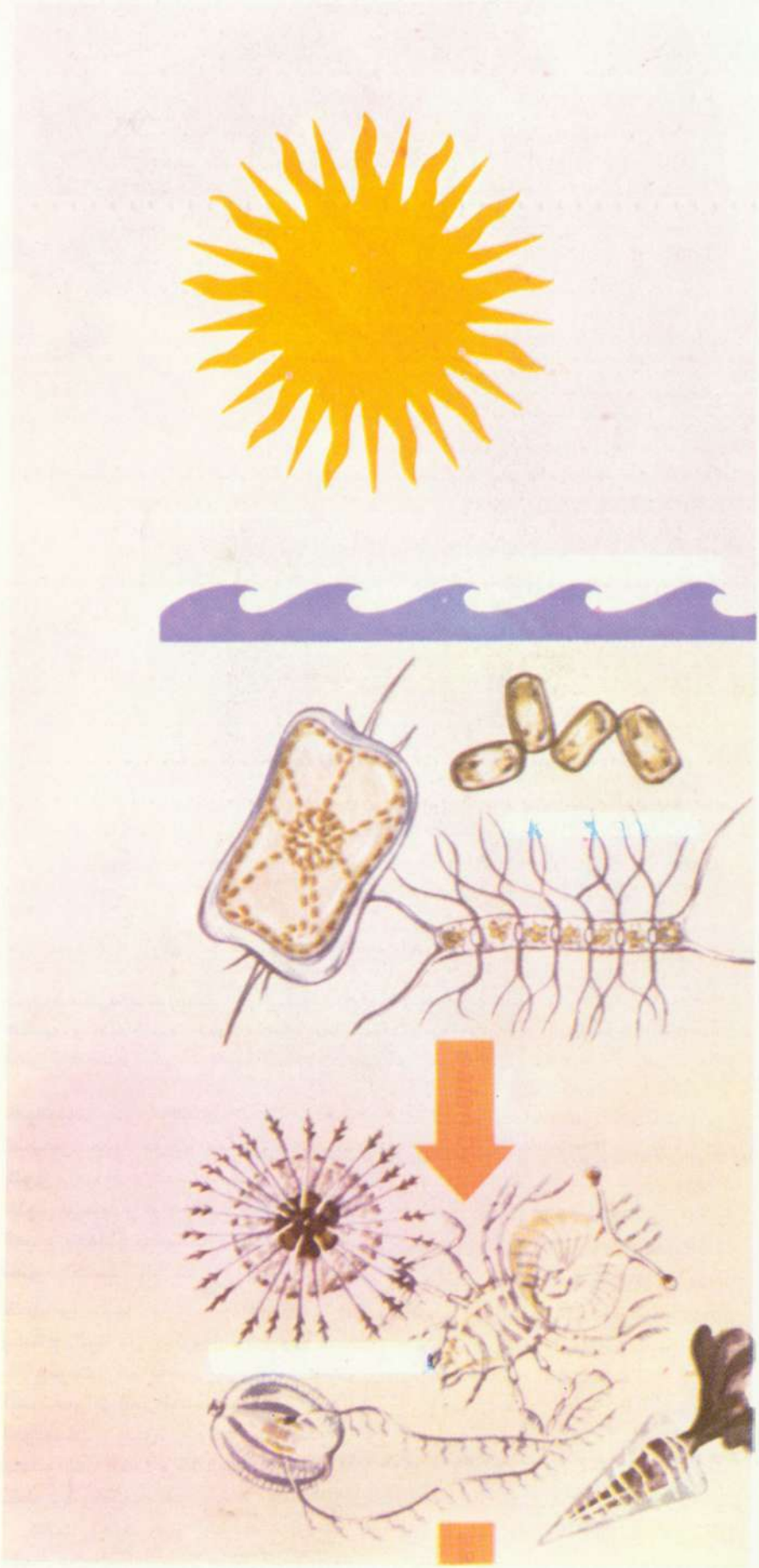
الحادث

تابعت السمكة ٢٩٩٩ كل هذا وهى على مسافة أمنة تكفيها شر كل من السمكة ٣٧٥ التى قد يثور غضبها فجأة فتنقض عليها ، والحيوانات الغريبة التى لم تصادف مثلها من قبل فى حياتها المحدودة بعالم الفوج الأمن .

وسرعان ما اطمأنت الى هذه الحيوانات عندما رأت كيف تتحرك السمكة ٣٧٥ بينها فى حرية دون أن يصيبها شيء ، بالاضافة الى ما تلتقطه بفمها بين الحين والآخر .

تحاشت الدنو من السمكة الأخرى ، فاتجهت الى مستعمرة بعيدة بعض الشيء ، وتقدمت فى جرأة من رأس أحد بولیباتها ، فاستقرت فوق قرصه العلوى بين اللوامس ، كما فعلت زميلتها .

لكنها ارتكبت خطأ فادحاً كانت له نتائج بعيدة المدى .



رسم توضيحي لمجتمع الكائنات الدقيقة الهائمة في البحر . تحت سطح البحر مباشرة نماذج من الكائنات النباتية الدقيقة واسفلها نماذج اخرى من عالم الحيوان تضم الهلام المشطي او عنب البحر وقد امتد لامساه أسفله .

فبسبب ضالة معارفها ، النابعة من محدودية تجاربها ، كانت تجهل أن هذه المستعمرات المتشابهة يمكن أن تنتمى الى نوعين مختلفين ، يعيش أحدهما فى اكتفاء ذاتى بالطحالب المزروعة داخله ، بينما يتغذى الثانى على الكائنات الهائمة بين طيات المياه .

ولم تكد لوامس البوليب تنطوى فوق جسدها ، دافعة إياها نحو الفم ، حتى انفرجت فتحته فى شبه دائرة لابتلاعها .

استيعاب الدرس

إلا أن كاتب هذه الأحداث لا يعرف مصير السمكة ٢٩٩٩ على وجه الدقة .

والغالب أنها لم تفقد حياتها على يد البوليب القاتل .

ففتحة فمه التى لا تزيد عن جزء من المليمتر فى الأحوال العادية ، يمكن أن تتسع لقطع من الطعام أكثر سمكا من جسد البوليب نفسه الذى لا يتجاوز عدة مليمترات ، تتضاعف عدة مرات اذا ما جن الليل .

لكنها قد تعجز عن ابتلاع السمكة ٢٩٩٩ ، التى نما جسدها الصغير فى الآونة الأخيرة ، وأصبح عرضه لا يقل عن سنتيمتر كامل .

وفى هذه الحالة لابد أن تكون قد تعرضت لاصابات خطيرة ، استغرق الشفاء منها بعض الوقت .

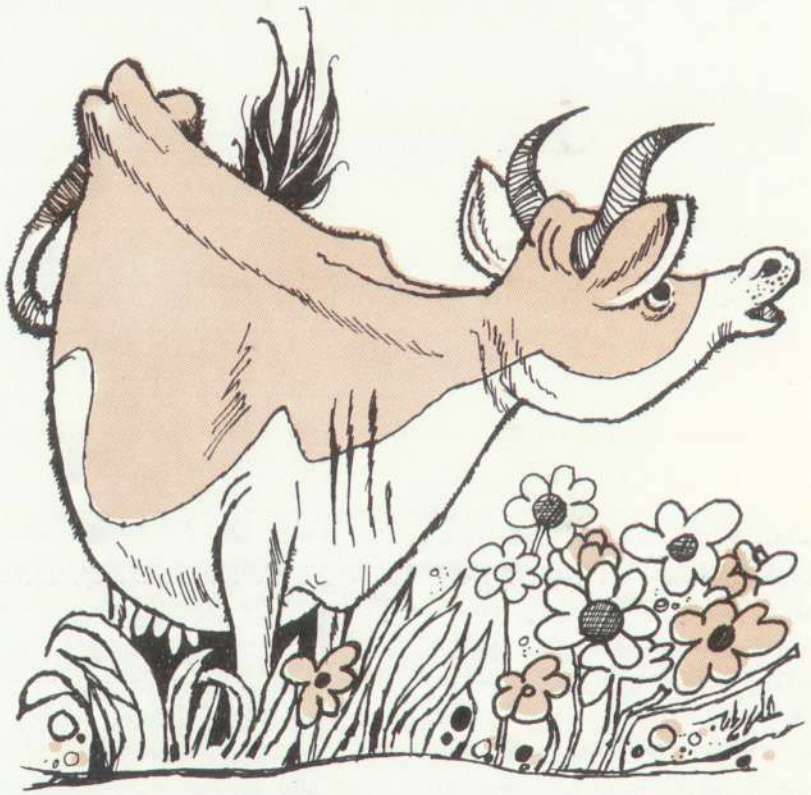
أما الشىء الذى يستعصى على الحدس ، فهو ما اذا كانت السمكة ٢٩٩٩ بملكاتها الذهنية المحدودة ، قد تمكنت من استيعاب الدرس جيدا ، أو أنها ظلت أسيرة الشخصية الضعيفة التى تكونت لها !

صنع الله ابراهيم

من عجائب العلم

ثمانون عجلا من بقرة واحدة في عام واحد!

بقلم: د. توما شماني



الطفلة (لويز براون) طفلة أنبوبة الاختبار، ليست المخلوق الأول الذى جاء بطريقة زرع البويضة الملقحة فى الرحم.

لأن أول مخلوق يعتبر بحق نتاجاً للانبوبة المختبرية كان قرداً من نوع البابون يسمى (بريميرو) والذى جاء إثر ٤١ عملية زرع فاشلة.

لهذا يمكن القول إن عالم الحيوان قد عرف عملية تلقيح البويضة فى الأنبوبة ومن ثم زرعها في الرحم بعد تخصيبها، ولكن الفارق بين العملية فى الانسان والحيوان هو أن طفلة الانبوبة (لويز براون) قد أخذت بويضتها التى تدرجت منها، من أمها ثم لقحت بحياض والدها ثم ردت الى رحم أمها بالزرع. وكان من الممكن أن تزرع فى رحم أم مضيفة أخرى. أما فى الحيوان فليس هناك ثمة ضرورة للتقيد بالنواميس الاجتماعية بل إن الواقعية الاقتصادية تقتضي أخذ أكبر عدد ممكن من البويضات من الأنثى ذات الأرومة الرفيعة ثم تخصيبها من آباء جيدى الصفات ثم زرعها فى أرحام أخرى أقل رفعة. والواقع أن أولى الأبحاث فى هذا الباب كانت قد دارت على الأرانب فى جامعة تكساس، وكانت أبحاث مشابهة أخرى قد مورست منذ عام ١٨٩٠.

وقد تدرجت هذه الأبحاث حتى شاهدت أعوام السبعينات أعداداً هائلة من الأبقار تأتى بطريقة «زرع الأجنة».

والتقنية فى الأبقار تقوم على أساس زرقها بهرمون يدفعها الى الخصوبة وحيث يؤدى ذلك الى انضاج عدد من البويضات دفعة واحدة أى (انطلاق بويضى متعدد) ويكون معدل الانطلاق ٦ بويضات، يمكن أن تعطى ثلاثة عجول على الأقل، فى وقت لا تستطيع فيه البقرة الواحدة انتاج أكثر من بويضة واحدة وبالتالى ولادة عجل واحد. ولقد حدث أن أنتجت احدى البقرات ٢١ بويضة دفعة واحدة، واستطاع أحد القائمين بتربية الأبقار إنتاج ٨٠ عجلا من بقرة واحدة فى مدى عام واحد.

واذا انتجت البقرة انتاجها من البويضات ٧ فإنها تلقح بالتلقيح الاصطناعى بحياض ثور مختار، ثم يسمح للأجنة بالنمو داخل رحم فى وسط يسمح للأجنة بالنمو داخل رحم الأم لمدة ٦ ـ ٨ أيام. ومن ثم تغسل من الرحم وتخزن فى وسط سائلى ملائم لمدة ٢٤ ساعة. الواقع أن كل جنينين من هذه الأجنة المخزونة يمكن أن يزرع فى بقرة أخرى مضيفة وذلك عن طريق اجراء شق صغير فى الخاصرة ثم الرحم. وهناك دراسات قائمة لتبسيط هذه العملية الجراحية.

وبسبب وجود إمكانية تجميد الأجنة فانه يقوم الآن نظام مصرفى للأجنة وبالطريقة التى تقوم فيها (مصارف حياض الثيران).

إن الزرق بهرمون الخصوبة ينبغى أن يكون بضوابط خاصة وإلا أصيبت المبايض بالانهاك. كما أن زرع الأجنة فى أرحام مضيفات غريبات لا يستدعى ظهور ظاهرة (الرفض) الموجودة فى عمليات زرع الأعضاء لأن الجنين ينتج المادة النوعية الواقعية له والتى تحميه من النظام المناعى للأم.

إن عملية نقل الأجنة تفتح أمام القائمين بتربية الماشية آفاقاً رحبة جداً. ففى الوقت الذى يستطاع فيه زيادة القطعان الحيوانية فانه سيكون بالوسع أيضاً تحسين العديد من الأنواع الحيوانية واكثار الضروب جيدة الأرومة منها والتخلص من السلالات الرديئة.

د. توما شمانى

●● على هامش دورة الشباب الكروية في استراليا ، والتي بلغت أوجها في لقاء مجيد بين شباب قطر وألمانيا ●●

يا شباب العالم اتحدوا

بقلم : محمد فتحي

يخلع صاحب الرداء الأبيض رداءه الأبيض ، ويخلع صاحب الرداء الخمرى رداءه الخمرى ، وتلتحم الأجسام الوردية بالأجسام البرونزية ، وتتعانق . يمتزج العرقان ، لا أحسب ولا يحسب أحد أن ماء هذا العرق أو ذاك ملون . ويخلع كل على صاحبه رداءه فيرتديه ، فلا نعرف من هو الألمانى ومن هو القطرى .

لا منتصر ولا مهزوم .

مشهد يهز الوجدان .. وجدان كل إنسان . كما الأنشودة ؛ أو الأمنية السابحة فى آفاق الخيال يعز إدراكها ! ومع ذلك فهى واقع ماثل للعيان . عيان الخلق فى كل الدنيا .

شباب القارة الاسترالية ، وشباب العالم كله يشهد ، عن طريق الأقمار المزروعة فى الفضاء فوق خط استواء كوكب الأرض . هذه المظاهرة الربانية ، ذات الرداء ، وذات البهاء ، وذات الجلال ..

التحام شبابى بريء ، مطهر من كل غاية ـ عقائدية أو فلسفية أو نظرية ـ اللهم إلا غاية الأخوة ، أخوة الانسان وصداقة الانسان وتعارف الانسان ، وربما من أجل وحدانية مقدرة فى ظل مجتمع انسانى فاضل قوامه الاخاء والتكافؤ والمساواة .

ما هذه العصا السحرية التى تحقق ما لا تقدر على تحقيقه الأبواق والطبول والكلام المنمق المعسول ، والتى تحشد ألوان الملايين حول شاشات التلفزيون ليذوبوا فى مشهد واحد وحس واحد .. حس ببهاء الانسان ، وجلال الانسان ، حين ينازل ، على ساحة التكافؤ بعضه بعضاً .. بتجرد تام .. تجرد من الانتماءات الكتلية أو العرقية أو العنصرية أو اللونية ، أو غيرها من تلك الحواجز التى بدعها أبناء آدم ، وعزلوا بها أنفسهم عن ساحة التوحيد الفاضلة التى قوامها الاخاء والتكافؤ والمساواة ؟!

مهما قيل فى الأداة ، أداة التلفزيون العالمى الناقل للكوكب الأرضى عن طريق قمر الاتصال ، فما الأداة إلا أداة ، واسطة إنما الحدث والمضمون هو الذى يحشد ويجمع على هذا الصعيد الكوكبى . فما هو سحر الرياضة الكروية ، ذات القدرة على هذا التجميع الهائل ، شباباً فى المقام الأول ، وشيوخاً وكهولا ، ونساء أيضاً ؟! عندما اجتمعت فرق الكرة فى الأرجنتين من أجل كاس العالم ، وعندما اجتمعت فرق الناشئين هذا الاجتماع الزاهر فى استراليا ، رأينا هذا التظاهر الأممى ، بصورته الأخاذة وأبعاده الخارقة .. مشهد من المشاهد غير المسبوقة فى تاريخ الأرض .. مشهد أقرب الى مشاهد السماء المذكورة ..

مشهد يقرب الى الذهن معنى التوحيد والوحدانية فى الله ، لأنه ينطوى على تجرد تام من معانى الأثرة المقيتة والتفاضل الجاهلى وشتى الادعاءات .

لابد أن فى كرة القدم ، دون غيرها من رياضات ، سحراً خاصاً هو الذى يجعل لها هذه المكانة المتزايدة على الأيام بين البشر .. لا السباحة ولا التنس ولا حمل الأثقال ولا ألعاب القوى ولا كمال الأجسام ، ولا غيرها من رياضات تجتذب هذه الجماهير الهائلة ، من السائرين فى ركب الانسان ، المتقدمين منهم والمتخلفين على حد سواء ، تذيبها



فريق الشباب القطرى الذى فاز بالمركز الثاني فى مباريات كرة القدم لدورة الشباب الكروية فى استراليا ، وحقق نصراً عالمياً لبلاده .

وتوحدها فى الحدث وفى المشاعر المتسامية .

أهذا السحر نابع من المعنى الرمزى المتمثل فى المشهد الكبير؟! يرى الخلق فيه رمزاً وبشارة.؟! الساحة الكبيرة الخضراء يحيط بها عشرات الألوف من الشهود ، أتوا من كل فج وصوب ، ومن ورائهم ألوف الملايين ، عيونهم محدقة ووجدانهم يهتز وأرواحهم تهفو .. أهذه الساحة وهذا الموقف رمز للقاء عصيب موعود .. أو لقاء مرتجى من الضمير البشرى التواق الى ما أسماه المدينة الفاضلة ؟!

وهؤلاء اللاعبون الكثر ، المؤدون ، الممثلون لشعوبهم الكبيرة وقبائلهم الصغيرة فى تكافؤ يتبارون .. يتساقط عليهم وابل ، أو يشوى أبدانهم القيظ ، أو تخنق أنفاسهم الرطوبة .. كل فريق يكشف عما قدمت يداه أو رجلاه ، وكأنما يقول هاكم اقرأوا كتابيه .. والحكم مسيطر فى الساحة ينفخ فى الصفارة ويقضي فى الأمر ..

أهذا السحر نابع من هذا الرمز ؟!

أهو كامن فى معانى البطولة والجهاد والمشقة التى تتجاوز حدود الممكن الى حدود المستحيل ؟! أهو فى روح التسامى والتكاتف والبذل والتفانى فى الفريق ؟! أهو فى التطوير الدائم للرياضة من تنقيتها من كل مظاهر الخسة والتسلل والتهجم والعنف .. والتسامى بها الى قيم النبل والذكاء وسعة الحيلة والألمعية.؟! أهو فى هذا التجاوب العجيب المحير من جانب الجماهير نحو المؤدين ، مؤازرين داعين مبتهلين ؟!

ثم ما مظاهر القداسة هذه التى تشهدها ساحات الرياضة الكروية.؟! المؤدى الموفق يقبل التربة .. يركع لله .. يضعون أيديهم بعضها فوق بعض .. يقرأون الفاتحة .. وهؤلاء المؤدون الأفارقة .. يحملون تمائمهم السحرية وأحجبتهم ويودعونها العرين حماية وحجبا .. عن الشياطين ؟!

هل هذا هو مغزى التظاهر العالمى الكبير ؟ إن يكن ذلك فهو مغزى إنسانى عظيم ، يضفى على الدورات العالمية لرياضة الكرة بالذات أبعاداً ، لم تكن قبل اتصال الفضاء تؤخذ فى الحسبان .

فى بداية العشرينات من هذا القرن دعا رجل انجليزى ثاقب البصيرة اسمه «بادن باول» ، شباب العالم للانتظام فى حركة رائدة اسماها الكشافة . وراحت الفكرة اللماحة تدرج وتقوى ، دون سند من حكومات أو نظم سياسية . غير أن الدفع الايديولوجى السياسى القوى الذى عرفته الثلاثينات ، من فاشية ونازية وغيرها أنشأ ، بدعم شديد من الحكومات ، أنظمة شبابية سرعان ما خسفت بحركة الكشافة ثم ذوت هى الأخرى وأضحت رماداً مع رماد الحرب العالمية الثانية .

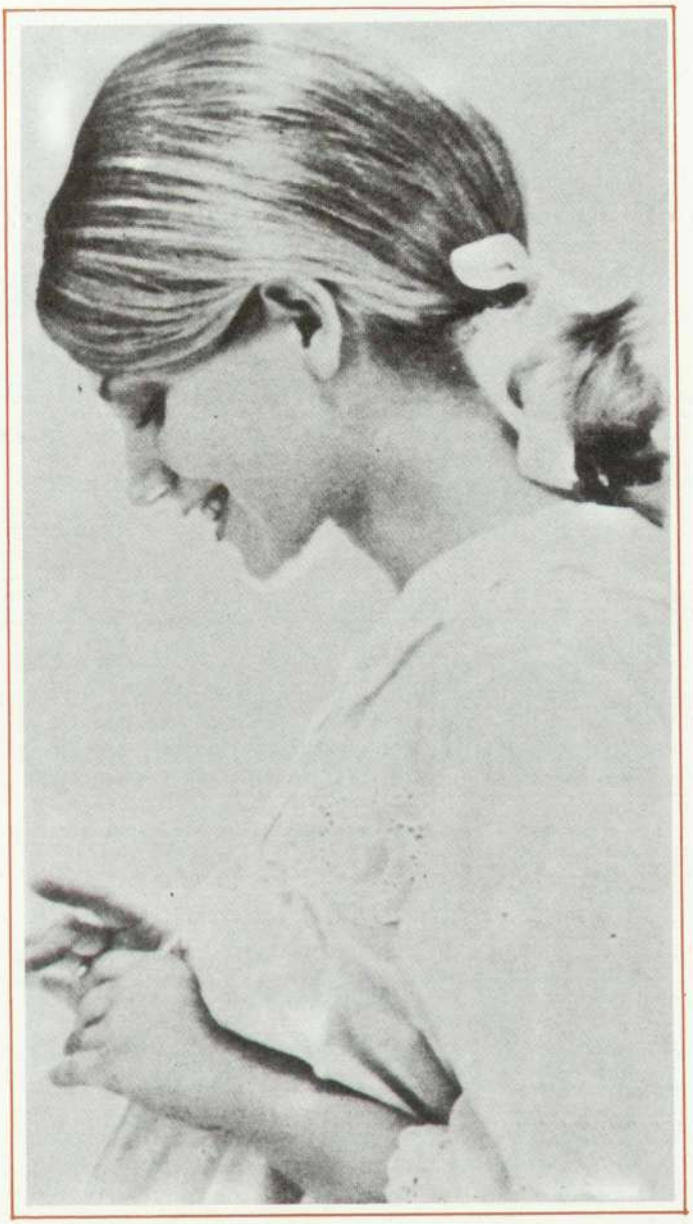
وفجأة ، مع اتصال الفضاء الموحد ، قبت تلك التجمعات الكوكبية الهائلة حول دورات رياضة الكرة ، فى قوة جارفة مستقطبة ، ومزرية بالانتماءات الصغيرة العديدة التى أشرت اليها ـ ايديولوجية وعنصرية وغير ذلك . بريئة مبرأة من غايات الأثرة والتعالى والعسف . دعوة للتعارف وللتآلف والتضامن والود ..

نداء يدوى فى الأرجاء ..

يا شباب العالم اتحدوا !

محمد فتحى

دكتور زين محمد النيل
أخصائي استشاري أمراض النساء والولادة



أيّتها الأم الحامل

أوقفي التدخين فورًا.. حفاظًا على طفلك القادم

في الماضي .. تركز البحث العلمي في مجال أضرار التدخين على المدخنين فقط من الرجال ، حيث كان الرجال يمثلون النسبة الغالبة من المدخنين . لكنه لوحظ في السنوات الأخيرة أن المرأة بدأت تشارك الرجل هذه العادة الضارة ، الأمر الذي حدا بالباحثين الى التفكير في آثار التدخين على المرأة الحامل ، ابتداء من صحتها وانتهاء بالتأثيرات الضارة التي يتعرض لها الجنين .

وقد تبين من خلاصة البحوث العلمية المتعلقة بأضرار التدخين على المرأة الحامل أن التدخين أثناء الحمل يكون مصحوباً بـ :

- انخفاض في وزن المواليد.
- ارتفاع في نسبة الولادة المبكرة قبل الموعد.
- ارتفاع نسبة الاجهاض في الشهور الأخيرة.
- زيادة المضاعفات أثناء الحمل والولادة .
- ازدياد نسبة وفيات المواليد في الأسبوع الأول .
- ظهور التشوهات الخلقية في المواليد .

وقد أشارت هذه البحوث إلى أن الأم فى سن العشرين ، إذا كانت مدخنة بصورة متوسطة أثناء الحمل ـ مع الغذاء الكافي ، والرعاية الطبية المتوفرة ـ فان نسبة الاجهاض تزيد على ٢٠٪ عن مثيلاتها ممن لا يمارسن عادة التدخين ، كما أن السيدة التى تدمن عادة التدخين فى سن الثلاثين ، ولاتتوفر لها الرعاية الصحية والغذاء الكافي ، تصل نسبة فقدانها للطفل إلى ٩٠٪ أو ١٠٠٪. ففى بنجلاديش مثلا كانت نسبة موت الأطفال فى الأسبوع الأول من الحياة عند المدخنات الفقيرات غير المتعلمات قد بلغت ضعف نسبتها عند غير المدخنات من نفس الطبقة ، وبالرغم من عدم المعرفة بالتحديد للطريقة التى يموت بها هؤلاء الأطفال ، إلا أن ارتفاع نسبة أول أوكسيد الكربون والنيكوتين فى دم الأم والطفل ، تكون العامل الأساسي فى هذه النتيجة . هذا وقد لوحظ أيضاً أن الأطفال البريطانيين من الأمهات المدخنات أقصر طولا وأقل مقدرة على القراءة ومعرفة الرياضيات والقدرات العامة من الأطفال المولودين من أمهات غير مدخنات ، ولو أنه من الصعب الحكم على أن التدخين هو السبب الوحيد لذلك التخلف .

انخفاض وزن المواليد

أصدرت الحكومة الأمريكية تقريراً فى عام ١٩٧٩م ، عن التدخين والصحة ، يتضمن ملخصاً لـ ٤٥ بحثاً علمياً لما يزيد عن نصف مليون مولود ، وقد برهنت هذه البحوث على انخفاض وزن مواليد المدخنات فى جميع أنحاء امريكا ، بالرغم من الفروق فى المستوى الاجتماعي والاقتصادى ، ومستوى المعيشة ، والموقع الجغرافي ، بما فى ذلك اختلاف عوامل البيئة . كما لوحظ هذا الانخفاض فى الوزن بالنسبة للأطفال مكتملي النمو وغير مكتملي النمو بما يعادل ٢٠٠ جرام عن متوسط وزن الأطفال المولودين من أمهات غير مدخنات . كما أن كثيراً من أطفال المدخنات يزنون أقل من ٢٥٠٠ جرام ، وهو الحد الأدنى للطفل المكتمل النمو . وهناك ارتباط وثيق بين نسبة انخفاض الوزن وكمية التدخين التى تدخنها الأم أثناء الحمل ، حيث يزيد انخفاض الوزن كلما زاد عدد السجائر المدخنة ، بالاضافة لعدة عوامل أخرى تؤثر فى وزن الجنين مثل الوراثة وعمر الأم وحجمها وجنس المولود ، ولكن تبين أن أثر التدخين أكثر وضوحاً من كل العوامل السابقة .

ويعتبر ايقاف التدخين فى الشهر الأول من الحمل انتصاراً كبيراً ، حيث يزيد وزن الطفل . فقد ثبت أن أهم سبب لانخفاض الوزن هو حرمان الطفل من الاكسجين نتيجة لتكاثر غاز أول أكسيد الكربون فى دم الأم والطفل ، كما أن مادة النيكوتين والسيانيد الموجودة فى التبغ لها أثر فى انخفاض الوزن .

الولادة المبكرة

لا يفوتنا أن نذكر أن الولادة المبكرة قبل نهاية الأسبوع السابع والثلاثين ، ترتفع بالنسبة للمدخنات مما يزيد من احتمالات انخفاض الوزن ، وتوجد هذه الظاهرة بوضوح بالنسبة للسيدات اللاتي يدخن عشرين سيجارة أو أكثر فى اليوم .

مضاعفات الحمل والولادة

تزيد نسبة مضاعفات الحمل والولادة عند الأمهات المدخنات ، ومن أهمها النزول المبكر للماء المصاحب للجنين ، والأنزمة الدموية من المشيمة ، وانفصال المشيمة المبكر ، ونزو ل الماء المبكر يؤدى الى الولادة المبكرة ، والتهابات الرحم ، كما أن الأنزمة الدموية الشديدة تؤثر على صحة الأم والمولود مثلما تؤدى الى زيادة فى نسبة المواليد والأمهات ، وهذه النسبة تزداد كلما زادت كمية التدخين أثناء الحمل .

الاجهاض المفاجىء

ترتفع نسبة الاجهاض المفاجىء عند المدخنات بشكل مذهل ، إذ تبلغ حوالى ٨٠٪ فيما بين الثامنة عشرة والسادسة والعشرين ، وما بين الثامنة والثلاثين والأربعين .

والاسباب هى نفس الأسباب التى تدعو إلى الولادة المبكرة والموت المبكر للأطفال .

الموت المبكر

لوحظ فى هذه البحوث أن موت الأطفال المبكر يزيد عند المدخنات لأقل من عشرين سيجارة بنسبة ٢٠٪ ، وترتفع هذه النسبة إلى ٣٥٪ عند المدخنات لأكثر من عشرين سيجارة فى اليوم كما تبين أن التدخين يرتفع الى السبب الرابع لوفيات الأطفال وتزداد نسبة وفيات الأطفال بصورة أوضح إذا تلاقت أضرار التدخين على الجنين ، مع عوامل أخرى مثل الولادة دون العشرين سنة وبعد سن الثلاثين ، وعند ولادة الطفل الأول وما بعد الطفل الخامس ، وانخفاض المستوى الاجتماعي والاقتصادي المصحوب بفقر الدم . أما عن العوامل التى تتسبب فى موت الأطفال فانها تشمل الوزن المنخفض ، وصعوبة التنفس ، والالتهاب الرئوي ، والعاهات الخلقية التى ترتفع نسبتها عند أطفال الأمهات المدخنات .

الرضاعة والتدخين

يحتوى لبن الأم التى تدخن على كمية من النيكوتين الذى يسبب القيء والاسهال عند الأطفال الرضع ، كما أن نمو الطفل فى عائلة مدخنة يرفع نسبة الالتهاب الرؤي والنزلات الشعبية عند الأطفال مما يرفع نسبة وفاة الأطفال فى السنة الأولى من حياتهم .

والآن يبقى الخيار لك ياسيدتي بين التدخين أو الصحة والسلامة لك ولأطفالك .

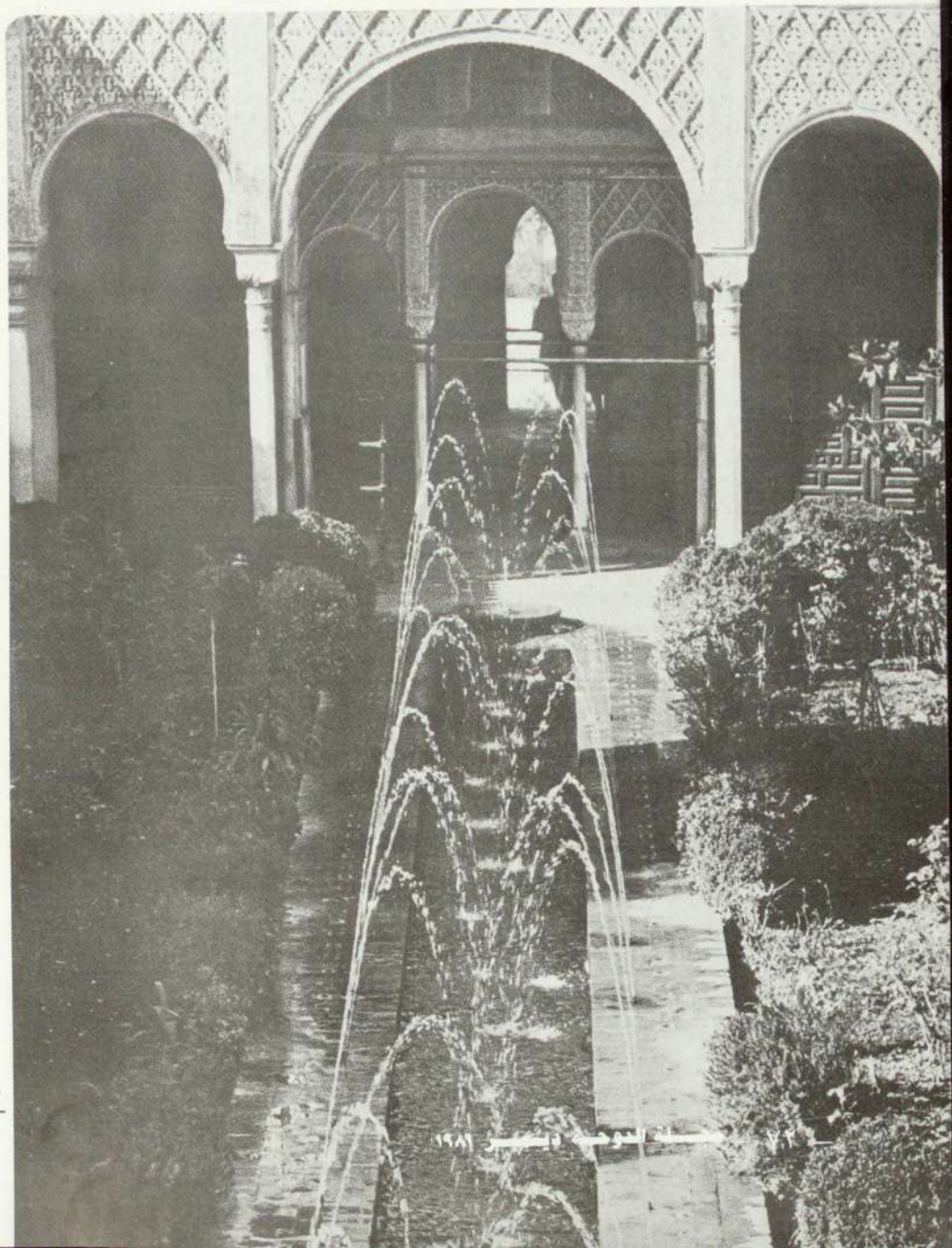
تحت ظلال غرناطة الحمراء

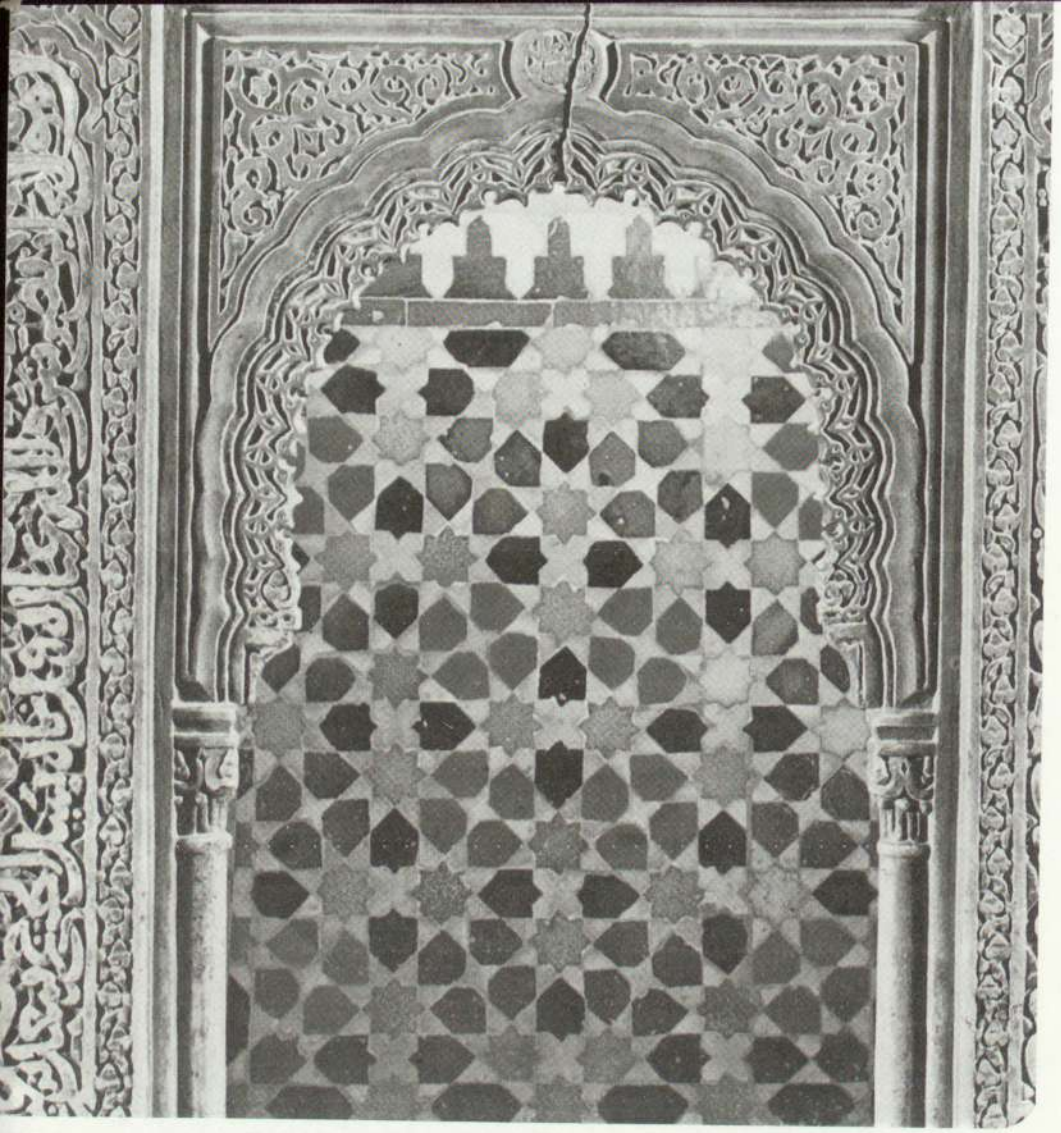
بقلم : محمد محمد الخطابى

سموه فردوسا ولكنه ليس مفقوداً كما وهموا ، إنه هنا حاضر الكيان ، قائم الذات ، إنه هنا بسيره وأسواره ، وبقاياه وآثاره ، ونفائسه وذخائره ، إنه هنا فى عاداته وطبائعه ، فى عوائده وأهوائه ، إنه هنا فى البريق المشع ، فى المدائن والضيع والوديان ، فى اللغة والأدب والعلم ، بل فى لهجة القروى النائى والفلاح المغمور ، إنه هنا فى الاباء العربى والحزازات القديمة التى ماتزال تفعل فى ذويها فعل العجب .

الأندلس ،،، أى سر أنت كائن فينا وبيننا ؟ أى سحر أنت تائه فى طيات الألسن ومخادع القلوب ؟ .

يتساءلون وقد علت جباههم علائم الشدوه وأمارات السؤ ل كيف حدث ؟ كيف استطاعت سنابك خيولهم المسوقة بقيادة طارق الفاتح أن تطأ هذه الأرض البكر ، وتقام أسس حضارة عريقة أشعت على العالم المعروف فى ذلك الابّان ، وأنارت دياجى الظلام فى أوربا دهرئذ ، إنهم يتساءلون كيف تسنى لهؤلاء القوم الغبر الوشلح ، البداة الجفاة أن يضطلعوا بكل ذلك ؟ كيف أمكن لهم أن يروعوا كسرى فى إيوانه ؟ ويجعلوا الرومان يفرون تحت وخزات الرماح وثقل الصفاح ؟ إنهم ليسوا قوماً قساة جفاة عتاة كما وهموا ، بل إنهم قوم فاتحون مبشرون بحضارة وعلم وعمران وتاريخ .





العادات الشرقية

هذه الجزيرة المحروسة التى هاموا بعقيانها هياماً ثم سرعان ما خبت الضياء وجفت المآقى ، هذه الواسطة فى عقد من جمان مرصعة فى جيد الزمان كيف وهنت قلادتها ، وتناثرت حباتها ، وتحولت الى عبرات تبكى العهد والجد والدار .

هكذا كانت البداية ثم أفلت الشمس بدون شروق قريب وغاض النبع الرقراق ولم يبق سوى وميض خافت تتلمسه هنا وهناك ، سرعان ما يتحول الى بريق مشع قوى نفاذ تراه فى هذه الأعين النجل ذات الملامح العربية الدقيقة التى تحملك فى رمشة الى أعماق الجزيرة الأولى أو الى جنان الرصافة والجسر ، أو تتيه بك فى غياهب المسافات اللامرئية ،،،

إنها هنا فى هذه العادات الشرقية الجميلة فى رعشات الأنامل وانحناءاتها فى ضربات الأكف والأرجل المتوالية التى تذكرك بمراكش الحمراء وزحلة الأرز وحماة القاهرة ، إنها هنا فى هذه الأقراط العربية المدلاة عبر جيد ناصع وذوائب فاحمة . إنها هنا فى هذه الراح التى لا تلبث أن تتحول الى روح حية قائمة محاورة .

أيها النائى القريب إنهم يحنون اليك ويتغنون باسمك الآن ، حسدوك زمناً ولكنهم سرعان ما فاقوا من نكرانهم فراحوا يشيدون لك الأبنية والتماثيل المخلدة ، ولكنهم فى خبل من أمرهم ، ذلك أن ربيعك دائم متجدد لا تراه الأعين فى الحدائق والجنان أو على ضفاف الأنهار المنسكبة بل إنه فى النغمات والخطى والعيون والحواريات إنه ربيع لا يعقبه صيف قائظ بل يتولد منه ربيع تلو ربيع !

مازالت فى العيون

إنهم يتأوربون أحياناً أكثر من الأوربيين أنفسهم ، وأحياناً أخرى تشط بهم الأحلام بعيداً ولكنهم أبداً ملتصقون بأرضهم (العربية) وتاريخهم (الحافل) وعاداتهم (الدخيلة) وتقاليدهم (العريقة) !

يضحكون عنك وهم فيك ومنك واليك، ينكرون طبائعك وعوائدك وهم الزائدون عنها ! . هنا حط الشاعر يوماً رحله ليهجر الشعر ولغوه ويقرر أن يبنى له محراباً للصلاة ففعل وكانت له جنة الخلد فى هذه الحياة الدنيا قبل الآخرة .

إنها تعد عداً ، ثمانية من الرواسي الراسخات فى عمق التاريخ تعلو فى عنان الأفق معلنة للملأ أجمعين أنها هنا ماتزال قائمة ثابتة فى الصور والمنقوشات والعيون والرقصات ، والعقل واللسان والجنان .

إنها هنا تسلب لب العاشقين وتروي صدى الهائمين، من دوحها انطلق صوت حمامة ذات مساء حزيناً باكياً شاكياً يعلم المحبين أصول الهوى والصبابة، إنهم لا يمقتونك إنهم معجبون ، إنهم يفرون منك ولكنهم ينتهون اليك .

الأندلس : هذه الفاكهة المحرمة المعلقة فى شجرة ليس لها جذع قائم من يطولها عادت إليه الحياة فى ثوب جديد متجدد ! .

الأندلس : هذا النهر الجارف من يستطيع الغوص فيه أو الدنو منه لآب الى النبع الأول بعد أن طالت به المسافات وشحط المزار !

الأندلس : هذه الأغرودة الحالمة الحلوة تنطلق عند الأصيل على ضفاف العيون فلا يمل السمع منها ولا يتعب اللحظ ،،، هذه الأنثى الهائمة المخصاب التى شق النسيم عليها يوماً جيب قميصها فانسابت من شطيها تطلب ثأرها ، وما أن تضاحكت ورق الحمام بالأدواح الشاهقة هزءاً حتى ضمت من الحياء إزارها !

كيف حدث ؟!

ولكن .. قل لي بربك أيها الصديق كيف أمكن لهم ؟ كيف أمكن لهم أن يغيروا وجهة التاريخ ؟ كيف استطاعوا

تحت ظلال غرناطة الحمراء

الاضطلاع بذلك الدور القيادى ؟ لأنهم كانوا أصحاب إرادة وإيمان ، ومن توفر فيه هذان الشرطان كان له دائما ما أراد ولكنهم أخفقوا فى النهاية ، إن الاخفاق من صفات البشر ، وهذا ليس عيبا بقدر ما يكمن العيب فى ألا يعمل الانسان شيئاً ، ولكنهم بعدما كانوا مفخرة فى جبين التاريخ وذرة فى أعين الناس غدوا مهزلة أمام ناظريهم حتى أصبح أمرهم يثير الشفقة ، كيف تجرؤ على قول مثل هذه الترهات وهم بناة أعمدة ضخام مزركشة ، ورافعو أقواس عظام منمقة ، ولكن البلى قد أتى عليها كما يأتى على كل شىء ، إنه شأن الحياة ، إننا اذا أخذنا بهذا المبدأ فلنترك كل شىء على عواهنه ونمضى ، إنهم قد عملوا جهدهم وبذلوا كل ما فى وسعهم ليتركوا لنا شيئاً نتملى بالنظر اليه والتأمل فيه وإعمال الفكر والعقل وكل الحواس من أجله ، ترى ماذا فعلتم أنتم بالمقابل الآن ، إنكم لم تفعلوا شيئاً ، كيف لم نفعل شيئاً وقد قمنا بترميم كل ما تركوه لنا ، ووضعنا حارسا على الباب والآخر فى الداخل يسهران على تلك الكنوز المتبقية ، حسنا فعلتم فتلك شيمة من شيم الأمم الراقية ، وإن من يحافظ على ماضيه إنما يبنى مستقبله ، إننى أصاب أحياناً بالشدوه فيراودنى نفس السؤال الأبدى المؤلم .. كيف حدث ؟ بل كيف أمكن أن يحدث ... ؟

لا غالب إلا الله

كيف أمكن للدهر أن يأتى على جنس بأسره من على سطح الخريطة ؟ ولم يبقِ سوى على اسماء بعض العوائل والمدن والقرى والمدائر والأنهار وجملة مصطلحات وأسماء أصابتها العجمة واللكنة ، على كل حال إن الذى يقوم به علماء البيئة من أجل المحافظة على جنس بعض الحيوانات سواء البرية أو البرمائية أو المستأنسة أو المتوحشة شىء مفيد ويستحق التصنيف ، ولكن كيف حدث إذن ؟ أنا شخصياً لا أدرى ، ومن يدرى ، كفى هراء وقل كيف حدث وإن لم يكن لديك الجواب فالقِ السؤال على سواك ، وإن تعذر عليه الجواب فاطلب منه أن يجول به فى الأسواق العامة أيام الجمع والآحاد ويسأل الناس علناً عن ذلك ، ومن كانت لديه الاجابة فليقدمها فى أقرب الآجال ، إننى جاد ومتى لم أكن جاداً معك ، وإن خلتنى أمزح فاطرد هذه الفكرة الخاطئة فوراً من رأسك ، واعمل ما انهيت به اليك واسأل القوم عن سر ذلك اللمعان الغريب ، وكيف استطاعوا أن يمزجوه بالعطر والكافور ويصيروا منه بخاراً رقيقاً أو رذاذاً منعشاً يتطاير بين الناس ويحدث فى الأبدان القشعريرة ويضفى عليها ذلك البريق العجيب الذى مازالت آثاره بادية ماثلة للعيان حتى الآن ، إسأل القوم عن سر تلك التعاريج المائية الملتوية المحيرة التى أذهلت الأذهان والتى تشق طريقها فى باطن الأرض بشكل يثير الاعجاب ويبعث على الحيرة ، ثم تَجول فى القصور والبساتين وفى الأزقة والدروب فتسقى الأشجار وتورق الأزهار ، وتحيى الأنفس وتنعش القلوب وتجعل الجو ربيعاً فى قيظ الصيف ، وصيفاً فى عز الشتاء ، وتؤتى من كل فن غرابة وعجباً !

زيد أم عمرو ؟!

سواء كان الذى أمَرَ بذلك عمرو أو زيد فقد أحسنا صنعاً هما الاثنان معاً ، ولكنى أفضل عمل عمرو فقد كان أكثر ذكاء وفطنة،وعلم مسبقاً انه قد يتدحرج نحو أسفل السفح حيث المنحدر سحيق بعيد الغور ، أما زيد فقد صعد الى قمة الهضبة ، وفضل أن يعتصم هناك ظاناً أنه قد بلغ الجوزاء علواً ، إلا أن التاريخ أثبت أنهما كانا مخطئين الاثنين معاً ، فلا الذى كان فى أعلى الأكمة نجا من الطوفان ، ولا الذى كان فى الأسفل احتمى من الآتى المنهمر من الأعالى الشاهقة ، أجل انك الآن قد أصبت عين الصواب .

ولماذا تتسرع فى الأحكام ،فأنت تلقى اللوم على الجميع ، وهذا ليس صحيحاً خاصة وأنت تعلم أن الأمر كان يتعلق بالسادة العارفين وليس بسواد القوم ، إننى لا أتسرع كما وهمت بل إننى أقول ما يعنّ لي صحيحاً غير خاف على أحد .

إننى أخشى أن يكون القارىء قد مل هذا اللغط، فما أكثر ما يمل القراء فى هذه الأيام ، ولكن لا عليك ثق أن قارئنا لا يمل إنه قوى الشكيمة عالى الهمة فلا تيأس وأعدك أننى سأطلب منه أن يستمر معنا حتى النهاية ، بل ولماذا لا نستعين بحكمته ولباقته ومعارفه ، ولكن كيف يمكن ذلك ، الأمر هين ، توقف قليلا ريثما يسترجع القارىء أنفاسه ويزم شفتيه ويدرس اقتراحنا ، دعه يسرح بفكره بعيداً وله أن يحكم بما يشاء ، حينئذ سيجد نفسه مشتركاً .

جنة العريف

ولكن كم الساعة الآن ، لعلنا تأخرنا عن موعد الوصول الى الجنة ! أية جنة تعنى ؟ جنة العريف أم جنة العرفان أم كليهما ... الاختيار لا يهم ، المهم أنها جنة وكفى .. لا عليك لدينا الوقت الكافى للحديث ، فالساعة لم تقم بعد ، ومازال أمامنا متسع من الوقت لنسترسل فى الحديث كما نشاء ، ولكن أليس من الخير أن نضع ضوابط لحديثنا .

على كل حال إن اللوم لا يقع عليك بقدر ما يقع على أهل العصر فقد عدوك بعد أن أصيبوا جميعاً بالاسهال اللفظى فتعرف كم من اذاعة وتلفزة ومحطة ارسال أو التقاط وكم من جهاز وأشرطة تعمل فى هذه اللحظة لاشك أن العدد كبير بل وهل تتخيل بكم لغة تعمل هذه المخترعات جميعاً ؟ الكل يصيح ويحتج

ويلعن أو يغنى ويتأوه أو يمزح وكأنى بالأسطورة قد تحققت أمام الملأ أجمعين فاذا بالقوم قد بلبل الله ألسنتهم ، ألم يريدوا الصعود الى البرج الشاهق ، انك مازلت تتعلق بأهداب الخرافات والأساطير ألم تر كيف فعل أصحاب كولومبياء فبعد كولومبوس المغامر الذى شق عباب البحار ، وذلل الجبال المائية حتى اكتشف القارة البكر ها هى ذى كولومبيا تشق على نفس النسق عباب الضباب والسحاب فى الفضاءات المرئية واللامرئية لتكتشف فى آخر المطاف ضالة الانسان إزاء الكون ، وعظمة الخالق وسعة ولامحدودية ملكوته ، ويحك أتسخر من العلم؟ لقد استطاعت كولومبيا بالفعل الوصول الى قمة البرج وحومت حوله واستطاع ربابنتها العودة الى الأرض سليمين معافين طليقى اللسان تماماً كما انطلقا منها ، أى هذر وهذيان هذا الذى تروم تخليط العلم والتاريخ بالأسطورة والأحلام والخرافات. ؟ وهل هناك فرق بين هذه المعانى ، ألا يكمل بعضها الآخر ، ولكن تأن فأنت تعلم أن العلم إن هو إلا انعكاس وتجسيد لما سبق أن تخيله أجدادنا وأسلافنا الأولون ، فما الطيور الجارحة والغيلان المرعبة والجنيات المسحورة والوحوش الضارية وسواها سوى هذه المخترعات الغريبة من طائرات وغواصات ومدرعات ومصفحات وصواريخ ومراكب فضائية إن ما كان يبدو للناس بالأمس خرافة قد غدا حقائق علمية مدهشة ، ألم يقل العلماء اننا بعد لأى من الأعوام قد نستطيع القيام بنزهة فضائية ما بين زحل وعطارد بل نستطيع الاصطياف فى الزهرة ونقضى وقت الظهيرة عند سطح القمر ، ألست على وفاق معى إذن ؟ أجل إننى متفق معك، أما الوفاق فموطنه لبنان وهيئة الأمم وهلسنكي والمؤتمرات التى تلته ، إنه مصطلح خاص بالبلدان التى تعيش أزمة ما تشعر أنها على حافة أزمة ما أو تنوى الدمار أو تخشى الدمار ، فهذا هو المجال الذى تستعمل فيه هذه الكلمة ، على كل حال إنها كلمة تتمتع بجاذبية خاصة لدى البلدان التى تجيد اللعبة ، أما الاتفاق فهو من شأن البلدان التى ماتزال فى طريق تعلم اللعبة !

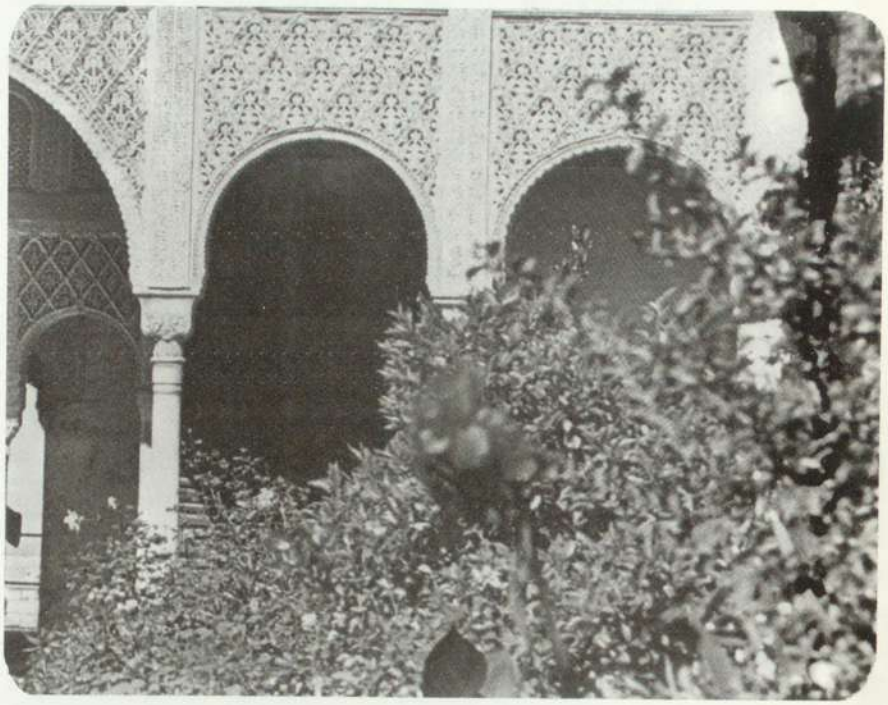
الصدق مفتاح للقلب

ألا تظن أن القلم قد جنح بنا قليلا فمزجنا شعبان برمضان كما يقال فى الأمثال ، بل إننا ننقل ما يختلج فى صدورنا وما يطفو على هامش الشعور كما يقول النفسانيون ، إذ أنت تعلم أننا اذا لم نكن صادقين فان القارىء سيعود لملله وسيفطن سريعاً لادعاءاتنا وينصرف عنا ، الصدق إذن هو مفتاح قلب هذا القارىء الذى يريد أن يستحوذ عليه جميع الكتاب فى كل عصر ، مسكين إذن هذا القارىء خاصة القارىء الصبور الدؤوب الذى يسهر الليالى فى التحصيل والاطلاع ولم يفكر أحد بعد فيما يعانيه هو الآخر ، أليست القراءة الجيدة نوعاً من المعاناة كذلك ، ثم انك تعلم أن القراءة والتحصيل كنز وفضيلة واستفادة وغذاء للعقل والروح معاً ، ولماذا لا تقول للبطن أيضا. أليس هناك قراء رغم أنوفهم يتلقون أجوراً نظير قراءاتهم، أنت تعرفهم وأنا وقارىء هذه السطور كذلك ، ألم أقل لك ان القراءة تحصيل أى أن يحصل الانسان من جرائها على علم ومال وإلا فلماذا عندما وضع أجدادنا النحاة قواعد الاسماء الخمسة المعروفة ختموها بذى مال . والختام دائماً مسك كما تعلم ، أرأيت لم يقولوا ذا علم أو فطنة بل (ذو مال) نعم مال، أفهمت ؟

أرأيت ما أصغر حجم هذا الجهاز الذى ينطلق منه ذلك الصوت اللعين وما أكبر ذبذباته ، ان موجاته تغرقنا فى بحرها وتنهمر علينا انهماراً ، إنه لا يتوقف برهة ليلا ونهاراً ليس فى الأمر أى عجب فتلك علامة من علائم العصر فدعه يصرخ كما يشاء فان الضوضاء والصخب واللجب والهرج والمرج أمور اعتادت عليها آذاننا وألفتها طبائعنا فلا تعجب كذلك إن طالت خطب هذا الهذر . صلح ..

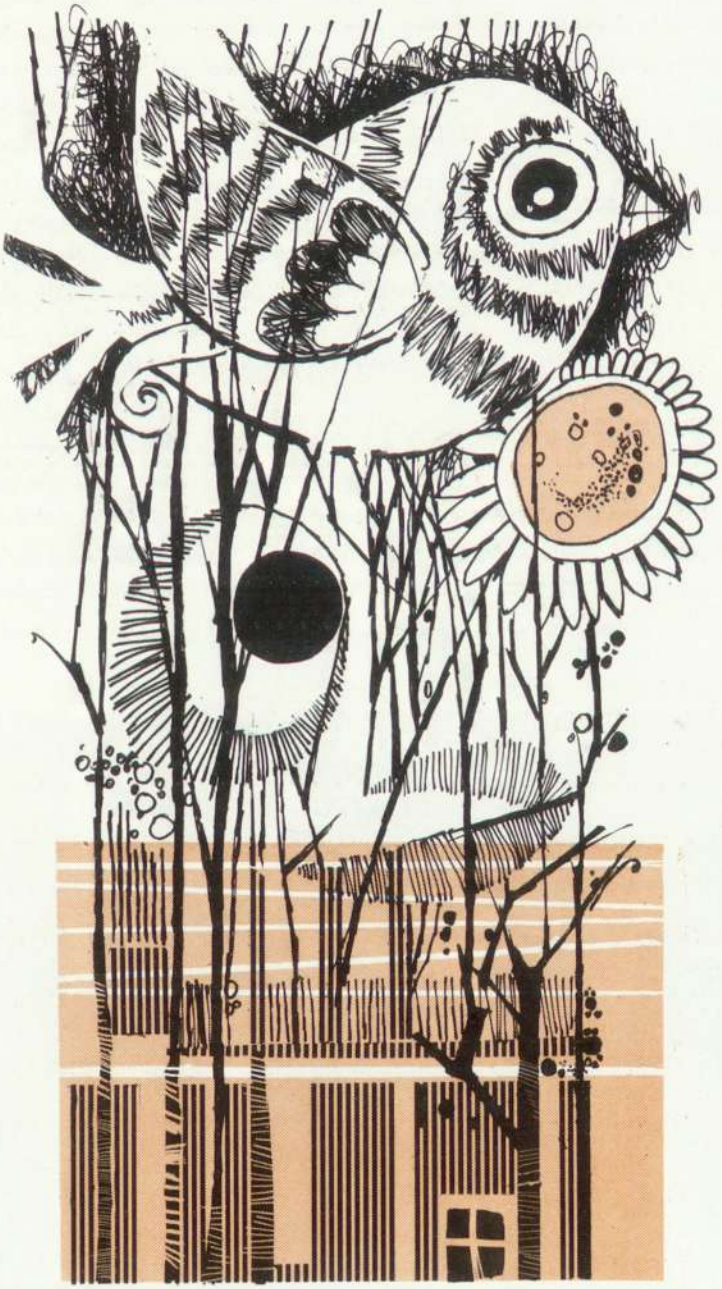
لقد غاض النبع الرقراق ولم يبق سوى هذا الوميض الخافت الذى تتلمسه هنا وهنالك ، وتراه فى هذه الأعين النجل ذات الملامح العريقة الدقيقة التى تحملك فى رمشة عين الى أعماق الجزيرة الأولى أو الى جنات الرصافة والجسر .. وصدقت أيها الشاعر المكلوم، وصدق حبك للارض الفردوس وللمرأة الولود، كيف لا وحولك ماء وظل وأنهار وأشجار .

محمد محمد الخطابى



عـــذاب كـل عـــام

شـعر: فتـــحي ســـعيد



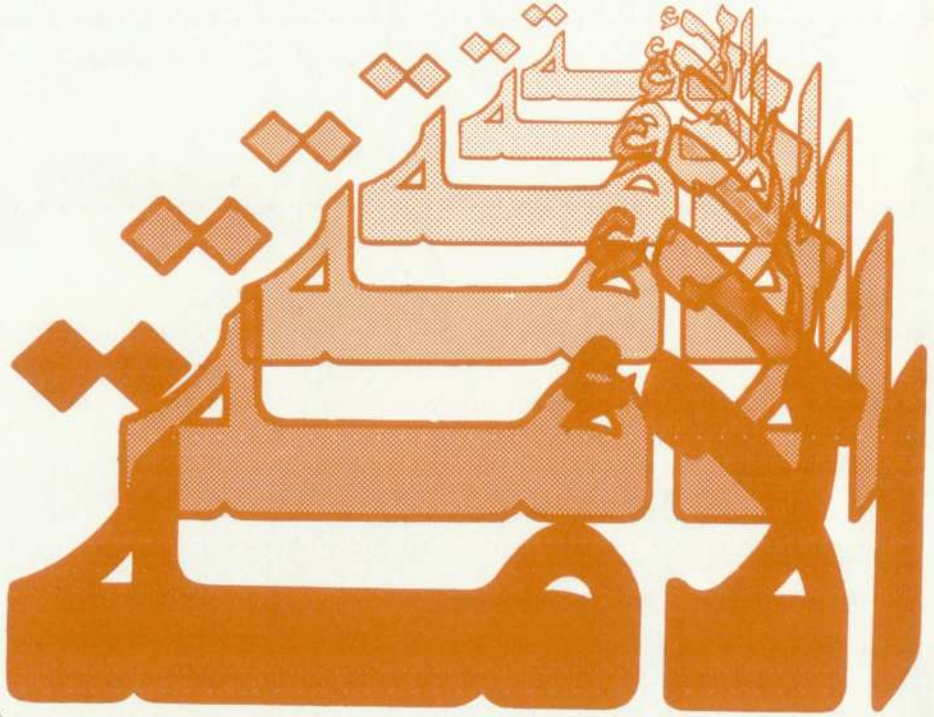
باسم الربيع أبتدى الكلامْ
أيار .. شاعر الفصول طفلها البسامْ
ياوجهَنَا الجميلَ يامهاجر الغمامْ
أغدق على الغلام الكهل .. ،
نفحـةً من الشآم
وكن دوائي فى الصقيع والهجيرِ ...
فى مواسم السقامْ
وفضلة الرداء حين تَعْرَى
فى خريفـك الأنسـامْ ..
جاء الشتاءُ فاسقني
وعلنـى .. لعلني أنـامْ
الليل لحيةٌ بيضاءُ والجبينُ البدرُ
فى التمـامْ
والوجهُ وجهه الجميلُ .. والعينان ،
والتفاتة السـلامْ
والسحب حُبْلَى ..
والربا شبت عن الفطامْ
ولم يزلْ على جبينها الصباحُ
لاهثَ الأنسـامْ
وفى دروبهـا الوجوه لم تـزلْ غريبةَ
الأفواهِ والأقـدامْ ..
مجهولةَ الأسماءِ والمقـامْ
جاء الشتاءُ ياقصيدتي
فأشعلي مجامرَ الحـروفِ والأنغامْ ..

●●

ياشعر .. كن لي كنز هذا العامْ
وسائرِ الأعـوامْ
وكن جوادَ الريح للمسافر الغريبِ .. ،
فى عواصِمِ الضبـابِ والظلام
وهتفةَ النشيد للفقيرِ والشريـدِ .. ،
فى مدائِـنِ الزحـامْ
ولليتيـم في موائدِ اللئـامْ ..

●●

يـا شعرُ يا عذابَ كـلِّ عـامْ
فى الدار لا ديـارٍ أو حـوامْ
فكـن لى الـدواةَ والمشكـاةَ والأقـلامْ
وكـن لي الكليمَ والنديـمَ والمدامْ ..



الأمة

الأمة Al Ummah

- مع مطلع القرن الخامس عشر الهجري وفي بداية احتفالات العالم الإسلامي بهذه المناسبة كان صدور مجلة الأمة .

وقد استقبلها المفكرون والقراء في جميع أنحاء العالم بالاهتمام والتقدير لما تميزت به من الأصالة والمعاصرة في معالجة قضايا المسلمين والاهتمام بشؤونهم وذلك بأقلام كبار الكتاب.

- من رسالة المجلة :

جعل المسلمين أكثر إحساساً بمتغيرات الحياة وضرورة اختصار فترة التخلف .

مواكبة التطور على هدي من تعاليم الإسلام ، حتى يعود المسلمون إلى مكانهم في قيادة البشرية إلى الخير وتتوحد كلمتهم ، يرمز لذلك شعار المجلة حيث الهدف اتحاد المسلمين في القارات الخمس .

إسلامية
شهرية
جامعة

تصدر في
غرة كل
شهر
عربي

- قراءة إسلامية للمشكلات الحضارية والثقافية المعاصرة

- تحقيقات علمية واستطلاعات مصورة

- تلتقي فيها مع كبار المفكرين والكتاب

مع كل عدد هدية

١٠٠ صفحة بالألوان

كوتسيراس

شاعر الصخرة المتدحرجة

بقلم: د. نعيم عطية

ولد الشاعر اليوناني المعاصر جورج كوتسيراس بأثينا عام ١٩٢١ ودرس الحقوق . بدأ ينشر كتاباته الأدبية عام ١٩٤٢م ، فقدم قصائد ودراسات ومقالات وقصصاً وترجمات على صفحات مجلات أدبية بأثينا وبيريه وثيسالونيك . ومما ترجمه « عالم دون كاميللو الصغير » للكاتب الايطالي جيوفاني جواريسكي و «الغريب» لألبير كامو . وفى عام ١٩٤٧ أصدر روايته القصيرة «البيت» ثم انصرف الى الشعر ، فأصدر عام ١٩٤٩ ديوانه «بلد آكلي اللوتس» ثم ديوانه «حراس الصمت» عام ١٩٥٠ وديوانه «حصار الزمن» عام ١٩٥٥ و «أسطورة الأشياء » عام ١٩٦٨م .

يقول جورج كوتسيراس « تبدو الأشياء والأحداث خاوية قبل أن يلقى الشاعر من ضميره ضوءا على الواقع المعاش .

عندئذ فحسب يبدأ الوجود يتنفس . ومن دفء الأنفاس تكتسي الحقائق وضاءة تحيلها الى كائنات ذات مضامين رمزية ، تومىء الى ما هو أبعد بكثير من اطار كيانها المحدود . وتقترب الأشياء بالتالي من الانسان بألفة بالغة وحيوية لم تكن معروفة له من قبل ، لأن القلب يكون قد نجح بذلك فى أن يبسط على الوجود جناحيه . لقد أصبح الحجر ذهبا » .

ويتسم شعر كوتسيراس بأنه شعر خشن . فقد استقى عطاءه منذ بداياته الأولى من منابع الفكر وليس من منابع الحلم . ومع ذلك يرقى شعره الى أن يكون روحيا ، ولا يقف عند عتبة العقلانية فحسب . وقد تأتى له ذلك من تسليط الفكر على أعماق الانسان بدلا من متابعة الظواهر الخارجية ، فتوصل بذلك الى ما يمكن أن نسميه « بالمشاهد النفسية » وهو ما يجعلنا نعتبر أن الشاعر قد بلغ الى مايعد « صعباً » ، بل وربما « عسير المنال » على غيره . وقد صدمت قصائد كوتسيراس متذوقي الشعر منذ البداية ، فقد اكتسح العطاءات الشعرية الوديعة المتزنة الرزينة التى سادت فى أيامه . وبقفزة تحتاج الى جهد ودربة تجاوز كوتسيراس منذ ديوانه الأول « بلد آكلي اللوتس » الواقعية المألوفة ، ولفت إليه بذلك أنظار النقاد .



لوحات مرسومة

ويعتمد كوتسيراس فيما كتب على ذكرياته وانطباعاته عن الحياة أكثر مما يعتمد على الخيالات والأحلام . ويشبه كوتسيراس رحالا ، يجوب العالم ، يلتقط منه مشاهد يختزنها بداخله ثم يعود فيعكسها فى أشعاره ، بألوانها وضيائها وظلالها ، ولكنك ستتبين أن هذا الرحالة ليس مجرد سائح يلتقط ما يسره من مناظر ، بل إنه ناسك فى رحلة حجيج ينظر الى العالم من حوله نظرة شجنية تروي مشاهده بعواطف وأحاسيس داخلية تكسب قصائده لمسات انسانية لا تقصرها الوقوف عند السطح ، بل تدفعها متغلغلة الى الأعماق . ولهذا فقد قال النقاد عن قصائد كوتسيراس الوصفية بأنها ليست مجرد « كروت بستال » سياحية بل لوحات مرسومة بريشة مصور مرهف الحس ومغموسة فى دماء العالم . ويشبه كوتسيراس فى هذا المقام أفلاطون الذى كان يجمل محاوراته عن الموت بسماوات صافية زرقاء ، ومياه شفافة رائقة . وانه لشاعر غريب حقاً جورج كوتسيراس، فهو ولئن كان يرتدي فى قصائده أنفس الثياب ، إلا أنه يخفى تحتها كيان راهب شديد الزهد والقناعة .

حوى هذا الجوهر أيضاً البذور الأولى التى راحت تتفتح بعد ذلك ، وتعطي ثماراً سخية . ومن الطريف أن نذكر عن كوتسيراس أن من رفاقه الشعراء من تحمسوا له أشد الحماس ، فأخذوا على عاتقهم أن يفندوا ما التبس على بعض النقاد تفسيره من عطاء زميلهم . ولعل ما من أحد يفهم شاعراً حق الفهم قدر شاعر مثله . ولندخل الى عالم كوتسيراس من خلال قصيدته « أحاديث مع سيزيف » وفيها يقول :

وهكذا أمكننى أن أعرف أن أعلى القمم
فى لحظات الحياة هي الموت .
ومن أجل هذا ، فان البجع ، ذلك الطائر شامخ الكبرياء ،
لا يموت أبداً دون أن يشدو بالغناء . نحن اليوم
تجاوزنا الموت دون أن نبعث أحياء .

نحن اليوم نشق طريقنا بين « النعم » و « اللا » .
مثلما تمضي فى النور حشرات عمياء .
مثلما تجوس طيور الليل فى الظلام
لأن الانسان ـ مثلما تطارد الرياح السحب ـ لن يكف عن
مطاردة الأوهـام .
نحاول أن نقيم التوازن بين شيئين من الصعب أن
يتحقق بينهما توازن ،
بين « النعم و اللا » .
أعنى نحاول أن نحقق ذواتنا بالطريقة التى ليس لغيرها
وجود .

الحفر في الأعماق

ويعمد كوتسيراس بشعره الى «الحفر فى الأعماق» ، فيصل الى أغوار سحيقة من الصمت ، والحوار مع النفس ، والانفتاح على الروح . وبسبب ذلك تتسلل الى قصائده نبرات من « الانبهار » بما ينكشف له بعد أن انهتكت من أمامه السحب ، فهو يتبين أن الحياة ليست على الدوام «حضوراً» بل هي في بعض الأحيان « غياب » إنها ليست في كل الأحوال امتلاء بل هي أيضاً « زهد » و « قربان » . إنك تكون أقدر على الحركة أحياناً وأنت « خاوى الوفاض » من أن تكون مثقلا بالعطايا والأحمال . وكم تعبر عن ذلك أصدق تعبير لوحة المصور الفرنسي « هنري روسو » بعنوان «البوهيمية النائمة» فان الأسد القوي عندما يقترب فى هذه اللوحة من البوهيمية الحافية التى لا تملك من متاع الدنيا سوى قيثارة وجرة ماء وضعتهما الى جوارها وراحت آمنة فى الأحلام ، يتشممها دهشاً ولا يمسسها بالأذى ، وسط الصحراء القاحلة التى يطل عليها من السماء قمر فضي يكشف بضوئه الحاني ماذا يعنى أن الحياة ليست بلازم أن تكون امتلاء . وهذا ما نجده أيضاً فى ديوان جورج كوتسيراس بعنوان « حراس الصمت » والقصيدة الرئيسة فيه التى تحمل عنوان « الصمت » حيث يكتسي الايقاع برحابة تواكب حاجة الروح الى أن ترفرف جناحيها وتطير فى أرجاء عالمنا الداخلي . ولنستمع الى الشاعر فى قصيدته يقول :

النجوم دمـــوع
ليلة نـزل الصمت فيهـا
مثل امرأة جلست على الرصيف
اسندت ذقنها الى راحتيها
هيكل لا حراك فيه من وطأة النسيـان
طيف شبه منطفىء ، لاتكاد تبدو فى الضوء الخفيض
معالمهـا .

لا قائمـة لصـوت ، ولا كلمـة تصدر عنهـا
فى الوضـع الأبـدي للمنسيين تنـام
صمـت وتجاهـل
ومع ذلك فالاحساس موجـود
والألـم أيضـاً موجـود
ويضحـى الحب فى غابة النوم حلماً مهشماً
صمـت وليل ـ شجـن وصمت
الناس لا تنبس بكلمة
لا ينعمـون بأيام مشمسة
وساعة الظهيرة مملكة حزن وألم
هنالك تتدلى الخفافيش مقلوبة باحثة عن دفء الظلمة
هناك لا يجد المنسيون الضوء، فتتخبط خطواتهم فـي
العتمـة

الإنســـــان والزمـــــن

وفى غمرة الصمت يجرى التساؤل عن معنى الزمن الذى يتلفنا ويبددنا ، ولكن معنى الزمن لا يتجلى تبدد اللحظة تلو اللحظة ، بقدر ما يبدو فى إدراك ما يفعله الزمن بنا ، وفى هذا يتمثل جوهره الانساني والمأساوي . ومع الصمت يتحقق هذا الادراك الذى يخفى علينا فى الصخب الذى يلف حياتنا ويجرفنا بعيداً عن ذلك الادراك الذى لا يتأتى إلا بموقف الشعر من الوجود ، فهو موقف صمت وتأمل ، ينفتح أمام ناظريه معنى الزمن ، عدو الانسان الأكبر .

وفى ديوانه « حصار الزمن » نقرأ على الأخص « مرثيات » للانسان ، تعتبر من أقوى ما عرفه الشعر اليوناني الحديث فى هذا المقام . ونجد فيها أن الانسان قد وضع فى مواجهة أخطر أعدائه وهو « الزمن » . والانسان فى هذه المواجهة يعرف بأس عدوه وعجزه أمامه ، ومع ذلك لا يكف عن النضال الصعب ، عارفاً منذ البداية مصيره الذى لا مفر منه . ومن وقت لآخر « يومض فى الظلمة بصيص من نور » وتهب فى بيداء النسيان نسمة من ذكرى بعيدة . ولهذا فقد لقب يانيس سفاكيناكيس صديقه كوتسيراس فى دراسته النقدية عنه بأنه « شاعر الأمل المر » ولنستمع الى جورج كوتسيراس يقول :

نمضى قدماً بلا صوت فى خضم من صخب أصواتنا
وبلا أمل فى خضم آمالنا .
تعزف الريح بين الأغصان مواويل يأس حزينة .
وتشق أوراق الأحراش أصابع مرتعشة
وتزرع همهمات الأمطار فى الطين حكايات مريبة
الليلة تزهر الذكرى مثل زنبقة على شط دافىء ، ويفوح
أريجها بشكوى مسمومة .

على أن الفكر الانساني يجرؤ ، رغم كل شيء ، أن يوقف جريان الزمن ، وذلك بتحويل اللحظة الفالتة المناسبة الى «شيء» له ثباته وبقاؤه . ويقف الزمن مكتوف اليدين ، وذلك لأن الشاعر يعرف أيضاً « اللحظة الأبدية » ومهما ندرت ، فمثل هذه اللحظة موجودة ، ويقف الزمن متسمراً ازاءها . وفى ديوانه « حصار الزمن » الذى يبدو كوتسيراس متأثراً فى بعض قصائده « بجحيم » دانتي نسمعه يقول :

الموت ببرده وصمته فى الزمان ساكن
روح الخراب يسود الوديان المترامية الفسيحة
تغرق اللحظات ، تغوص خاوية
تنفتح مصاريع نوافذ على ممرات تيه
يصعد فيه وينزل الدرجات موتى متغيرون
وتفد أصوات لغير أصحابها ، كما لو كانت ذكريات من
من حيوات أخـــرى
فيندمج الحاضر بالماضي ، ويختلطان بالمستقبل .

يجدل الشاعر فى أبياته الماضي بالحاضر ليقدمها قرباناً للمستقبل . والزمن القائم على الدوام وفى كل مكان يترك

آثار خطواته على وجودنا الهزيل كله . ويقول الشاعر « بني الزمن أسواره من حولنا ، وحوطنا بها » كما يقول « وها هي الأجيال جذوة من نار ملتهبة فى الليل اللانهائي » ثم يمضي فيقول فى قصيدته :

بين الأسوار الحجرية ، الليل أسود ،
فى جحيم أسود
ليلة بعد ليلة ، سنة بعد سنة ، لحظة بعد أخرى
ما يفقد قصة آلمة
مغامرة لا مفر من أن تقع فى قبضة الليل
ترتدي ثياباً جنزية ، وعلى وجهها قناع النسيان
تنزل بلباس الغواصين الى أعماق بحر من الصلب المنصهر
وتحتمي بعجلة نجاة تعجز أن تطفو
تغوص وتضيع خلف أعمدة الظلمة
بعيداً ـ بعيداً وراء أحزان الضياء
عميقاً ـ عميقاً ـ حتى مولد النجوم .

ثم يمضي جورج كوتسيراس فيجرى « حوارا مع سيزيف » ليواجه الضعف الانساني ازاء القدر . ويكاد يهتف الشاعر فى حواره الطويل هذا « ما أعظم الضعفاء لحظة قوتهم » ولنستمع إليه يخاطب سيزيف فيقول :

انتظرتـــــك
وتنتظـــــرني
اعـــرف اني سألتـــقي بـــك
وستجدنـــي كما كنـــت منـــذ آلاف السنين
خلف اللحظة الأبدية اختبـــىء ، فى انتظارك .
سيزيـــف
سيزيـــف
لمـــاذا لم تعـــرف للسعادة طعمة ؟
وماذا يهم حتى لو كنت نهابـاً ، وقاطع طريق ؟
بالنسبة لك تحلل البحر الى آلاف القطـرات
ونـام المـوت نومـة البشر
أخـذت الحياة البحـر فى أحضانها ورحلـت .

إعـــادة بنـــاء الأســطورة

ولقد أحب الشاعر سيزيف كثيرا ، فنفخ فى صورته الأسطورية أنفاساً بشرية ، وجعلها تنبض بآلام الوضع الانساني ، بكل صموده واحباطاته .

سيزيـــف
سيزيـــف
حتى لو أنك ميت ، فانـــي أراك الآن حياً
وراء الموت تقبع منتظراً فى اصرار
وراء الحياة تختبـــىء ولا تتـــزعـــزع
تهيب بضمائرنـــا أن تفتـــح عيونـاً عادلـــة
لأنـــي أراك بسيـــف الظلم المشرع عاريـــاً
واسمـــع صوتـــك مثل حجـــارة تتدحـــرج
أراك
أسمعـــك
وأشعر بك حيـــاً
هنـــا
عبر الضفة الأخـــرى لصوتي
سيزيـــف
سيزيـــف

ومن هنا يبدأ الشاعر فى اعادة تشييد الأسطورة المزلزلة على صورة جديدة ، ينفث فيها رؤيته وفكره . وقد سجل ذلك بعض النقاد الذين درسوا شعر كوتسيراس وفى مقدمتهم ثيميليس وسبانذينوديس وميخائيل سيراكليس . وكم من صدق وثراء تضمنته أسطورة سيزيف . وقد أدرك كوتسيراس ذلك ، ورفض أن يعتبر هذه الاسطورة قد طواها ضمن ما طواه النسيان ، بل عمد الى نفض ما تراكم عليها من تراب . وأبرز سيزيف على أنه رمز العصر الذى نعيش فيه ، وقدم معاناته على أنها معاناة الانسان الحديث . وقد وجد فى كفاحه تعبيراً عن أمل الانسان فى غد أفضل ، تنتهي فيه كل الآلام . ويقول الشاعر :

الظـــلام فى أعماق العقـــل يضيء
فينعكـــس على سطـــح البحـــيرة
طعـــف وضيء
لبطـــل جديـــد
يسير الموتى الذين لايرحمون ، هائمين ، فى ضياء النجوم .
ينزل الدرجات على مهل عجـــوز لم يحـــظ بالتوبـــة
هنـــا ، حيـــث لم يعد الزمـــن يـــروح ويجيء
هنـــا ، حيث احتفظت الوديان بذكريات فضية
من الصينية الكبيرة للقمر صاحب السيـــادة .

أحياء كالأموات يرحلون . ينزلقون الى أمل كالسراب . يطأون بأقدامهم الذكريات كأوراق شجر جافة ، ومع ذلك يحيون ، ويتحركون ، يجاهدون ويشقون ، يحيا الانسان ، ويؤمن ، ويأمل . ويمضي بأصرار يجاهد وقد ركبه وهم كاليقين بانه ربما غير مصيره . ولنستمع الى الشاعر اليوناني يعبر عن ذلك بقوله :

أولئك الذين يحيون يكسبون الحياة
أولئك الذين يموتون يكسبون المـــوت
يجتاز الأحياء الضوء الباهر ، مهذبين ، مؤملين ، يحدوهم فضول أن يعرفوا
ويجوس الموتى الظلمة التى لا فجر لها ،
ويمضون فى مخيلة الدهر الذى لا ينقضـي
يحيون من جديد لحظة ميلادهم
يحتفلون بذكريات ماضية تحللت فى التراب
أما الأحياء فيظلون يرسمون الأسطورة الوضيئة ، فى انعكاسات المرآة .
ويضخمون فى مكبرات الصوت الكلام الذى سيبتلعه الصمـــت
ويسابقون الصوت فى سرعته ليلغوا المسافة بين الصمت والصـــدى
يغرقـــون الظـــلام فى لجة مـــن الضيـــاء
تنحدر نازلة خلف بوابات الشمس ، وتختفي
بعيداً ـ بعيداً فيما وراء أحـــزان الضيـــاء
عميقاً ـ عميقاً حتى مولد النجوم .

●●

إن ما يضيع هو بالنسبة للجميع أقاصيص أحزان فى سيرة الزمن غير المفهوم . وتضحى هذه القصص مأساوية الى حد الجنون ، وعندما ننظر اليها من زاوية العدم الذى لا مفر منـــه. ويمضي كوتسيراس فيقول :

لم أكن أعرف ، يا سيزيـــف
أنـــك تدحـــرج صخـــرتك
فى الموت كما كنت تدحرجهـا فى الحيـــاة .
رأيتـــك تحـــت الشمـــس الحارقة فى نهـــار الحيـــاة
يتصبب عرقـــك ، وأنـــت تدحـــرج صخـــرتك .
وتمنيـــت لـــك قطـــرة رطيبـــة
تبلـــل من لظـــاك .
ثم رأيتـــك فى الظلمـــة الطينيـــة
تلعق الديـــدان قدميـــك
وتمنيـــت أن تهب ريح حارقـــة
تزيل من على جســـدك الأدران .

معنى كفاح الإنسان

إن الحياة مزدوجة المعنى . هي صراع وغاية ، جهد يبذل ، وغنم ينال . هل هذا صحيح ؟ أليس الألم هو الطريق الوحيد للخلاص ؟ ولكن كوتسيراس في «حواره مع سيزيف» يبقى أيضاً على عزيمة القوة ، على ارادة الكفاح من أجل الكفاح .

ولا يتخلى سيزيف عن دفع الصخرة الى أعلى مهما تدحرجت نازلة سفح الجبل . إنه العناد والاصرار اللذان يجعلان لكفاح الانسان معنى مأساوياً . ان البطل الأسطوري لا يكف عن السعي الى هدفه ، ولا تثنيه عن ذلك أي صعاب . ألم يكن بامكان سيزيف أن يكف عن دحرجة الصخرة ؟ كان بامكانه ذلك ، لكنه كان سيفقد معنى وجوده ذاته . إن النكوص والتراجع ليسا قيمةانسانية بل ضعفاً . وقد أراد كوتسيراس من خلال مرثيته لسيزيف أن يمجد الجهاد من أجل الجهاد ،

حتى ولو لم يكن تثبيت الصخرة في مكانها بأعلى الجبل شيئاً ذا بال . وما الذى كان يعني سيزيف في النهاية أن تظل الصخرة بالقمة أو أن تستقر عند أخمص الجبل ؟ ان المهم في الأمر هو الاصرار والصمود . وهذا هو معنى سيزيف ، وهذا أيضاً مضمون حوار كوتسيراس مع بطله الأسطوري الحبيب الذى جعل منه نداء الى بني عصره ، ودعوة الى الكفاح من أجل ما هو شامخ ونبيل . إن المطلوب من الانسان هو أن يجعل حياته صعوداً متصلا الى القمم . ولن تكون خاتمة

المطاف بالنسبة للانسان أن يبلغ قمة ، لأنه لا زال عليه أن يحافظ على وجوده بتلك القمة ، ولن يكون ذلك إلا بمواصلة صعوده الى قمة أعلى . ولا نهاية للقمم في مسيرة الانسان النضالية . ويقول الشاعر اليوناني في قصيدته :

جسدك ممزق ، يدمي ،
روحك متآكل .
نصفه غارق في الظلمة
ونصفه الآخر في الضوء الباهر
والزهرة المسمومة
بين الصخور الجدباء تنمو ،
سواء في النور أو في الظلمة
وبأعماقها ينضج
طعم الحياة المرة .

عذاب السعادة

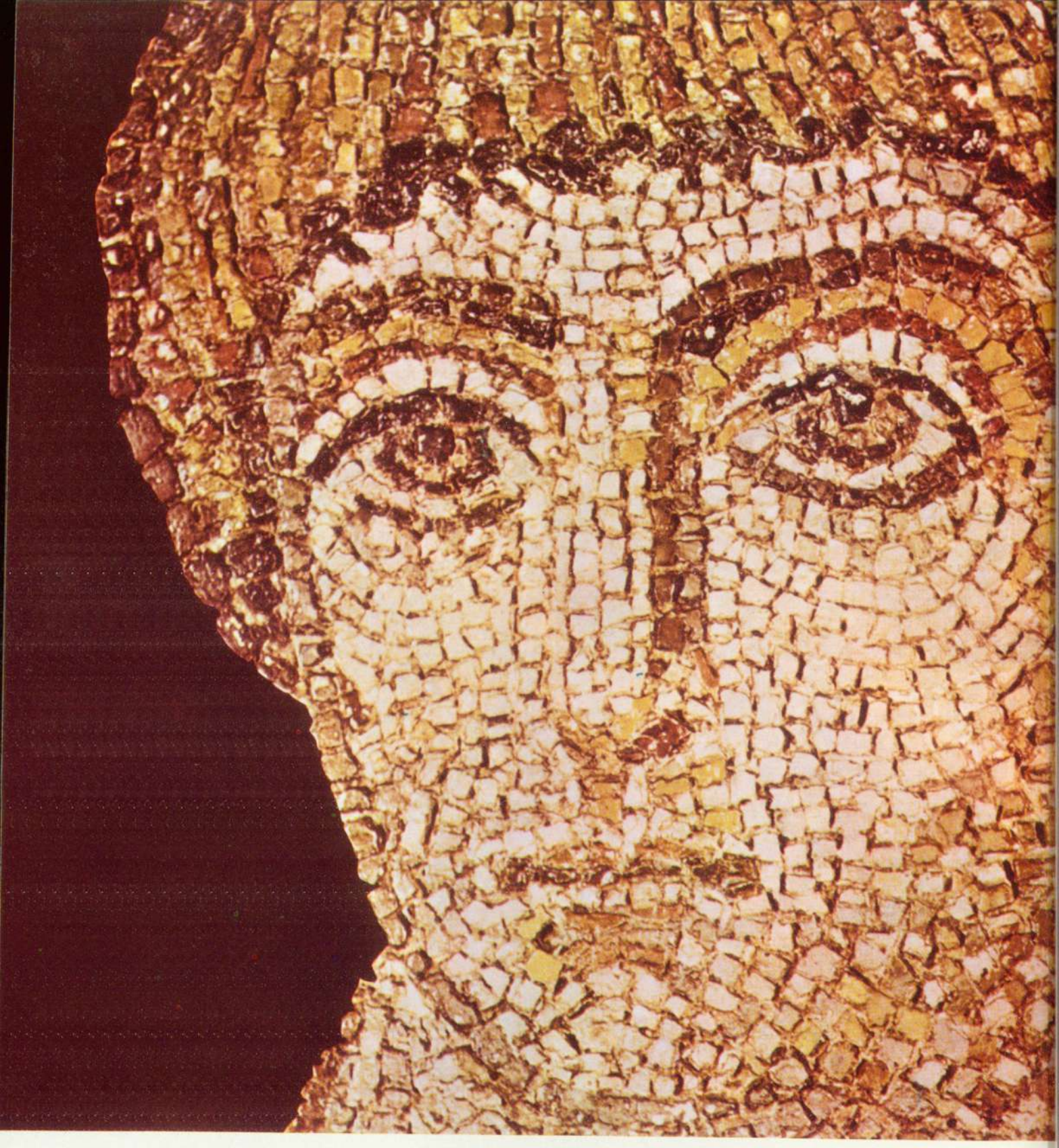
إن الحياة الانسانية تمضي تحت وطأة لعنة أبدية بالكفاح المرير من أجل سعادة عسيرة المنال . ومع ذلك توجد هذه السعادة ، ومن أجل الظفر بها يمضي الانسان في تحمل العذاب :

سيزيف
التقى بك الآن في الحياة الأخرى
ينتقل صوتي الى الضفة الأخرى
ألقاك مجهداً ، يائساً ، معذباً
في الحياة تموت
وفي الموت تحيا
ألقاك في كل حركة هنا للانسان
ألقاك في الشقاء اليومي هنا لزميلك الانسان
سيزيف
كيف تدحرج صخرتك هناك .
بين النور وبين الظلمة في الأعماق ؟

أهي السعادة تلك الصخرة دائبة التدحرج ولا تثبت في مكان ؟ وما تلك اليد التي تعبث بنا ، ولا تترك صخرة السعادة في مكانها ؟ ولنستمع الى جورج كوتسيراس في هذه الأبيات الأخيرة :

آي يد تجذب الآن
الستار في السماء ؟
منذا الذى يسرق النور
ليبيعه ليلة الشتاء
عندما لن يبقى وجود
لنجمة واحدة تضيء منسية
ولا حتى لنجيمة مزيفة
مثل وسام صدىء على صدر السماء ؟
امتلأ أديم السماء بالثقوب وتسلل البلل
مطر حزين ينهمر
مثل دموع
أين الشفاه التي ستنفخ ريحاً
تكفكف هذه الدموع
وتجفف النشع ؟
إنها تمطر ، تمطر ، في الظلمات





« الصمت والتأمل » ينبغى أن يكون موقف الشعر
من الوجود لكى ينفتح معنى الزمن أمام الشاعر .

ترتج الأبواب
تسلل البلل الى كل مكان
انتفخ الوجود تعيساً
مثل خشبة
بين مياه البحار دب اليها العطن .
هذا قدر الانسان ،كمايراه «حراس الصمت» فى عطاء جورج كوتسيراس شاعر اليونان ،،،

ترجمة د. نعيم عطية



فرسان الصحراء



الفنان القطرى علي الشريف

للفنان القطري على الشريف رأي:

الجيوكندا لا تستحق كل هذا الصخب

بشرى ناصر

قال لي وهو يقف أمام لوحاته : أريد الآخرين أن ينظروا إلى اللوحة على أنها فعل قادر على الوصول .. وعالم سهل الولوج .. الرسم عندى عملية خلق .. ثم ولادة .. ولادة ليست متعسرة ـ ولوحاتي ليست أمساخاً ولا قاصرة النمو .. أراها متعافية تتحدث بأصالة وواقعية .. حين انجز عملا وانتهي منه أقيم معه احتفالا ودياً وأقول له : هاقد صرت يافعاً فانطلق .. وحين يجد طريقه على جدار مبنى ضخم أو فى حوزة شخص ما .. أستعيد الذكرى معه .. وأود لو أعود إليه أو يعود .

قدمت «لسيتي بنك» مايقارب الأربع عشرة لوحة .. وساهمت فى إحياء



الدشة



المها

معرض « رامادا » قبل عامين بأربعة أعمال .. كان اثنان منهما بحريين .. واللوحات الأخرى لموضوعات صحراوية

وسأشارك قريباً فى معرض يقام فى بريطانيا .. عرضت علي الفكرة إحدى المتاحف الانجليزية .. وبصدد إنجاز ثلاثين لوحة .

وقال لي أيضاً أثناء حواري معه :

أحدد مراحل عدة لقيامي بأي عمل . أبحث عن الموضوع .. أعمل الاسكتشات .. ثم أحولها الى التكوين الذى أريد .. ثم انتهى الى العمل المدروس الذى يكون بالطبع من الأعمال العشوائية . فموضوعاتي تقريباً تسجيلية .. كثيراً ما تفتقد ضبابية الخيال .

من أنت ؟

أنا علي محمدالشريف .. من مواليد ١٩٥٣م .. بدأ اكتشافي للـون ولذة «الخربشات» والخطوط المدهشة حين كنت فى السابعة .. وبدأت عملياً في الفن بعد تخرجي .. تخصصى تسويق .. ولكني أيضاً درست الرسم فى بريطانيا .. كثيراً ما استخدم موديلا فى أعمالي لأنه يخدمني .

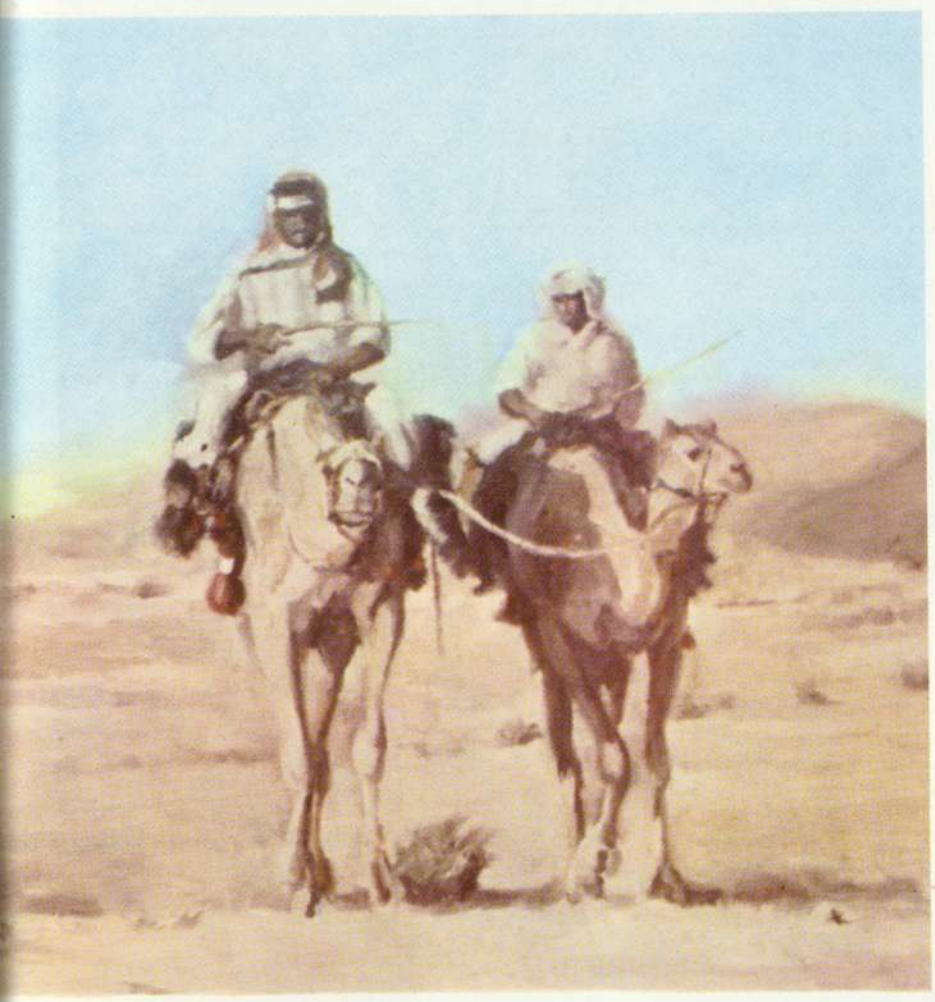
ـ ترى ماالذى يجعل للوحة فنية قيمة عالية عن غيرها ؟ . وماذا تعني القضية الجمالية فى اللوحة .. ؟

● الاختيار الفردى فى أسلوب التذوق له أهميته فى عملية التقييم الفني ، فكل شخص له انطباعات معينة وإحساس مختلف .. ولعل هذا هو العامل الأساسي فى كون لوحة ما تختلف فى تقييمها الأدبي والمادي عن لوحة أخرى .



انتظار الربيع

البحث عن حياة



الفنان القطري
علي الشريف

ولعل العوامل الموجودة في لوحة معينة اتقنت بشكل لم يستطرق من قبل حتى إن كان الموضوع مكرراً .. ولكن المعالجة الفنية والمهارة اليدوية أبدعت بصورة خيالية .. ومن المحتمل أيضاً في حالات التفضيل بين لوحة وأخرى هي عملية الدعاية نفسها ، فمثال ذلك لوحة الموناليزا .. للفنان ليوناردو دافنشي . مع أن هناك فنانين أجادوا وأبدعوا في كثير من الأعمال الفنية التي هي في نظري أرقى بكثير من الجيوكندا .. ولكن الدعاية الاعلامية جعلتها واحدة من الروائع الفنية التي لاتقدر بثمن .

أما القضية الجمالية .. فان الجمال



الرحيل

فى مضمونه يعني الجميل .. ولكنهما أبعدتا عن بعضهما البعض باعتبار أن علم الجمال لا يتضمن قيمة علمية لأنه يبدأ من تجربة معينة .. فالجمال ليس بنموذج أبدي .. أو بقانون قائم مسبقاً .. بل انه يجب إعداده .. والفكرة الجمالية تتضح وتتنوع وتتبلور بحسب كيفية التأمل الفني نفسه .. وكيفما أبدع الفنان فى الاختيار .. فالابداع هو الرقي بالجمال ـ والجمال لدى معظم الناس هو وعد بالسعادة .. والسعادة باختلاف أنواعها مبنية على تذوقات جمالية معينة .

التواصل مع البيئة

ـ ماذا تعني اللوحة بالنسبة لك ..؟

● وظيفة العمل الفني بصورة عامة هي تكرار للطبيعة ولكن بتعبير آخر وبمعالجات مختلفة .. وبحسب الاندفاع الحسي لكل فنان .. والهدف من اللوحة هو إيصال المتعة الى النظر أولا .. فلابد لنا أن نميز فى كل عمل تصويري بين الموضوع والقطعة .. ومن الممكن معالجة الموضوع بمهارة فائقة في حين تظل القطعة عديمة القيمة .. فان اللوحة شيء يتضمن قيمة وبناء ووجوداً قائماً بذاته وتختلف كل الاختلاف عن مواضيعها ..

فقيمة اللوحة لا ترجع إلى موضوعها .. لأنه من الممكن الحكم على اللوحة الفنية بمدى المهارة التى طرق بها الموضوع ..

ـ ما هي علاقتك كفنان بالطبيعة والبيئة ؟

● أنا لست فنان مناسبة .. أرسم دائماً .. والفنان الجاد ـ المجدد هو الباقي .. بيئتنا مجال خصب للرسم ويبقى على الفنان البحث والقدرة على الاستشفاف ـ فعناصر الطبيعة لا تنتهي ولا تتوقف .. وأنا لا استطيع إلا أن أتواصل مع بيئتي تواصلا عاطفياً .. وأترك ألواني حرة .. فرحانة ببساطتها وقوتها ..

إنني لا أملك طموحاً واسعاً .. أعرف أنني كبقية اخواني من البشر الذين يملؤون وجه الكرة الأرضية لا نملك إلا الادعاء والتداعي .. ولكني أثق بهذا الطموح .. واتركه يغني لي دائماً حتى أقف .. وكثيراً ما أناديه ليشاركني طعامي ...

الهوية الفنية

ـ ما هو موقفك من الفن التجريدي ؟

● الفنان التجريدي حين يكون تجريدياً لابد أن يمر بمراحل عديدة منها الواقعية التأثيرية إلى أن يصل إلى أسلوب خاص .. وأنا من مدرسة الواقعية التأثيرية .. وهي برأيي مرحلة سليمة لايجاد هوية خاصة بي .

وعند ذلك الحد ينتهي حواري مع الفنان القطري علي الشريف الذى يطل على العالم بعينين باحثتين .. ترتبط أصابعه بعلاقة مع الرمل والصحراء .. ويرتبط هو مع اللون والمساحة والواقع .. بحيث لا تضيع أحلامه فى عبثية مع اللون ومداعبات الريشة .

بشرى ناصر

لقطات من الكون المثير

« وفى أنفسكم ، أفلا تبصرون » !

فى جولتنا هذه المرة مع لقطات من الكون المثير ، سوف نطلعك على « ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .. ذلك أن عيوننا قاصرة عن توضح تفاصيل عالمنا ، ولو رأينا هذه التفاصيل بعين غير عيوننا ، لتجلت لنا فيها عوالم غريبة على السمع والحس والبصر والفؤاد ، فاللقطات المنشورة على هاتين الصفحتين توضح لنا بعض ما خفى علينا من تكوين أجسامنا ، وكأنما يحق عليها قول الشاعر الملهم :

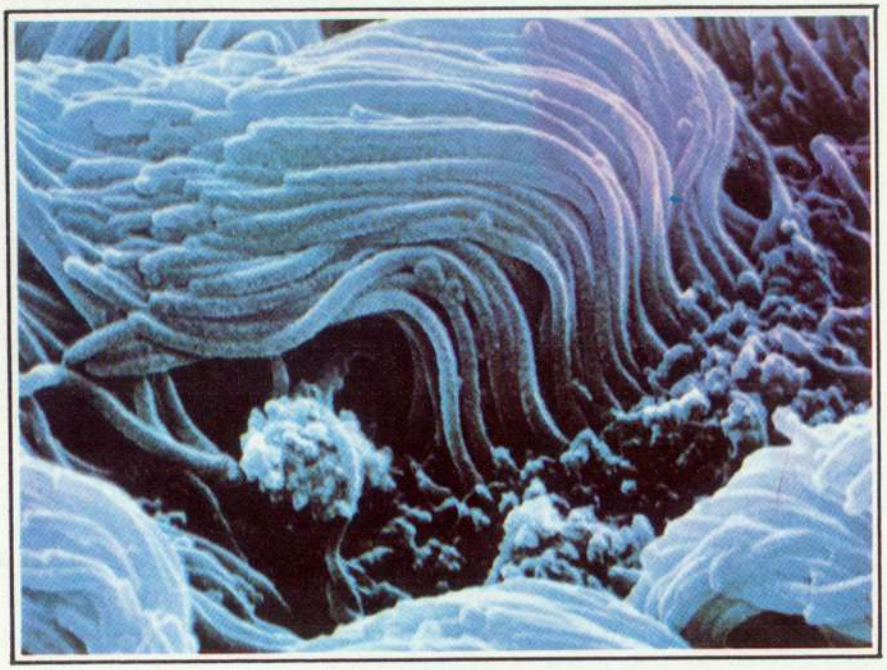
أتحسب أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

تأمل قليلا فى هذه الصور ، علك تعرف هويتها .. انها تكوينات سطحية من بشرتنا وآذاننا والسنتنا وأنوفنا ، فهل تستطيع أن تعيد كل صورة الى أصلها ؟ .. إذا لم تستطع ، فالجواب جاهز مع كل صورة التقطها العلماء بالميكروسكوب المجسم ، وكبرها لنا مئات أو آلاف المرات .



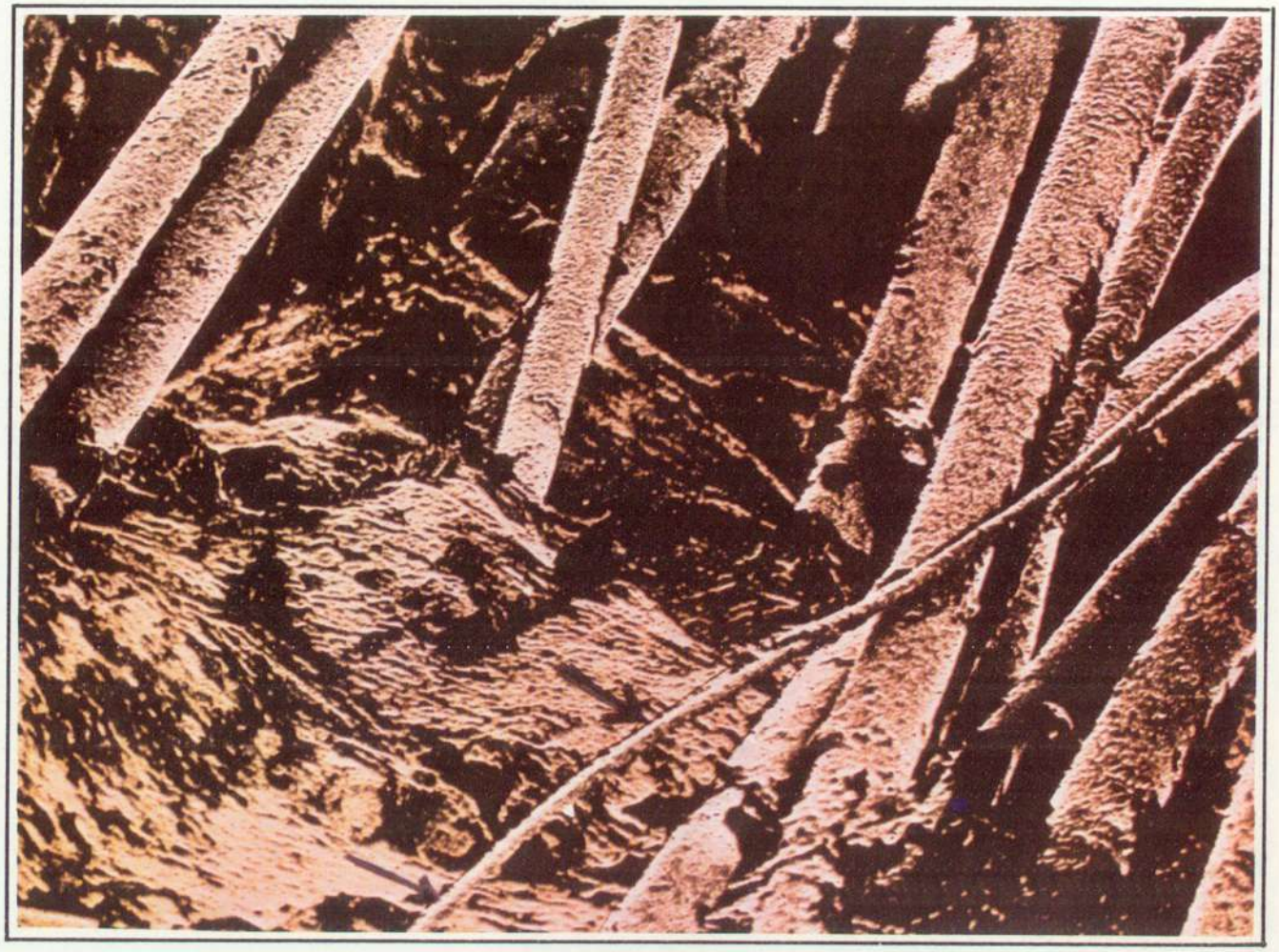
ليست اعشاباً جافة !

● تبدو الصورة وكأنما هي لأعشاب جافة نامية على فوهة مغارة ، لكنها فى الحقيقة شعيرات نامية فى مدخل الأذن الخارجية ، والسر فى عدم انتظامها يرجع الى طلائها بالمادة الشمعية التى تفرزها خلايا الأذن ، لتصبح مصيدة للغبار والميكروبات والحشرات الصغيرة وكأنما هى بمثابة الحارس الأمين .



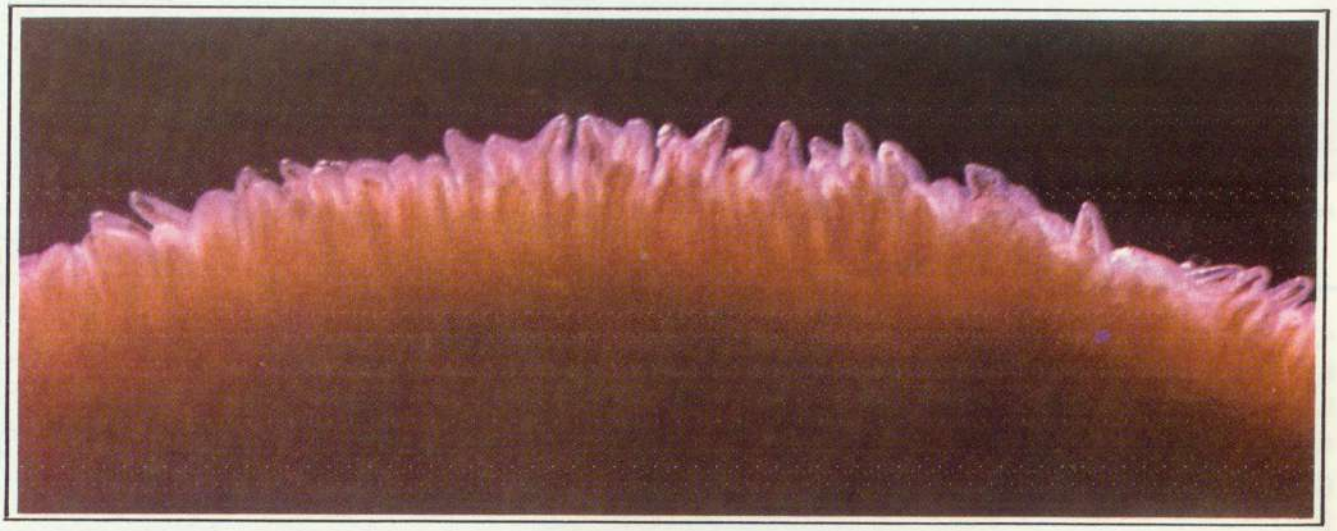
محطات استقبال وارسال

● فى داخل الأنف تحتشد جيوش من التكوينات والاستحكامات التى نرى منها جزءاً ضئيلا فى هذه الصورة ، فمن الطبقة الخارجية للخلايا المبطنة للأنف تمتد هذه الأهداب التى تنتشر عليها بالملايين والبلايين ، وهي دائما تتماوج كأنما هي حقول من القمح تداعب النسمات أعواده ، ويعتبر كل هدب هنا بمثابة محطة استقبال وارسال : استقبال الجزيئات العطرية ، فتحولها الى نبضات عصبية ، وترسلها الى مراكز الشم فى المخ ، فتحدد كل رائحة من آلاف الروائح التى تستقبلها أنوفنا .



هل هى جذوع اشجار ؟

كأنما هي جذوع أشجار تنمو على أرض غير مستوية ، ولكن ما نراه هنا صورة مكبرة مئات المرات للشعر الذى ينبت على جلودنا ، أما البشرة الناعمة فقد حولها التكبير الى شيء أشبه بالمطبات .. لاحظ ان الشعرة الرفيعة (المشار إليها بالسهم) هي ما نعرفه باسم الزغب (أو الشعر الخفيف الناعم) .



براعم التذوق

● طرف لسان طفل صغير ، ومنه تبرز « براعم » التذوق ، وكل برعم بمثابة حلمة جد دقيقة ممتدة من الخلايا السطحية للسان ، وهذه البراعم ـ التى تنتشر بالملايين مزودة بتصميمات فذة ، لتتعامل مع جزيئات عالمنا ، فتعرف منها الحلو والمر والقلوي والحامض ... الخ .

ع . ص



المجتمع الأسطوري كما تخيله الفنان فرانك فرايت

الفن بين روح العصر وعالم الأساطير والخيال

بقلم : جمـــال قطـــب

في عام ١٩٢١ ، انتهت الدادية كمذهب فني انعكست على أساليبه كل أهوال الدمار ومآسي الحرب العالمية الأولى ، التي داهمت الحضارة الأوربية كشبح كئيب ألقى بظلاله وظلامه على المدنية وعلى الأذهان والنفوس البشرية، فحطمت كل شيء ، حتى اصطبغ الفن بهذا اللون القاتم المأساوي .. وأفرز تعبيراً (سيكولوجياً) كئيباً أطلق عليه آنذاك الدادية .. أو (فن ضد الفن) ، وذلك لكي يواكب الدمار الذى استشرى في ربوع البلاد الأوربية من جراء تلك الحرب المدمرة ! ثم لجأ الفنانون بعد ذلك إلى الهروب من الواقع بأسره ، وانتهجوا (السيريالية) .

وكما جاء في بيانهم الأول فانها مذهب يتلخص في التعبير عن خواطر النفس في مجراها الحقيقي ، بعيداً عن كل رقابة يفرضها العقل ، ودون أى حساب للاعتبارات الجمالية ؛ ثم الارتماء نحو سلطان الأحلام المطلق ، والعمل على إحلال هذا المذهب مكان كل المذاهب الأخرى كحل جوهري وجذري هروباً من مشكلات الحياة !

ويتضح من ذلك ، أن انتهاج السيريالية ، لم يقصد به ابتكار أسلوب مستحدث في الفنون الجميلة ، ولكنه كان سلوكاً جديداً في الفكر والحياة .

ولعل رسم الخيالات والأحلام والرؤى الخاصة ، مذهب قديم كان يلجأ إليه كثير



انطلاقة الخيال الفنى فى العصر الحديث .. عندما لا تقاس حياة الانسان إلا بقدرته على تحويل الآلة الى بطل اسطورى .

من الفنانين كتعبير عن انطلاقة الفكر فيما وراء الواقع ، وكان ذلك قبل ظهور السيريالية عام ١٩٢٤ ، حيث نلمس تلك الرؤى الذاتية بوضوح فى أعمال (أركمبولدو) و (فوسلي) و (وليم بليك) و (بروجل) و (شاجال) وغيرهم ، وجميع هذه الأعمال تبدو سيريالية تجمع (على حد تعبير أندريه بريتون ، زعيم السيرياليين) بين حالتين متناقضتين هما : الحلم والواقع .

وتنقسم اللوحات السيريالية إلى نوعين من حيث طريقة الأداء : نوع يعتمد على التجسيد الواقعى ، ونوع آخر يميل إلى التجريد ويكاد أن يخلو من البعد الثالث . والنوع الأول يمتاز بأنه يجمع بين الخيال والواقع فى صورة واحدة ، ويعالج الفنان أشكاله بدقة واقعية لكي يبرز الكائنات التى يرسمها ، سواء أكانت واقعية مقتبسة من الطبيعة ، أو وهمية من عالم الجن والأساطير والأحلام . أما النوع الثاني فهو إطلاق الفكر بحرية كاملة لكي يملي خواطره وشوارده ونزواته وشطحاته ، بدون رقابة من العقل المقيد بقواعد المنطق والحساب ، فتأتي هذه الأفكار لتسجل تسجيلا مباشراً خلجات النفس وومضات الخيال ، دون أية مبالاة بالصورة التى ينتهي إليها هذا التسجيل أو بقيمتها الفنية أو الجمالية .

وقد ظلت السيريالية ـ كحركة منظمة

ـ تسيطر على عالم الابداع منذ عام ١٩٢٤ ، وكان آخر معارض السرياليين هو ما أقيم فى باريس عام ١٩٤٧ عقب الحرب العالمية الأخيرة .

السريالية المعاصرة

واذا كانت نظريات (سيجموند فرويد) فى التحليل النفسى التى ذاع صيتها فى أوائل هذا القرن ، والتى اتخذ منها السيرياليون ركيزة ومنطلقاً نحو عالم الأحلام الفسيح ، قد تفرغت بدورها الى عوالم إبداعية شتى تعنى بالشكل تارة وبالمضمون تارة أخرى ، إلا أن العصر الحديث ـ ولاسيما النصف الثانى من هذا القرن ـ قد فرض على الابداع أساليب وأنماط أخرى ، عززت انطلاقة الفكر والخيال بآفاق علمية وأكتشافات جديدة ، وجد الفنانون فيها مادة غزيرة لشطحات عبقرياتهم نحو عالم المجهول الذى يرتكز على دعائم علمية مفرطة فى الغرابة والتعقيد : غزو الفضاء ـ أعماق البحار ـ أسلحة الدمار ـ عجائب المخلوقات على الكواكب الأخرى ـ القوة المذهلة للذرة والالكترونات .... الى آخر الاكتشافات العلمية فى عالم اليوم !

وصار طبيعياً أن نرى العديد من الفنانين المعاصرين ينتهجون المذهب السيريالى العلمى الحديث ، ويشتط بهم خيالهم لينقلنا الى عالم المجهول ، وكأنه حقيقة ماثلة أمامنا بكل أسراره وخباياه المثيرة !

ولم يقتصر فنانو اليوم على رسم اللوحات كما كان يفعل الفنانون فى الماضى ، بل تعدت نشاطاتهم الى عالم السينما والمسرح والكتب ومختلف وسائل الأعلام ....

وأصبح الفنان ـ بالرغم من اشتغاله بهذه الاهتمامات (الجماهيرية) ـ نجماً له جمهوره الذى يعد بالملايين ، يتلقفون ما ينتجه بالاعجاب والتهافت والتقدير أى أن الفنان من هذا الطراز قد أصبح اليوم فناناً جماهيرياً يسابق الزمن ليلم بأطراف البحث العلمى الذى يسبق لغة الألوان والخطوط وفنون الرفاهية .

وكما وجد الفنانون الأوربيون فى أواخر الربع الأول من هذا القرن ، ان اللجوء الى الخيال والأحلام هو الملاذ بعد أن اصطلوا بنار الحرب والواقع المؤلم فى الحرب العالمية الأولى ، كذلك فعل هؤلاء (الخياليون الحالمون) من الفنانين الغربيين ، حيث وجدوا فى هذه العوالم الغامضة فرصة رحبة لايحدها المنطق ولا المعقول ولا الحساب ! .. جموح اتخذ من الاكتشافات العلمية ركيزة ثم انطلق بعدها الى عالم لا نهائى من مغامرات الخيال ! ومن الغريب أن هذه (الشطحات الفنية) قد سبقت العلم الى غاياته ، وكثيراً ما نجد أن الاختراعات الحديثة اللاحقة تتشابه الى حد كبير مر ما تصوره المفكرون فى عهود سابقة ! يتساوى فى ذلك الرسام والشاعر والأديب ، فكما سبق (ليوناردو دافنشى) عصره ، وتنبأ باختراعات والآت قبل تحقيق صنعها بمئات السنين ، نرى أن هـ . ج . ويلز وغيره ممن تخصصوا فى القصص العلمى ، قد تخيلوا عوالم وكائنات ومبتكرات مثيرة ، ربما حقق العلم مثلها أو بعضها فى العصر الحديث !

كما اننا نلاحظ إقبالا غير عادى على تلك الابداعات الغارقة فى الخيال ، وكأن الانسان الذى ألف الواقع منذ مئات وآلاف السنين قد تحرر فجأة من كل ما هو معقول تحكمه الروابط المنطقية وانطلق الى أطياف المجهول ، ليتصور عالماً من وحيه هو ويعيش فيه بوجدانه وكأنه يتمرد على الواقع ليحيا فى مدينة الأحلام التى لم يكن ليراها إلا فى خيال الفنان !

الهروب من الواقع

وكثيراً مانرى أن الفنان بنزوحه عن الواقع المأساوى للحياة ، يلجأ الى عالم الحيوان ويتعايش معه فى ود وتعاطف يبلغ درجة الهيام ، فقد شاهدنا أعمال فنان ألمانى جماهيري مثل (هنريش كلاى) الذى عمر نحو تسعين عاماً (١٨٦٣ ـ ١٩٥٢) قضاها فى انطوائية وتأمل فى ملهاة المأساة الانسانية ومحنة البشرية المتجددة دائماً ، وآثر أن يبتدع عالماً خاصاً مليئاً بالشخوص الاسطورية والأحلام والرؤى الذاتية ، فكما أن الأحلام

الغابة .. نرى فيها كل الكائنات تتشكل بقوانين الفنان الخاصة .





الوحوش الاسطورية التى انقرضت من على سطح الكرة الأرضية .. هل تعود فى عصر العلم لتزيد اسلحة الدمار فى العالم من حولنا ؟

ـ كما يقول داروين ـ هى خلاصة رغبات ونوازع نفسية وجسدية لاتجد متنفساً لها الا فى عالم الموت الاصغر وهو النوم ، فان الفن يقوم بنفس الدور فى الحياة الواعية ! وبالرغم من أن هذا المجال الخرافى هو عالم خاص بالفنان ، إلا أن ملايين الناس تتفاعل معه وتعيش وجدانياً مع تلك الرؤى الغامضة وقد اختار (هنريش كلاى) عالمه الخاص على هيئة غابة أسطورية تسكنها الاشباح والشياطين ، خليط من الحيوانات والآدميين ، ولعل هذا التعبير القاسى والخيالى في أعيننا ، هو تعبير منطقى عند الفنان عن روح العصر الذى غلبت عليه نزعات الشر والبوهيمية البدائية ممثلة فى سيطرة المادة وويلات الحرب والدمار !

وفى بعض حقبات التاريخ نرى أن هذا الاتجاه يسود كمذهب عام كما رأينا فى اليابان فى القرن الثالث عشر ، حيث تميزت تلك الفترة من تاريخ الفن اليابانى بهذه الملامح الخرافية ، وبالقطع لابد انها ترجع الى عوامل نفسية سيطرت على روح الفنان وحولت تفكيره وابداعاته الى تلك الاتجاهات العبقرية الغامضة .

العالم الخاص

وعلى هذه الصفحات ـ فى الشهور الماضية ـ استعرضنا بعض الفنانين الذين نالوا أكبر قسط من الشهرة والانتشار فى العصر الحديث ، وتهافت الملايين على أعمالهم وكأنها متنفس لهم هروباً من الواقع ولجوءاً الى عالم الفنان الخيالى ، فرأينا فنان الاساطير (فرانك فرازيت) الحائز على جائزة التقدير الكبرى من أكاديمية الفنون الجميلة فى نيويورك ، وقد أصبح الشعب الأمريكى ، وكثير من شعوب العالم الأخرى ، يتلقفون لوحاته الاسطورية التى اشتهر بها فى تسابق غريب .

وكذلك شاهدنا أعمال الفنان البريطانى الأشهر (دافيد شبرد) ، وهو لم يحلم أحلام اليقظة كما فعل (هنريش كلاى) أو (فرانك فرازيت) ولم ينتهج منهج فنانى السيريالية كما فعل سلفادور دالى وغيره ، ولكنه بلغ قمة الشهرة والتألق الجماهيرى ، لنزوعه الى رسم حيوانات الغابة الأفريقية ، وكان نجم لوحاته صديقه (جامبو) ... وهو الفيل الأفريقى المهيب !

الفنان وعلوم العصر

... الخيال ... والحلم ... والأساطير ... وعالم الحيوانات والأدغال ... وجد الفنان فيها بغيته فى انطلاقة فكره حراً طليقاً بعيداً عن قيود الواقع المرير !!! أما عالم الفضاء واكتشافاته العلمية المثيرة فقد وجد فيه مئات الفنانين أرحب المجالات الفكرية وأخصبها ... فتباروا فى الكشف عن خباياها ، وسبقوا العلم الى غاياته بخيالهم الحالم ، وتعايشوا مع كائنات الكواكب الأخرى ، واقاموا مجتمعاتهم الأسطورية المتعاونة حينا ، والمتخاصمة المتحاربة أحياناً أخرى ، وابتكروا أسلحة الدمار الرهيبة التى تغزو الفضاء والأجرام والكواكب بأنواع من الاشعاعات التى لم يتوصل اليها العلماء بعد ، وصوروا علماء الفضاء وقادته على هيئة مستقبليه ممعنة من التطور والذكاء والمعرفة الكونية الخارقة

ولا عجب أن تتلقف دور النشر وأجهزة الاعلام هذا الفيض من الابداع الخيالى ، وتغمر به العالم على هيئة مستنسخات فنية وكتب ومنشورات وأفلام وصور وشرائح وغيرها ، وتداخلت الحقائق العلمية بأوهام الأحلام الممتعة فى الخيال والتصور !

فاصبح (الفن) وسيلة عصرية تشد انتباه الناس الى نوع جديد من الرومانسية التى لم يألفها العالم من قبل ... وتغير مضمون العمل الفنى ، وتغيرت ـ بالتالى ـ رسالة الفنان فى عالم اليوم ، واختلفت الآراء ، وتضاربت المقاييس والمعايير ، وأصبح الحكم فى ذلك كله نسبياً تتحكم فيه العوامل النفسية والأحداث والمتغيرات اللاهثة ... وهذه هى طبيعة العصر .. وفى نفس الوقت ، فانها عظمة الفن الجميل وحيويته المتجددة التى لاتعرف السكون !

جمال قطب





سوق «اليوربا» .. حيث يلتقون فى ازياء كرنفالية فى غرب افريقيا .. والمعروف عنهم انهم تجار نشيطون

قبائل "اليوربا"

بين الكبش والفيل والقرد

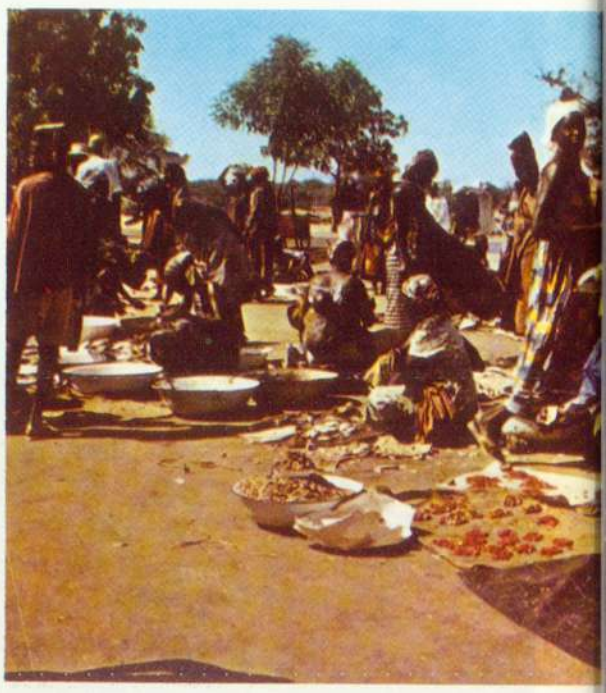
بقلم : د. حسن عيسى عبد الظاهر

قبيلة مشهورة وقديمة فى غرب افريقيا .. وفى هذه القبيلة يتزوج زعيمها مائة زوجة ... يرسلهن الى الأسواق للبيع والتجارة !

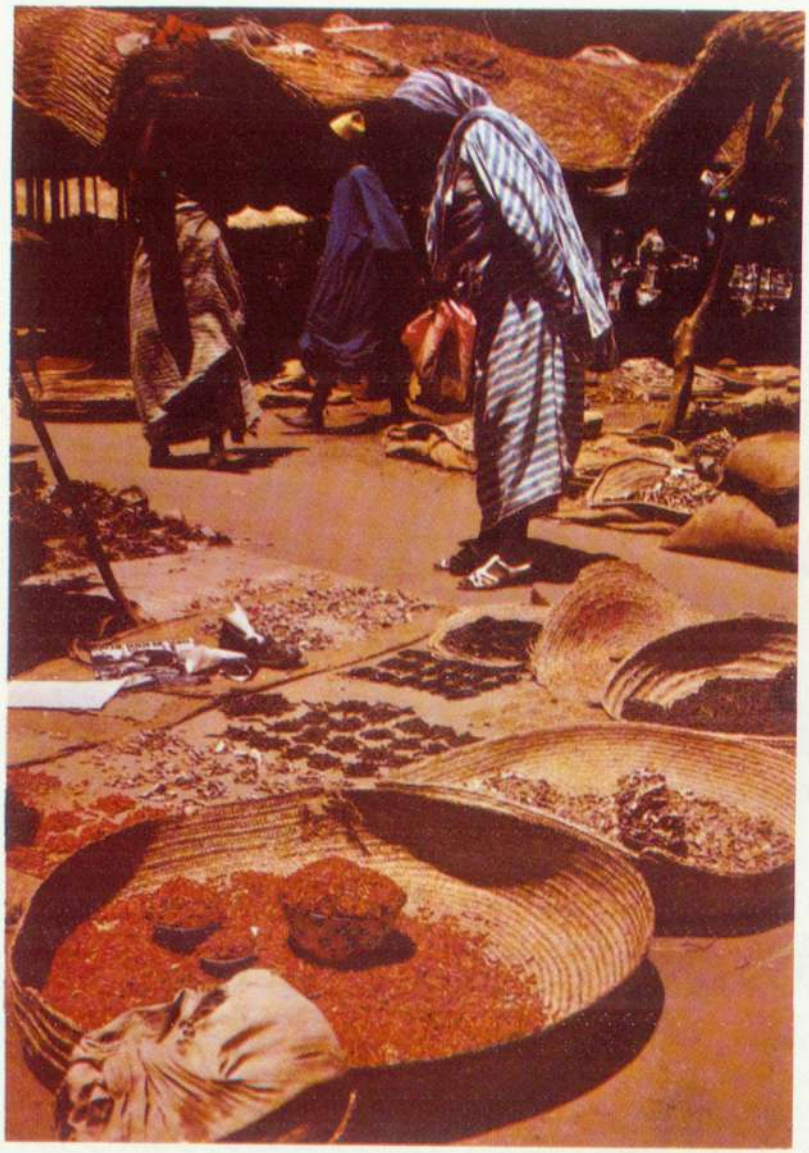
لقاؤنا هذه المرة فى (غرب افريقية) مع (اليوربا) مجموعة من أهم المجموعات الزنجية الكبيرة هناك ، وبالتحديد فى (نيجيريا) ، وبالأخص فى الولاية الغربية ، وولاية (كوارا) منها ، وسوف نلتقى بهم بعامة فى حزام (السفانا) ، ثم فى منطقة الغابات الجنوبية التى تغطى أكثر من ثلث مساحة البلاد ، وفى غرب مصب نهر النيجر بما فيه الشريط الساحلى المطل على مياه المحيط الأطلسى ، غير أن معظم معيشتهم فى الداخل ، وليس لهم نشاط ساحلى كبير .

اختلف الكتاب من مؤرخين ، واجتماعيين ، وعلماء أجناس ولغات فى شأنهم . فمنهم من يعدهم من أهم المجموعات الزنجية الكبيرة ، وإن كانوا يختلفون قليلا فى النسبة الرأسية عن قبائل ساحل (غانة) . ومنهم من يجعل كلا من (يوربا ، وبرنو ، ونوبة) أبناء عمومة ، أو أبناء إخوة ، هاجروا سوياً من (آسيا) الى السودان ـ بمفهومه القديم غرب افريقية كله تقريباً ـ فتخلف النوبة فى أرض (دنقلا) شمال سودان وادى النيل ، واستمر الباقون فى هجرتهم حتى استقروا فى هذه المنطقة ، كل منهم بالجهة المعروفة به حتى اليوم . ويؤيد هذا القول بوجوه الشبه القائمة بين هذه الأجناس من ملامح وجوههم ورسماتها التى يرسمونها على أصداغهم ، وتُرى فى وجوههم على سواء .

والأمير (محمد بلّو) ـ من علماء الفولانى فى غرب افريقية فى القرن التاسع عشر.م ـ يذكر فى كتابه (إنفاق الميسور) : «أن أهل هذا البلد (يوربا) ـ على ما يقال ـ من بقايا (كنعان) وأنهم قدموا من جهة مصر والحبشة حتى وصلوا الى (يوربا) ـ باعتبار أنها سميت باسمهم ، أو سموا باسمها ـ وكانوا يخلفون فى كل بلدة طائفة منهم .



مجموعات «اليوربا» اختلفوا حول اصلها، وقال بعضهم انهم جاءوا من مصر والحبشة .



الأحمر

اليوربا وقدماء المصريين

وروايات تواريخ (يوربا) الشفوية تفيد أنهم وفدوا من (حوض النيل) وبالذات من (مَصر) ـ غالباً ـ منذ قرابة ألف سنة . كما تذكر أن مدينة (إيفى) قد غزتها جماعات من الشمال ، وأن عاصمة (اليوربا) انتقلت بعد ذلك الى (أويو) . ويستأنس لهذا القول : بانه وجد فى مدينة (أليفى) أقدم مدن (اليوربا) آثار الفن الفرعونى من المسلة الحجرية ، وتمثال الرءوس المصورة من الخزف ، وبعضها من النحاس ، وبعضها من الحجارة ، كما وجد على الجدران ، والواح الأبواب القديمة كتابات هيروغليفية .

بين اللغة المصرية ولغة اليوربا القديمة

وقد أكدت بعض الدراسات الحديثة الصلة اللغوية بين اللغة المصرية القديمة ولغة (اليوربا) من مثل ما كتبته المستفرقة الفرنسية (ل همبورجيه) فى كتابها (اللغات الزنجية الافريقية) وأثبتت فيه وجود ألفاظ مصرية قديمة في ديانة شعب (اليوربا) الوثنية فى غرب افريقية ، ومن مثل ما ذهب اليه (لوكاس) بمعجم ضخم لهذه الألفاظ المصرية التى لاتزال متداولة بين (اليوربا) الى اليوم ، فاذا ما عرفنا أن مصر ـ قديماً ـ كانت على اتصال دائم بسائر أجزاء القارة عن طريق مجرى نهر النيل وعن طريق الصحارى التى كانت أكثر رطوبة وأقل جفافاً فى الماضى البعيد مما هى عليه الآن أمكن وضع ذلك كله فى الاعتبار .

ويرجح (آدم عبد الله الألورى) ـ من علماء اليوربا ومؤرخيهم المعاصرين ـ أن قبائل (اليوربا) ينتسبون الى (يعرب) ، وأن هذا الاسم وحده كاف لاثبات هذه النسبة ، وأن مدينة (أليفى) أقدم مدن (اليوربا) يحتمل أن يكون سكانها الأولون من الزنوج ثم نزل بها المصريون ، ثم (يُرب = يعرب) الذين غزوهم من



المساجد ترتفع فى مناطق «اليوربا» بعد انتشار الدعوة الاسلامية على ايدى خير الدعاة .

قبائل "اليوربا"

(أويو) واستعمروهم .

غير أن هذه الآراء يعارضها بعض الباحثين وعلى رأسهم المستفرق الأمريكى اليهودى (يوسف هـ جرينبرج) رئيس قسم البشريات فى جامعة ستانفورد فى كاليفورنيا بأمريكا وهو صاحب مدرسة جديدة فى دراسة اللغات الافريقية إذ يرى أن لغة (اليوربا) أكبر وحدة من مجموعة لغات (كوا) تلك المجموعة العظيمة التى تسود بعامة الأقطار الحافة بخليج غينيا .

خصائص حياة اليوربا

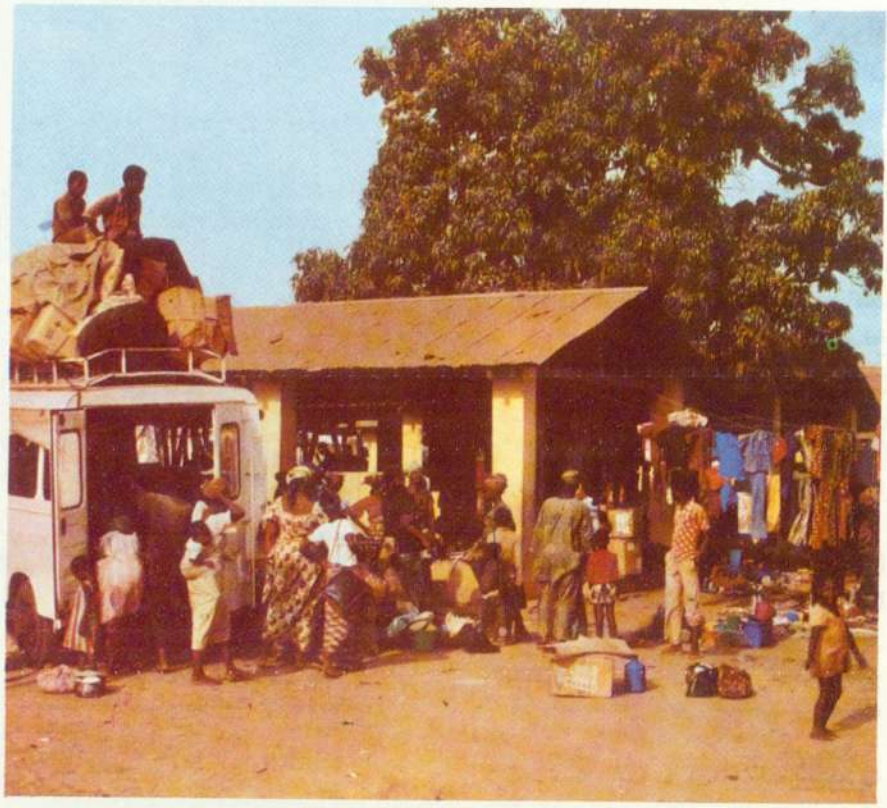
تتسم حياة (اليوربا) بالنشاط والجد وبخاصة فى التجارة ، فهم تجار نشطون بل إن التجارة تحتل مكانة كبيرة فى حياتهم الاقتصادية ، وتشارك فيها نساؤهم بقدر كبير إذ يقمن بعبء تجارة التجزئة بخاصة . وكذلك هم نشطون فى الزراعة ، والصناعة ، والمهن اليدوية ، ومع أن النشاط الزراعى له المكان الأول عند (اليوربا) فان هناك حرفاً عديدة يقوم بها المتخصصون مثل النسيج والصباغة والحدادة ، وصب النحاس ، ونحت الخشب ، والعاج ، والقرع ، وصناعة العقود ، والصناعات الجلدية ، وعمل الحلى والتمائم وغير ذلك من الصناعات الدقيقة ، وقد اشتهرت كل من (بنين) و (إيفى) العاصمة الدينية بما اشتملت عليه من ذخائر فنية ، ومن تماثيل منحوتة من الخشب أو مصنوعة من القرميد ، ومن الحديد ، والبرنز ، وقد نقل كثير من التحف الى خارج البلاد حتى امتلأت بها المتاحف فى أوربا وأمريكا ، وكان ملوك (اليوربا) ورؤساؤهم يشجعون هذه الصناعات والمهارات الفنية الى أن جاء الغزو البريطانى وغلبوا على أمرهم وفر الفنانون والصناع الى الغابات هرباً من المستعمرين ، وبعد فترة تنبه المسئولون الى هذه الظاهرة فأخذوا يشجعونهم على العودة ، وعادت معهم فنونهم وصناعتهم الى الانتعاش . وهذا النشاط على اختلاف أنواعه يتركز حول المدن التى طالما كانت أيضاً مركزاً للنشاط السياسى ، كما أن الفرد يتمتع فى سلوكه بقسط كبير من الحرية .

و (اليوربا) بعامة يعدون فى طليعة الشعوب الافريقية وأكثرها تقدماً .

الأسرة عند اليوربا

أما عن حياتهم الأسرية فتقوم على تعدد الزوجات وبكثرة ، والزوجة الأولى هى رئيسة بقية الزوجات ، ويلقى عليها مسئولية إقرار النظام بين النساء ، وتلقب بربة البيت ، بينما تلقب الأخريات (بزوجات التجارة) ، ولعل ذلك راجع الى أنهن يمارسن البيع فى الأسواق بصورة كبيرة ومنتشرة ، ويقول أحد الباحثين (الأستاذ لاندر) – وقد زار بلاد اليوربا عام ١٨٣٠ م – : إن أحد ملوك (أويو) كانت له مائة زوجة يرسلهن لبيع الغلات الزراعية .

وقد مارس (اليوربا) قديماً تجارة



إنهم يبنون المدن على اساس التوسع التجارى .. وفى كل مدينة من مدنهم رئيس مطاع .

الرقيق ، وكانوا يجلبونه ـ غالباً ـ من الشمال ـ حيث بلاد الهوسا ـ ويبيعونهم على الساحل للمستعمرين من الأوربيين ، وهم بدورهم يرسلونهم الى أوربا وأمريكا ، ويذكر عنهم الأمير (محمد بل) فى (إنفاق الميسور) : (وكان أهل هذا البلد ـ (يوربا) ـ يجلب لهم العبيد من بلادنا هذه ـ دولة الفولانى فى بلاد الهوسا ـ ويبيعونهم للنصارى أصحاب المرسى ـ الساحل ـ وإنما ذكرت لك هذه القضية لئلا تبيع عبداً مسلماً لمن يجلبه اليها ، وقد عمت البلوى بذلك) .

اشتهر (اليوربا) بانشاء المدن ذات الحجم الكبير ، وكلها فى الداخل ، ويفضلون السكنى بها والحياة فيها ، حتى المشتغلين بالزراعة منهم يسكنونها معظم السنة ، وكل مدينة مقسمة الى أقسام يسكنها فى العادة أناس من بطن واحد ، ولهم مجلس يسهر على مصالحهم له رئيس مطاع ، وهذا من أهم عناصر الاستقرار الذى يتميزون به .

ومن أعظم مدنهم « أبادان » وهـي : مدينة يوربية خالصة ، وتبعد عن العاصمة (لاجوس) قرابة ١٥٠ كم ، وهى عاصمة الاقليم الغربى من (نيجيريا) الاتحادية حالياً ، وتعد من أكثر المدن الافريقية نشاطاً ، وأكبر مدينة فى (نيجيريا) ويزيد عدد سكانها على المليون عدا من تعج بهم من وافدين ، ويرجع التوسع المستمر فيها الى موقعها كمركز تجارى لكل ما يتعلق بمحصول الكاكاو النيجيرى .

بين المعرفة والخرافة

وتجمع (إبادان) بين مراكز المعرفة والخرافة معاً ، ففيها مجموعة من المدارس ، وفيها المعهد العربى وهو قلعة للثقافة العربية والاسلامية ـ وقد قامت عدة محاولات من المبشرين لاغلاقه ولم تفلح ـ وفيها جامعة علمية من كبرى جامعات غرب افريقية ، ويقوم بجانبها سوق للسحر والسحرة بكل مستلزماته وأدواته وشعوذته ، فمن أكاذيب وتهاويل الى جماجم قرود وحمير ولن تعدم فيها جمجمة آدمى الى أرجل حيوانات بجلدها وشعرها مشدودة فى حُزَم الى نباتات ، وأعشاب ، وأوراق وأقلام الى كتبة ومشعوذين .. الخ .. عالم له سطوته وسلطانه ودولته على البسطاء وغيرهم .

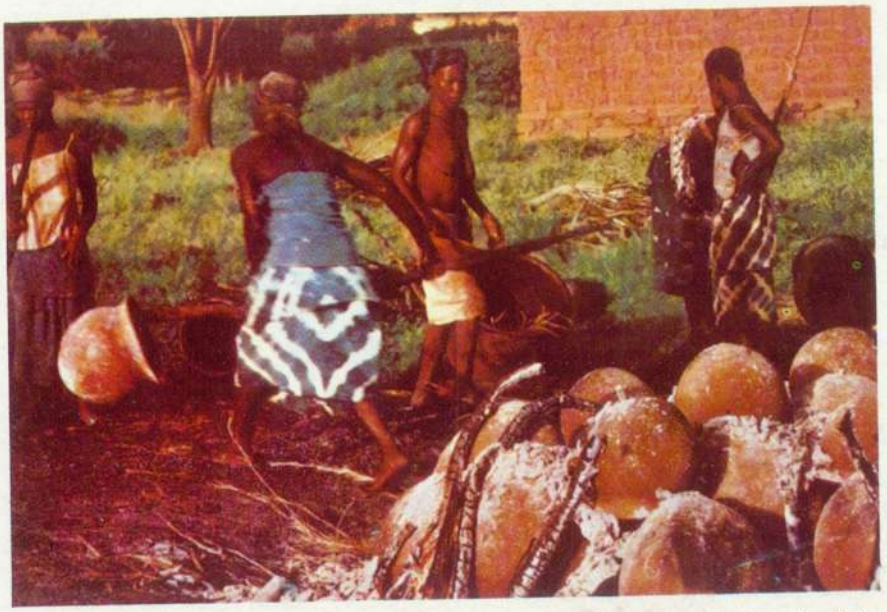
ويقوم التبشير بنشاط واسع بين اليوربا وبخاصة فى المدن ، ولمختلف المذاهب المسيحية كما أن له دوره فى إثارة الفرقة والنزعات العصبية بين القبائل ، وتغذية الحركات الانفصالية وبخاصة فى الشرق ـ فى الايبو ـ وله نفوذ كبير مستمد من أكثر من جهة .

الديانات القديمة والعادات الجاهلية

كان ـ ومازال ـ الكثير منها قائماً وحتى الآن ، ومن مظاهرها فى بعض البطون التمييز بين ثلاث أنفس ، من بينها نفس تسمى (نفس الطير) وتفارق البدن وقت السبات ، ويمكن اقتناصها عن طريق السحر . كما أن الصلة بين الانسان والحيوان وثيقة إذ يزعمون أن لكل انسان شبيهاً وصنواً من الحيوان ، فاذا قتل حيوان قتل صنوه .

وبعض عشائرهم تسمى نفسها بالكبش ، أو الفيل ، أو القرد الأحمر ، حيث تربط الأساطير بين أجداد العشيرة وبين الحيوان المعين ، الى كثير من مظاهر (الطوطمية) : ... وتبلغ عدد الالهة المزعومة عند (الوثنيين) قرابة أربعمائة ، أكبرها (أولورن) وهم ـ فى زعمهم ـ ينشرون الحماية على القرى والعشائر . كما تنتشر عندهم الجمعيات الدينية وهى عبارة عن أندية خاصة ، ونفوذها سياسى واجتماعى وعلى جانب عظيم من الأهمية والخطورة ، وهى أقرب الى التنظيمات السرية ، ومنها جمعية (أورو) وهى تمثل أرواح الآباء والأجداد ، وتعبر عن ارادتهم ويحكم أعضاؤها بالاعدام ـ أحياناً ـ على من ينتهك عادات القبيلة ومقدساتها ، ويخرجون فى الليل لينفذوا هذه الأحكام سراً ، وعلى النساء أن يبقين فى بيوتهن إذ ذاك حتى لا يرين هذه المشاهد .

وينتشر فيهم نوع من السحر يتكهن



يشتهر «اليوربا» باتقان الحرف العديدة ومن بينها صناعة الفخار والنسيج والحلى والجلود .. وتشترك النساء مع الرجال فى هذه الصناعات .

قبائل "اليوربا"

أصحابه بواسطة ضرب الرمل وهو من تعاليم إله المستقبل عندهم (فا) وهو الكاشف عن أسرار الوجود والمعبر عن ارادة الاله الأعظم ويعرف كهنة (فا) هذا باسم (بوكونون) .

ومن العادات كذلك أنه يوجد يوم ـ من أيام السنة ـ تختفى فيه كل النساء من شوارع مدينة (إبادان) ، ليس من الشوارع فحسب ، بل تخلو منهن المدارس والأسواق والمتاجر والمكاتب ، إنه يوم (ظهور الغول) ، وإنه ـ كما يزعمون ـ لغول خطير يظهر مرة فى السنة ، ويسير فى المدينة ، وكل امرأة يراها ، أو يقع نظره عليها لابد أن تموت فى سنتها هذه ، ومن هنا كان لابد لهن أن يختفين فى ذلك اليوم منه .

أما هذا الغول ماهو ؟ إنه فى حقيقته عبارة عن رجل ما يظهر فى يوم معين ويلبس لباساً ملوناً ومخيفاً ، ويضع فوق رأسه جمجمة لامرأة ، يقال إنه نظر اليها فلم تختف منه فماتت ، وأخذ جمجمتها وأنه يضعها على رأسه كل سنة ويسير بها فى المدينة لتعتبر النساء وتخافه ، وتخاف سطوته وتأثيره الخ ...

ومن الرياضة العنيفة والمألوفة فى (إبادان) ويتجمع حولها الجموع أن ينزل شابان الى حلبة اللعب يحملان العصي ويظل يضرب كل منهما صاحبه ضرباً شديداً على الصدر والظهر متجنباً الرأس حتى تسيل الدماء منهما وهما يتضاحكان !

وقد يكون لهذه اللعبة هدف ـ أحياناً ـ وهو امتحان من يريد الزواج ، فان صبر على هذا الامتحان القاسى زوجوه ، وإلا فليستعد لجولة أخرى بل جولات .

الاسلام فى اليوربا

ظلت مناطق اليوربا محرومة من نور الاسلام فترة طويلة رغم انتشاره فى شمالها فى (السفانا) لكن وقفت أمامه فى الطريق اليهم قسوة الجو المشبع بالرطوبة على الساحل ، وكثرة الغابات الملتفة التى لا مسالك فيها ، والمستنقعات المنتشرة فى تلك الأرجاء ، وكثرة الجماعات الوثنية ، وعداؤها لكل قادم عليها . لكن بعد أن قامت فى بلاد الهوسا فى القرن الثانى عشر الهجرى ـ التاسع عشر الميلادى ـ دولة اسلامية قوية على يد (الفولانيين) استطاعت أن تمتد بالفتوح الاسلامية الى جهة الجنوب حيث مناطق الوثنية قديماً من (يوربا) وغيرهم فى (إيلورين) وما يليها ، وظل يواصل امتداده حتى وصل (إبادان) واتسع انتشاره فيها .

ومن الدعاة الأوائل الذين قاموا بعبء الدعوة الاسلامية فى تلك المنطقة نذكر منهم : الشيخ العلامة : ابراهيم البيغورى الفولانى ، والشيخ أحمد التاختى التفاوى ، والشيخ ابراهيم الملقب بقبر العلوم الهوساوى ، والشيخ أبو بكر المدعو (بوبى) الفولانى ، والشيخ ابراهيم بتورى الذى جاء من (أغاديس) والامام موسى الكبير الذى جاء من (أبج) وأمثالهم ممن هاجر من (أهير) و (أويولى) وغيرها .

ومن هذا يبدو أثر (الفولانى) و (الهوسا) فى نشر الاسلام فى (اليوربا) وكيف أنه تم ذلك كله على يد عناصر افريقية دخلت الاسلام مبكراً وحملت أمانة نشره بين بنى جنسهم من أبناء القارة .

وقد سهل انتشار الاسلام فى اليوربا ـ وفى غيرهم ـ أنه دين الفطرة ، سهل التناول لا لبس فيه ، ولا تعقيد ، ولا غموض ، ولا تناقض ، ميسر الشعائر والتكاليف وتبدو آثاره فى معتنقيه طهراً وسلوكاً كريماً ، متميزاً .

وقد خطا الاسلام فى (اليوربا) الآن خطوات كبيرة وواسعة رغم ما يقام فى طريقه من صعوبات جمة ، وتحمل أجيال (اليوربا) أمانة الدعوة اليه ونشره فيما بينهم وفيما حولهم ، ويأتى الكثير منهم الى الجامعات والمعاهد فى العالم العربى دارسين ومتعلمين ، كما أنه ينتشر فيهم الآن المعاهد التى تعنى بالدراسات الاسلامية واللغة العربية فى (إبادان) و (إيلورين) وغيرهما .

والناظر الى المسجد الكبير فى (إبادان) يبدو له معلمة اسلامية ومنارة تشع بالهدى وسط الغابة فى غرب افريقية ، وهو مكون من خمسة طوابق خصص الأول منها للنساء ، وتراه يوم الجمعة ، وقد توافد عليه المصلون زرافات ووحداناً ، واحتشدوا فيه وخارجه حتى لتموج الميادين والشوارع من حوله بهذه الجموع البشرية المسلمة فى ملابسها البيضاء ونور الاسلام يغمرها ، ويضيء جوانب الغابة من حولها ، وسيظل ما بقى الليل والنهار .

دكتور حسن عيسى عبد الظاهر

عبد الله الشيتي

رينيه كاسبار
فنانة فرنسية
ترسم مظاهر الحياة في منطقة الخليج



في السوق .. لوحة من لوحات الفنانه الفرنسية التى تزور منطقة الخليج العربي .

الفنانة الفرنسية « رينيه كاسبار »



لقيتها فى الكويت مؤخراً .

وبالتحديد خلال اقامتها معرضها الفنى الباهر فى (البيت الفرنسى) ، ثم فى صالات نادى الصيد والفروسية الشهير فى الكويت حيث عرضت آخر ما أبدعته ريشتها الذكية اللماحة من لوحات ومرايا ، تداخلت فيها معانى الاصالة بملامح التراث ، فبدت وهى تتعايش مع لوحاتها كما لو أنها عاشت فى صحراء الخليج وعلى شطانه سنين طويلة مضت ...

إنها الفنانة الفرنسية المعروفة «رينيه كاسبار) وهى تصف معطياتها الفذة ، من خلال لصوقها بريشتها ـ رفيقة حياتها ـ فتقول «للـــدوحـــة» :

ـ اننى متصلة بريشتى اتصال الروح بالجسد ...

وأطلعتنى على جملة من اللوحات النادرة التى تعتز بها من بينها صورة





لوحة لجلالة الملك خالد بن عبد العزيز واخرى لسمو الأمير الراحل الشيخ احمد الجابر الصباح .



« ثلاثي الحي القديم » .. من واقع الحياة القديمة فى المنطقة .

للرئيس الراحل أنور السادات قبل مقتله يطالع لوحته بريشتها ! ولوحة أخرى نادرة لسمو أمير الكويت الراحل الأسبق الشيخ أحمد الجابر الصباح وهو يدشن إسالة النفط من أرض الكويت فى عهده آنذاك . ولوحة للملك خالد بن عبد العزيز . وبعض اللوحات البيئية المعبرة عن ظواهر الحياة الخليجية وبعض تقاليدها وعاداتها الموروثة. ولاتملك إزاء سلاسةريشتها وعذوبة ألوانها ورقة تعبيرها فى خطوطها الأليفة الحانية ، الا أن تزداد إعجاباً بريشة (رينيه كاسبار) وهى تقول لى :

ـ انها شديدة الاعتزاز لزيارتها منطقة الخليج العربى ، وسعادتها بالغة لأنها عرضت جانباً من أعمالها التى تعتز بها وتطرى باعجاب ظاهر مستوى الذوق الفنى الذى يطبع الكثيرين من أهل الخليج ومثقفيهم وشبانهم بطابعه المتميز بالوعى والاصالة والاحاطة بالتطور الحضارى والانسانى .

وتقول الفنانة الفرنسية (رينية كاسبار) :

ـ لقد ولدت في عام ١٩٤٨ فى جنوب غرب فرنسا ، واذا كنت اصبت مجداً فنياً فقد تحقق لى ذلك فى الثلاثين من عمرى . (ورينيه تنتمى الى مجموعة الفنانين المبدعين الذين لم يتعرفوا على (ستديو) معين ! ولا تأثروا بأية مدرسة فنية ، ولكنهم تمكنوا بقدرتهم على اختيار التكوين من إجبار الناقد على تسليط الضوء على عبقرية هؤلاء الذين يكافحون للوصول إلى قمة التعبير المصور فوراً ، بمساعدة حواسهم ، وبمعلوماتهم عن نوعية «العالم المعقول»

وتحمل رينية كاسبار جائزة خاصة فى مسابقة أوروبا الكبرى عام ١٩٧٥ ، ودبلوم شرف فى صالون الخريف .. عام ١٩٧٥ لأكاديمية مارش :(مدينة بوردو ـ فرنسا) . وجائزة أولى وميدالية ذهبية فى الصالون الدولى للفنون عام ١٩٧٦ . ودبلوم شرف الفنانين المتحدين .. ١٩٧٧ . وهى عضو صالون الفنانين المستقلين فى باريس وسبق لها أن اقامت معارض عدة ، فى بعض العواصم الأجنبية .

ومما قاله فيها بعض النقاد والكتاب العالميين :

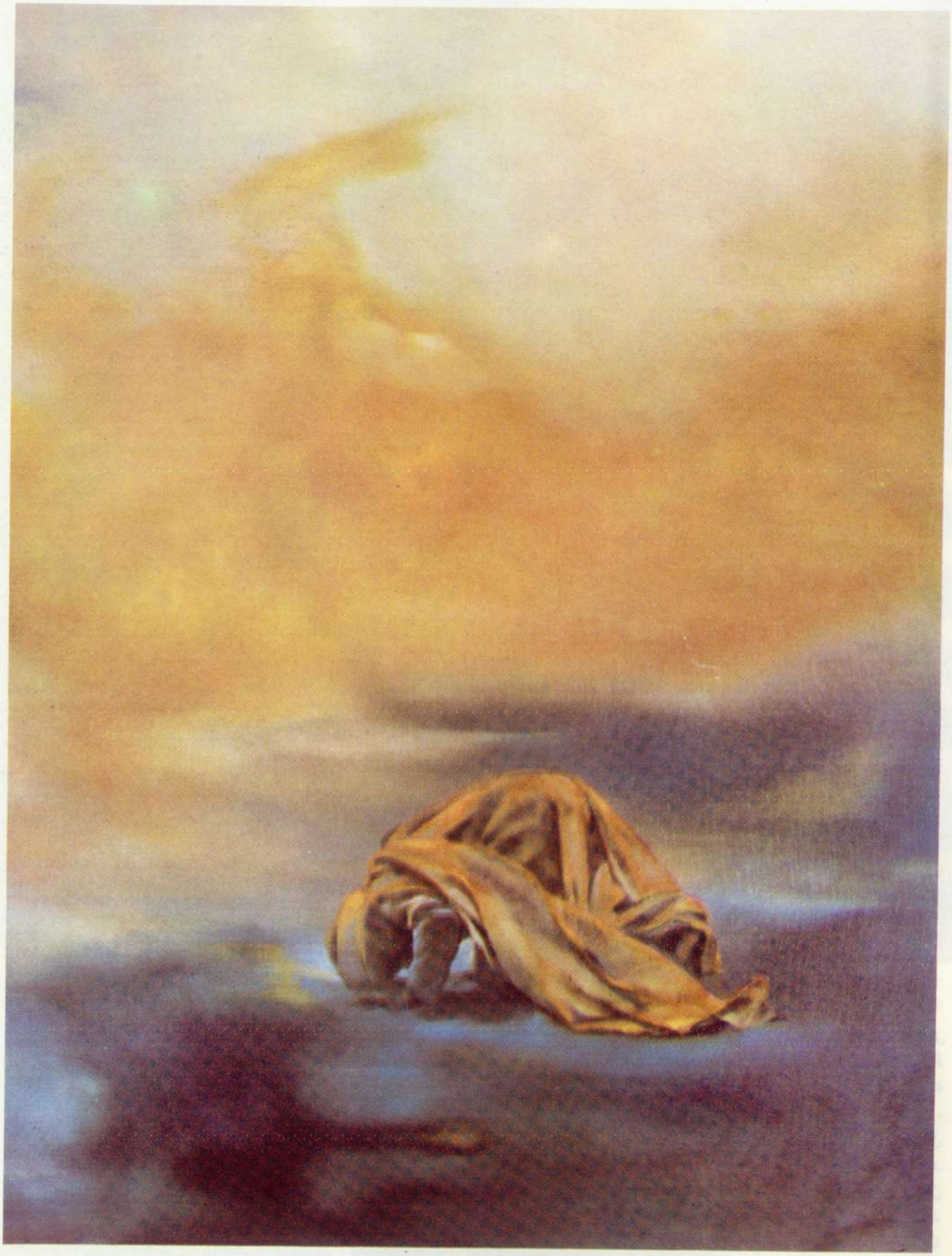
ـ رينيه كاسبار هى فى كل أعمالها ، ولاسيما التى تنتمى الى الفترة الشرقية من حياتها ، تحرص أن تبدو الرؤية عندها مفصلة لكل ما فيها من صدق في التعبير ، فضلا عن تميزها بالترجمة الحقيقية والاختلافات الناعمة فى التصميم !

خلال التصرفات الرفيعة والسيكولوجية والوجودية «للموديل» يصل العمل عادة الى التصوير المبدع الكامل مع قالب شبيه بالحلم .

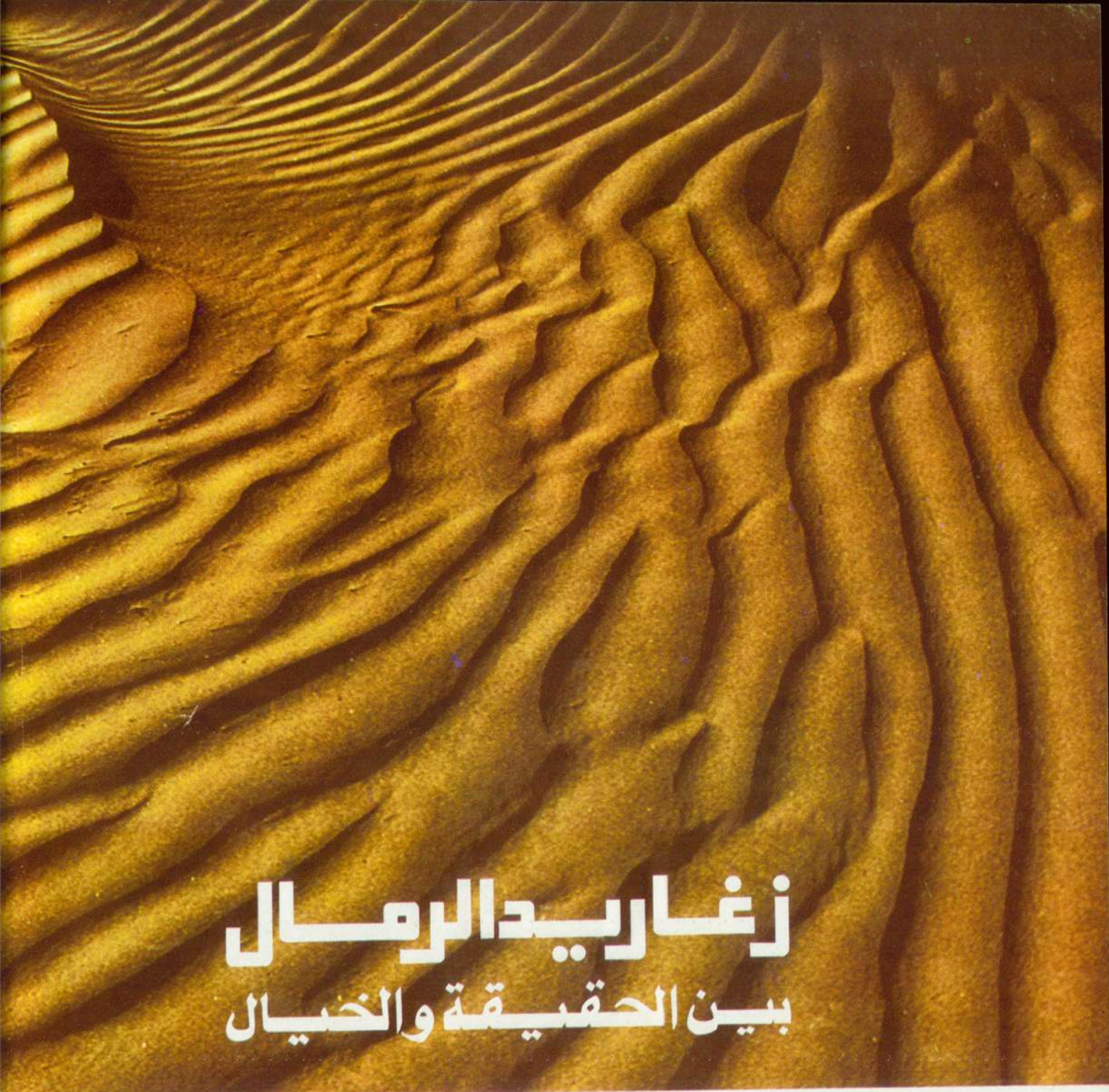
ـ هذا هو فن رينيه كاسبار ، والتى برسومها المليئة بالاحساس لاتحدد نفسها فقط لهذا النوع فهى ايضاً رسامة للمناظر الطبيعية ، تترجم بروح من الشعر حيث نرى حدة بصيرتها ، والدقة فى تكوينها وشخصيتها الفريدة

ـ رينيه كاسبار ، هى واحدة من هؤلاء ! مولودة لتكون فنانة . فنها الشخصى يعجب به الشخص لصدقه العميق ، وهذا الاعجاب الشديد الذى ينبع ، يأتى الى العقل بمناظر بلاتو فى كل اعماله العملاقة لتربط المعرفة بروعة الجمال ... !

وبعد فان لوحات رينيه الفنية ، تدل عليها ريشة وإنسانة !



صلاة فى الفجر .. لوحة معبرة للفنانة الحاصلة على عدة جوائز عالمية .

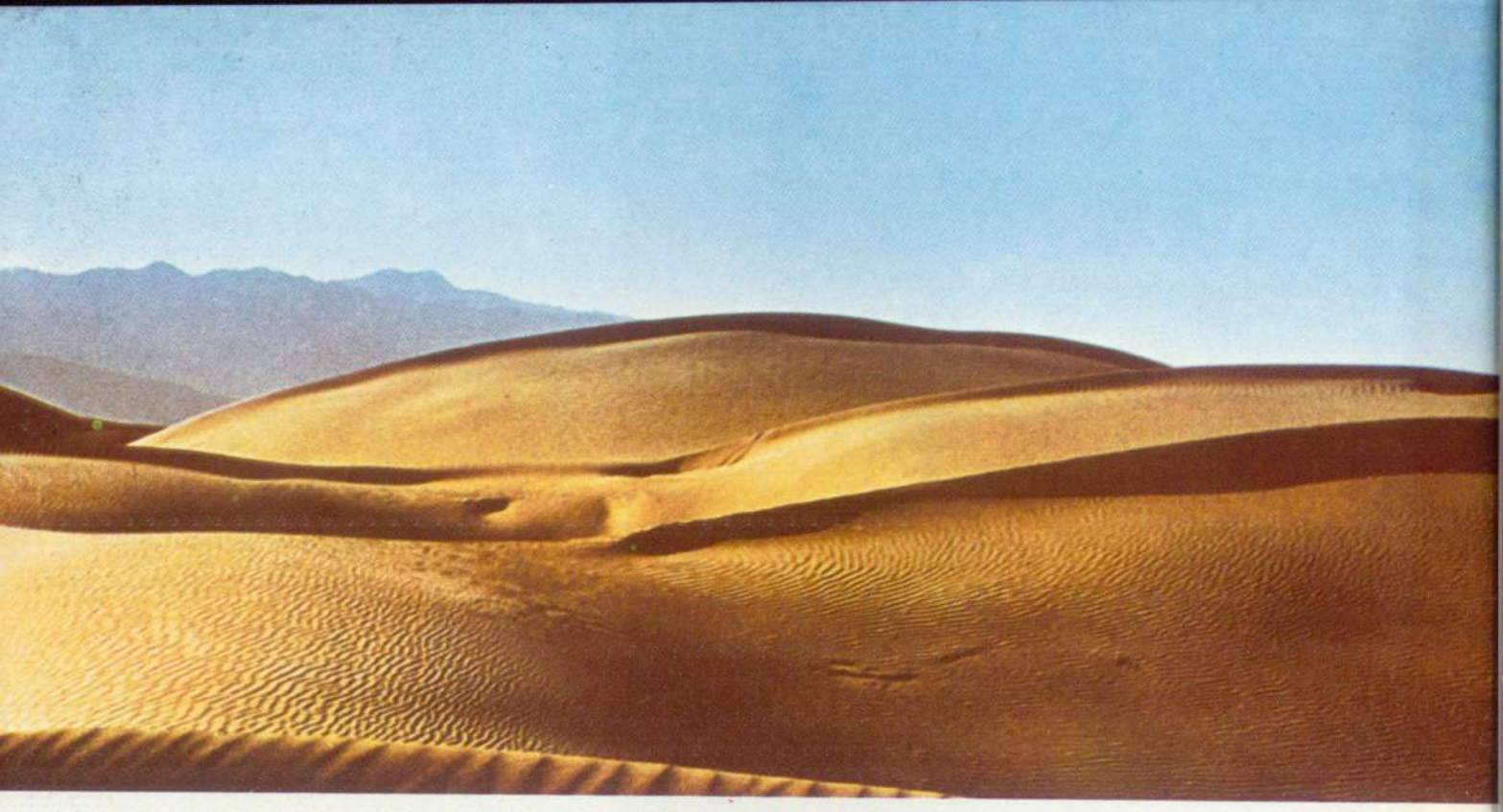


زغاريد الرمال
بين الحقيقة والخيال

بقلم : د. عبد المحسن صالح

عندما تتجلى بعض الظواهر الطبيعية لعامة الناس ، ثم لا يستطيعون لها تعليلا ، ولا لمسبباتها تفسيراً ، فان أيسر ما يشرحون به هذه الظاهرة أو تلك ، هو تصور قصص خيالية ، أو حكايات خرافية ، تنطوي عادة على خوارق ومعجزات ، أحياناً تسيطر عليها قوى غيبية ، فتريح العقل من عناء الفكر ، وشقاء البحث ، فيهجر الحقيقة ، ويستكين لتصورات مريحة ، وأوهام سقيمة قد تضر ولا تنفع .

ولعل أغرب هذه الأساطير ـ والتى لها صلة بموضوعنا هذا ـ تلك الأسطورة التى تتلخص فى صدور أصوات تشبه دقات الطبول ، وصليل السيوف ، وزغاريد النساء ، من بين تلال الرمال التى تنتشر غرب قرية «البربا» بصعيد مصر ، ولازالت هذه الظاهرة تتكرر بين الحين والحين ، ولقد فسرها الناس هناك بأنها معجزة تعلن عن نفسها ، وتذكرنا بأن الذين استشهدوا فى سبيل الله ، لم



الى اليمين رمال ذات أمواج متناسقة ومتداخلة ، ولقد شكلتها الرياح الى قطاعات متتابعة ، لتصنع منها كثبانا رملية قد تمتد كبحار فوق الصحارى الشاسعة ، لكنها بحار ذات أمواج متجمدة .. والى أعلى كثبان رملية تكون مجموعة من التلال

صورة من الجو للكثبان الرملية العالية فى جوف الصحراء الليبية .





قافلة من الجمال تسير على كثيب رملي يعرف باسم «ظهر الحوت» فى بحر الرمال الأعظم بجمهورية مصر

يموتوا حقا ، بل هم أحياء يرزقون ، وبطبولهم وسيوفهم يظهرون ، وبين الرمال يحاربون ، ليذكروا الناس بالمجاهدين الأوائل .

هذا يعني ـ وكما يفسر عامة الناس هذه الظاهرة ـ أن هناك موقعة قد حدثت فى هذه التلال إبان الفتح الاسلامي لمصر ، وفيها استشهد عدد كبير من المجاهدين الأوائل ، ودفنوا بين هذه الرمال بطبولهم وسيوفهم ، ولكنهم مع ذلك يعودون كل فترة زمنية ، ليذكروا الناس بشرف الموقعة ، وجلال الاستشهاد ، ولذة الانتصار ، وما هذه الأصوات الصادرة إلا أصوات سيوفهم ، ودقات طبولهم ، تختلط بزغاريد الانتصار .

وطبيعي أن أحداً لم يشهد معركة قائمة ، ولا سيوفاً ضاربة ، ولا نساء مزغردة ، ومع ذلك فالأصوات من بين الرمال قادمة ، وهذا دليل على صدق المعجزة ، ولا شيء غير المعجزة ! .

القصة ـ بلا شك ـ جميلة ، وهي للنفس مريحة ، ولكن العقل الناضج قد لا يرتاح لها كثيراً ، فما أكثر المواقع الحربية التى استشهد فيها عظماء الاسلام ، ومع ذلك ، لم يعلنوا عن استشهادهم ـ كما فعل الذين استشهدوا فى تلال الصحراء الغربية المتاخمة لصعيد مصر ، فلماذا يعود هؤلاء دون غيرهم من الشهداء ؟ سوال منطقى يبحث عن جواب !

الظاهرة صحيحة .. والتفسير خاطىء !

وطبيعي أن عامة الناس معذورون فيما يعللون ، إذ ليست لديهم ملكة التقصي والبحث عن الأسباب الحقيقية الكامنة وراء الظواهر الطبيعية ، فهذه تحتاج الى مؤهلات عقلية خاصة ، ومناهج علمية مقننة ، وفى أغلب الأحيان يعيدون كل ما عجز العقل عن تعليله الى ما يسمونه بالمعجزة .

إن ما يتحدث عنه الناس من أصوات صادرة من الرمال صحيح من حيث المبدأ ، لكنه خاطىء فى المنهج ، ومضلل فى التعليل ، ولقد ذكرت المراجع العلمية مثل هذه الحالات ، وعرفت أسبابها ، واعادتها الى عوامل طبيعية تتمشى مع

زغاريد الرمال
بين الحقيقة والخيال



تكوينات رملية ترتفع وتنخفض وتنثني وتتماوج وتتخللها ظلال تكسب الكثبان لمسة جمال ، وقد تثير في الانسان الرهبة والخيال .

أسس النواميس الكونية ، وعندئذ لابد أن تنتفي معجزاتها ، أو يتوارى منها عنصرا الخيال والأسطورة اللذان يرتاح العامة لهما كثيراً .

ففي الثلاثينيات من هذا القرن جاء الى مصر العالم الفيزيائي البريطاني رالف باجنولد ، وتجول في صحاريها ، ودرس رمالها ، ووصف كثبانها ، وسمع بنفسه ما سمعه الناس من أصوات أشبه بصدى الطبول ، وفي هذا كتب يقول : « لقد سمعت أصواتاً غريبة منبعثة من الرمال الواقعة في جنوب غرب مصر ، حيث لا يوجد انسان ولا حيوان .. سمعتها مرتين في ليلة ساكنة على هيئة دوي يتردد فجأة بين التلال بقوة ، لدرجة انني كنت اتكلم بصوت عال مع مرافقي ليستطيع سماعي ، وتبع ذلك ـ في التو واللحظة ـ جلجلة أصوات أخرى تداخلت مع الدوي الذي يشبه صدى الطبول ، وبحيث كان من الممكن تمييز دقاتها بوضوح ، وكأنها صادرة من مكان قريب ، ولقد استمر هذا « الكورس » أو الترنيم الغريب فترة تجاوزت الخمس دقائق ، وبعدها ران على المكان هدوء مثير ، وتوقفت الأرض عند ذلك عن اهتزازها » !

ونفس هذه الظاهرة أيضاً يتحدث عنها بدو واحة سيوه بمصر ، فلقد أخبرني أحد ضباط الجيش أنه سمع جلجلة ودمدمة وأصواتاً غريبة تصدر من الكثبان الرملية المنتشرة حول الواحة أثناء خدمته هناك ، وعندما استفسر من الأهالي عن سر هذه الضوضاء العالية ، أرجعوها الى أرواح الجنود الذين قتلوا في معركة من معارك الحرب العالمية الثانية ، ولكنها تعود أحياناً ، وكأنما هي تحارب وتصول وتجول ، ثم يخيم على المنطقة السكون !

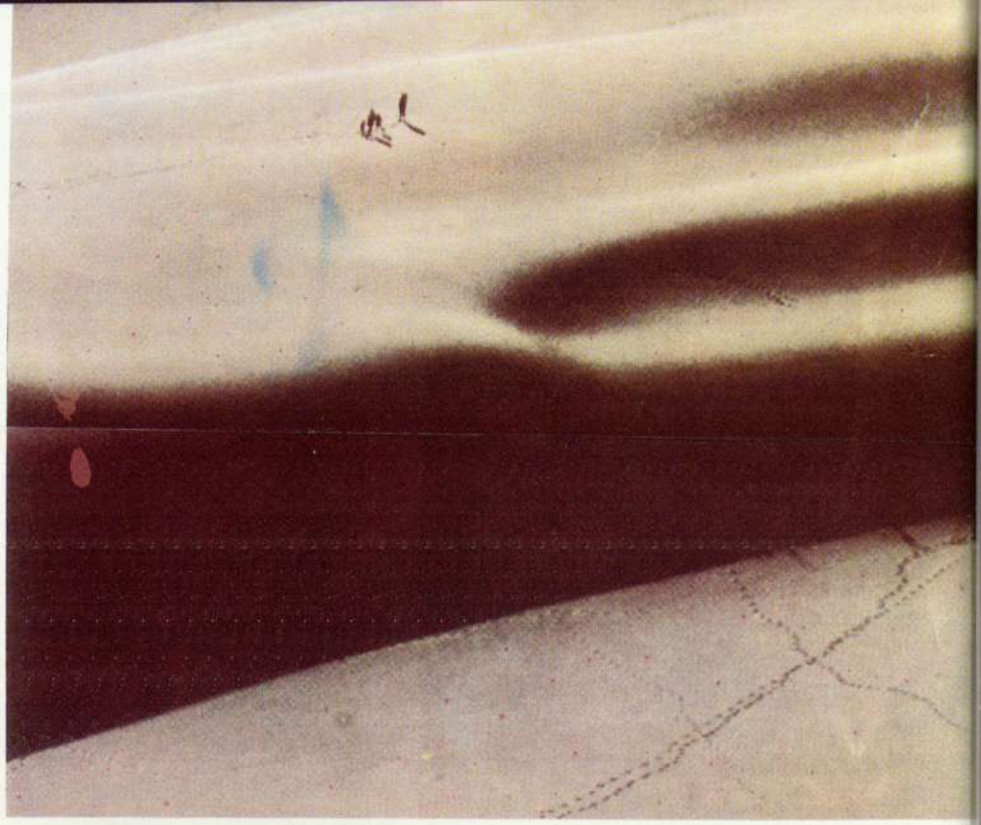
ولقد تحير باجنولد في تعليل هذه الظاهرة أعظم حيرة ، رغم أنه درس هذا الموضوع دراسة وافية ، علّه يعرف سر الميكانيكية التي تتحول فيها بركة الرمال أو انهيارها إلى أصوات تشبه دقات الطبول وصليل الأجراس ، أو الأنغام التي تصدر عن بعض الآلات الموسيقية ، أو غير ذلك من أصوات تشبه الصيحات أو الأزيز أو الهدير أو الزغاريد أو الدمدمة أو الجلجلة .. الخ ، ولما فشل في الوصول الى تعليل معقول ، ترك الموضوع بكلمة يذكر فيها « إنه لم يتوصل حتى الآن الى شرح علمي مقبول لمثل هذه الظاهرة المحيرة » !

لكن باجنولد لم يغلق الباب ، بل تركه لغيره ، علّه يتخذه مدخلا لتعليل ما لم يستطع باجنولد له تعليلا ، سنعود الى ذلك بعد أن نقدم المزيد عن هذه الظاهرة.

بين رمال سيناء وجبل الناقوس

وليست هذه الظاهرة مقصورة فقط على صحارى مصر ورمالها ، بل تتخذ انماطاً شتى في صحارى العالم التي تتميز بوفرة في الكثبان الرملية المتحركة والواقع أن الصحراء الكبرى التي تمتد من المحيط الأطلسي غربا الى الخليج العربي شرقاً (لأن شبه جزيرة العرب كانت في الماضي السحيق جزءاً من هذه الصحراء ، ثم حدث شق عميق في الأرض تمخض عن البحر الأحمر كما نعرفه اليوم) ، هذه الصحراء مسرح كبير لكل ما هو مثير وغريب من ظواهر طبيعية أعادها الانسان غالباً الى قوى غيبية أو أشباح وغيلان وجن وأرواح شريرة وغير ذلك من تفسيرات لازالت تنتشر بيننا حتى الآن كإرث ثقيل على العقل والنفس .

ففي المملكة العربية السعودية توجد منطقة يطلقون عليها اسم جبل الناقوس ، ولهذه التسمية ما يبررها ، لأن البدو



كثبان رملية من النوع المعروف باسم « السيف » .. وعلى سطحها (اسفل الصورة) ترى اثار اقدام ، وفوقها يبدو الانسان كريشة تذروها الريح .



واحد من سكان الجزيرة العربية يستخدم هاتفاً يعمل بالطاقة الشمسية ، وبهذا يتحول تيه الصحراء الى نوع من الامان .

الرحل سمعوا من هذه المنطقة فى الأزمنة الغابرة (ولا زالوا) أصواتاً تشبه دقات مجموعة الأجراس التى تنتهي بجلجلة عالية ، ولقد تحيروا هم أيضاً فى تعليل هذه الظاهرة أعظم حيرة ، ولكنهم مع ذلك عللوها تعليلا يلائم مقتضى الحال ، وقالوا ان هذه الأجراس لكنيسة دفنها الله تحت الرمال ، بعد أن أشرق على جزيرة العرب نور الاسلام ، ولازالت نواقيسها تدق الى اليوم على فترات زمنية متباعدة ، حتى يؤمن الناس بتلك المعجزة ، ولكن العلم لا يعترف كثيراً بالمعجزات ، لأنها ـ أى المعجزات ـ شيء مخالف ومخل ومحطم للقوانين الكونية ، والشرائح الطبيعية ، إذ عندما تفسر المعجزة تفسيراً علمياً منظماً ، ينتفي منها عنصر المعجزة ، وتصبح ظاهرة طبيعية لها مقومات وأصول .

إن جلجلة جبل الناقوس بالسعودية هو نتيجة طبيعية لانهيار تكوينات خاصة من الكثبان الرملية ، فتصدر منها أصوات تشبه جلجلة الأجراس .

وقد تتخذ هذه الأصوات نغمة أخرى مختلفة ، فالذين ساروا فوق رمال شبه جزيرة سيناء ، أو قضوا بعض الليالى الهادئة بين كثبانها ، قالوا انهم سمعوا أصواتاً كأنما هى الزغاريد أو الترانيم أو الألحان الغامضة ، ولهذا أطلقوا عليها اسم الرمال الشادية أو المزغردة أو المغنية أو أي تعبير آخر يؤدى الى نفس المعنى ، لأن الأصوات الصادرة عن حركة الرمال ، لاشك تختلف باختلاف العوامل التى تؤثر عليها ، والتكوينات التى تتشكل بواسطة الرياح وشدتها واتجاهها .. الخ ، وللناس فى هذه الأصوات حكايات وشطحات وأساطير ، وكل يعللها بعقيدته التى يرتاح اليها ، ولا أحد يلومه على ذلك ، ولكن الحقيقة أن هذه الأصوات ليست صادرة من قوى غيبية ، بل ان لها أسبابها التي درسها العلماء دراسة وافية ، إما فى معاملهم ، أو على الطبيعة ، وقدموا لنا حصيلة علمية توضح لنا الغث من السمين ، أو الخرافة من الحقيقة .

الرياح ترسم بالرمال

وسر اختلاف الأصوات الصادرة من الرمال ، يرجع أساساً الى طبيعة هذه الرمال ، وإلى الأشكال أو التكوينات التى تتخذ أنماطاً شتى على أماكن متفرقة من صحارى العالم ، وتعتبر الصحراء الكبرى أكبر الصحارى على الاطلاق ، وفى هذه الصحراء تقع معظم الدول العربية الكائنة فى شمال القارة الافريقية .. هذا وتبلغ مساحة هذه الصحراء حوالي ٢,٢٤٠,٠٠٠,٠٠٠ فدان (أو حوالي ٣,٥ مليون ميل مربع) وعلى هذه المساحة الهائلة يستطيع الانسان أن يرى كل ما هو مثير وغريب ، فمن هضاب قائمة ، الى جبال ذات ألوان متباينة ، الى تلال مترامية ، الى وديان غائرة ، الى واحات متناثرة ، الى خضرة وحياة نادرة ، الى ظروف جوية قاسية ، الى بحور من الرمال ذات تموجات قد لا تختلف كثيراً عن التموجات التى نراها على المسطحات المائية فى بحار العالم ومحيطاته ، إذ أن كليهما ـ أي تموجات بحار الرمال والمياه ـ ينشأ نتيجة للرياح السارية ، لكن تموجات الرمال أكثر تنوعاً ، وأزهى منظراً ، وأروع تشكيلا من تموجات البحار أو المحيطات ، ولهذا كان للشعراء فى وصفها صولات وجولات ، وكأنما هي على قسوتها وجمودها ، وكلاحتها ، قد أصبحت مصدراً من مصادر الجمال ، ومنبعاً للوحي والالهام !

لكن أهم ما يميز بحور الرمال هو تنوع كثبانها ، وتعدد ألوانها ، واختلاف تموجاتها ، وتباين أحجامها ، ومن أجل هذا قسمها العلماء الى تكوينات شتى ، فمن الكثبان الرملية ماهو هلالي ، أو نجمي ، أو هرمي ، أو ما يشبه الرمح أو

زغاريد الرمال
بين الحقيقة والخيال

السيف ، فمن تموجات معقدة تختلف باختلاف نوع الرمال ووفرتها ، وشدة الرياح التى توجهها وتحركها فى أشكال منمقة ومنظمة ، كأنما هناك قوى خفية ترسم وتشكل وتجسد الرمال فى طرازات تثير الفكر ، وتدعو الى الخشوع والتأمل لكل من يعشق الطبيعة فى أية صورة من صورها (انظر الأشكال الدالة على ذلك ، فهي تغنى عن أي وصف يمكن أن نقدمه فى هذا المجال) .

ومع ذلك ، فليس هناك ما هو أجمل ولا أبسط من الوصف الذى قدمه لنا عالم الفيزياء البريطاني رالف باجنولد عن بحور الرمال التى تمتد بغير حدود فى الصحراء الكبرى إذ كتب عن الكثبان الرملية ، ووصف ما رآه بقوله : « فبدلا من توقعي رؤية مناظر مشوشة أو فوضوية وغير منسقة ، بدلا من ذلك ، فقد أصبت بدهشة وذهول عندما رأيت بساطة فى التكوين ، ودقة وانضباطاً فى التكرار ، وهندسة فى التنظيم غير معروفة فى الطبيعة على مستوى أكبر من مستوى التكوين البلوري الدقيق ، ففى بعض المناطق توجد تجمعات هائلة من الرمال تزن ملايين الأطنان ، تتحرك على سطح الصحراء بعناد وبتكوينات منتظمة ، وقد تراها تكبر وتنمو مع الاحتفاظ بشكلها ، كأنما هي تتوالد بطريقة تقلدبها النمو والتكاثر الذى نراه فى صور الحياة ، ولاشك أن ذلك ليثير فى العقل ارتباكاً وتشويشاً ، حتى ولو تمتع هذا العقل بقسط وافر من الخيال »!

والواقع أن هذا الوصف ليس خيالا محضاً ، بل هو يحمل بذور الحقيقة ، لأن باجنولد قضى سنين طويلة وهو يدرس تكوين الكثبان الرملية ، سواء على سطح الصحراء ، أو فى داخل معمله ، حيث كان يحضر عينات من الرمال المختلفة ، ويسلط عليها تيارات مختلفة من الهواء ، ويسجل حركة وأصوات حبيبات الرمل ، وكيف تتجمع فى تكوينات ، ثم كيف تتحرك هذه التكوينات من مكان الى آخر ، ولقد وجد أن العملية كلها محكومة بعوامل عدة ، فاذا اشتغلت ، شكلت ونظمت وحركت ! .

حركة الكثبان

ولقد أتيحت لكاتب هذا المقال فرصة اختراق جزء من الصحراء الغربية الى الوادي الجديد بمصر (واحات الداخلة والخارجة) لاجراء بعض البحوث على المياه الجوفية ، وعلى الطريق المرصوف اعترضنا كثيب رملي يتخذ شكلا هلالياً منتظماً فى واجهته الأمامية (أي من ناحية الطريق) أما ظهره فكان مقوساً أو محدبا ، ولقد تساءل الذين لم يروا هذه الظاهرة قبل ذلك عن سر وجود هذا التل من الرمال على الطريق ، وقال من يعرف لمن لا يعرف : إن هذه الكثبان من النوع المسافر أو المتحرك ، وقد يستغرق الكثيب منها بضعة شهور أو سنين ـ يتوقف ذلك على حجمه وامتداده ـ لكي يعبر الطريق المرصوف ، ثم يأتي غيره وغيره ، وهكذا تستمر حركتها ، مادامت هناك رياح سارية ، ورمال متجمعة ، وصحارى قائمة

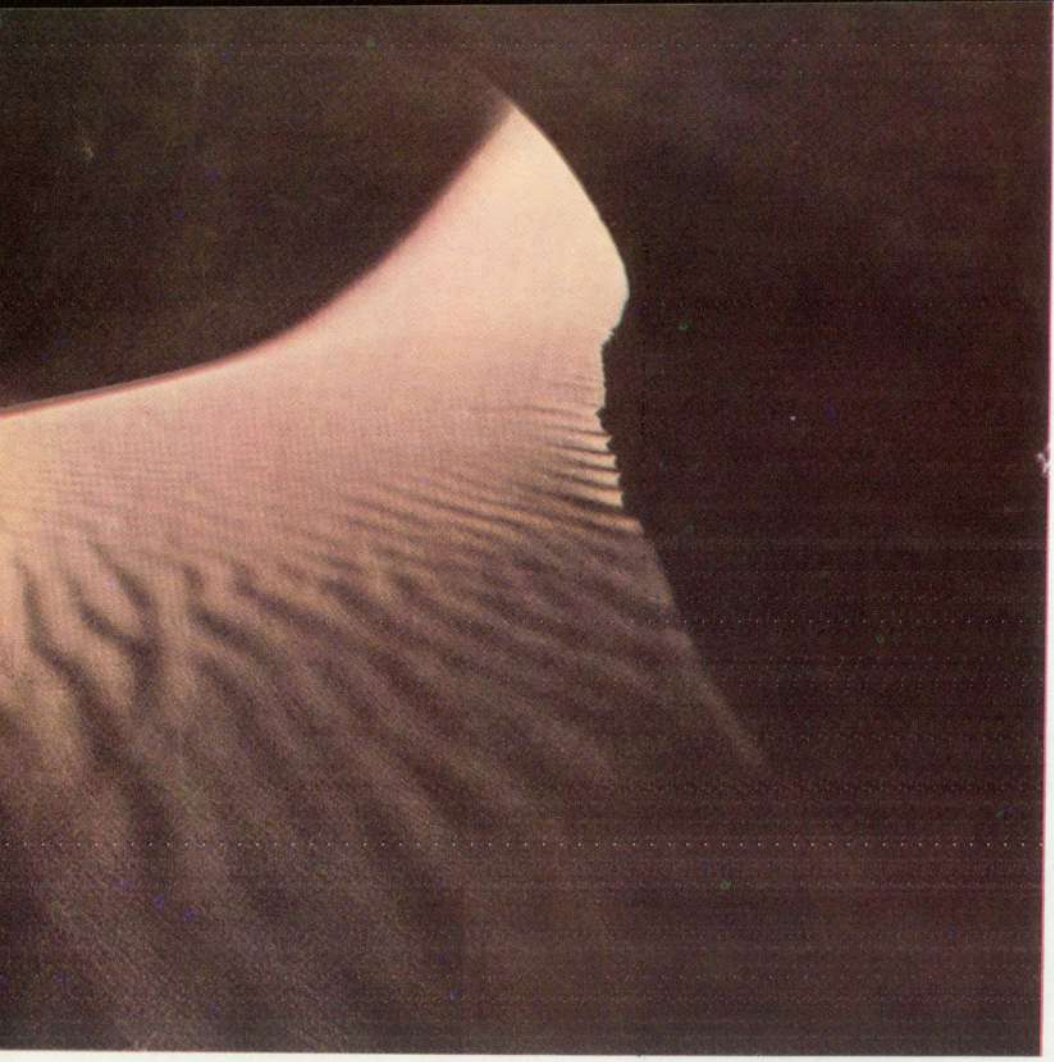
وعلى مدى البصر ، رأينا هذه الكثبان الهلالية وهي تنتشر على ساحات واسعة ، وتتخذ فى أسفارها اتجاهات محددة ، فعندما تكون واجهتها الهلالية صوب الجنوب ، وظهورها أو واجهتها الخلفية صوب الشمال ، فان ذلك يعني أن اتجاه الرياح التى رسمتها ونمقتها ، تسري من الشمال الى الجنوب ، ومع سريانها ، تتحرك حبيبات الرمل معها ، صاعدة من أسفل الظهر الى قمة الحافة الهلالية ، فتنزلق منها الى أسفل ، وتحتل قاع الواجهة الهلالية ، ومن خلال هذه العملية ، تتقدم الكثبان مع اتجاه الريح .. صحيح أن عملية سفي الرمال عملية جد بطيئة ، لكن اعطها عمراً طويلا ، تعطك الدليل القاطع على أن الكثيب يتحرك خلف الكثيب مئات وآلاف الكيلومترات ، مالم يوقف زحفه عائق طبيعي أو صناعي ، فيثبته فى مكانه ، ويخلص الكائنات الحية ـ بما فى ذلك الانسان ـ من شروره وآثامه !

ولقد حدد الدارسون سرعة هذه الكثبان ، فوجدوها تختلف باختلاف شدة الرياح ، وطبيعة الأرض ، ونوع حبيبات الرمل ، وحجم الكثيب نفسه .. الخ ، ففى عام واحد قد يتحرك الكثيب عدة أمتار تعد على اصابع اليد الواحدة أو قد ترتفع الحركة مع ارتفاع سرعة الرياح ، فيسافر الكثيب بمعدل قد يزيد عن الثلاثين مترا فى العام ، وهي فى مسيرتها تدفن تحتها كل ما يعترض طريقها من طرق ومنشئات ونخيل وأشجار وواحات وينابيع مائية .. الخ ، ولهذا يحاول العلماء محاولات مضنية لاستنباط وسائل فعالة واقتصادية لتجميد هذه الكثبان فى أماكنها ، حتى لا تبيد الزرع والضرع ، لكن ذلك موضوع آخر طويل ، وقد نتعرض له فى دراسة أخرى قادمة .

وتختلف كثافة الكثبان الرملية وانتشارها ووفرتها من صحراء لأخرى ، فثلث مساحة المملكة العربية السعودية مثلا مغطى بتلال من الرمال من كل شكل

الكثبات الرملية الهلالية ، وهي من النوع المتحرك ، وتوجد فى الصحراء الكبرى





تشكيلات من كثبان الرمل ، تحير العقل ، وتثير الخيال .

وحجم ونوع ، ولهذا تعتبر من أغنى صحارى العالم بهذه الكثبان ، ويليها فى هذا المضمار الصحراء الكبرى ، إذ تحتل الرمال حوالي ١٠٪ فقط من مساحتها الكلية ، وأحياناً ماترتفع هذه الكثبان الى أكثر من مائتي متر ، خاصة فى الربع الخالي من المملكة العربية السعودية ، وقد يمتد الكثيب الى أطوال تصل ما بين ٢٠٠ ـ ٣٠٠ كيلومتر ، وبعرض يصل الى حوالي كيلومتر ، ويطلق العرب على هذه الكثبان اسم « السيف » ، لأنها تدق وتدق عند اطرافها كما يدق نصل السيف عند طرفه .

وثمة كثبان رملية أخرى توجد فى بحر الرمال الأعظم بمصر ، ويطلق عليها اسم « ظهر الحوت » ، وهي أضخم أنواع الكثبان طولا وعرضاً ، كما أنها ليست من الكثبان المتحركة (على الأقل ظاهراً) ، ولهذا اتخذها مرشدو الصحارى بمثابة علامات شبه ثابتة ، خاصة فى هذا التيه الواسع من الرمال التى تمتد فى كل الاتجاهات ، وكأنما هى تبدو للعين البشرية بدون بداية أو نهاية ، ولهذا يعبر عنها الرحالة ج . رولاند بقوله « إن المسافر عبر هذه الكثبان ، يحسب نفسه أنه فى قلب متاهات رهيبة لا سبيل الى الخلاص منها على الاطلاق ، فاذا صعد الى قمة كثيب عال ، وألقى من فوقه نظرة فاحصة على ماحوله ، فسوف يذهل عندما يرى الكثبان تحيط به من كل اتجاه وكأنما هي أمواج بحر عاصف تجمدت فى مكانها ، وامتدت فى كل الآفاق » !

عود على بدء

والحديث عن نشأة الصحارى عامة ، والكثبان الرملية خاصة ، حديث لا ينضب له معين ، كما أن البيئة الصحراوية من أقسى البيئات التى تتعرض لها الكائنات الحية (بما في ذلك الانسان) ، وغالباً ما تتكيف مخلوقاتها بظروفها الصعبة ، وتتشكل على اساسها ، ولهذا فان لساكني الصحارى طباعا وعادات تختلف عن ساكني الوديان والسهول والمدن والواحات ، وكل هذه مواضيع شيقة ، وقد نتعرض لها فيما بعد لنوفيها حقها ، وعلينا الآن أن نعود لسؤالنا الأول : ما هو التعليل العلمي لسر الأصوات والنغمات والضوضاء التى تنشأ من الرمال ؟

إن ذلك يرجع الى انهيارات مفاجئة فى الكثبان الرملية بفعل رياح أو انسان أو حيوان .. الخ ، وفيها تحتك بلايين من حبيبات الرمل ببعضها البعض ، فتعطى أصواتاً تختلف باختلاف طبيعة الحبيبات ، وكمية الرمال المنهارة ، وسرعة ومدى انحدارها .. الخ ، هذا ويعتقد دكتور ج . رامسدن أن هذه الأصوات ترجع كذلك الى كهربية استاتيكية تحملها حبيبات الرمل الشديدة الجفاف ، وعندما تصطدم ببعضها عند انهيارها ، تفرغ شحناتها «بفرقعات» قد تتضخم لتصبح كدوي رصاصات ، أو دقات طبول ، أو صليل أجراس ، أو جلجلة رعود ... الخ .

ومنذ سنوات قليلة قام فريق من العلماء الأمريكيين باجراء تجارب على بعض الكثبان الرملية بصحراء نيفادا ، ونشروا بحوثهم فى مجلة بحوث الفيزياء الأرضية وذكروا ـ ضمن ما ذكروا ـ أن العين البشرية لا تستطيع التمييز بين كثبان موسيقية (أي تصدر عند انهيارها أصواتاً ايقاعية) ، وأخرى صامتة ، لكن فحص حبيبات الرمل بالميكروسكوب الاليكتروني المجسم يوضح أن حبيبات الكثيب الرملي المجلجل لها سطوح أعظم صقلا من الكثيب الصامت ، كما أن الأصوات الصادرة منها تختلف باختلاف المؤثر الذى يؤثر عليها ، فاختراق الكثيب بجاروف غائر ، يحدث أصواتاً أشبه بالنغمات الصادرة من أرغن أو كمنجة كبيرة ، وقد يكون الصوت الصادر من الكثبان أعلى من صوت الأرغن بمرات عديدة ، لكن لمس الرمال بكف اليد وتحريكها يؤدى الى اصدار أصوات أقل حدة ، ولقد تم تسجيل مثل هذه الموجات الصوتية من خلال ميكروفونات حساسة أو مسجلات لقياس اهتزاز الرمال ، أو غير ذلك من أجهزة لازمة لمثل هذه البحوث التى توضح لنا الغث من السمين ، أو التعليل العلمي السليم ، من التعليل الأسطوري السقيم ، وفي ذلك الكفاية لقوم يتدبرون ويفقهون .

د. عبد المحسن صالح



وسط عالم حافل برائحة النقود تجرى احداث فيلم « امهات فى المنفى .. وفى الفيلم نرى عادل امام وإسعاد يونس عندما يضعان اقدامهما على طريق الثرا

أهل القمّة
الحب وحده لايكفي
أمّهات في المنفى

ثلاثة أفلام عربية جديدة تناقش موضوعًا هامًّا

بقلم : رءوف توفيق

شهدت السينما المصرية فى النصف الاخير من عام ١٩٨١ .. ظهور ثلاثة افلام على جانب كبير من الاهمية .

والافلام (حسب ترتيب عرضها بالقاهرة) هى : أهل القمة ـ الحب وحده لا يكفى ـ امهات فى المنفى .

واهمية هذه الافلام ترجع اساسا الى القضايا التى تبنتها .. فضلا عن المستوى الفنى الجيد التى قدمت به .

والخيط الرئيسى الذى يجمع بين هذه الافلام ، انها تتناول الظروف التى تحيط بواقع الشباب المصرى والتحديات الصعبة ، والمعاناة التى يخوضها يوميا فى الصراع الدائر بين مفاهيم الشرف والاخلاق والعمل والاحلام والطموح المشروع .. وبين مفاهيم التجار والسماسرة والذين استفادوا من قوانين الانفتاح الاقتصادى .. ففرضوا كابوسا ثقيلا من اهتزاز القيم ، والثراء الفاحش السريع ، واخلاق القنص والانتهازية !

وافلام النقد الاجتماعى لهذه الظاهرة بدات تسري فى السينما المصرية فى السنوات الاخيرة .. احيانا بشكل سطحى .. واحيانا بنوع من المبالغة .. وتحولت احيانا الى المتاجرة . وهذا اسوا اشكال الفن واكثرها خطورة ، لان الذين صنعوا مثل هذه الافلام ، هم ايضا من نفس التركيبه الفاسدة التى استغلت كل الظروف من اجل التجارة والكسب السريع !!

● اول محاولة جادة

ولكن يمكن التوقف امام فيلم «انتبهوا

حوار ساخن فى فيلم أهل القمة بين عزت العلايلي وسعاد حسنى .. يحاول اقناع اخته بالابتعاد عن طريق النشال الذى يغريها بثروته

أحلام العمل والبحث عن وظيفة محترمة فى فيلم (الحب وحده لا يكفي) .. اللقطة هنا لنور الشريف وميرفت امين .

أيها السادة» للمخرج محمد عبد العزيز .. كأول محاولة جادة ، قدم فيها كاتب السيناريو الشاب «أحمد عبد الوهاب» المفارقة الساخرة المؤلمة بين جامع قمامة ومدرس جامعى .. حيث يستطيع جامع القمامة أن يستغل ظروف سوق العمل الحر . فيتنقل مقتنصاً أية فرصة للثراء .. ويتحول من جامع قمامة صغير الى صاحب مزرعة لتربية المواشى .. الى مقاول كبير يتاجر فى بناء العمارات ، وله أسطول من سيارات النقل الخاصة ، ويعيش فى ثراء بلا حدود .. وينفق الألوف فى الملاهى الليلية وتحت أقدام الراقصات .. بينما المدرس الجامعى ينحت طريقه فى الصخر .. رافعاً مبادىء الشرف والأخلاق والقيم الفاضلة .. وتكون نهايته ، ونهاية الفيلم أيضاً .. هذا الهذيان المحموم ، بعد أن فقد حبيبته .. وفقد توازنه .. واختلطت الأمور بالنسبة له .. ولم يعد يحتمل هذه المعركة الشرسة .. فكان الانهيار !

وقد فاز هذا الفيلم فى جوائز الدولة للسينما المصرية ، هذا العام .. بجائزة أحسن اخراج ، وأحسن سيناريو ، وأحسن ممثل (حسين فهمى فى دور المدرس الجامعى) .

وحقق فيلم «انتبهوا أيها السادة» صدمة المفاجأة .. ان السينما المصرية تستطيع أن تقول أشياء جادة وخطيرة .. لو أرادت !

● ولايزال التحقيق مستمراً

وفى نفس ذلك العام ـ عام ٨٠ ـ والذى عرض فيه «انتبهوا أيها السادة» .. عرض أيضاً فيلم «ولايزال التحقيق مستمراً» للمخرج أشرف فهمى .. والذى استطاع مع كاتب السيناريو الشاب «مصطفى محرم» أن يستفيدا من قصة قصيرة منشورة للكاتب احسان عبد القدوس .. ويحولاها الى قضية تقوم على موقف الزوجة بين زوج يؤمن بالمثاليات والقيم .. وبين عشيق يبهرها بالثراء وكل ما تحلم به كامرأة جشعة !

وينتهى الفيلم باكتشاف الزوج للخدعة .. واكتشاف الزوجة للحلم الكاذب والذى تورطت فيه .. فتقتل الزوجة عشيقها .. ثم يقتلها الزوج تخلصاً من هذا الفساد الذى ألحقته بحياته !

وقد فاز هذا الفيلم أيضا بعدة جوائز هامة .. منها جائزة الاخراج .

● أهل القمة

وتتعاقب الأفلام .. حتى يعرض فيلم «أهل القمة» للمخرج علي بدرخان .. ليفجر من جديد نفس القضية فى عمل سينمائى متميز فنياً .

و «أهل القمة» هى فى الأصل قصة قصيرة للكاتب نجيب محفوظ .. وقد اشترك المخرج علي بدرخان مع كاتب السيناريو «مصطفى محرم» فى تحويلها الى فيلم يموج بالحركة والحيوية والفن .. وأيضاً بالتساؤلات والأفكار .

فأهل القمة هنا .. هم اللصوص الجدد الذين استفادوا من قوانين الانفتاح الاقتصادى .. وتحولوا الى فئة شديدة الثراء ، باهرة الشكل ، ترتدى أحدث الثياب ، وتستخدم أفخم السيارات .. وتتستر أحياناً وراء مظاهر التدين .. فهناك هذا المهرب الكبير الذى يرتاد المساجد ويتصدق على الفقراء ، وأصابعه لا تفارق حبات المسبحة .. بينما فى حقيقته أفعى ضخمة تنفث سمومها ، وتقاتل فى معركة البقاء فى هذه الغابة المتوحشة .. حيث المبدأ السائد .. اقطع اليد التى امتدت اليك حتى تنفرد بكل شىء !!

والفيلم .. وكما أراد نجيب محفوظ فى قصته .. يضع المواجهة بين ضابط شرطة شاب (عزت العلايلي) ونشال (نور الشريف) طالما تعقبه الضابط ، وقبض عليه ، وطالما استخدمه للارشاد عن المسروقات وبينهما علاقة مشوبة بالحذر .. أشبه ما تكون بعلاقة القط والفأر .

ويفاجأ الضابط ذات يوم باختفاء النشال من الوكر الذى تعود أن يجلس فيه مع زملائه النشالين .. ويتساءل الضابط عما حدث ؟ .. لقد انخفضت جرائم النشل فى منطقته .. ولكن هذا لا



امينة رزق .. الام التى تحولت إلى لاجئة مشردة بين بيتي إبنتيها ... في فيلم امهات في المنفى



قفص دجاج يحمله السيد راضي الى ماجدة الخطيب فى لقطة تكشف اللهفة على تحقيق كل الطموحات فى أسرع وقت ممكن فى فيلم أمهات فى المنفى .

يبعث على الطمأنينة ! . فما هو تفسير اختفاء النشالين ؟! .. ويأتيه الرد من صاحب المقهى العجوز ، الذى أصبح وحيداً بعد أن هجره زبائنه من النشالين: «انهم يعملون فى ضوء النهار .. وتحت حماية الشرطة» !!

ويكتشف الضابط الحقيقة .. لقد تحول النشالون الى التجارة .. تجارة المهربات .. وأصبحوا جزءاً من عصابة الرجل الكبير (يلعب الدور عمر الحريرى) الذى يتمسح بالدين .. والعصابة تقوم على تهريب البضائع من بورسعيد .. ثم عرضها للبيع فى أحد أسواق القاهرة المزدحمة ، حيث تتكدس فى حوانيتهم الصغيرة كل أنواع البضائع وأغربها .. من الثلاجات الى التليفزيونات الملونة الى الصابون وشامبوه الشعر !! .

ويصف نجيب محفوظ هذه المأساة فى تلك العبارة من قصته : «أصبح هؤلاء من الأغنياء .. أما هو وأعوانه فيغوصون فى غمار الفقراء» !

ويجسد الفيلم هذا الصراع من داخل بيت الضابط الشاب حيث يعيش مع زوجته وأطفاله ، وأيضاً مع شقيقته وابنتها (سعاد حسنى) .. وحيث يصبح عليه أن يحقق لهم المستوى المعقول من الحياة ، وأن يلبى كل طلباتهم .. فى ظروف صعبة .. وبدخل محدود .. ومشاكل لا تنتهى .. وتأتى الصدمة القاسية عندما يعرف أن ابنة شقيقته على علاقة عاطفية بالنشال التاجر حالياً .. وهو الذى وقف حائراً ومشفقاً عليها عندما تقدم لخطبتها شاب متعلم لا يملك إلا مرتبه الضئيل وأحلامه الصغيرة .. ونصحها وقتها بأن تتريث فى الموافقة .. لأن الحياة بهذا الدخل المحدود لا يمكن أن تستمر أو تنمو .. وارتضت الفتاة بقراره .. أما حبيبها الشاب فقد قرر السفر للخارج بحثاً عن العمل المربح .. وهكذا يحدث الشرخ فى حياة الفتاة .. وتصب عليها كل هموم البيت الصغير .. حتى تجد هذا النشال – وهى لا تعرف حقيقته – يمد لها يده بالحب والحنان .. وتتشبث بهذه اليد .. وتصر عليه حتى بعد أن عرفت حقيقته .. فلما لا ؟ مادام سيحقق لها الحياة المريحة وينقذها من هذه الهموم والمتاعب !! .



عقيلة راتب لا تتصور أن ابنتها الجامعية تتزوج عامل بناء .. واللقطة أثناء محاولة لارضاء (سعيد صالح) وإلى جوارها وحيد سيف يحاول تقديم النصيحة .

وهكذا يجد هذا الضابط نفسه داخل معركة مع جميع الأطراف .. المعركة فى بيته .. وفى عمله حيث يحاول المهرب الكبير الافلات من قبضة القانون ، بل ويسعى لاستصدار قرار بنقل الضابط الى صعيد مصر عقابا له !

وينتهى الفيلم .. بهزيمة المبادىء والمثاليات .. وانتصار أهل القمة الجدد من اللصوص والمهربين والنشالين !!

● فى مواجهة الاعصار

ويمكننا أن نلاحظ تشابه نهاية فيلم «انتبهوا أيها السادة» مع نهاية فيلم «أهل القمة» حيث يصبح على الفرد المؤمن بالشرف والاخلاق أن يدخل فى امتحان صعب ، وفى ظروف اهتزت فيها الكثير من القيم والمبادىء .. وفى كلا الفيلمين نجد هذا الفرد الشريف يواجه بحصار داخل بيته وفى مستقبله .. فالمدرس الجامعى فى فيلم (انتبهوا أيها السادة) تتضاعف مأساته عندما تنهار خطيبته أمام إغراء جامع القمامة الذى يصبح ثريا ، وترضى بأن ترتبط به بدلا منه .. والضابط الشاب فى فيلم (أهل القمة) يواجه نفس المأساة عندما يجد ابنة شقيقته ترتبط بالنشال الذى طالما طارده وقبض عليه ، والذى يمثل له فى النهاية النقيض الاخلاقى !!

وكلا الفيلمين يصلان الى نفس النتيجة .. حيث لا يمكن للفرد الواحد أن يواجه هذا الاعصار الهائل الذى يهز كل ما حوله !

ويعتمد كلا الفيلمين على براعة الممثلين الذين يقومون بادوار المواجهة بينهم ..

فى فيلم «انتبهوا أيها السادة» يتألق كل من محمود ياسين وحسين فهمى .. وفى فيلم «أهل القمة» يتبارى نور الشريف وعزت العلايلى فى أداء متميز وعلى قدر كبير من فهم طبيعة الدور وأبعاده النفسية .

وإن كان فيلم أهل القمة يحقق مستوى فنيا عاليا .. فى التصوير (محسن نصر) والمونتاج (سعيد الشيخ) .. وفى براعة المخرج (علي بدرخان) بالالمام بكل تفاصيل الموضوع والاحتفاظ بسخونة القضية منذ بداية الفيلم وحتى نهايته !

● الحب وحده لا يكفى

ويظهر فيلم «الحب وحده لا يكفى» للمخرج الشاب علي عبد الخالق .. وعن قصة لأحمد فريد .. ومعالجة سينمائية لأحمد عبد الوهاب ، وسيناريو وحوار مصطفى محرم .. ليقولوا كلمتهم فى نفس القضية .

حيث يتعرض الفيلم لشاب وفتاة يتخرجان من الجامعة ، ويرتبطان ببعضهما فى قصة حب .. ويصبح

عليهما الانتظار لحين وصول خطابات القوى العاملة ، والتى تحدد لهما الوظيفة التى سيلتحق بها كل منهما .. ويطول الانتظار .. سنة .. وسنتين .. وثلاثا .. وتضطر الفتاة (ميرفت أمين) أن تعمل فى محل كوافير لتقلم أظافر أقدام النساء .. وارتضى هو (نور الشريف) – بناء على نصيحة من جاره عامل البناء (سعيد صالح) – أن يلتحق بنفس العمل كعامل بناء !

وهكذا وضعا جانبا شهادتيهما الجامعية ، وكل سنوات العلم والتحصيل ، وكل أحلام العمل فى التخصص الذى درساه .. فى مقابل أن يجدا مبلغا من المال ، ليسدا احتياجاتهما اليومية .. وليدخرا منه ما يصلح لبداية تأثيث بيت الزوجية .. ولكن أم الفتاة (عقيلة راتب) لا تتصور أن ابنتها من الممكن أن تتزوج عامل بناء .. وتضغط عليها : إما أن تتخلى عنه .. أو أن يبحث هو عن «وظيفة محترمة» !

وتحاول الفتاة أن تنقذ حبها .. وتستجيب لاقتراح زميلتها السابقة فى الجامعة (ناهد شريف) بأن تسعى لها فى الالتحاق كسكرتيرة احدى شركات تقسيم الأراضى وبناء العمارات .. وبالفعل يتم تعيينها فى هذه الشركة .. وبعد فترة تقنع الفتاة خطيبها بأن يلتحق بنفس الشركة .. وأيضا بواسطة هذه الزميلة الجامعية السابقة ..

ولكنهما يكتشفان فى النهاية .. أنها شركة وهمية تقوم على النصب والاحتيال .. وانها كسكرتيرة عليها أن تبيع جسدها مع الشقق التى تعرضها للبيع .. ويكتشف هو أنه تورط فى عملية احتيال راح ضحيتها عشرات العمال الذين أقنعهم بحلم السفر للعمل فى البلاد العربية بأجور خيالية .. فذهبوا الى هناك ، ليفاجأوا بأن عقود العمل مزيفة !!

وتأتى النهاية بعد رحلة طويلة من المعاناة والضغوط .. والفتاة تتسلم خطاب القوى العاملة .. بينما الشاب يرفض العمل الحكومى .. ويختار أن يبقى كما هو بين السقالات كعامل بناء !

والفيلم فى مجموعه يقدم مأساة شباب باحلامه المشروعة فى العمل والحب والاستقرار ... ولكن يواجه بكل التحديات اللاأخلاقية ، والتى يفرضها أصحاب الدخول الطفيلية .. فالعمل أحيانا محسوبية .. وأحيانا ورطة يدفع ثمنها الشباب صغير السن ، القليل الخبرة .. ويفلت منها الكبار الدهاة الذين لا يتورعون عن فعل أى شىء فى سبيل زيادة مكاسبهم !

وقد برع الفيلم فى تقديم العالم من وجهة نظر فتاة تتعامل مع أقدام السيدات الفارغات عقلا ، والمتكبرات ، واللاتى يتباهين بصلاتهن وأموالهن .. كما برع فى تقديم عالم النصب والاحتيال فى الشركات الوهمية حيث تدار الصفقات على موائد القمار ، وحيث يصبح كل شىء مباحا من أجل إتمام الصفقات !! .. وبنفس البراعة قدم الفيلم عالم الحارة المصرية وأخلاقيات ابن البلد الاصيل الشهم الذى لا يرضى بالحال المايل ، حيث لعب «سعيد صالح» واحدا من أفضل أدواره الفنية .

وإن كان يعيب الفيلم بعض الاستطرادات إلا أنه فى النهاية يحسب للمخرج على عبد الخالق .. أنه استعاد مكانته الفنية حينما قدم عام ٧٢ فيلم (أغنية على الممر) كأول فيلم من انتاج جماعة السينما الجديدة والتى ظهرت لتغير وجه السينما المصرية .. فها هو فى فيلم «الحب وحده لا يكفى» يعلن من جديد أنه مازال موجودا على خريطة السينما التى تستطيع أن تقول أشياء جادة !

● أمهات فى المنفى

وهذا ما حدث أيضا للمخرج محمد راضى بفيلمه الجديد (أمهات فى المنفى) قصة وسيناريو الكاتب يوسف جوهر .

هنا محمد راضى يستعيد نفسه .. ويدخل تجربة الانتاج بقلب جرىء ليقدم موضوعا يحشد فيه العديد من النماذج التى استغلت الانفتاح الاقتصادى فى مصر ، لتحقيق طموحاتها الشخصية .

والأم فى هذا الفيلم هى أمينة رزق ، لها ابنتان متزوجتان (ماجدة الخطيب وزوجها السيد راضى – وإسعاد يونس وزوجها عادل امام) .. والأم لها شقة فى وسط البلد ، تعيش فيها بمفردها .. ومن هنا يتفق الزوجان بمساعدة زوجاتهما فى اقناع الام بقبول عرض بيع الشقة بمبلغ ضخم على ان يأخذا انصبتهما .. وان يتبادلا بعد ذلك استضافة الام فى منزليهما .. وأمام الالحاح والكلمات المعسولة والوعود البراقة بكرم الضيافة .. توافق الأم .. ويتم البيع ويأخذ كل



عمر الحريرى «المهرب الكبير» ونور الشريف الذى أصبح فجأة من كبار التجار فى فيلم أهل القمة .

ثلاثة أفلام عربية جديدة تناقش موضوعاً هاماً



أشرف فهمي..مخرج فيلم ومازال التحقيق مستمرا .

منهما نصيبه .. لتبدأ الكارثة !

فالنقود تغرى بالاستثمار .. وكل المشاريع تبدو جذابة ومربحة ! .

ويقدم الفيلم بانوراما هائلة لكل الطموحات الملهوفة على الثراء .. وعالم أصحاب المشاريع وأساليب الربح السريع .. من بيوت تدار للقمار .. الى التهريب .. الى أصحاب البوتيكات .. الى مشاريع استيراد السيارات .. الى المكاتب الوهمية والصفقات التى تتم على أنفاس المخدرات .

عالم حافل برائحة النقود .. والعفن أيضاً !

بينما الأم تحولت الى لاجئة مشردة بين بيتى ابنتيها .. ترى العجب وتتألم .. وتعتصر حزنا على ما جرى .. فكل شىء ينهار ويتهدم حولها .. والجميع غارق فى المستنقع لا يسمع إلا صوته فقط !

إنها مرثية بالغة المرارة .. لما تفعله النقود بالبشر ..

ولعل أكثر الخيوط ايلاما وقوة فى هذا الفيلم .. هذا الخيط الذى يمثله (عادل امام) كموظف جمرك ميناء الاسكندرية ، حيث اشتهر بين زملائه والعملاء .. بانه الموظف الامين المتشدد فى حق الحكومة والذى لا يترك قشة تمر من باب الجمرك دون حساب .. وتتم المحاولات من جانب أحد المهربين الكبار (جلال الشرقاوى) لرشوته .. أحيانا فى شكل وظيفة استشارية .. وأحياناً فى شكل مشروع استثمارى .. ولكن هذا الموظف بذكائه وحرصه يرفض كل هذه المحاولات .. والمهرب الكبير لا ييأس .. حتى يورطه فى علاقة نسائية ويهدده بالفضيحة .. وينهار موظف الجمرك .. ويدخل اللعبة .. ويلعب بقسوة وشراسة .. حتى يسقط ضحيته زميله الشاب فى الجمرك .. ويتهم بتهمة هو يدرى تماماً انه برىء منها .. ولكنه لا يستطيع أن يدافع عنه .. أو يقدم دليل براءته .. وينتحر زميله الشاب فى السجن لاحساسه بالظلم .. وهنا يشعر بفداحة جريمته .. ويبدأ فى الانتقام من الذين ورطوه فى هذه اللعبة القذرة .. ولكن بعد فوات الأوان .. وفى قفص الاتهام داخل المحكمة يطلق صرخته الممزوجة بالسخرية .. وكأنه ينعى نفسه !

وبلغ عادل امام فى هذا الدور قمته الفنية .

والفيلم يزيد طوله الزمنى عن الساعتين والنصف .. وكأنما أراد المخرج أن يقول كل شىء عن الجنون المادى .. ولهذا وقع فى مصيدة التشعب والتفاصيل الكثيرة .. ولكن ما يبقى من هذا الفيلم جرأته البالغة .. وقيمته الفنية التى أثراها مدير التصوير الفنان عبد العزيز فهمى .

إن هذه الأفلام .. وهؤلاء المخرجين الشبان ، واتفاق الرؤية على تناول المشكلة الاقتصادية كسبب رئيسى فى اهتزاز القيم .. واختلال الموازين .. وحيرة الشباب .. ما هو إلا دليل على يقظة بعض صناع السينما المصرية .. وبداية استرداد هذه السينما لموقعها الاجتماعى المؤثر .. وأيضاً موقف يحسب للرقابة على السينما المصرية – حتى ولو حذفت مشهدا أو عبارة هنا أو هناك – ويكفى انها سمحت بهذا الموضوع الحساس لان يطرح للعرض والمناقشة .

وقد كتبت فى ابريل الماضى بمجلة «الدوحة» مقالا بعنوان (مأزق المخرجين الشبان فى السينما المصرية) ..

وتعرضت فيه لاسماء بعض المخرجين الشبان وخط الصعود والهبوط بينهم .. إلا اننى هنا أتوقف مستدركاً أمام أسماء ثلاثة من المخرجين الشبان .. علي بدرخان بعد أن قدم فيلم «أهل القمة» – وعلي عبد الخالق بعد فيلم «الحب وحده لا يكفي» – ومحمد راضى بعد فيلم «امهات فى المنفى» .

إن هذه الأفلام .. تعنى عودة هؤلاء المخرجين الى دورهم المأمول فى قيام سينما واعية تدعونا للتفكير .. وتدق ناقوس التحذير عند الضرورة .

رءوف توفيق

محمد العزب موسى

علم جديد.. أم نظرية متخلفة؟

انقسم المفكرون والفلاسفة ورجال القانون وعلم النفس والاجتماع بين معسكرين كبيرين فيما يتعلق بتحديد القوة الغالبة والأساسية فى الحياة الانسانية هل هي الجينات أم البيئة .؟ أو بمعنى آخر هل هي عوامل الوراثة والميول الفطرية الكامنة فى الانسان أم هي الظروف الخارجية التى تحيط بالانسان من طفولته الى هرمه ؟ .

وفى السنوات الاخيرة ، او بالتحديد خلال السبعينات ، ظهر فى معسكر القائلين بغلبة العوامل الجينية او الوراثية عالم احياء امريكى يدعى ادوارد ويلسون القى حجراً ضخماً فى بحيرة هذا الخلاف سيظل يثير دوائر متواسعة من النقاش لسنوات كثيرة قادمة .

هذا الحجر يدعى «السوسيوبيولوجيا» او علم الأحياء الاجتماعى ، وهو علم مبتكر ، ينظر اليه الكثيرون لا باعتباره حدثا علمياً فحسب وإنما أيضاً كدعوى تثير الاهتمام من النواحى السياسية والاجتماعية والايديولوجية .

هذا العلم يختص بدراسة التاثير الوراثى فى السلوك الاجتماعى للحشرات والحيوان والبشر ، ويعطى انطباعاً بان الأخلاق والمؤسسات الاجتماعية ليست نتيجة للتقاليد أو الصدفة التاريخية أو المذاهب الأيديولوجية او تاثير الطبقات الحاكمة فحسب ، وإنما هى فى المحل الأول نتاج للميول والنشاطات الكامنة فى الطبيعة الحيوانية للانسان والتى تكونت عبر عملية التطور البيولوجى للجنس البشرى وتنتمى للتراث الوراثى للنوع الحيوانى .

وادوارد ويلسون ، صاحب هذه النظرية الجديدة ، يعمل أستاذاً للعلوم البيولوجية بجامعة هارفارد ، وقد بدأ ويلسون كدارس فى علم الحشرات ووضع كتاباً بعنوان «المجتمعات الحشرية» عام ١٩٧١ تكهن فى خاتمته بأن نفس مبادىء البيولوجيا وعلم الأحياء المقارن التى أظهرت كفاءتها فى تفسير «النظم الاجتماعية الجامدة» للحشرات يمكن تطبيقها بحذافيرها على الحيوانات الفقارية ، ولم يلبث أن طور هذه الفكرة فى كتابه الثانى «علم الأحياء الاجتماعى» ثم فى كتابه الاخير «حول الطبيعة البشرية» .

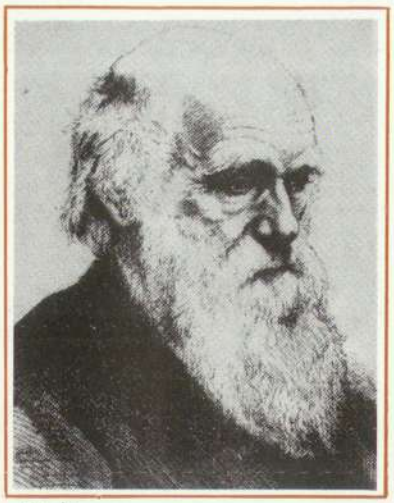
ويعرف ويلسون «العلم الجديد» بانه «الدراسة المنهجية للأساس البيولوجى لكل انواع السلوك الاجتماعى» وهو وإن كان لايزال فى الوقت الحالى يركز على المجتمعات الحيوانية إلا انه يوحى بشدة ويكاد يزعم صراحة بان نفس هذه المبادىء تنطبق ايضاً على السلوك الاجتماعى للانسان البدائى سواء فيما قبل التاريخ أو فى المجتمعات البشرية البسيطة المعاصرة .

وبهذا جدد ويلسون الصدمة الداروينية وزادها تعميقاً ، فها نحن يجرى تذكيرنا مرة اخرى بالاستمرارية الطبيعية بين الانسان والحيوان ، ولكنه هنا لا يذكرنا فحسب بالحيوان فى الانسان ، وإنما بالانسان فى الحيوان ، أو بمعنى آخر يذكرنا بان الحيوانات تتمتع بخصائص ومزايا كنا نعتقد تقليدياً انها مقتصرة على الانسان فحسب اى بقدرة الحيوانات على تكوين مؤسسات ونظم وتقاليد اجتماعية . فالغزلان والذئاب والقرود وانواع اخرى لا حصر لها من الحيوان تعيش داخل نظم اجتماعية تشبه فى بعض سماتها بل وفى كثير منها النظم الاجتماعية للانسان مثل علاقات القربى ووسائل الاتصال وتقسيم العمل ونظام الطبقات ، ووسائل الحب والمنافسة والخصومة وكيفية معاملة اعضاء الجماعة والخارجين عنها والتعاون فى الانتاج .. الخ .

واكثر من ذلك فالحيوانات تغير من طرق سلوكها استجابة للتغيرات فى الوسط الاجتماعى مثلما يفعل الانسان ، فالسلوك الاجتماعى للحيوان يتغير بفعل الظروف الخارجية كمدى الكثافة السكانية للجماعة الحيوانية ومدى وفرة او ندرة الطعام المتاح ، بل انه لا يتاثر بمثل هذه الظروف الخارجية فحسب وإنما هناك ايضاً دور للفرد المتميز فى المجتمع الحيوانى وقدرة هذا الفرد على ادخال المخترعات والتكنولوجيا فى المجتمع الذى ينتمى اليه ، ويقدم ويلسون فى هذا الصدد حالة قردة «عبقرية» تدعى إيمو كانت عضواً فى قبيلة من القرود فى جزيرة كوشيما اليابانية ، هذه القردة استطاعت وعمرها ١٨ شهراً أن تخترع طريقة غسل البطاطس فى البحر ، وعندما بلغ عمرها ٤ سنوات اخترعت طريقة فصل الحبوب عن الرمال بواسطة الطفو ، إذ كانت تحمل اكوام الحبوب المختلطة بالتراب الى الماء فتهبط الرمال وتطفو الحبوب وعندئذ يلتهمها القرود وقد طبقت جماعتها الاختراعين بعد موت القردة ايمو فى حين أن مجتمعات القرود الأخرى لا تعرف شيئاً عن ذلك .

وبين ويلسون فى كتابه «سوسيوبيولوجى» وفى ضوء مئات الملاحظات والتجارب والامثلة ان سلوك المجتمعات الحشرية والحيوانية يتغير عبر الأجيال المتعاقبة طبقاً لمقتضيات البيئة والظروف الخارجية ، فمثلا تصبح فترات الخصوبة الجنسية أطول أو أقصر ، كما تتغير النسبة بين الكبار والصغار ، وتتغير طرق توزيع الطعام والعمل والتزاوج ، وتتبدل العلاقة بين الجماعة الحيوانية والبيئة التى تعيش فيها الأجناس الحيوانية الأخرى ، وأحياناً تكون هذه التغيرات عميقة جداً بحيث تنقلب مثلا علاقات العداء الشديد الى تعايش او العكس ، ويختلف السلوك الاجتماعى للاجناس الحيوانية إزاء

علم جديد.. أم نظرية متخلفة؟



داروين



البير كامي

الظروف الخارجية طبقاً لتجاربها الخاصة ، بمعنى أن نفس الظرف الخارجي لا يؤدى الى نفس رد الفعل من جانب الأجناس الحيوانية المختلفة ، فمثلا تحت تأثير الكثافة السكانية تتقاتل الخرائيـت ولكن هناك أنواعاً من الطيور إذا تعرضت لهذا العامل أى الكثافة السكانية فانها تتعاون ، إذ تعيش الاناث سوياً فى أعشاش مشتركة وتتعاون فى تربية صغارها معا . ويرى ويلسون أن علم الأحياء الاجتماعى يجب أن يتناول بالدراسة عمليات التطور التى تؤثر فى هذه التغييرات والتعديلات عبر الوراثة ، ويامل أن يؤدى البحث اذا تقدم بما فيه الكفاية الى إلقاء أضواء جديدة لا على تطور الكائنات غير الانسانية فحسب وإنما على تطور الجنس الانسانى أيضاً ، ويقول ان الهدف الرئيسى **للنظرية العامة للسوسيوبيولوجي هو التنبؤ** بسمات المنظمات الاجتماعية فى المستقبل عن طريق معرفة السلوك الوراثى للمجتمعات الحية وأن هذه المشكلة سوف تشغل بال علم البيولوجيا خلال العشرين أو الثلاثين عاماً القادمة .

حملات الهجوم

هذه هى الفكرة الرئيسية لعلم الأحياء الاجتماعى الذى ينادى به ويلسون ، والفكرة فى حد ذاتها ليست بالجديدة ، إذ يمكن أن نجدها فى مؤلفات الفلاسفة الاغريق ، كما أنها تتفق فى خطوطها العريضة مع مشاهدات الحياة اليومية فان تأثير الوراثة فى الاجتماع أوضح من أن ينكر فالانسان يولد ضعيفاً ويظل لفترة طويلة عاجزاً بذاته ومعتمداً على العالم الخارجى من ناحية وعلى الدوافع الغريزية الوراثية من ناحية أخرى ، وبفعل هذه الدوافع تنبت للناس لحى أو تنمو أثداء دون أن يكونوا قد فكروا فى ذلك أو اتخذوا به قراراً ، وهم فى حياتهم العامة يتمتعون بفترة من القوة والنشاط ثم يتقدمون فى السن ويصابون بالضعف ويموتون ، وكل المجتمعات سواء كانت حيوانية أو انسانية تخضع لمثل هذه القوانين الطبيعية الصارمة ويتبعونها صاغرين.

فى ضوء مثل هذه الاعتبارات العادية المعترف بها كان من المتصور أن يلقى مقدم علم الأحياء الاجتماعى ترحيباً ، فمن المفروض أن مثل هذا العلم يوسع معرفتنا بالطريقة التى تعمل بها الحقائق البيولوجية وكيف تؤثر فى المؤسسات الاجتماعية ، ولكن على العكس لقي مقدم هذا «العلم» اختصاماً شديداً وأثار اضطراباً ورفضاً ربما أكثر من أى علم آخر فى العصر الحديث ، فقد ولد فى حضارة مشبعة بفكرة النسبية التاريخية حضارة تشعر بعمق الاختلافات العنصرية وتؤمن بليونة السلوك الانسانى وتامل عن طريق التأثير الملائم فى البيئة الانسانية أن تتمكن من التقليل من الأدواء الاجتماعية كالعنف والجريمة والفقر والظلم وسوء العدالة والقسوة. ولكن ها هو هذا العلم يأتى ليقول ان المؤسسات والعواطف والنوازع الانسانية كافية فيما هو أعمق من البيئة الخارجية ، وبالتالى لا يمكن تغييرها بتغيير ظاهرى وخارجى فى البيئة وإنما بالتأثير فى عوامل الوراثة نفسها .

ولذا فقد هوجمت نظرية ويلسون بشدة ورفض الكثيرون الاعتراف بها كعلم جديد وقالوا انها أحياء لأبشع النزعات الفردية ، ووصفة لهندسة المجتمع تكنوقراطيا ، ودفاع عن عدم المساواة ، وتعصب للذكورة ، واعادة صياغة للنظرية العنصرية فى قالب جديد .

ولكن ليت ويلسون قد اقتصر على هذا الجانب العلمى البحت دون أن يربط نظريته بالنواحى الايديولوجية ربطاً غير خال من الاعتساف أحياناً ، وهذه فى الواقع هى الثغرة التى نفذ منها المهاجمون، فقد بدأ كتابه «سوسيوبيولوجى» بفصل أسماه بطريقة استفزازية «أخلاق الجينات» ضمنه تكهنات حول المنبع الجينى للقضايا الأخلاقية الكبرى ـ كتلك التى أثارها مثلا البيركامى فى كتاباته ! ـ مثل الانتحار والايثار وطبيعة الخير والشر ، فهو يقول مثلا ان الجينات كما تحمل خصائص تدعو للصراع على البقاء فانها تحمل أيضاً خصائص تدفع على ايثار الغير وتحمل صاحبها على التضحية بنفسه فى سبيل الغير أو الجماعة التى ينتمى اليها ، وهكذا فان موت الذكر فى بعض الحشرات بعد أن يلقح الأنثى أو البيض يعزوه ويلسون الى جنيات تحمل خصائص التضحية فى سبيل الجماعة تماماً كسلوك الشهيد أو البطل الذى يموت فى ساحة القتال ، فالمقارنة هنا ليست صحيحة إذ لا يمكن أن نقارن موقف الحشرة التى تقدم على هذا السلوك طائعة وغير عالمة بمصيرها بموقف الانسان الواعى بطبيعة الموت فالمقارنة هنا غير علمية وهى أقرب ما تكون الى سوء استخدام الكلمات .

وكذلك فانه ينهى كتابه بفصل يتكهن فيه عن «المنابع الجينية للدين والأخلاق والفنون» تحدث فيه عن مستقبل الانسان ، حالماً بمجتمع سعيد

فى المستقبل يقوم بفضل تقدم علم التيوروبيولوجي أو علم البيولوجيا العصابية ، وذلك عندما نفهم اسرار خلايا المخ فهماً جيداً ونستطيع التأثير فيها بما يؤدى الى نتائج أخلاقية ! وفى هذا الفصل يتحدث أيضاً عن حتمية «المجتمع المخطط » فى القرن الحادي والعشرين ، وينتقد ما تم فى الماضي من تطورات اجتماعية ذاتية غير واعية يرى أنها السبب فى التناقض الحالي بين حوافز الانسان الطبيعية والأوضاع الاجتماعية التى يعيش فيها .

تقييم هادىء

لقد ظهرت في العصر الحديث نظريات ومذاهب فلسفية كثيرة نذكر منها على سبيل المثال السلوكية واليوجينية (علم تحسين النسل) والبرجماتية والماركسية والوجودية والوضعية المنطقية والبنيوية والمراجعة ،



لامارك

والانصار الاكاديميون لكل مذهب يتصورون أن مذهبهم جاء ليقضي على الأوهام ولينظف العالم تماماً من الخرافة والغباء ويفتح الطريق أمام الفهم الكامل للانسان والمجتمع والكون .

ولاشك أن كثيراً من هذه الأفكار والنظريات والمذاهب قد أحدث ولا يزال يحدث تأثيراً ثورياً كبيراً في المجتمع ، ولكن السؤال يظل قائماً : الى أى مدى يعد هذا المذهب أو ذاك اضافة حقيقية وشيئاً جديداً وليس مجرد فورة فكرية .

وبالنسبة لعلم الأحياء الاجتماعي أو السوسيوبيولوجي الذى يقترحه ويلسون نرى أنه يمثل أحد حدين يحاول بهما العلم الحديث أن يفحص النظرية الداروينية على مستوى جديد من الشمول والدقة ، أنه الحد التلسكوبي فى مواجهة الحد الميكرسكوبي الذى يمثله علم البيولوجيا الجزيئية وعلم الفسيولوجيا العصابية ، وهو باعتباره حداً تلسكوبيا يحاول أن يتنبأ بالمستقبل من حيث أن الحد الميكرسكوبي يقتصر على الغوص فى الماضي .

من المفروض إذن أن يكون علم السوسيوبيولوجيا علماً تنبؤياً . فهذا هو هدفه الرئيسي ومبرر وجوده كعلم مستقل ، أى أن نستطيع أن نتنبأ بواسطته بالمؤسسات والنظم الاجتماعية المقبلة وأن نؤثر فيها عن طريق هندسة الجينات وعلم الوراثة فهل يمكن أن يقوم علم الأحياء الاجتماعي فعلا بهذا الدور ؟

ينبغي أولا أن نلاحظ أن كلمة «التنبؤ» هذه غامضة وغير دقيقة ، إذ أن التغيرات التى تحدث فى الأخلاق والمنظمات الاجتماعية لا تحدث فى الواقع فى مجرى مغلق ومنعزل من التطورات وإنما هي تغيرات فى نظم مفتوحة على اتساعها للتأثيرات الخارجية الكثيرة التى لا يمكن توقعها أو التنبؤ بها .

وفى حالة المجتمع الانساني والسلوك الاجتماعي البشري تكون الصعوبات فى وجه «التنبؤ» أكبر بالتأكيد ، وحتى إذا افترضنا امكان التنبؤ بمستقبل المشاعر الانسانية كالحب والكراهية والعداء والحسد .. الخ فانه لن يمكن التنبؤ بالأفكار الجديدة التى تغير العلاقات الاقتصادية والاجتماعية .

ومن الطبيعي أن ويلسون لم يكن غافلا عن مثل هذه الاعتبارات وليس من العدل أن نفترض أنه يقصد بعلم الاحياء الاجتماعي أن يكون شكلا آخر من اشكال التنجيم ، إن كل ما يهدف اليه فى الواقع هو التوصل الى نظرية عامة تساعد على اكتشاف الاحتمالات الخيارية الكبرى فى التطور الانساني وتحديد مداها واتجاهها بشكل عام .

وعلم الأحياء الاجتماعي كما وضعه ويلسون يتكون فى الواقع من شيئين ١ ـ نظرية اساسية هي عبارة عن برنامج عملي لتركيبة جديدة لأفكار التطور . ٢ ـ نظريات فرعية تحاول التوحيد بين البيولوجيا والعلوم الاجتماعية والانسانيات . وهو يعتقد أن الحياة والذهن لهما أساس مادى طبيعي ، وأن العالم كما نعرفه قد تطور عن عوالم أسبق تخضع لنفس القوانين ، ولذا سيكون شيئا مثيراً للدهشة لو أن قوانين الاقتصاد مثلا انتهكت قوانين الطبيعة ، أو لو أن قوانين الاجتماع تعارضت مع قوانين الوراثة ، أو لو أن قوانين السياسة نقضت قوانين الجغرافيا ، وإذا قبلنا أن الانسان جزء من الطبيعة وأنه لا يمكن أن نستخدم فى دراسته منطقاً يخالف المنطق العام الذى يحكم علوم الطبيعة والبيولوجيا بهذا المعنى يمكن أن نقول بأن العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية والانسانيات موحدة .

أفكار تقليديـــة

ولكن ويلسون لا يقف عند هذا الحد بل نجده فى كتابه الأخير « حول الطبيعة البشرية » يدعو الى فحص أعمق وأشجع للطبيعة البشرية ترتبط فيها نتائج البيولوجيا والعلوم الاجتماعية ويشرح ما يعنيه فورا بقوله ان الذهن سوف يفهم على نحو افضل إذا نظرنا اليه كظاهرة ثانوية مصاحبة للآلة العصابية التى يتكون منها المخ .

ويضيف ويلسون « أن مراكز التحكم فى العواطف البشرية توجد فى تلافيف معينة من المخ وخلالها يتدفق شعورنا بمختلف العواطف ومع أن هذه العواطف هي الميدان المفضل للفلاسفة الأخلاقيين الذين يحاولون أن يحدسوا معنى الخير والشر والفضائل والرذائل إلا أننا يجب أن نتساءل : ماالذى صنع هذه الخلايا المخية المعينة ؟ . الجواب أنها تطورت نتيجة لمبدأ الانتخاب الطبيعي .. هذه العبارة البيولوجية البسيطة هي التى يجب أن نتتبعها كي نفسر الأخلاق فى العمق » .

من الواضح بما فيه الكفاية أن ادوارد ويلسون من عتاة الماديين فى نظرته الفلسفية ، وأن نظريته فى السوسيوبيولوجيا محاولة لاعطاء دفعة جديدة للفلسفة المادية التى تلقت ضربات قوية فى الآونة الأخيرة ، ولكن هناك منطقاً بسيطاً للرد عليه يبين كيف أنه لا يمكن الربط بين العلوم الاجتماعية والانسانيات على النحو الذى يقول به ويلسون ، فالخلايا المعينة الموجودة فى المخ والتى تتحكم في العواطف لا تحوي تعبيرات مثل الحب والكراهية والخير والشر ولكن لها منطقها المادى الخاص الذى يتعلق بالشحنات الكهربائية التى تصدر عنها . أما التعبيرات الأخلاقية فيمكن دراستها على نحو مستقل عن دراسة المخ من الناحية التشريحية والبيولوجية والكيماوية ، تماماً كما ندرس الخطط والمشروعات والأفكار دراسة مستقلة عن العلوم الطبيعية رغم أنها أيضاً من نتاج المخ البشري ، فان لدينا وسائل عادية لدراسة ومعالجة مختلف الظواهر فى الحياة البشرية كالزواج والكتب والمدارس والفن وتذوق الموسيقى ، وبهذه الوسائل يمكننا الحكم عما إذا كانت هذه الأشياء حقيقية أم زائفة ، معقولة أم حمقاء ، عظيمة أم منحلة وذلك دون حاجة للرجوع الى خلايا المخ وتلافيفه وعصاراته وكهربيته . وإذا كانت « المادية العلمية » التى يرفع لواءها ويلسون وزملاؤه تعنى أن تقدم العلم يجب أن يجعل من انماط التفكير والقول والفعل التى ابتدعتها البشرية وحسنتها عبر تاريخها الطويل مجرد خرافة وأخطاء وأوهام فهي إذن تتخلى عن أشكال لا بديل لها قامت عليها الحكمة والمعرفة البشرية دون أن تستطيع أن تملأ فراغها بحال . يضاف الى ذلك أن الفلسفة الأخلاقية بالذات لا يمكن حصرها فى نطاق دراسة الجينات لأن حضارتنا أكثر تقدماً وتعقيداً من أن تسمح بذلك ، مما يجعل تفكير ويلسون فى استخدام البيولوجيا كقاعدة وحيدة أو رئيسية للأخلاق تفكيراً متخلفاً يعود الى القرن التاسع عشر .

باختصار يمكن القول بأن آراء ويلسون هي عادة أفكار تقليدية فى ثياب بيولوجية عصرية ، ولكن ذلك لا يقلل من المساهمة الكبرى لويلسون فى مجال علم الأحياء بالذات ، فهنا قدم ويلسون أجل خدماته للعلم عن طريق جمع وفحص وتحليل كميات هائلة من المعلومات المتعلقة بعالم الحيوان والحشرات ووصل فيها الى نتائج يصعب تخطيئها ، أما محاولة دفع هذا العلم ليشمل الانسان كذلك فهنا القصور ومحور الخلاف .

محمد العزب موسى

سِيَرُنَا الشعبيّة..



حلمي التوني

نظرية التراكم الملحمى أو تراكم الطبقات هى نظرية استخلصها علماء الميثولوجيا من دراستهم للملاحم الهومورية ، وطبقها المستشرقون أولا على «ألف ليلة» ، ثم طبقها غيرهم من الدارسين على سيرنا الشعبية . وملخص هذه النظرية أن السيرة تبدأ بنواة قد تكون على الأرجح ذات أصل تاريخى ، وكلما تعاقبت العصور أضاف اليها المؤلفون أو المترجمون أو المقتبسون أو الرواة بما يوافق حضاراتهم ، بل ربما حذفوا منها وأضافوا اليها ما يتفق وذوقهم وما يعتقدون أنه يتفق وذوق جمهورهم . ولهذا تتجاور الملامح الأسطورية والملحمية والتراجيدية فى السيرة الواحدة مما لا يجعلها أسطورة ولا ملحمة ولا تراجيديا وان كانت كل ذلك جميعاً .

ولعل الدكتور لويس عوض فى كتابه «أسطورة أوريست والملاحم العربية» هو أبرز من طبق هذا المنهج على سيرة «الزير سالم أبو ليلى المهلهل» ، فهو يرى أن هذه السيرة ـ على النحو الذى وصلتنا به ـ قد خضعت لتحولات فولكلورية . فقصة «هجرس» الذى ربته أمه لينتقم فى النهاية من «جساس» الذى قتل أباه «كليب» والتى تستغرق ثلاثة أرباع قصة «الزير سالم» ذات وشائج قوية وأسطورة «أوريست» حين عاد الى «ارجوس» ليلتقى باخته «اليكترا» عند قبر ابيهما ، وهناك يتعرف كل منهما على الآخر ويدبران انتقامهما الرهيب من أمهما «كليتمنسترا» وزوجها «ايجيست» لأنهما تامرا على أبيهما «أجا ممنون» وذبحاه فى الحمام ليعتلى «ايجيست» عرش «أجا ممنون» المغتصب ، وهو موقف نراه يتكرر فى «هاملت» حين أراد أن ينتقم من عمه «كلوديس» الذى قتل أباه بتحريض من أمه «جروتورد» ليتزوجها ويعتلى عرشه .

ويرى الدكتور لويس عوض أن

ونظرية التراكم الملحمي

بقلم: يوسف الشاروني

الينبوع الاصلى الذى انبثقت منه كل هذه الاشكال المختلفة لهذه الأسطورة الاساسية فى كل العصور والبلاد هى اسطورة «ايزيس واوزوريس» وابنهما «حورس» المنتقم لأبيه من عمه «ست» اله الصحراء او الشر والذى احتال على أبيه «اوزوريس» إله الخير او الخصب فقتله حسدا منه وحقدا عليه . كما أن الطريقة التى بها أرغم التبع حسان ملك اليمن او عرب الجنوب الاميرين ربيعة ومرة سيدى الشام او عرب الشمال على أن يزوجاه من الجليلة بنت مرة ـ والتى كانت مخطوبة لكليب ـ اشبه ما تكون بخطف « باريس » أمير طروادة لهيلانة من زوجها فى الياذة هوميروس. كما أن الطريقة التى أفسد بها كليب ـ زوج جليلة فيما بعد ـ دخول حسان اليماني بجليلة أشبه ما تكون بحيلة حصان طروادة . فقد استقر الرأى أن يتظاهر كليب بالموافقة على طلب التبع حسان ويقود بنفسه قافلة جليلة بعد أن يختفى فى زى مهرج الأميرة حتى ينفذ الى قصر الملك حسان وينال منه غرضه ، وكانت القافلة التى حملت جهاز جليلة بنت مرة الى مختطفها تتكون من مائة من الفرسان موضوعة فى صناديق على ظهور الجمال وكل صندوق يتكون من طابقين . طابق علوى يحتوى على كنوز جليلة وطابق اختفى فيه فارس كامل السلاح ، وتقلد كليب بالسيف من تحت ثيابه ، ولبس فروا من جلد الثعالب والذئاب وأرخى له سوالف طوالا من أذناب الكبش والبغال ، وركب على قطعة من قصب وحمل دبوساً من خشب وكان يقود زمام الجليلة أمام فرسان القبيلة ، فلما رآه الوزير نبهان قال لبعض الفرسان من يكون هذا الانسان فان زيه عجيب وحاله غريب ، فقالوا : هذا مهرج الجليلة بنت مرة واسمه قشمر ابن غرة (١) . وقد حذر رمال الملك أو عرافه من هذه القافلة المشئومة فأرسل من يكشف أمرها إلا أنهم لم يجدوا غير جهاز الجليلة فجازت عليهم الحيلة ، فارسل الملك عرافة كانت هى استاذة العراف الأول فاستطاعت أن تكشف الحقيقة لكنهم استطاعوا اسكاتها بشرائها بثلاث بدلات حرير ، فضرب الملك عنق العراف بينما دخلت العرافة على الملك حسان تصور بهاء هذه الأميرة القادمة عليه وكانها ـ على حد قول الدكتور لويس عوض ـ بهاء هيلانة أو باندورا حواء اليونان التى قالوا إن الالهة خلقتها فى أحسن تكوين وزينتها بأجمل زينة وأوفدتها الى الانسان هدية من كل الالهة وغواية ، ليكون بها سقوطه وشقاؤه . وهكذا فتحت أبواب القصر ودخلت جليلة وقافلتها فأجلسها الملك على العرش ودار الشراب حتى غاب الملك حسان عن الوعى ، وغنت المغنيات ورقصت الراقصات وطلبت جليلة من الملك أن يلعب امامها مهرجها قشمر بن غرة ، فاقبل يمزح أمامها ويلعب بسيفه الخشب وهو فى زيه المضحك «فكان تارة يحلق عينيه ويرقص الأرض بيديه ورجليه ، وتارة يقول أين الفرسان الفحول ، واين ابو عطبول ، واحياناً يرقص ويضحك بلا سبب ، وهو راكب الفرس القصب ويسوقها بذلك الدبوس الخشب .. فاندهش تبع من أعماله ، واستغرب من احواله واقواله» (٢) ... ثم قال قشمر ـ وهو كليب ـ للتبع حسان ان كنت تريد أن تطرب الآن فاجعل الجليلة تغنيك بأبيات من الشعر لأن صوتها مليح ولفظها فصيح ، فلما طلب منها حسان الغناء طلبت أن يأمر قشمر بقفل الباب لئلا يسمعها أحد من الخدم والحجاب ، فاستصوب الملك كلامها وبذلك عزلاه ـ الجليلة وكليب ـ عن حرسه . فلما انتهت الجليلة من هذا الشعر طرب ، فأخذ كليب يرقص أمامه ، ولكن الملك قال له : عيب عليك أن ترقص أمامى بهذا السيف الخشب . فأمره الملك أن يدخل الى قاعة السلاح ليأخذ السيف ويرجع بالعجل ، فدخل ولبس الدرع وتقلد بالسيف ووضع الخوذة على رأسه بعد أن فتح صناديق الأحمال وأخرج الفرسان والأبطال ، فبقوا فى ساحة الدار وقاموا له بالانتظار . وكان قد سل الحسام من غمده وهو يهزه فى يديه ، ثم دخل على الملك وقد احمرت عيناه ، وتذكر أباه ، فصال وجال ولعب بالسيف كما تلعب الأبطال فى ساحة القتال ، وبعده تقدم وهجم عليه . فعرفه حينئذ الملك حسان وأيقن بالهلاك وطلب منه أن يعفو عنه فقال له كليب لابد من قتلك كما قتلت أبى (٣) ... ثم ضربه بالسيف ، فوقع على الأرض قتيلا وفى دمه جديلا . ثم خرج من المخدع وأعلم الفرسان بقتل الملك حسان وقال لهم لقد بلغنا المراد فكونوا على حذر واستعداد لامتلاك البلاد ، ثم وضع رأس الملك على رأس السنان وخرج الأبطال والفرسان وطافوا فى شوارع البلدة وضربوا من وجدوه بالسيف .

● **الينبوع الذي انبثقت منه الأشكال المختلفة لهذه الأسطورة الأساسية في كل العصور والبلاد هو أسطورة "إيزيس وأوزوريس"**

سِيَرُنَا الشعبية.. ونظرية التراكم الملحمي

● ليس هناك مايمنع أن يكون النص الأصلى لقصة "الزير سالم" سابقًا في إنشائه على العصر الإسلامي..أي في الجاهلية البعيدة

تشابه الظروف والأفكار

وتشابه الأساطير والملاحم والقصص الشعبية ليس بالضرورة معناه أن احد ها منقول عن الآخر ، ذلك لأن تشابه الظروف يؤدى الى تشابه الأفكار . ولكن أصحاب منهج التراكم الملحمى يؤيدون رأيهم بأكثر من وسيلة منها تشابه اسماء الأبطال وما حدث من تحوير فيها ، والتيمات أى الموضوعات والباترونيميات أى الأنساب والمؤتيفات أى الأفكار الرئيسية ، ثم أدوات الشاعر من لغة وعروض ، ثم صور البيئة والحياة والتاريخ .

وتطبيقاً لهذا المنهج يرى الدكتور لويس عوض أنه ليس هناك ما يمنع أن يكون النص الأصلى لقصة الزير سالم سابقاً فى انشائه على العصر الاسلامى ، أى فى الجاهلية البعيدة . بل انه يمضى الى أبعد من هذا الاحتمال قائلا انه قد يكون انشىء فى لغة غير اللغة العربية ثم نقل الى هذه اللغة . وتقف نهاية القصة عند مصرع الزير سالم . ثم تورد ذريته من أخيه كليب حتى الجيل الخامس بعده الذى تشرف بمقابلة «النبى المختار» ، ومع ذلك فاننا نقرأ فى صلبها عن حروب مع الصليبيين ، ولا تفسير لهذا إلا أن المؤلفين الذين أضافوا أحداث عصرهم الى الأحداث الغابرة نسوا أو لم يعبأوا بأن يجعلوا ما



أضافوه فى وسط القصة غير متناقض مع نهايتها . كما أن فى ملحمة الزير سالم عبارات توحى بأن الاتصال بين عرب الشمال وعرب الجنوب تم عن طريق البحر ، والمعروف أنه كان لا يمكن الاتصال بحراً بين اليمن والشام إلا عن طريق رأس الرجاء الصالح قبل حفر قناة السويس . فالملك حسان اليمانى يأمر وزيره نبهان باعداد ألف مركب للحملة على الشام :

أيا نبهان اجمع لي العساكر
فياتوا فوق الخيل كالنسورا
وجهز ألف مركب يا وزيرى
وأوسقهن فى وسط البحورا (٣)

بل انه عرج فى طريقه الى الشام على بلاد الحبش والسودان (٤) ، ولا يمكن الوصول اليهما من الجزيرة العربية إلا عن طريق البحر . كما أن حملة كليب وفرسانه المختفين داخل الصناديق على ظهور الجمال كانت عن طريق البحر «فلما فرغ الرمال من كلامه وتبع يسمع نظامه نادى على العبيد فحضروا مائة عبد فقال لهم : روحوا العمارة وكل صندوق تلاقوا فيه رجال كسروه ، فانطلق العبيد الى العمارة وهم أسعد وسعيد وبقية المائة عبد» (٥) . ومعروف ان العمارة معناها القطع البحرية . ويخلص الدكتور لويس عوض الى أن هذه القرائن توحى باحتمال وجود نص أصلى قديم يتم فيه الحصار بحراً أشبه بحصار طروادة فى اليادة هوميروس ، ولكن اعادة نسج النص واعادة صياغته بحيث تكون المدينة المحاصرة هى دمشق ، قد أدى الى ظهور هذا النص المختلط الذى تجاوزت فيه اصطلاحات الحوار الكبرى مع اصطلاحات الحوار البحرى دون أن يلقى الشاعر بالا الى ضرورة تنقية نصه تماماً من رواسب النص الأصلى (٦) .

فيبدو اذن أن حلقة حسان اليمانى فى ملحمة الزير سالم تمثل ادماجاً لاسطورتين نابعتين من أسطورة اختطاف هيلانة وحرب طروادة : احداهما انتقام الزوج وأله من خاطف الزوجة (انتقام أجا ممنون من باريس) والأخرى هى انتقام الابن من قاتل أبيه ومغتصب فراشه (انتقام أوريست ـ هاملت من ايجيست ـ كلوديوس) (٧) .

وقد ردد الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف الرأى نفسه فى دراسته عن «أبو زيد الهلالى» التى نشرها قبل عشر سنوات من نشر الدكتور لويس عوض لدراسته عن «الزير سالم» . إذ أعلن أن فى أبطال السيرة الهلالية «مشابه كثيرة من صور الأبطال عند اليونان ، وكثير من تاريخ هؤلاء وسيرهم يشبه تاريخ أولئك . فالبطل عند اليونان كان نصف إله فى وسعه أن يفعل الخير والشر كما يشاء ... وهذا يشبه الى حد كبير ما تذكره القصة عن الزناتى من أنه كان ابن جنية فكان اذا طعن بالسيف ووضع ماء الحياة على الجرح التأم وعاد فى اليوم التالى صحيح البدن سليم الجسم .. حتى فى الناحية التاريخية الاسطورية لوجود الابطال ووضعهم القصصى يلاحظ المتأمل مقارنة عجيبة (٨) . ثم يستطرد قائلا ان «نظرة فى المقارنة بين مواقع القصة الهلالية وما يروى من المواقع عن حروب طروادة لتدل الباحث على مشابهة كبيرة ومظاهر متفقة ، وإن قصة حصار الهلاليين للقيروان ... لتشبه قصة حصار أجا ممنون لمدينة طروادة ، فكل منهما دام مدة طويلة من الزمان وجرت فيه حروب ووقائع رهيبة مفزعة ، ثم انتهى كل منهما بالحيلة وتم الكسب فيها بالدس والوقيعة . فهذه كلها مشابهات ـ وغيرها كثير ـ يلاحظها الباحث إذا ما قارن بين الأبطال هنا وهناك ، بل انه

فى هذا الصدد ليقف على مشابهات أخرى بين سير الأبطال فى القصة الهلالية وبين مثيلاتها فى أساطير الفرس وخرافاتهم التى تحكيها الشاهنامة ، وكذلك يستطيع أن يجد مثل هذا ولو الى حد ما فيما يروى فى القصص المصرى القديم» (٩) .

العرب .. واليونان

ويجزم الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف بأن العرب قد عرفوا اليونان وتاثروا بفلسفتهم وادبهم كما أن اليونان قد سبق أن عرفوا المصريين . أما عن الفرس فقد نقل كثير من أساطيرهم عن طريق العراق الى اللغة العربية . وقد انتشر كثير من القصاصين فى مصر وغير مصر بعد سقوط بغداد . ومع ذلك فلسنا نستطيع أن نجزم جزماً علمياً بأن القصاص الذين رووا قصص الهلاليين قد استلهموا القصص اليونانى أو الفارسى .. لأن المشابهات لا تبدو إلا فى أمور عامة ووقائع شائعة تفطن اليها الأمم وتهتدى اليها بغرائزها وميولها (١٠) . ثم يعود فيعقد مقارنة بين البطولة فى الملاحم اليونانية والبطولة فى السير الشعبية ، فيرى أن البطولة الأولى ينظر اليها نظرة تقديس ، أما البطولة الثانية فينظر اليها نظرة اعجاب ، لأن البطل فى القصة الهلالية انسان معقول يجوز عليه ما يجوز على كل انسان ، وكل اعماله مما يدخل فى الطاقة البشرية على وضع من المبالغة والتهويل ، لأن قصاص الهلالية كانوا فى زمن اتجهوا فيه بالعبادة الى الله سبحانه وتعالى كما يقرره الدين ويفرضه الاسلام (١١) .

وقد استفاد بهذا المنهج أيضاً الدكتور عبد الحميد يونس الذى تبين له من دراسته لسيرة بنى هلال أنها مرت بطورين ، أولهما الطور الغنائى الخالص وكان قبل القرن السادس الهجرى ، ودليله على ذلك الشواهد التى أوردها ابن خلدون فى ختام مقدمته والتى تعتبر أول خيط جدى يتصل بسيرة بنى هلال من الناحيتين الأدبية والفنية . فهذه الشواهد تنطق بأن السيرة كانت فى أول أمرها عبارة عن قصائد غنائية توزعتها أجيال مختلفة وبيئات شتى بعيداً عن اللسان الفصيح . وثانيهما الطور القصصى ، وقد بدت أماراته أيام ابن خلدون فى القرن الثامن الهجرى ، تؤيد ذلك الشواهد التى أوردها فى مقدمته عن ماضى بن مقرب وخليفة الزناتى وهما من أبطال السيرة الهلالية . ولم يحدث التحول طفرة وإنما حدث فى أناة وبطء . ولا يمكن أن يقال ان فرداً معيناً أو أفراداً معينين قاموا بالعبث فيه .

كما أعلن الدكتور عبد الحميد يونس فى دراسته لسيرة الظاهر بيبرس أن هناك أربع طبقات فى هذه السيرة هى : الطبقة التاريخية والطبقة المصرية والطبقة الخاصة بالفداوية ثم الطبقة الخرافية التى تنحو نحو ألف ليلة وليلة . فمثلا فيما يتعلق بالطبقة الفداوية يقول : ونحن نستخلص من الدليل الأسلوبى أن هذا الجزء الخاص بالفداوية كان ـ فيما ترجح ـ مجموعة من الأخبار قد اندمج فى السيرة وخضع لما تخضع له السيرة من سنن الجهر والاشارة ، وأضيف اليها ما رسب فى خيال العامة عن فعال هؤلاء القوم (١٢) .

التراكم الملحمى وسيرة عنترة

ويتفاوت انطباق هذا المنهج على السير الشعبية ابتداء من سيرة عنترة التى تعتبر أقدم هذه السير نشأة بدليل أن معظم السير تشير اليها وتستشهد ببطلها بينما لا يحدث العكس فى سيرة عنترة ، ومع ذلك فان بعض الدارسين ـ مثل فاروق خورشيد ومحمود ذهنى ـ يرون أن كاتب سيرة عنترة فرد واحد . وان جاز القول بأن المادة العلمية والتاريخية فى هذه السيرة يرجع الفضل فيها الى الأصمعى (الذى ولد عام ١٢٣ هـ وتوفى عام ٢١٠ هـ) . أما الصورة الروائية للسيرة فانها ليست للأصمعى وانما هى لشخص متأخر عنه زمنياً اطلع على تراث الأصمعى واستغله فى صياغة روايته القصصية . والدليل على أن كاتب سيرة عنترة فرد واحد يكمن أولا فى البناء القصصى الذى تتسلسل فيه الأحداث تسلسلا سليماً من أول فصول السيرة حتى الفصل الأخير منها . وليس أدل على ذلك من تلك الاحالات التى يلجأ اليها الكاتب . ففى الفصل الأول مثلا يقدم لنا زبيبة ـ أم عنترة ـ ويبرر عدم انقيادها لبقية الفرسان الذين أسروها مع شداد بقوله : وقد أنكرت منهم تلك الأحوال لأنها من نسل قوم كرام ، وسوف نذكرها فى تأصل نسبتها ، ونذكر سبب غربتها وفرقتها . ولكن نذكر كل شىء فى مكانه ، بعون الله وسلطانه ، اذا ما وصلنا اليه . وبعد ذلك يستمر المؤلف فى كتابة السيرة حتى يصل الى الفصل الرابع والثلاثين بالمجلد الخامس حيث ينتقل بفارسه الى بلاد الأحباش ليقوم بسلسلة من المغامرات . وهنا يفى المؤلف بوعده فيذكر لنا نسب زبيبة وأصلها وسبب غربتها وهى انها بنت النجاشى ملك الحبشان ويرجع نسبها الى حام ابن نوح عليه السلام . وقد غدر بزبيبة الزمان ، وحكم عليها القدر أن تقع فى يد العربان ، وأرسلها الى بنى عبس وعدنان فأخذها شداد وأتت منه بعنتر (١٣) .

ومع الاقتناع بوحدة مؤلف السيرة فقد أقحم النساخ خيالاتهم ورغباتهم للتزيد والحصول على رضى العامة . يثبت ذلك اختلاف نصوص السيرة ما بين حجازية وشامية وعراقية .

معنى هذا أن نظرية التراكم الملحمى يتفاوت انطباقها من سيرة الى أخرى بحيث يمكن تطبيقها تطبيقاً واسعاً على سيرة مثل الزير سالم ، بينما قد لا يتاح تطبيقها إلا فى أضيق الحدود على سيرة مثل سيرة عنترة .

يوسف الشاروني

هوامش

(١) قصة الزير سالم الكبرى « أبو ليلى المهلهل » . مطبوعات مكتبة ومطبعة محمد صبيح . القاهرة . « ص ١٧ » .
(٢) المرجع السابق « ص ٢٢ » .
(٣) المرجع السابق « ص ٢٣ » .
(٤) المرجع السابق « ص ٥ » .
(٥) المرجع السابق « ص ٧ » .
(٦) المرجع السابق « ص ١٨ » .
(٧) المرجع السابق « ص ٣٩ » .
(٨) د. لويس عوض : « اسطورة أوريست والملاحم العربية » ، القاهرة ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٨ « ص ٣٣ » .
(٩) المرجع السابق « ص ٣٣ » .
(١٠) محمد فهمي عبد اللطيف : « أبو زيد الهلالي » ، القاهرة ، دار المعارف ، سلسلة إقرأ ١٩٤٦ . « ص ٩٩ ـ ١٠٠ » .
(١١) المرجع السابق « ص ١٠٠ ـ ١٠١ » .
(١٢) المرجع السابق « ص ١٠٢ ـ ١٠٣ » .
(١٣) المرجع السابق « ص ١٠٤ ـ ١٠٥ » .
(١٤) فن كتابة السيرة الشعبية . « ص ٨١ ـ ٨٢ » .



أزمة الصّحافة الغربية

بقلم: مجدي نصيف

● سماسرة العقارات وتجار الخردة يسيطرون على صناعة الرأى العام .

● الصحافة تدخل مرحلة الاحتكارات المتعددة الجنسية وتبتعد عن صناعتها الأصلية!

(١) عندما اشترى المليونير الاسترالى روبرت مردوخ صحيفة التايمز ، قالت صحيفة الأوبزرفر الأسبوعية البريطانية «إن هذا أكبر تركز لسلطة الصحافة فى تاريخ بريطانيا» ذلك أن مردوخ يطلق عليه اسم ملك «صحف الزبالة» ومنها فى بريطانيا وحدها «الصن» اليومية و «نيوز أوف ذى وورلد» الأسبوعية ، الواسعة الانتشار . وتساءلت صحيفة الأوبزرفر : «هل من حق رجل واحد أن يسيطر وحده على ثلث الصحف القومية» ؟ .

بعدها بشهر واحد فقط أعلن عن بيع

صحيفة «الأوبزرفر» نفسها لرونالد لونرو المليونير البريطانى السيىء السمعة ، الذى قال عنه ادوارد هيث عندما كان رئيسا لوزراء بريطانيا فى حكومة المحافظين السابقة : «إنه يمثل الوجه القبيح للرأسمالية» .

والرجلان لهما شهرتهما فى عالم المال والتجارة . فروبرت مردوخ يمتلك شركات هائلة لوسائل الاعلام من صحف وتليفزيون فى أستراليا وبريطانيا والولايات المتحدة ، ومعظم الصحف من التى يطلق عليها اسم «صحافة التابلويد» التى تنشر الصور العارية وتعتمد فى مادتها على الفضائح وقصص الجريمة والجنس . أما لونرو فهو «ملك المضاربة» الذى تمتد أملاكه الى مناجم في النظام العنصرى بجنوب افريقيا . وقد حاول فى نفس الوقت الذى اشترى فيه «الأوبزرفر» أن يشترى محلات هارودز البريطانية وعرض ثمناً لها ٣٠٠ مليون جنيه استرلينى .

التركز والتمركز

والقضية الأساسية المطروحة على بساط البحث هى تركز وتمركز الصحف الواسعة الانتشار ، فى أيدى قلة لا تعمل بالصحف ولا بالفكر ، إنما الفكرة الأساسية لديها هى تملك «صناعة» رابحة ومؤثرة فى المجتمع وفى السياسات بشكل عام . واذا أخذنا بريطانيا كمثال ، فان هناك ثلاث مؤسسات صحفية بريطانية تحتكر ٨٠٪ من توزيع الصحف :

(١) الميرور : (ريد انترناشيونال) : وتمتلك «الديلى ميرور» و «الصنداى ميرور» و «الصنداى بيبول» . توزيعها يزيد عن ١١ مليون نسخة .

(٢) مردوخ (نيوز انترناشيونال) : ويمتلك «الصن» و «نيوز أوف ذى وورلد» وصحف «التايمز» و «الصنداى تايمز» وملاحقها . توزيعها فوق التسعة ملايين ونصف النسخة .

(٣) الاكسبريس : (ترافالجار هاوس) تمتلك «الديلى اكسبريس» و «الديلى ستار» و «الصنداى اكسبريس» . توزيعها قرابة ست ملايين وربع نسخة

(٤) التلجراف : وتمتلك «الديلى تلجراف» و «الصنداى تلجراف» ويصل توزيعها الى مليونين ونصف نسخة .

(٥) الميل : (اسوشيتد نيوز بيبر) وتوزيعها قرابة مليونى نسخة .

(٦) الأوبزرفر : (لورنو) وتوزيعها أكثر من مليون نسخة .

(٧) الجارديان : وتوزيعها ٣٧٨,٨٥٢ نسخة .

(٨) الفايننشيال تايمز : وتوزيعها ١٩٦,٤٩٥ نسخة .

من هذا يتضح أن المؤسسات الثلاث الكبرى الأولى ، يصل توزيع صحفها الى حوالى ٢٧ مليون نسخة ، من التوزيع الاجمالى للصحف البريطانية ، الذى يبلغ ٣٣ مليون نسخة . أى أنها تسيطر على ٨٠٪ من الصحف التى تشكل الرأى العام .

شارع الصحافة

و «فليت ستريت» هو شارع الصحافة فى بريطانيا ، حيث مبانى معظم الصحف العملاقة ، الذى يدور فيها الصراع الآن . ولأن الصحافة أصبحت «صناعة» بالمعنى الاقتصادى الحرفى للكلمة ، فقد أصبح الصراع الدائر الآن هو بين أصحاب الصحف وبين النقابات القوية التى تضم الصحفيين والموظفين والفنيين والمصورين وعمال الطباعة الخ .

والسمة السائدة الآن ، هو محاولة ضرب هذه النقابات القوية التى اكتسبت قوتها من الصراع الطويل مع أصحاب الأعمال ، ومن الحقوق التى اكتسبتها بالتالى على مدى هذا الصراع .

مارجريت تاتشر



والحقيقة أنها تحولت الى «حرب شاملة» حرب تشنها دور الصحف العملاقة ضد النقابات كلها بشكل عام ، حرب تنبأت صحيفة الفايننشيال تايمز بأنها «تنشأ من معالجة علاقة العمال بالادارة كمصارعة الثيران» .

وبتفاقم الأزمة الاقتصادية التى تمر بها بريطانيا منذ جاءت السيدة مرجريت تاتشر على رأس حكومة المحافظين الأخيرة ، تناقص العائد من الاعلانات بشكل لم يسبق له مثيل منذ الثلاثينات . ويتجه رأس المال فى الصحافة الى العودة بسرعة الى طريق الربح ... الكلمة الأخيرة لشريعة الغاب وليس لها علاقة بالصحافة كحرفة ولا بحرية التعبير ، ولا بخطورة تشكيل الرأى العام . شريعة الغاب التى افترست العديد من الصحف المستقلة .

إن الحرية الوحيدة التى يعترف بها «فليت ستريت» هى حرية الأرباح . كتبت صحيفة الديلى اكسبريس فى احدى افتتاحياتها ذات مرة : «إن حرية الصحيفة تكمن فى حريتها لايجاد المال اللازم . يجب عليها أن تصبح حرة فى الطريقة التى تستغل بها الفرص المتاحة أمامها فى سوق المنافسة القديم الخشن» كتبت هذه الافتتاحية ، بعد أسبوع واحد من اضطرار «الديلى اكسبريس» نفسها الى الخضوع لشريعة الغاب فى سوق المنافسة ، والانضواء تحت لواء مؤسسة «ترافالجار هاوس» التى قامت بشرائها . وأصحاب هذه المؤسسة وكلاء شحن وسماسرة عقارات يمتلكون فندق «ريتز» وشركة ملاحة .

إن هذا النوع من الملاك الجدد للصحف (الغربية عموماً) هم السمة الغالبة الآن فى «موقف» لعبة النهاية الذى وصلت اليه «مبارزة» التملك والاستيلاء ، التى يشكل فيها عالم لندن «المالى» و «فليت ستريت» كياناً واحداً جديداً ، فى الوقت الذى تختفى فيه امبراطوريات الصحافة التقليدية وتختفى تحت سطح البنايات الضخمة للمؤسسات المتعددة الجنسية ، لتصبح احدى الوحدات فى «الأصول الثابتة» للمؤسسة !

وعندما يصرح «مردوخ» و «رولاند لونرو» بأنهما سيبقيان على تقاليد ممتلكاتهما الجديدة من الصحف

أزمة الصحافة الغربية

«المحترمة» ، فانهما أيضاً يفصحان عن رغبتهما فى أن تدر ما يكفى من الدخل والأرباح .. كان هذا الخليط الغريب من القضايا هو الأصل فى عرض مجموعة طومسون (التايمز) لبيع أفضل ما فى السوق . فاذا لم تبع صحف «التايمز» ، فسوف تغلق ! لقد رفض مردوخ أن يستمر فى الوعد الذى قطعه اللورد طومسون على نفسه بأن تستمر التايمز خمساً وعشرين سنة أخرى فى الصدور .

لكن أحداً لم يصدق التأكيد باستمرار على ملامح المؤسسات القومية ، واحترام التقاليد الصحفية ، والحفاظ على استقلالية رئيس التحرير (الأجير لدى التجار والسماسرة) . ولازال القراء البريطانيون يذكرون كيف استغل حزب المحافظين رؤساء تحرير معظم الصحف القومية خلال العام الأول من حكم حزب العمال ، عام ١٩٧٤ ، فى محاولة لانقاذ قانون علاقات العمل الذى قدمه رئيس وزراء حكومة المحافظين ادوارد هيث ، قبل ذلك بعام واحد . ذلك أن رؤساء التحرير «الذين يتمتعون بالاستقلالية» بذلوا كل ما فى وسعهم لوضع العقبات فى طريق الممارسات الديموقراطية داخل المؤسسات الصحفية .

السياسة المالية

وتختلف الصورة اليوم تماماً بسبب سياسة السيدة مرجريت تاتشر ، والتى أدت الى المزيد من التركز والتمركز فى الصناعة ، اذ أصبحت السلطة المطلقة للمليونيرات الذين يحتكرون الصحافة بعلاقاتهم مع الشركات الكبرى . لقد أصبح ذلك يشكل خطورة أعظم مما كان يشكل فى الماضى . وتزداد هذه الخطورة بتأثير المؤسسات الصحفية الهائل على تشكيل الرأى العام .

وقد خاض رئيس تحرير صحيفة «الأوبزرفر» معركة ، بعد أن شعر بالحرج من انتقال ملكية الصحيفة من يد شركة اركو الأمريكية للبترول ، الى «لونرو» ذات السمعة السيئة .

ولقد روجت صحيفة التايمز لأسطورة حريتها منذ عام ١٨٥٢ ، وأصبحت الفكرة الراسخة «أن الصحف التى تحقق أرباحاً هى وحدها التى لها حق البقاء والاستمرار» . لكن صحافة «السوق الحر» تحولت فى مضمونها الى العكس تماماً . وفى تعليق لمحرر «الأوبزرفر» على مصيرها هي نفسها قال : « كان التأثير المزعج لفتنة شارع الصحافة ، هو الذخيرة التى أمدت تدعيم فكرة مغزاها أن تنافس الصحف هو أفضل سبل الحصول على مصادر نظيفة للمعلومات ، وذلك بدلا من انكار ملكية الدولة للصحافة ، أو المؤسسات للصحافة ، أو المؤسسات الصحفية المستقلة المدعومة من قبل الحكومة» .

لقد كانت الفضائح ، سواء أكانت حقيقية أم مزيفة ، هى السلعة التى تاجرت فيها «الصحافة» الغربية لأمد طويل . لكن أطول الفضائح عمراً هى حالة الصحافة نفسها . لقد انكشف حال الصحافة على مدى عشرات السنين الماضية فى الغرب ، المرة بعد الأخرى ، إن قاعدتها الأساسية هى المناورات والخسة ، وذلك بالرغم من القناع الذى ترتديه «كمؤسسة محترمة مبجلة» ، وحلة الحرية التى ترتديها !

والسؤال الذى يطرحه المثقفون فى الغرب الآن هو : لماذا لم يحدث تغير ما ؟ ولماذا ظلت الصحافة على ما هى عليه الآن ؟ ولماذا لم تحاسب على أفعالها ؟ ولماذا تبدو دائماً «منيعة» ضد أى تطور ديموقراطى ؟

لا يذكر التاريخ الغربى سلطة طاغية مثل سلطة «فليت ستريت» . ويدعى شارع الصحافة هذا أن لا بديل فى الساحة عن حريته المبنية على قاعدة «السوق الحر» ، إلا الصحف التى تمتلكها الدولة . أى إما «الحرية الكاملة» أو التبعية الكاملة للدولة ، ويضربون على ذلك الأمثلة بالصحافة فى الدول الاشتراكية ودول العالم الثالث التى أممت كل شىء من وسائل الانتاج ، بما فى ذلك المؤسسات الصحفية . والغريب أن هذا الادعاء قد تمكن من الرأى العام بقوة وبتدعيم الحكومات المتتالية ، بما فى ذلك الحكومات العمالية (جيستيكل وويلسون وكالاهان) .

لكن اليسار البريطانى قدم مشروعاً لحل قضية الصحف وملكيتها ومشاكلها ، لأعضاء «اللجنة الملكية للتحقيق فى مشاكل الصحافة» .

ويتلخص هذا المشروع فى سبع نقاط:

أولا : منع سياسة دمج المؤسسات الصحفية (وهو ما يحدث الآن) .

ثانياً : اصدار ما يلزم من تشريعات جديدة لكسر الاحتكارات الحالية التى تركز الصحف فى أيدى قلة . واقتراح باصدار قانون يحول دون تملك مؤسسة واحدة أو فرد واحد لأكثر من صحيفة واحدة .

ثالثاً : تقديم دعم مالى حكومى ، منظم ومدورس ، لمساعدة الصحف على مواجهة المشاكل المالية ، خاصة الصحف ذات التوزيع المنخفض .

رابعاً : يقاف سياسة التفرقة التى تتبعها الحكومة فى منح الاعلانات .

خامساً : وضع حد أقصى لما تحصل عليه صحيفة واحدة من الاعلانات من المؤسسات والشركات التجارية والصناعية الكبرى .

سادساً : انشاء مؤسسة وطنية للطباعة تقوم الدولة بتمويلها ، بغرض تقديم وسائل الطباعة السهلة والرخيصة للمؤسسات والهيئات الديموقراطية لاصدار صحفها ، حتى لا تحول الموانع المادية دون ذلك .

سابعاً : فصل الصحافة عن محطات الاذاعة والتليفزيون المملوكة لشركات تجارية .

(والآن ... نظرة فاحصة الى الصحافة البريطانية من الداخل ، من خلال عملى كمراسل فى لندن مقيم بصحيفة التايمز البريطانية مما يتيح نظرة موضوعية على البنية الداخلية ، ومن خلال علاقاتى بالزملاء الصحفيين) .

عندما بدأ الشاعر الانجليزى الشهير صمويل تيلور كولريدج اصدار صحيفته «كلب الحراسة» منذ حوالى مائتى عام ، استهلها بتحذير كئيب يقول : «فى دولة مستعبدة ، تجد الحكام فى موقع تشكيل وجهة نظر الشعب» . وأدان نوعاً من الصحف فى المقاطعات ، يتسلم «رؤساء تحريرها هدايا أوراق البنكنوت من وزارة الخزانة ، ومعها بعض التعليمات التى يدسونها على القارىء بين أسطر مقالاتهم» !

إن هذا الوضع موجود بهذا الشكل أو

ذاك حتى الآن ، وإن كان ليس بالضرورة كما وصفه صمويل كولريدج .

إن عدد قراء الصحف فى بريطانيا يفوق مثيله فى أى مكان آخر فى العالم .

إن ملوك الصحافة يجرون وراء الأرباح ، ولا شىء غير الأرباح .

● فيكتور ماثيوز الذى يمتلك مؤسسة ضخمة للسفن والشحن اسمها «ترافالجار هاوس» (دار الطرف الأغر) تمتلك مجموعة صحف الاكسبريس . والمليونير فيكتور ماثيوز له مكتبه الخاص به بمبنى صحيفة الديلى اكسبريس حيث يمارس منه بيد من حديد شئون «التحرير» وسط كل مشاغله المادية والتجارية .

● اللورد روثيرمير ويعيش فى باريس هرباً من ارتفاع الضرائب فى لندن . يجلس هو الآخر فى مكتبه «ليشرف ويراقب الصحف المملوكة لمجموعة «الصحف المتحدة» والتى تمتلك ، أيضاً ، نصيباً لابأس به فى بترول بحر الشمال»

● ومازال المليونير اللورد هارتويل «رئيساً لتحرير» صحيفة الديلى تلجراف وكذلك «الصنداى تلجراف» الأسبوعية ، اللتين يمتلكهما أيضاً .

● أما روبرت مردوخ ، فقد قطع شوطاً بعيداً عن «نادى حزب العمال» بجامعة اكسفورد . وهو يقوم الآن بالاشراف على امبراطورية معقدة من الاعلام والمعلومات . وهو يقضى معظم وقته فى نيويورك ، ومع ذلك فلديه من الوقت ما يكفى ليتدخل تدخلا مباشراً فى تحرير «أوزتيه اللتين تبيضان ذهباً» : وهما «الصن» و «نيوز أوف ذى وورلد» .

إن جميع الصحف البريطانية تتكون من التوظيف الهرمى ، ووفق هذا التصنيف الكهنوتى يقوم صاحب الجريدة بتعيين رئيس التحرير الذى يقوم بدوره بتعيين مدير التحرير ورؤساء الأقسام الخ من أعلى الى أسفل . أما ممارسة العمل نفسه ، فهى بدورها تأتى من أعلى الى أسفل . وكان الله فى عون الصحفى الذى يتجرأ على هذا البنيان الكهنوتى ، مهما بلغ احترام هذا الصحفى بين قرائه وزملائه .

والأمثلة كثيرة :

● فى عام ١٩٧٠ فصل الصحفى برنارد ليفين من عمله كمحرر صحيفة «الديلى ميل» عندما تجرأ وتضمن مقاله جدلا عن أهمية عودة حزب العمال الى الحكم لعدم صلاحية حزب المحافظين فى ادارة شئون البلاد . هذا رغم أن نتيجة تحليل استمارة استطلاع الرأى العام بين صحفيى الديلى ميل ، جاءت مؤيدة لوجهة نظر برنارد ليفن .

● وفى بداية العام الماضى ، طلبت قمة «النظام الكهنوتى» من الصحفى جيرمى كامبل مراسل «الايفننج ستاندرد» بواشنطن ، أن يستطلع وجهات نظر الساسة ورجال الأعمال الأمريكيين فى الانتخابات البريطانية . وقد عبر معظمهم عن عدم ارتياحهم لنجاح السيدة مرجريت تاتشر ، وظهر «مانشيت» بهذا المعنى فى الطبعة الأولى . لكن فى الطبعة الثانية تعرض المقال لعملية تشويه فظيعة ، وتحول الى ملخص لوجهة نظر رجال الأعمال الأمريكيين فى النظام الضرائبى البريطانى ، وتم استئصال كل التعليقات المعادية للسيدة تاتشر . وبعبارة أخرى فان التحيز لصالح المحافظين «قضى» على أسس قواعد عمل مضن قام به واحد من أفضل وأصدق مراسلى الصحيفة وأكثرهم استقلالية .

● وبنفس الطريقة ، لا تتاح لرؤساء التحرير أنفسهم فرصة نشر أو ممارسة العمل الصحفى اذا كانت هناك معلومات لا يرضى عنها صاحب الصحيفة . ومن القصص الطريفة المعروفة ما حدث قبيل بداية الحملة الانتخابية للمعركة الأخيرة التى انتصر فيها حزب المحافظين بقيادة السيدة مرجريت تاتشر حدثت مناقشة اشترك فيها كل من ديريك جيمسون رئيس تحرير الديلى اكسبريس الذى يصف نفسه بأنه «رجل حزب العمال» ، وبيتر جريمسديتسن رئيس تحرير الصحيفة التى صدرت حديثاً آنذاك واسمها «ستار» وصاحبها فيكتور ماثيوز . أصر جيمسون وجريمسديتسن على أن تؤيد صحيفة «الستار» الجديدة حزب العمال ، لسبب تجارى خبيث بحت لا علاقة له بسياسة حزب العمال ولا مصلحة الناس ولا وجهة نظر أيهما . وشرح الرجلان رأيهما : «إن صحيفة «الصن» اليومية المنافسة تلقى بثقلها وراء حزب المحافظين ، ومن ثم فان تأييد صحيفة الـ «ستار» الجديدة لحزب العمال سوف يجعلها تحقق شعبية لأنها ستكسب قراءها من العمال . لكن فيكتور ماثيوز الذى لا يخفى «عبادته» للسيدة مرجريت تاتشر ، لم تهضم معدته أمر امتلاكه لصحيفة «عمالية» . وبعد مناقشات ومداولات أخذت صحيفة الـ «ستار» الجديدة موقفاً «وسطاً» .

إن أزمة الصحافة الغربية أزمة عميقة . إنها أزمة مرتبطة بالنظام السائد والبنية الاقتصادية والاجتماعية المكونة للمجتمع . والصراع الدائر فيها أيضاً هو نفس الصراع الدائر فى المجتمع أيضاً ، بكل مكوناته وطبقاته وفئاته وتقسيماته .

مجدى نصيف ـ لندن

روبرت ميردوخ بين هارولد إيفانز رئيس تحرير الصنداي تايمز الأسبوعية ووليم ريزموغ رئيس تحرير التايمز اليومية .



إلى متى يظل الطفل العربي مهملا وضائعاً فى عالم الكبار ؟ الفضول .. والترقب .. وأصوات الأسئلة الكثيرة بداخله ، بحثاً عن اجابة لكل ما تقع عليه عيناه ، وتلمسه يداه ، وتستقبله أذناه . من يجيب للطفل على كل أسئلته ؟ ومن يخاطب عقله ؟ وأين هو الكتاب الذى يأخذ بهذا العقل البكر رويداً رويداً ، لكي يكتشف عالمه الحقيقى ، وطريقه الصحيح نحو المعرفة والحقيقة ؟ .

الطفل العربي وأزمة القراءة

بقلم : عبد التواب يوسف

نحن فى حاجة الى مكتبات للاطفال .. مكتبات عامة ، مكتبات مدرسية ، مكتبات فى الفصول ، مكتبات فى البيوت ، اقسام فى مكتبات الكبار مخصصة للاطفال .. لكن السؤال الذى يواجهنا :

ـ ماذا سوف نضع فوق هذه الرفوف ؟!

فى دور الرياض قد نضع لعباً ومكعبات فى المكتبات ، وفى المكتبات المدرسية قد نضع بجانب الكتب الشرائح ، والأفلام ، والخرائط ، واللعب التعليمية ووسائل الايضاح .. لكن «الكتب» هى الأساس .. والسؤال :

ـ ماذا لدينا من هذه الكتب لنضعه فوق رفوف المكتبات ؟

وهذه محاولة لمعرفة كتب الأطفال العربية التى يمكننا أن نفيد منها ، بجانب ذلك الحشد الضخم من الكتب الأجنبية .

والكتاب عندنا نحن العرب والمسلمين شىء مقدس ..

إذ عندما أراد الله أن يهدى البشرية فى طفولتها بعث اليها «صحفاً» و «كتباً» والصحف والكتاب : هداية ورشاد ، معرفة وتعليم ، ثقافة وتوجيه .. واذا شعرت أمة بأزمة فكر ، فان ذلك وراءه غيبة الكتاب ، ويعنى أن هذه الأمة لم تدرب أطفالها على صحبته منذ نعومة أظفارهم ، ولم تغرس فى نفوسهم أن الكتاب غذاء ورغيف للعقول .. وهذه مسئولية : المجتمع ، والمدرسة ، والأسرة معاً ، متلازمين .. ونحن العرب لا نعانى أزمة فى مجال كتب الأطفال .. ما نعانيه شىء أكبر من الأزمة .. إنها «مجاعة» حقيقية ، تلك التى يعانيها أطفالنا وما يصدر لهم وجبة لا تشبع ، بل تثير نهمهم ، وتنبههم الى السغب الذى يعيشونه ، حين يقارنون بين ما يقدم لهم وبين ما يرونه من كتب أجنبية ، خاصة الشوامخ التى لم تترجم بعد الى العربية ، فى مجالى المعرفة والأدب .

نصيب الطفل عالمياً

الموقف الراهن للثقافة عامة ، والكتاب خاصة ، على مستوى الوطن العربى موقف مؤسف محزن .. تكفى احصائية صغيرة لكى تثير فينا مشاعر الذعر والقلق .. تلك هى : «أن بلادنا قد استهلكت من ورق المطبوعات والكتب فى عام كامل ما لا يزيد على عشرة فى المائة مما استهلكته بلجيكا وسكانها لا يتجاوزون عشرة بالمائة من العرب» وأعرف مسبقاً أن البعض سوف يزيد الصورة اظلاماً وقتامة بقوله ...

ـ وماذا طبعنا على هذا الورق ؟ ما قيمته الحقيقية ؟

وبدورى أتساءل فى أسى :

ـ ترى ، ماذا كان نصيب الطفولة فى عامها الدولى ـ من هذا الورق ؟ والجواب أقل القليل .. النذر اليسير .. ربما كان أقل من خمسة بالمائة بينما عدد الأطفال يصل الى خمسة وعشرين بالمائة من عدد السكان !! والاحصائيات لغة العصر ، لذلك تضع الدول أمامها سؤالا هاماً ، عاماً بعد عام ...

ـ كم كان نصيب الطفل من الكتب فى هذه السنة؟

ويجيب الاتحاد السوفيتى فى فخر : ٤,٧ كتاب ..

وتقول الولايات المتحدة الأميركية ٣,٩ كتاب.

وتأسف انجلترا ، وهى تضع هذا الرقم : ٢,٦ كتاب ...

إنهم يقسمون عدد نسخ الكتب المطبوعة سنوياً على عدد الأطفال القراء .. واذا ما حاولنا ان نضع نفس الشىء لقلبنا أيدينا فى حسرة : إن نصيب الطفل العربى من الكتب سنوياً لا يزيد على سطر فى كتاب .. أو ربما كلمة !! وليست لدينا قوائم لكتب الأطفال الصادرة لهم على مدى السنوات التى حاولنا خلالها أن نقدم كتباً خاصة بهم ، وقد نادينا بضرورة حصر الصالح منها ، وذلك خلال الحلقة التى عقدت عام ١٩٧٠ فى بيروت تحت شعار «الاهتمام بالثقافة القومية للطفل العربى» ولكن ما من توصية واحدة من توصيات هذه الحلقة وجدت طريقها الى النور .. لذلك اعتمد على مصدر أجنبى لعرض مكاننا على خريطة العالم فى مجال كتب الأطفال ، واتوقف عند أحدث ما صدر من قوائم ، تلك هى القائمة التى صدرت مع عقد معرض فرانكفورت الدولى للكتاب (١٩٧٨) تحت عنوان «طبع للاطفال» ..

كتب الأطفال العربية

والحقيقة أنه من الصعوبة البالغة أن نحاول حصر واحصاء كل ما صدر للاطفال العرب من كتب ـ غير مدرسية ـ وذلك لغيبة القوائم الخاصة بهذه الكتب ، لكن المسألة ضرورية ، وحتمية ، ولعل هذه المحاولة تدفع بعض الأجهزة الى تقديم جهد أكبر فى هذا المجال الذى نعتمد فيه على بعض المصادر غير العربية .. وتحت يدى أحدث قائمة عالمية لكتب الأطفال ، وقد صدرت فى عام ١٩٧٨ مع معرض فرانكفورت الدولى للكتاب تحت عنوان (طبع للاطفال) وتضم عرضاً عن كتب الاطفال فى ٧٩ دولة .. وعلى الرغم من أن ما جاء فيها من كتب الأطفال فى مصر لا يتسم بالموضوعية أو الدقة أو الأمانة إلا أنها أحدث مصدر يمكن الرجوع اليه بالنسبة لكتب الأطفال فى لبنان والعراق والسعودية ومصر .

ونستطيع أن نقول ان الاهتمام بكتب الأطفال يتفاوت فى بلدان وطننا وفى مقدورنا أن نجد ثلاث مجموعات متباينة فى مجال نشر كتب الأطفال :

● بلدان لم تقتحم هذا المجال بعد ، وتتركز فى الجزيرة العربية والخليج .. ومعها الصومال وموريتانيا وجيبوتى .. إن أغلب هذه البلدان إما لديها امكانات مالية ضخمة وتعتمد على استيراد كتاب الطفل من مصر ولبنان ، وإما تعوزها الامكانات بالكامل .

● بلدان لها محاولات متواضعة .. مثل الجزائر والمغرب ، وقد اعتمدا طويلا على الكتاب الفرنسى للطفل ، الأمر الذى جعل انتاجها لكتب الأطفال قليلا وجعل اعتمادها (بعد التعريب) على تونس كبيراً .. ومن هذه المجموعة أيضاً الأردن والكويت وليبيا ، وعدد الكتب الصادرة للاطفال فيها تعد بالأحاد (تهتم الكويت بكتب الرياض . وصدرت عدة مجموعات أخيراً فى ليبيا) .

● أكثر بلدان الوطن العربى اهتماماً بكتب الأطفال هى ـ وبترتيب الكتب الصادرة فيها ـ مصر ، لبنان . (باصداراتها التجارية العريضة) السودان ، سوريا ، العراق ، تونس ...

هذا ، ولا يفوتنا أن نشيد بالدور الرائع والبناء الذى قامت به دار الفتى العربى فهى بعد مكتبة كامل كيلانى ـ الدار التى تخصصت فى اصدار كتب الأطفال .

ويزيد عدد كتب الأطفال فى مصر على الفى كتاب .. وتتجاوز كتب لبنان الألف كتاب ، وصدر فى السودان نحو ٤٠٠ ، وفى سوريا نحو ٣٠٠ ، والعراق نحو مائتين/ومائة كتاب فى تونس .. أى أن كتب الأطفال فى وطننا العربى كله لا تزيد على أربعة آلاف كتاب .

وأكثر الكتاب انتاجاً فى مجال الكتاب فى سوريا شاعرها الكبير سليمان العيسى وزكريا تامر وعادل أبو شنب ، وفى العراق فاروق سلوم وشريف الراسى وجعفر صادق ، وفى السودان حسين حسون وعوض حاج حامد ، وفى مصر أحمد نجيب ونتيلة راشد (ماما لبنى) ووصفى آل وصفى وعصمت والى ، وراجى عنايت ، و (صاحب هذا البحث) .

ماذا فوق رفوف المكتبات ؟

هذا التساؤل طرحته على نفسى ، وحاولت أن أجيب عليه ببساطة .. إن فوق رفوف مكتبات الأطفال : الخاصة ، والعامة ، والمدرسية : كتباً ومراجع ومجلات وقد تكون هناك بعض الخرائط والمصورات والوسائل التعليمية ، وربما توجد بعض أشرطة الكاسيت ، والشرائح المصورة ، والأفلام ... وهذه هى التى يسمونها المكتبة الشاملة ..

وفجاة تذكرت دولاب الكتب القديم ، المتهالك ، المغلق لسنوات طويلة والقابع فى الظلام فى ركن من أركان مدرسة (...) الابتدائية ، ومفتاحه قد يكون مع السيد المدير ، أو السيد السكرتير ، أو السيد أمين العهدة .. وتلاميذ هذه المدرسة عددهم نحو خمسمائة طفل ، وميزانية المكتبة سنوياً خمس جنيهات ـ فى مصر ـ أى نصيب الفرد منهم قرشاً لتزويد المكتبة بالجديد مما صدر فى دنيا العلم والمعرفة والأدب والفن وكانت لنا فى فصولنا ـ يوماً ما ـ مكتبة .. لكل فصل من التبرعات .. وتذكرت أن بلادنا تكاد تخلو من المكتبات العامة للاطفال (هناك مكتبة واحدة بالقاهرة ، وأخرى فى بغداد) . ربما تفرد بعض دور الكتب جانباً للاطفال ، وقلما يجدون فيه ما يناسبهم ، وسرعان ما ينصرفون عن المكتبة ولا يعودون للتردد عليها ... ولكن هناك محاولات من جانب قصور الثقافة ونوادى الشباب لخلق «نواة مكتبة» حينما وجد القصر أو النادى ... وتذكرت أن «غرفة المكتبة» ليست ضمن غرفة «جهاز العروسة» وأن بيوتنا غالباً لا تعرف المكتبات الخاصة ، وبالتالى فلا رفوف لأطفالنا ، خاصة بهم ، يضعون من فوقها كتبهم ، والأب يفضل علبة السجائر على الكتاب ، والابن يفضل عليه قطعة الشيكولاته ويتوارث الأبناء عادات الآباء ... وعلى هذا تتناثر كتب الأطفال ومجلاتهم فى البيوت وقلما يكون لهم رف هو النواة الحقيقية ليكون بنفسه مكتبة فى المستقبل .

ومن الضرورى أن نفرق بين لونين من كتب الأطفال :

أولا ـ كتب المعرفة : وهى تدور حول كافة ألوانها، والكثير منها تعليمى مدرسى ولكنه اقترب فى السنوات الأخيرة الى شكل كتب الأطفال الملونة البراقة ، وحفل بالصور والرسوم .

ثانياً ـ كتب الأدب : وهى فى شكل رواية أو مجموعة قصص قصيرة ، أو تصاغ فى صورة مسرحية ، بجانب الشعر والأناشيد والأغنيات .. وهى لا تستهدف المعرفة فى المرتبة الأولى ، بل تسعى للثقافة ، وتترك فى نفوس قرائها انطباعاً ، ترمى به الى إثراء الوجدان وتغيير المفاهيم وتثبيت القيم الأخلاقية الايجابية .

والخلط بين الشكل والمضمون ، يأتى من أن كتب الجغرافيا أصبحت (أدب رحلات) ، والمواد التاريخية تصاغ فى شكل قصصى أو مسرحى ، كما أن الروايات العلمية تحتوى على قدر كبير من المواد العلمية ، أى أن كتب الأطفال كثيراً ما تمزج بين الأمرين ، والحكم على الكتاب بانه من كتب المعرفة أو الأدب يتوقف على ما توخاه منه مؤلفه وما قصد اليه واستهدفه .. وقد لوحظ فى الفترة الأخيرة محاولة من جانب الكتاب المدرسى للاقتراب شكلا ومضموناً من كتب الأطفال والعكس صحيح بالنسبة لكتب المعرفة والمعلومات ، إذ أن إلغاء الكتاب المدرسى المقرر جعل من الضرورى وضع هذه الكتب بين أيدى الأطفال كمراجع للبحث والدراسة والتحصيل .

كتب الجريمة

وعلى رفوف مكتبات الأطفال ـ فى البيت والمدرسة ـ نعثر على كثير من قصص الجريمة ،

الطفل العربي وأزمة القراءة

لقد شهدت نهاية الستينات وبداية السبعينات – والى الآن – هذه الجرائم التى ترتكب فى وضح النهار وتحت أنظار السلطات الثقافية – إن كان هناك شيء يمكن أن يطلق عليه هذا التعبير – وأمام بصر الرأى العام ، كم رهيب من الروايات البوليسية التى تغمر الأسواق باعمال رخيصة ، أغلبها مترجم من اللغات الأجنبية على ورق رخيص ، ورسومها سخيفة ، وموضوعاتها أشد رخصاً وسخافة .. وهى أعمال لاتمت بصلة لا الى ثقافة الأطفال ، أو أدبهم ، أو كتبهم (الأصل فيها مجموعة من روايات الكاتبة الانجليزية ايند بلايتون التى لا يشير اليها قط أى كتاب من تاريخ أدب الأطفال فى العالم على الرغم من أنها تأتى الثالثة فى قائمة الكتب المترجمة على مستوى العالم بعد الانجيل وشكسبير .. وبعد النجاح المادى الذى حصل عليه أصحاب هذه الترجمات – ونخرجهم من عداد كتاب الأطفال – زادت هذه البوليسيات وتجاوزت الحد المعقول ، وراحت تنضم اليها سلاسل جديدة كالشياطين تصدر من القاهرة وبيروت . (بعض البلدان العربية كالسعودية والعراق تمنعها من دخول أسواقها) ، والمؤسف أن دارين للنشر عريقتين ، فى القاهرة تساهمان فى هذا العمل :

● دار المعارف التى احتضنت أقلام كامل كيلانى وسعيد العريان وبرانق وزهران .

● دار الهلال التى أصدرت كتب ماما لبنى وحجازى واللباد .

وذلك بجانب دار اللطائف المصورة فى بيروت التى تصدر سبع مجلات (سوبرمان ، الوطواط .. الخ) وهى مجلات – مثل الشياطين – لا تستهدف غير تخريب نفوس الأطفال .

والعالم كله يخرج الروايات البوليسية من دائرة الأدب ، ولا تضم قائمة الكتب الكلاسيكية للاطفال – أو الكبار – أى عمل من الأعمال البوليسية ، ولم ترق أى من هذه الأعمال الى مرتبة اعتبارها أدباً (فيما عدا ما كتبه الألمانى ايريك كيسلر فى روايته أميل والبوليس السرى) والسؤال الذى يطرح نفسه :

– هل نرضى غرائز الأطفال ورغباتهم ، أم نعطيهم احتياجاتهم الضرورية ؟!

● إن الاجابة على السؤال تكمن فى أن الطفل يحب الشيكولاته لكنه لا يمكن أن يعيش عليها ، ويجب على الآباء ألا ينقادوا لأبنائهم فى هذا السبيل الضار ، لأن من «الحب ما قتل» ! والانسياق وراء إرضاء الغرائز خطأ كبير .

والبعض يتهمون أدباء الأطفال بأنهم يغارون من النجاح الذى تحققه هذه الأعمال البوليسية ، وما أظن أديباً حقيقياً فى العالم كله يشعر بالغيرة من موريس لبلان أو كونان دويل أو أجاثا كريستى .. إنه لون من الكتابة يمتع خلال قراءته ولا يترك بصمة أو أثراً والقول بان هذه البوليسيات تضيف الكثير من المعلومات للاطفال غير صحيح لأن القارىء خلالها مشغول بالحدث متتبع للوقائع الأمر الذى يجعله غافلا تماماً عن كل ما يرد من معرفة ... كما أن القول بانها تدرب الطفل على القراءة أمر غير صحيح : إن قراء البوليسيات لا يتجاوزونها الى غيرها إلا إذا كانوا من قراء الكتب أصلا .. ويكفى ما تعالجه من أعمال مثيرة ، يتوتر لها الطفل ، كان ما حوله لايكفى ! ، وكم تسبب له المخاوف ، فالأمم المتحدة وتقرير فيليب بوشار ، وكل دساتير الكتابة للاطفال فى العالم تحرم التعرض لحوادث الاختطاف ، ولدينا (الطفل المخطوف) و (الأمير المخطوف) ، وغيره .. كما تحرم (التهديد) الذى يخل بأمن الطفل وطمأنينته ، وعندنا (الرسائل الغامضة) وقد قلدها أطفال احدى المحافظات وبعثوا برسائل تهديد الى المسئولين فى المحافظة واعترفوا خلال التحقيق أنهم تعلموها من الرواية التى حرزت مع أوراق القضية .. ان هذه الأعمال الرخيصة الضارة يجب أن نتصدى لها بقوة .

ولقد آن الأوان لكى تنتبه بلادنا والرأى العام الى هذا اللون البشع من الغزو الثقافى الذى لا يستهدف غير الربح المادى على حساب ثقافة أطفالنا ، وأدبهم .. إن الأعمال العالمية للاطفال ، والتى حازت أكبر الجوائز لم تترجم الى العربية .. الفائزون ، جوائز كارنيجى ، تيوبرى ، هانز أندرسون لا يعرف الحقل الثقافى للأطفال أسماءهم ، ولا كتبهم ، لأن هذا السيل المتدفق من البوليسيات يغمر الأسواق ويطرد العملة الجيدة منها .

كتب الأطفال

الكتاب – فضلا عما فيه من قيم ثقافية – سلعة تمر بعدة مراحل حتى يتم تصنيعها ، وهى تحتاج بجانب المؤلف والرسام الى ورق ، وحبر وطباعة وألوان ، وغير ذلك من الخامات التى تتكلف كثيراً ، وخاصة كتب الأطفال فى حاجة الى لون جيد من الورق والأغلفة بجانب الدقة فى الطباعة واستخدام الألوان .ثم أن الكتاب كسلعة يعانى من منافسة سلع أخرى – غير الاذاعة والتليفزيون – مثل اللعبة والحلوى ، وارتياد السينما والمسرح .. وقد ارتفعت أسعار الخامات ، وبالتالى أثمان الكتب ، وخضع سوقها للعرض والطلب .. ونتيجة لضعف القوة الشرائية لم يعد الاقبال على الكتاب عامة – وكتب الأطفال خاصة – يغطى مساهمة بعض الهيئات فى شراء هذا اللون من الكتب لكساد سوقه بالكامل ، خاصة والاعلان عنها يكلف الكثير مما يزيد فى النفقات وبالتالى فى سعر الكتاب ، وإن كانت هذه الهيئات – كوزارة التربية – لا تشترى كميات كافية لتغطية المصروفات .. وليس لدى الأطفال مصروف كاف لاقتناء كل ما يرغبون فيه من كتب ، اذا كانوا ممن يقبلون على القراءة .

(كان توزيع كتب الأطفال فى فرنسا فى عام ١٩٧٨ يشكل ٨,٤٧ بالمائة من الكتب الموزعة ، ارتفع عام ١٩٧٩الى ٩,٩٠ فى المائة) .

والحقيقة أنه ما من حل لأزمة كتاب الطفل إلا بتوزيعه على نطاق واسع فى شتى أرجاء الوطن العربى ، وإن كان هناك الكثير مما يحول بيننا وبين هذاءمثل الاجراءات الجمركية ، والقيود النقدية المفروضة داخل كل قطر عربى .. والحق أن كتاب الطفل يحتاج الى مزيد من الرعاية ، فلابد من أن يتم توزيعه بلا عوائق ، من أى لون كانت ... يجب أن ترفع عنه الرقابة ، والجمارك ، وكافة القيود التى تمنع تداوله .. بل يجب أن تتدخل الحكومات ذاتها فتستورده مهما كان ثمنه لتضعه فوق رفوف المكتبات العامة والمكتبات المدرسية ، بل لتضعه فى الأسواق بأرخص سعر ممكن .. كمحاولة لخلق لون من ألوان وحدة الثقافة بين أبناء الوطن العربى .

ترجمة كتب الأطفال

مما لا شك فيه أن أدبنا الحديث كله مر فى البداية بمرحلة الترجمة والنقل والاقتباس وقد حاول الرائد كامل كيلانى أن يجتاز بنا هذه المرحلة بسرعة ، كما حاول سعيد العريان أن يقفز

بمرحلة التاليف ، ولكن هناك فجوة كانت تحتاج لبعض الوقت .. وكان لابد من عبور مرحلة ترجمة أمهات كتب الأطفال العالمية التى تشكل معالم حقيقية فى تاريخ أدب الأطفال عالمياً ، لكن هذا التراث الانسانى الرائع غاب عنا ولم يصل الى أيدينا وأيدى أطفالنا بالتالى ، إذ امتلأت المساحة بالردىء من المترجمات فى بيروت ، والفاسد من البوليسات بجانب الطبعات العربية من المجلات السخيفة الأجنبية .. وبات من الضرورى وضع منهج متكامل لترجمة الشوامخ التى استمتع بها أطفال العالم ، جنباً الى جنب تشجيع المؤلفين لكى يستعيضوا عنها أعمالا جديدة تقودنا الى مرحلة الخلق والابتكار الكاملين .. وقوائم الكلاسيكيات والمؤلفين الحائزين على الجوائز العالمية فى أدب الأطفال خير ما يمكن أن يهدينا فى هذا السبيل لنفتح لأطفالنا نافذة على الأدب العالمى الجيد .. كما اننا نطالب اساتذة الجامعات بضرورة التصدى لكتاب تاريخ أدب الأطفال ، حديثاً ، لأن الذى وصل الى أيدى كتابنا قديم ، بل ان أغلبهم وقف عند هانز أندرسون والحكايات الشعبية وما من سبيل الى التطور إلا بمواكبة ما يجرى على الساحة العالمية بعد تجاوز مرحلة النقل والاقتباس التى مازلنا نعيشها مع الأسف .

وثمة ملاحظة ذكية أبدتها السيدة أمل الشرقى – مديرة دائرة ثقافة الطفل بالعراق – أن بعض الكتب المنقولة لأطفالنا تعرب لكن رسومها تبقى أجنبية ، وبذلك تفقد نسبة كبيرة من تاثيرها على القراء ، وتكشف نفسها رغم تبديل أسماء أبطالها واختيار أسماء عربية لهم ..

والترجمة ليست عيباً ، ان الاتحاد السوفيتى يترجم سنوياً بمعدل ٢٠٠ كتاب وتترجم الولايات المتحدة قرابة خمسين كتاباً ، وتترجم انجلترا نحو ٢٥ كتاباً .. كل منهم يريد أن يفتح النوافذ لأطفاله على ما يدور فى العالم ، كما أن هناك كماً كبيراً من كتب النشر المشترك التى تتعاون دور النشر فى اصدارها بلغات مختلفة ، وإن اتفقت فى رسومها وشكلها ، وذلك تخفيضاً للنفقات .. وهاملين فى انجلترا ، مثلا تصدر كتبها بخمس لغات فى وقت واحد : الانجليزية والفرنسية والألمانية والاسبانية والايطالية .

والمشكلة الحقيقية اننا نختار أسوأ الأعمال العالمية لترجمتها .. ودور بيروت فى هذا المجال يجب أن يذكر ، بجانب الطبعات العربية من المجلات الأجنبية (ميكى وتان تان ، وسوبر مان ، والوطواط ...) ويكفى أن نشير الى كم الكتب التى تصدر تحت اسم النشر المشترك ، وهى لا تتجاوز نقلها الى العربية برسومها دون أن يكون هناك أى لون من التبادل فينشرون باللغات الأجنبية جانباً من انتاجنا العربى للاطفال .. وقد تكون بعض الأعمال التى ترجمت فى هيئة الكتاب من الايطالية (دائرة معارف الحيوان ، قصص الحيوان الحديثة ، ... الخ) بجانب الكتب العلمية التى سبق أن أصدرها ماكميلان من أفضل الاختبارات فى الناحية المعرفية ، أما فى مجال الأدب فمازالت أيدينا قاصرة عن ترجمة الشوامخ ، وبالتحديد كتب الحاصلين على جائزة هانز أندرسون العالمية .

ترجمة كتبنا للأطفال

ما من بلد صغير فى عالمنا إلا ويحاول أن ينقل أدبه الى كل الدنيا ، بترجمته الى اللغات الأجنبية .. ثم هو يحاول أن يقدم تعريفاً بنفسه إلى أطفال العالم ..



ويكفى أن أذكر اننى أحصيت منذ سنوات ما لا يقل عن سبعين كتاباً بالانجليزية للاطفال عن اسرائيل ! ..

ولقد تنبه المرحوم كامل كيلانى – رائد أدب الأطفال – الى ذلك فى وقت مبكر ، لذلك قدم ترجمات لبعض أعماله كانت سبيلا للكثيرين لتعلم العربية ، وهم يعرفونه جيداً فى (طشقند) نتيجة لذلك ..

كما أن دار الفتى العربى قدمت بعض قصصها وكتبها باكثر من لغة ولقيت اهتماماً كبيراً على مستوى العالم ..

ونحن نعرف أن الكتاب الغربى تقف وراءه مؤسسات ضخمة ، ودور نشر كبيرة .. بل هم الآن ينشرون فى لندن كتباً بالعربية .. وقصصاً لهم مترجمة للعربية .. وكانت مؤسسة فرانكلين الى عهد قريب تنشر عشرات الأعمال الأدبية لكتاب الأطفال الأمريكيين .. بعضها نشر فى القاهرة وبعضها فى بيروت وبغداد ..

كما أننا نعرف ، وسبق أن ذكرنا أن الكتلة الشرقية تقف وراء كتبها وكتابها ، وترجموا عشرات من الأعمال من بينها كتب تولستوى وماكسيم جوركى ومارشاك وغيرهم الى العربية وهى تباع بأسعار رمزية وتلقى إقبالا كبيراً ... والســـؤال ...

– من يقف بجانب الكتاب العربى ؟ أين هى الهيئة القومية التى تساند الكتاب العربى من أجل أن يظهر ؟ ثم من يقف معه لكى يترجم وينتشر على مستوى العالم كله ؟!

لسنا نملك الاجابة الصريحة على مثل هذه الأسئلة ، لأننا نحس من الأجهزة القومية والوطنية تقاعساً وإهمالا يحزننا ويقلقنا .. فلا نحن أقمنا دارا مشتركة لنشر كتب الأطفال ولا نهضت بلد بترولى بهذه المهمة الجليلة .

.... وبعـــــد ..

إن الأهداف واضحة والامكانات والموارد المتاحة ليست بقليلة ومن الميسور رسم استراتيجية لكتب الأطفال على مستوى الوطن العربى ، ومنها نضع الخطط والبرامج القومية والوطنية ، ونستطيع فى يسر تنفيذها إذا ما تضافرت عناصر الوحدة والتعاون ..

إن الطفولة صانعة المستقبل ..

والكتاب هو صانـــع الطفولـــة ...

عبد التواب يوسف

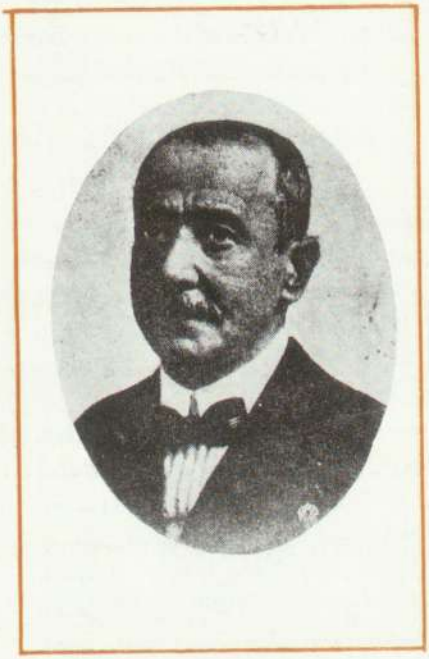
شوقي.. شاعرًا مسرحيًا

بقلم: حسين عثمان

مهما يكن اختلاف النقاد والمؤرخين حول مكانة أمير الشعراء أحمد شوقي ككاتب مسرحي .. وأياً كانت الاجابة على اسئلة من نوع : هل أضاف أمير الشعراء الى المسرح العربي جديداً بمسرحياته التى كتبها.؟ أو هل كان المسرح سيفقد شيئاً هاماً لو لم يكتب شوقي تلك المسرحيات.؟ إلا أن النقاد والمؤرخين والجمهور المتذوق للمسرح لم ولن يختلفوا على أن شوقي كان له فضل الريادة الشعرية على خشبة المسرح العربي . وأنه الشاعر الذى ارتقى بالمسرحية العربية من مرحلة الركاكة والسجع والحشو السقيم بالمبالغات والمحسنات والاستعارات ، والتذييل المطوط بمأثورة القول والاستشهادات .. ارتقى بها من تلك الصياغة الهابطة الى نوع من السبك بالشعر الرصين ، والبناء اللغوى المحكم ، والكلمة ذات الشموخ والأناقة ، دون تكلف أو افتعال أو شطط .

●●

ولقد عرف أحمد شوقي طريقه الى المسرحية الشعرية فى أوائل عام ١٩٢٨ ، عندما نشرت الصحف أنه شرع فى كتابة مسرحية عن حياة « كليوباترا» ملكة مصر . وكانت فكرة الكتابة للمسرح تلح عليه منذ أن عاد الى مصر فى عام ١٩٠٠م ، حيث بدأ يكتب مسرحية « على بك الكبير » حينذاك . لكنه وجد أن الجو العام المحيط به لا



احمد شوقى



احمد شوقى مع سعد زغلول

يشجعه على الاستمرار فيما بدأه ، فطوى مسوداته ، وآثر أن يستجيب لتقاليد البلاط ، ضارباً صفحاً عن التأليف المسرحي ، وإن يكن فى ذات الوقت انصرف الى التأليف الغنائي حيث غنى له عبده الحامولي بعض القصائد التى تتضمن قصصاً خرافية على ألسنة الطيور والحيوانات . كما استوحى التاريخ بعض قصائده مستهدفاً منها استخلاص العبرة والعظة

لكن فكرة الكتابة للمسرح ظلت عالقة بطموحه الفني . عاودها عندما لمس نمو الوعي القومي ، وارتقاء ذوق الجمهور ، وارتفاع مستوى المسرح ، واتساع نفوذه ونشاطه وكثرة الاقبال عليه ، وتزايد حركة الدعوة للتجديد الأدبي ، والتصدى للتقاليد الغثة فى عالم التأليف . كان عليه ـ وهو الذى دانت له إمارة الشعر العربى ـ أن يضرب بسهم فى هذا الميدان . لقد استهواه من المسرح الانجليزي السلسلة التاريخية التى كتبها شكسبير مشيداً بأعمال الملوك ، وتقديمهم فى إطار من الابهة والجلال ، وتغليب عنصر الخير على الشر ، والفضيلة على الرذيلة . وهكذا اتجه شوقي الى كتابة مسرحيات يستلهمها من التاريخ الفرعوني ، والعربي ، والاسلامي ، مستهدياً بتقاليد المسرح الأوروبي ، وبخاصة مؤلفات شكسبير التاريخية .

●●

أول ما كان يعنى به أحمد شوقي ،



وليم شكسبير



فاطمة رشدى



يوسف وهبى



لوحة على قبر شوقى مهداة من جمهورية الارجنتين

هو : اختيار الموضوع . فاذا اهتدى إليه هرع الى أهم المراجع التى يستقي منها بناء هيكل المسرحية . فاذا انتهى من بناء الهيكل ، اسرع الى سكرتيره الخاص يملي عليه سياق المسرحية .

ولم يكن شوقى يقيد نفسه أثناء الكتابة بتسلسل المشاهد فى الصورة التى سوف تتتابع بها على خشبة المسرح . كان يستجيب لومض المشاهد فى رأسه ـ بغض النظر عن ترتيبها المنطقي ـ فيكتب الفصل الثاني ـ مثلاً ـ قبل الفصل الأول ، أو المشهد الأخير فى فصل من الفصول دون أن يكتب بدايته . فاذا أتم المسرحية كتابة ، قام بترتيب الفصول والمشاهد بعد الحذف والتعديل والاضافة . وحين يطمئن الى ما انتهى من كتابته ، يدفع بالنص الى المطبعة ، حريصاً على أن يقوم بنفسه بعملية التصحيح ، ومراجعة البروفات النهائية قبل الطبع . ثم يأمر بطبع مائتي أو ثلاثمائة نسخة . وكان فى معظم الأحيان يقضى اليوم كله داخل أقسام المطبعة لمراقبة عملية إعداد النسخ وتغليفها ، إذ كان لا يسمح أن تتسرب نسخة واحدة منها . ثم هو بعد ذلك يحمل الكمية المطبوعة الى مكتبه « في بناية الدائرة الشوقية » الذى يدير منه أملاكه الواسعة ، ويلتقى فيه كذلك بالأصدقاء من الأدباء والشعراء والنقاد. وكان يحتفظ بالكمية المطبوعة من المسرحية ، الى أن يقع اختياره على الفرقة التى ستمثلها ، وهي عادة واحدة من فرقتين : فرقة فاطمة رشدى أو فرقة يوسف وهبي . وبنفسه يقوم بتوزيع النسخ على الممثلين . ولا يترك بروفة واحدة دون أن يشاهدها متقصياً كل ما تتطلبه المسرحية من إعداد فني .. الملابس ، والديكور ، والاضاءة ، وتدريب الممثلين على النطق السليم . وقد حدث فى مسرحية « قمبيز » أن بلغت ميزانية الملابس فقط ألفي جنيه ، ولاحظ أن يوسف وهبي يحاول اختصار هذه الميزانية ، فقام بدفع المبلغ كاملا حتى يتم إخراج المسرحية فى الصورة التى تخيلها كمؤلف .

● ●

فى عام ١٩٣١م أقيمت مباراة للتأليف المسرحي ، فتقدم شوقي لهذه المباراة بثلاث مسرحيات هي « علي بك الكبير » وكان قد أعاد كتابتها بعد أن نضج كمؤلف مسرحي . كما تقدم بمسرحيتي « قمبيز » و « أمير الأندلس » والأخيرة كتبها بالنثر خصيصاً لفاطمة رشدى . وقد وضع لنفس الممثلة مسرحية فكاهية واحدة هي « الست هدى » . وكان شوقي يذكر للمحيطين به ولأبطال المسرحية أنها واقعية ، وأنه شاهد حوادثها بنفسه فى طفولته ، وأن بطلتها كانت تسكن بجوار منزل والده فى حي « الحنفي » القريب من حي السيدة زينب ، وأن تلك البطلة كانت تحب شوقي وتخصه بالهدايا كلما جلس إليها فى بيتها حيث وقعت حوادث المسرحية .

● ●

والمعروف أن بعض المسرحيات التى كتبها شوقي للمسرح ، ترجمت الى اللغة الانجليزية مثل « مصرع كليوباترا » التى قامت بترجمتها المستشرقة الانجليزية « مسز ريكن » كما ترجم مستشرق انجليزى أيضاً مسرحية « مجنون ليلى » عقب أن شاهدها خلال زيارته لمصر سنة ١٩٣١ ، وطبعها فى كتاب ، وكتب لها مقدمة ضمنها تاريخ مؤلفها أحمد شوقي وحلل قصة المجنون ، وقارنها بما ورد عن المجنون فى كتاب «الأغاني» ، ورجح اعتماد شوقي على هذا الكتاب ، ومدللا على رأيه ببعض حوادث مسرحية « مجنون ليلى » ومطابقتها بما جاء فى قصة المجنون فى كتاب « الأغاني » . وقد جاء فى هذه المقدمة « أن لقصة المجنون وليلى شهرة فى العالم العربي، وأنها رويت من زوايا كثيرة ، وكتبت بأساليب مختلفة ، ولكن أحمد شوقي

تميز عن غيره ممن كتبوا هذه القصة بقوة الابتكار» . وذكر المترجم أيضاً فى هذه المقدمة «أن بعض المستشرقين الذين بحثوا فى أضابير التاريخ العربي يميلون إلى أن قصة ليلى والمجنون خرافة لا أساس لها من الصحة . كما أن «الأصفهاني» صاحب كتاب «الأغاني» يصر على أن جمهرة من الثقات تجزم بأنها قصة من نسج الوهم وصنع الخيال . ولكن الشاعر أحمد شوقى يؤمن بصحتها ويؤيدها بالحوادث والأشخاص» .

وقد قوبلت «مجنون ليلى» باعجاب كبير من المشاهدين خاصة عندما مثلتها فرقة رمسيس فى رحلة فنية قامت بها الى البلاد العربية . كما أن فرقة فاطمة رشدي أعادت تمثيل «مجنون ليلى» بعد أن وقع خلاف بينها وبين يوسف وهبي وقدمت عروضاً لها فى العراق وسوريا ولبنان والمغرب وتونس .

وفى تونس شاهدها المخرج السينمائي القديم ركسي انجرام فأعجب بها ، وأبدى رغبته فى أن يحولها الى فيلم سينمائي ، وقد زار مصر خصيصاً لمقابلة «شوقى بك» لكن المنية كانت قد وافت شوقي قبل وصول المخرج السينمائى بأسابيع قليلة !

ومن طريف مارواه المرحوم الدكتور زكي مبارك عن مسرحية «مجنون ليلى» أن شوقى كان يؤلفها بينما يده فى يد الدكتور زكي مبارك وهما يسيران من شارع جلال المتفرع من شارع عماد الدين حيث كان يقع مكتب «دائرة شوقى بك» الى شارع شبرا ، الى شارع روض الفرج ، إلى شارع قصر النيل .

ويقول الدكتور زكي مبارك أيضاً :

« كان شوقي بك يسمعني ما ينظمه ، فأصحح ، وكان يغتاظ من التصحيح . وإن اقتنع بأنه مخطىء حين أطلق على غريم المجنون اسم «ورد» ، فقد قلت له ان «الورد» ليس زهرة وإنما هو أحد أسماء الأسد . وذكرت له بيت البحترى الذى يقول فيه :

ماالكلب محموماً وإن طال عمره
ولكنها الحمى على الأسد الورد

وعندئذ قال شوقى : لقد أفحمتني ولكننى لن أسمع لك ، فأنا أمير الشعراء

فقلت وأنا مبتسم : الأمر أمرك يامولاى .

فقال : الأمر لله من قبل ومن بعد ، وإلى الله وحده المصير .

● ●

كان أقصى ما بلغه المسرح الشعري حين بدأ شوقي يكتب مسرحياته الشعرية ، نوعاً من « الأوبريتات » التى نظمت شعراً باللهجة العامية ، ومسرحيات أخرى نظمها كاتبوها بأسلوب ركيك ، لا يهتم بغير إظهار الموسيقى والألحان والديكورات والملابس ، دون العناية بابراز المعاني ، وجماليات اللغة .

فلما قدم شوقي مسرحياته بأسلوبه الناصع الجميل ، انتقل جمهور المسرح إليه ، على الرغم مما حملته مسرحياته من طفرة كبيرة فى الارتفاع بمستوى الفكرة عند المتفرجين .



أحمد علام «مجنون ليلى»

● ●

بعض مسرحيات شوقى لم تصادف النجاح الذى صادفته مسرحياته الأخرى ، مثل «مجنون ليلى» و «مصرع كليوباترا» و «قمبيز» و «على بك الكبير» و «الست هدى» .

والذين عاصروا عرض مسرحيتي «مجنون ليلى» و «كليوباترا» يؤكدون أنهما بلغا أقصى درجات النجاح الجماهيرى .

ومما يذكر أن مسرحية «قمبيز» عندما عرضت بعد «مصرع كليوباترا» واجه شوقى هجوماً عنيفاً من بعض النقاد . فقد لاحظ هؤلاء النقاد أن شوقي لم يقدم فى هاتين المسرحيتين «مصر» الفاتحة المنتصرة القاهرة . وإنما قدمها فى صورة الدولة مهيضة الجناح ، التى تستقبل الغزاة من الرومان والفرس ، وهي تجأر بالشكوى وتستصرخ من ينقذها مما تردت فيه من هوان .

كانت «مصر» أيامها تعاني من الاستعمار .. وقد دافع شوقي عن وجهة نظره فى المسرحيتين ، بأنه يريد أن يستحث الشباب على مواصلة الجهاد والكفاح .

ومن الواضح أن شوقي إنما يريد أن يربط بين الماضى وبين كفاح المصريين ضد الانجليز فى الزمن الذى ظهرت فيه هاتان المسرحيتان .

● ●

بقى أن نقول إن مسرحيات شوقي جميعها كانت تشق أفقاً جديداً للشعر العربي وللمسرحية العربية . وقد يسدل النسيان ستائره على بعض قصائده فى المراثى والمدائح .. لكن شعره المسرحي لن ينسى أبداً ، لأنه أول تراث قومي فى عالم المسرح الشعري العربي .

حسين عثمان

من فات قديمه تاه

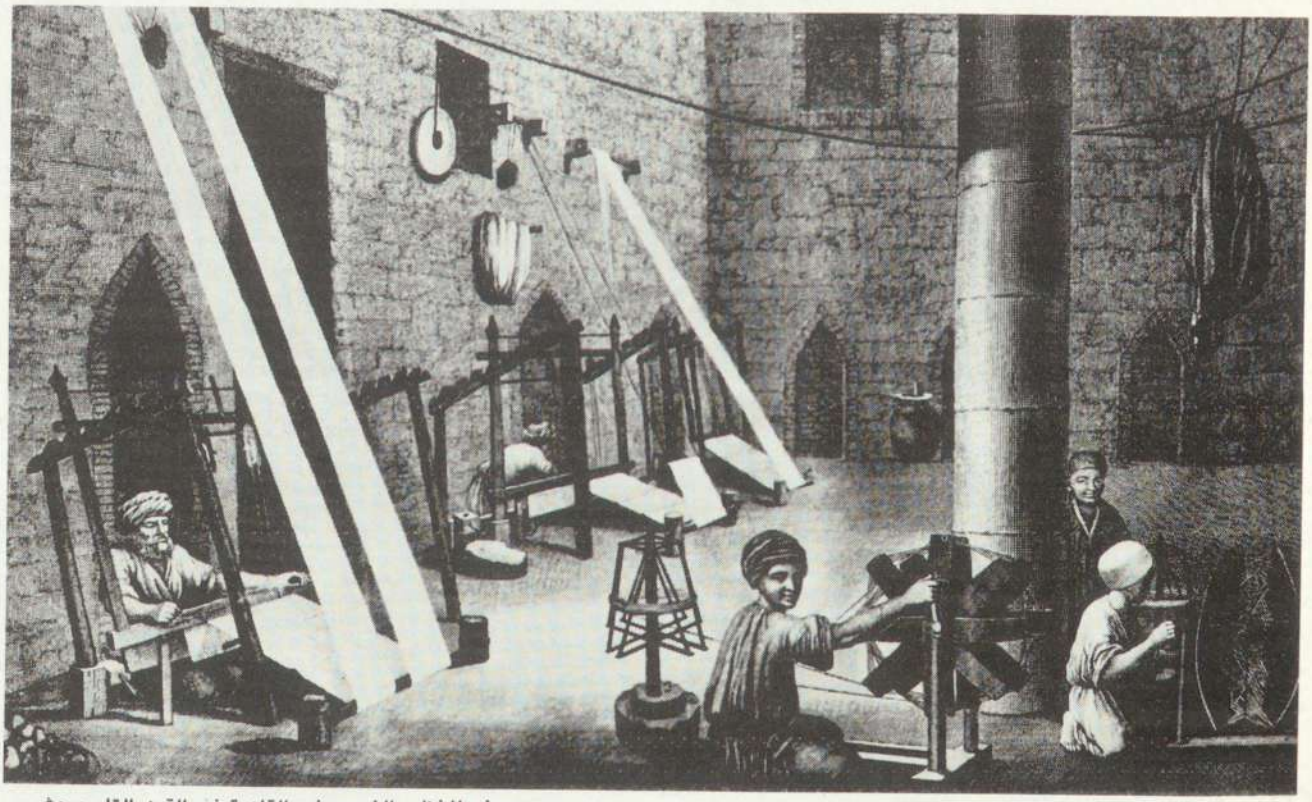
انظر إلى الماضي دون خجل

ماضينا الجليل
ليس عورة
فنستره
ولا جريمة فننكره

مقتطفات مما كان
يقرؤه منذ ١٠٠ عام
جدّ أبيك
أو جدّ جدّك

مجلة ثقافية
علمية أدبية
صناعية
زراعية

لمنشئها
ومحرّرها
صلاح الدين
المقريزي



مصنع للغزل والنسيج فى القاهرة فى القرن التاسع عشر .

في هذا العدد :

- تاريخ بابل وآشور
- باب أشهر الحوادث وأعظم الرجال
- المدافع لا تقرأ القرآن
- باب الأخبار العلمية

العدد السابع - ديسمبر/ كانون أول ١٨٨١م

عزيزي القارئ ..

المدافع لا تقرأ القرآن

في ديسمبر عام ١٨٩٨ زار المؤرخ العربي المعروف عبد الرحمن بن حسن الجبرتي ، المقر العلمي للحملة الفرنسية ، حيث احتشد « عقل فرنسا » الذى أحضره الغازي نابليون بونابرت معه ، يضم علماء فى التاريخ والأدب والحشرات واللغات والطب والهندسة والكيمياء ، ومصورين وجغرافيين ومهندسين وفلاسفة ، وكأنه يعلن أن الشعوب لا تقهر بالخيول فقط ، ولكن أساساً باحتلال العقول !

وتجول الشيخ الأزهري ، فى أبهاء المجمع العلمي الفرنسي ، يتأمل المكتبة التى نظمت فيها الكتب على الرفوف ، والقراء على المناضد ، يتصفحون ويراجعون ويكتبون حتى اسافلهم من العسكر ، واستقبله المشرفون على البعثة بالبشاشة والضحك ، واطلعوه على ما لديهم من كتب ، وأجروا أمامه تجربة كيميائية نتجت عنها فرقعة ارتجف لها المؤرخ العربي ، فخرج ليكتب أن الفرنسيين « لهم تطلع زائد للعلوم وأكثرها الرياضية ، ومعرفة اللغات والمنطق ، ويدأبون فى ذلك الليل والنهار » . وتحدث بدهشة عن تفوقهم فى العلوم الطبيعية ، وختم تعليقه قائلا بتواضع ـ وبعض تضاؤل ـ أن للفرنسيين فى تلك العلوم : أموراً وأحوالاوتراكيب غريبة ينتج عنها نتائج لا تسعها عقول أمثالنا » !

وبعد هذا التاريخ بعامين ، كان الجبرتي عضواً فى الديوان ، أو مجلس النواب المصري الذى عينه الفرنسيون ، ورفع التجار الأسعار ، فدعا المشرف الفرنسي على الديوان ، الاعضاء لمناقشة الأمر ، وهددهم بأنهم سيكونون مسئولين إذا لم تنخفض الأسعار ، وقرأ منشوراً يهدد بعقوبات وغرامات عامة إذا تحرك المصريون أو ثاروا على الجيش الفرنسي الذى كان يستعد ـ آنذاك ـ للجلاء عن مصر !

وحول موضوع « العقوبات العامة» ـ دار الحوار بين أعضاء الديوان من العرب المصريين ، المتخلفين ، الذين لا تتسع عقولهم لادراك ما يجري فى مقر البعثة العلمية ، وبين الجنرال الفرنسي الذى جاء يرفع أعلام الحرية والأخاء والمساواة ، والقانون والديمقراطية..

قال بعض الحاضرين :

ـ العقلاء لا يسعون فى الفساد .. وإذا قامت الفتنة لزموا بيوتهم !

فقال الوكيل :

ـ ينبغي للعقلاء ولأمثالهم نصيحة المفسد وغيره .

قال بعضهم :

ـ هذا ليس بجيد ، بل العقاب لا يكون إلا على المذنب .. فقد قال تعالى : كل نفس بما كسبت رهينة !

وقال آخر من أهل المجلس :

ـ ولا تزر وازرة وزر أخرى !

فقال الوكيل مشيراً الى ما جرى فى ثورتي القاهرة ضد الفرنسيين :

ـ المفسدون فيما تقدم أهاجوا الفتنة فعمت العقوبة ، والمدافع والبنبات ـ أى القنابل ـ ليس لها عقل حتى تميز بين المفسد والمصلح ، فانها لا تقرأ القرآن . ! .

وهكذا انتهى هذا الحوار العجيب ، بين الذين جاءوا بكل شعارات العصر : الحرية والديمقراطية وشخصية العقوبة وأعاجيب الكيمياء ، فخانوا فى اللحظة الأولى لتحولهم الى مستعمرين . كل هذا .. وبين مجموعة من المشايخ لا تسع عقولهم الكثير مما جاء به الغزاة ، لكنها استطاعت أن تعلمهم !

صلاح الدين المقريزى

باب المقالات المختطفة

● ماضر زعماء هذه الأمة ، لو سارت بينهم الرسائل بتعيين الوسائل ، ثم حشدوا إلى مكان يتذاكرون فيه ويتحاورون ثم ينادون بأصوات متفقة المقاصد كأنها من فم واحد .. هلم ننشد الضالة ونطلب المنشود ، فلا يقوم بأمر ذلك فئة دون فئة ، ولا نتعصب لمذهب دون مذهب ، فنحن فى الوطن إخوان تجمعنا جامعة اللسان.

فلنحتشد فى اجتماع منزه عن المقاصد الدينية .. منحصر فى العصبية الجنسية والوطنية ، مؤلف من أكثر النحل العربية ، يزلزل الدنيا اضطراباً ، ويستميل الدول جذباً وإرهاباً ، فيعود للعرب الضالة التى ينشدون ، والحقوق التى يطلبون ولا خوف على زعمائهم ولا يحزنون !

أديب اسحاق

وأسفاه ....

أين كنا .. وأين صرنا الآن ؟ أين مدارسنا ، أين علومنا ، أين كتبنا ، أين مكاتبنا ، أين تجارتنا ، أين زراعتنا ، أين صناعتنا ، أين ثروتنا ، أين قوادنا ، أين أكابر رجالنا ، أين محبو أوطاننا ، أين الرغد والراحة والراحة والكرامة التى كنا فيها ..

لقد صار ماكان أثراً بعد عين ..

وكثير منه صار لا أثر ولا عين !

هل يصطلح العرب ؟ . هل يقيم لهم الدهر عزاء ، هل يكلل النجاح جباههم ، وهل يطلع فى مشرقهم بدر العلم .. لابد من أن يرجع بنا الزمان الى الأفق الذى حجبته عنا غيوم السياسة ، ودفعتنا عنه صواعق القوة والانشقاق ، إن من ينتبه يسمع دمدمة وغطيطا وزئيراً بعيداً . يكاد لا يسمعه من انهمك بالترحيب ببلابل الحرية وبروق التمدن ، فالأمة كمريض سئمت نفسه الأمل بحيث صار يتغذى من شحمه ولحمه ، وقد كثر فينا الوعاظ والمنذرون ، ولكن ماذا ينفع الوعظ من دون عمل .. وماذا يفيد الانذار إن كنا كمن يضرب فى حديد بارد .

بطرس البستاني

الجنان ـ بيروت ـ مارس (آذار) ١٨٧٠

عادة شرقية ومقابلها غربية

بقلم أحد أبنائنا النجباء

من عادة الشرقيين انهم عندما يتداعون لوليمة يجتمعون حول المائدة ويأكلون قل عددهم أو كثر لايراعون فى ذلك اعتقاداً فاسداً إذ ليس ثم ما يمنعهم من تناول الطعام .

أما حضرات السادة الاوروباويين الذين نتعلم لغتهم لنجد بها فضل لغتنا المهجورة على ما

يقول بعض الـ ... فان لغاتهم هي الفصحى وبدونها لا يمكننا ان نتقدم ولا نحصل التمدن فنجيبهم اننا لا ننكر ان اغلب العلوم تؤخذ الآن من لغاتهم لكن من تامل فى ماضيهم وعرف تاريخهم علم انهم كانوا جهلاء يتخذون من الجبال بيوتا فكان من المستحيل عليهم أن يفهموا حتى كلمة علوم وحينئذ كان الشرق صاحب المقام الاعلى على وجه الكرة وكانت

اللغة العربية هي المالكة وكانت بها تدرس العلوم فى جميع انحاء الممالك ولم تزل صاحبة الصولة إلى ان فقد بعضها من الاهمال وغيره فكانت على كل حال هي المتقدمة والفضل للمتقدم ولا ينكر فضل اللغة العربية إلا من طمس على عينيه وكان على بصره غشاوة وعمى عن طريق الحق فلو زلق لسانه بالقدح فى لغتنا وجحد حقوقها فهو معافي من الملام إذ ليس على الأعمى حرج .

اما من عرف الحقيقة فانه لا ينكر اننا لو اتبعنا كل نصائح العرب ما ضللنا عن سواء السبيل وما لحقنا احد فى التمدن . اما

الأوروباويون فانهم رغما عن كونهم عرفوا كل لغتهم وعلموها وتمدنوا لم تزل التخاريف ببلادهم فانهم مع ادعائهم التمدن لم يجتنبوا بعض الاعتقادات الفاسدة التى تنزه الشرق عن مثلها ومن انكر هذا القول نقص عليه العادة الغربية المقابلة للعادة الشرقية التى اسلفنا نكرها وهي :

إذا عمل احد الغربيين وليمة ودعا اليها احدا ابتدأ قبل الأكل بتعدادهم فان كان عددهم اقل او اكثر من ثلاثة عشر تقدموا واكلوا وإن كان ثلاثة عشر تماما لا يتقدمون للاكل حتى ينقصوا او يزيدوا فاذا راى صاحب الوليمة انه لا يمكنه ان يخرج احد المدعوين التزم بالجلوس فى محل اخر بعيد عن مكانهم حتى ياكلوا وليس عندهم من يؤنسهم والسبب فى عدم تقدمهم كلهم للاكل عند ذلك انهم يعتقدون حلول المصائب بمن دعاهم إذا كان العدد ثلاثة عشر فهل لا نجل الشرقيين عن مثل هذه العادة القبيحة نعم نعم فانهم لو سمعوا بها لاشمازت نفوسهم من هذا الاعتقاد الباطل إذ انهم يعلمون انه إذا جاء اجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستاخرون .

فانظر ايها الانسان الكامل الى هاتين العادتين وحدثنا ايهما تستحسن لنكون مشاركين لك فى اي الصفتين تشاء فالتمدن اليوم هكذا هكذا وإلا فلا لا .

كتبه ولدكم
مصطفى ماهر

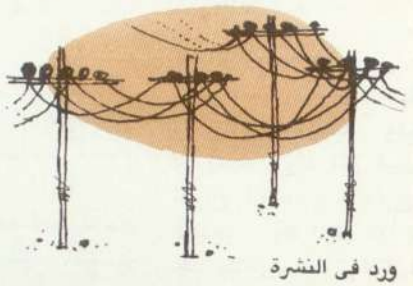
عـــادة شـــرقـيـــة

من المعتاد بين رجال الشرق انه إذا تخاصم اثنان وتشاجرا وجدا فى الحال من يصلح بينهما ويقطع الشقاق الحاصل بحيث يعودان للاخاء والصفاء كان لم يكن بينهما ادنى نزاع ولا شقاق .

وعادة الغربيين : (الأوروباويين) إذا تشاجر اثنان اعلن احدهما الآخر (بالبراز الدوبل) وعينا نوعا من السلاح ووقتا يقتل فيه احدهما صاحبه او يجرحه واقبح براز براز الدولة المتمدنة العظيمة (امريقا) فانه عند اتفاق الخصمين على البراز يحضر احد رجال الحكومة ويربط عينيهما بحيث لا يبصران شيئا ثم يضع آلة نارية (ليفرفير) جهة اليمين واخرى جهة اليسار ويضع فى احداهما رصاصا وكبسونا ويرفع الزناد وفم العيار فى فمه فيموت صاحب الرصاص وينجو الآخر وإن كان هو الجاني . فاي تمدن بعد هذه الأفعال التى تاباها الطباع . نعم ان هذه العادة كانت فى الشرق قبل وجود الممالك والشرائع ووضع القوانين تم نسخت كان لم تكن فما بال الغربيين لا يقلدوننا فى تركها كما قلدونا فى فعلها ايام جاهليتنا الأولى على ان عادة جاهليتنا كانت المبارزة بالسيف او الرمح على ظهر الخيل او الأرض فلا يتمكن احد من رفيقه إلا بالشجاعة واتقان الرمي او الضرب لا ان تربط عيناه ويعطي له قاطع اجله يزدرده كما يزدرد الشراب ثم بعد هذا كله نحن المتوحشون وهم المتمدنون ولا نقدر على دفع الدعوى لاستحساننا كل ما اتوا به وإن كان قبيحا فى الواقع وننسى الأمر .

● بـــاب الأخبـــار العـــلمـيـــة

مسافات أســلاك الأخبار



ورد فى النشرة

بلغت مسافة اسلاك الاخبار فى الولايات المتحدة فى امريكا مائة وسبعين الف ميل ومائة وثلثة اميال وارسل بها فى تلك السنة ثلثة وثلثون الف ومائة وخمسة وخمسون الفا وتسعمائة وواحد وتسعون خبرا وغير ذلك اسلاك كثيرة مختصة ببعض الأمكنة بلغ مجموع مسافاتها ثلث مائة الف ميل . هذا سوى الأسلاك المعلقة باعمال الطرق الحديدية . وبلغت مسافات أسلاك روسيا ستة وخمسين الفا ومائة وسبعين ميلا . واسلاك جرمانيا واحدا واربعين الفا ومائتين وواحدا وثلثين ميلا واسلاك فرنسا ستة وثلثين الفا وتسع مائة وسبعين ميلا . واسلاك هنكاريا اوستريا ثلثين الفا واربع مائة وثلثة اميال . واسلاك اوستراليا ستة وعشرين الفا وثماني مائة واثنين واربعين ميلا . واسلاك بريطانيا العظمى ثلثة وعشرين الفا ومائة وستة وخمسين ميلا . واسلاك املاك الانكليز فى الهند ثمانية عشر الفا ومائتين وتسعة اميال . واسلاك بلاد الترك سبعة عشر الفا وخمسة وثمانين ميلا . واسلاك ايطاليا خمسة عشر الفا وثماني مائة واربعة وستين ميلا .

فـــوائـــد الـتـلـيـفـــون

قد استعملت آلة التليفون فى اعمال العدلية بالولايات المتحدة استطلاعا لكلام المحابيس وهم فى الخلوة وقد ظهرت فوائد هذه الآلة فى نيويورك فان المتحنين قد وضعوا (الميكروفون) داخل حائط مكان من السجون وسدوا المنفذ اليه بورقة ملساء دقيقة المسام لا تكاد ترى ولم يحتج في وصول الصوت الى وضع فم المتكلم على طرف الآلة ثم جيء بالمشكيين الى المكان المذكور وخلي بينهم وبين اهليهم فاخذوا يكاشفون باعمال الجناية ويوضحون كيفية ارتكابها ولم يدروا ان خلف الجدار خفيراً يتسمع عليهم بواسطة التليفون وهكذا اطلعت الحكومة على خفايا يتعذر الاطلاع عليها بدون هذه الآلة .

(المصباح)

إعلان

الاجزاخانة المصرية الكائنة بالازبكية بمنزل منشا امام شارع كلوت بك موجود بها كافة اصناف الادوية العال الجديدة وإذا لزم لاحد ادوية خصوصية فيصير احضارها من العال وباقل الأثمان .

١٨٨١/٤/٩م

التنكيت والتبكيت

صحيفة وطنية أسبوعية أدبية هزلية . صاحبها ومحررها الاديب عبد الله افندي نديم ومكتب ادارتها مكتب جريدتي العصر الجديد والمحروسة بالأسكندرية وقد راينا فى العدد الأول الذى ورد علينا منها المقالات الأدبية والهزلية الانتقادية ما نقدر له كبير الفائدة لأن اسلوبه خير اسلوب يدعو الوطنيين الى الاقلاع عما به ضيرهم والتمسك بما به خيرهم . ومما سرنا فيها بنوع خاص شروط الاشتراك . وفق الله محررها الفاضل الى بلوغ أمانيه .

الآثار المصرية الجديدة

وجدت هذه الآثار فى ناحية القرنة التى على راس الجبل الغربي ناحية«ثيبثة» القديمة او (الاقصر) الحالية ضمن منزل بعائلة فلاحية تعرف بعائلة بيت الرسول . اما كيفية الوصول اليها فكانت ان صاحب العائلة المحكي عنها اكتشف من مدة سنوات على بعض الآثار فكتم الأمر عن الغير واخذ ان يتصرف بمبيع بعض ما يجده من الآثار الى السيلح وخلافهم على علم من اخيه المدعي احمد محمد فصودف ان وقع خلاف بين الأخوين فشكا هذا امر ذاك لمديرية قنا والمديرية ارسلت توا من قبلها المندوبين اللازمين الى المحل المعين للتحفظ على ما هناك حتى يقدم مندوب المتحف حسبما طلبت منها فاتى حضرة بيركش بك وكيل المتحف وفتح ابواب المحل المذكور فراى حفرة كالبئر عمقها عن وجه الأرض نحو ١٥ متراً وفى قعرها باب ضيق داخله محل يضاهي اتساعه نحو ٧٠ متراً فى جوف الجبل يحتوي زهاء ٤٣ صندوق خشب فى غالبيتها جثث اموات .

اما هذه الصناديق فمنها ٢٨ مزخرفة من الخارج بالرسوم الغريبة والصور البديعة مموهة بالادهان الذهبية والمختلفة الالوان وضمنها جثث ملوك اربع عائلات من ملوك الدولة الثامنة والعشرين فى جملتها جثث الملوك رمسيس الثالث و تنمسس وبانيونيتم وزوجاتهم ونحوها وكلها محنطة محفوظة كما هي .

اما بقية الصناديق فمنها ما فيه جثث بعض رجال الدولة المذكورة ومنها ما فيه بعض اشياء كلية وقطع تصاوير من حجارة وخزف وخشب .

ولقد اكتشف ايضا على اربعة كتب تاريخية بالخط المصري القديم تتضمن اخبار واحوال رجال الدول المنوه عنها وهي من ورق الابيروس المصنوع من ورق الموز والبردي . وكل كتاب من هذه الأربعة ورقة واحدة يساوي طولها عشرة اذرع تقريباً وعرضها مقياس شبرين ووجد كذلك ستارة من جلد ملونةبالأشكال المنوعة ومرسوم عليها صور غريبة وكلها مسطرة بالكتابة والوان الخط المحرر فى الكتب والستارة حمراء وسوداء

ومما شوهد من الآثار علب عديدة مجعولة من الأبنوس وسن الفيل معاً محكمة الصناعة والاتقان مزخرفة مزدانة باختلاف الاشكال فيها احشاء الملوك التى كانت تستخرج اجوافهم لفعل التحنيط .

(الأهـرام)

باب أشهر الحوادث وأعظم الرجال

بطرس البستاني
١٨١٩ - ١٨٨٣

● عالم لغوى واديب ومترجم وصحفى .

● ولد فى لبنان وعمل بالتدريس والترجمة

● فى عام ١٨٦٠ اصدر اول صحيفة عربية فى الشام هى «نفير سوريا» .

● اصدر مع ابنه سليم مجلات وصحف الجنان (علمية ادبية) والجنة (سياسية) «والجنينة» (تجارية اقتصادية) .

● كان موسوعى الثقافة ، اهم اعماله : محيط المحيط (جزءان) وهو معجم لغوى ادخل فيه بعض المصطلحات العلمية التى جدت في اللغة العربية . ودائرة معارف البستانى ، وهى الأولى من نوعها فى اللغة العربية ، وقد الف منها ستة مجلدات واكملها ابناؤه الى احد عشر مجلدا . فضلا عن تحقيق لديوان المتنبى .

● الجنان : ١٨٧٠ ـ ١٨٨٧م ●

● مجلة علمية ادبية سياسية تاريخية نصف شهرية .

● صدر العدد الأول منها فى يناير ١٨٧٠ ببيروت واتخذت لها شعاراً «حب الوطن من الايمان» .

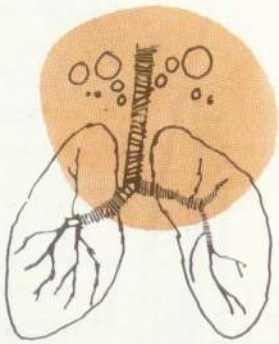
● نالت الجنان عناية احمد مدحت باشا المعروف ببطل الدستور العثمانى حين كان والياً على سوريا فكان يزور بطرس البستانى فى مجلته ويبث افكاره الاصلاحية بواسطتها .

● كانت تبشر بالافكار العلمانية والديمقراطية وتدعو للاخذ بالعلم والصناعة .

● كان سليم البستانى ـ الابن الاكبر لبطرس ـ ينشيء اكثر مقالاتها ولاسيما التاريخية والسياسية والروائية ، وقد نشر فيها كتابيه «تاريخ عام قديم» و «تاريخ فرنسا الحديث» . وقد انتقل اليه امتيازها عقب وفاة والده ، ثم انتقل لشقيقه نجيب البستانى . حتى توقفت الجنان بعد أن عاشت ١٧ سنة .

● نشرت مقالات وابحاثا لكل علماء العصر ومنهم : اليازجى والدحداح واديب اسحق وجميل مدور .

رئة كيماوية



كل الطرق التى استنبطها الانسان لتنقية الهواء فى الاماكن التى يفسد هواؤها مبنية على مبدأ إبدال الهواء الفاسد بهواء نقي كما يحصل من فتح النوافذ التى يجري الهواء فيها جرياً مستديماً . وقد جاء فى جريدة اللنست حديثاً ان الدكتور نيل ارتاى تنقية الهواء باستنباط طرق كيماوية لا ميكانيكية مثل التى سبقت الاشارة إليها . واستنبط طريقة تشبه الرئة فى عملها . ووجه الشبه بينهما ان الرئة تتناول الاكسجين من الهواء وطريقته تتناول الغازات السامة اي الحامض الكربونيك والغازات الكبريتية من الهواء ولذلك سميت رئة كيماوية . إلا ان الرئة الحيوانية تتناول الاكسجين من الهواء وترد إليه الحامض الكربونيك واما هذه الرئة الكيماوية فتتناول الغاز السام من الهواء ولا ترد شيئاً إليه .

وتحرير العبارة ان الدكتور نيل المذكور مزج الحامض الكبريتوس بالماء فى قارورة فمثل بذلك الهواء الفاسد فى بعض الأماكن . ثم صب على هذا المزيج قليلا من مذوب الصودا الكاوية وهزه بضع ثوان فزالت رائحة الكبريت منه . ثم عاد فاجرى فى القارورة مجرى من غاز الحامض الكربونيك حتى صارت إذا ادخلت شمعة إليها تنطفىء حالا من كثرة الحامض الكربونيك فيها وهزها قليلا فتناولت الصودا الكاوية الحامض الكربونيك من القارورة حتى صارت إذا ادخلت اليها الشمعة لا يبقى ضوؤها لامعاً . ثم ابدل الصودا الكاوية بمذوب الكلس الكاوي فكانت النتيجة واحدة فى الاثنين . وعلى ذلك اشار بأن كل قطار من قطارات السكك الحديدية التى تحت الأرض يصحب بحوض او حياض فيها مذوب الصودا او الكلس الكاويين بحيث يمر دخانه فيها قبلما يخرج الى الهواء فيتنقى من كبريته والحامض الكربونيك الذى فيه فلايسمم الهواء فى الطرق الضيقة التى يمر القطار فيها تحت الأرض ولا يلحق بالركاب ضرراً .

باب التقريظ والانتقاد

تنبيه

لقد بعثنا الى اوربا بطلب ورق للجنان اجود من ورقه الحالي فكان من مامولنا وروده قبل صدور هذا الجزء فابطا ولذلك اضطررنا ان نصدره قبل فوات تاريخه على رجاء ان يصدر فى اول السنة متحلياً بالورق الجديد وبغاية الاتقان والترتيب .

ثم اننا نسال فضل علمائنا وادبائنا فى ثغر بيروت وفى الشام وحلب والعراق ومصر وباقي البلاد العربية ان يطرفونا بنفائس اقلامهم وبدائع كلامهم على اختلاف الموضوع من منظوم ادبي ومنثور لان الجنان على اكمل استعداد واتم مراد لتلقى مكاتباتهم العالية القدر والبالغة من النفاسة در البحر ومن الرونق والطلاوة وجه البدر بواجب الثناء والشكر لا برحوا للفضل سواد عينه وللعلم مبعث نوره ومجلي ظهوره .

المفيد

بدائع اداب ابرزتها الأفكار الحرة بعد الاستنار وايات بينات نطقت بها السنة الوطنية الحقة فتقلدتها الطروس عقوداً . تلك صحيفة عربية وطنية وجريدة ادبية سياسية تطبع في محروسة مصر يحررها صديقنا الفاضل حسن افندي الشمسي وصاحب امتيازها الكامل الأريحي مصطفى افندى ثاقب وقد اشرق علينا طالع العدد الأول منها فاستضأنا بنور مطالعته فاذا هو كاسمه (المفيد) فلا نلبث ان نراها إن شاء الله تعالى رافلة فى حلل النجاح سائرة بابناء الوطن مسري الهداية الى سواء السبيل فقد دعا داعي الجنسية إليها حي على الفلاح فخير الكلام المفيد .

دستور جمعية باكورة سورية وخطب بعض أعضائها

هي رسالة انيقة تحوي قوانين هذه الجمعية الاساسية والفرعية وست خطب مما انشاه بعض اعضائها . الاولى فى الغاية التى خلق الانسان لاجلها والثانية فى تهذيب العقل والثالثة فى الكتب ومطالعتها والرابعة فى الارتقاء والخامسة فى حياة الانسان وواجباته والسادسة فى حقوق النساء .

والحق يقال إن منشئات هذه الخطب قد سابقن اكثر رجال سورية فى مضمار العلم والتهذيب فاحرزن قصب السبق . فنهنىء البلاد بهن ونتمنى لجمعيتهن دوام الارتقاء .

تاريخ بابل وآشور

قد سرنا ما لقيه تاريخ بابل واشور لجميل افندي مدور من حسن القبول عند العموم كما يشهد به لسان حال الجرائد المحلية والاجنبية . اما فوائد هذا الكتاب فقد لمحنا اليها قبل طبعه فى المقتطف وبراعة مؤلفه تشهد لها صفحات الكتاب نفسه . وحسبنا شهادة على ذلك بعض ما قالته جريدة التقدم الغراء وهو :

وليس نفع هذا الكتاب مقصوراً على الموضوع التاريخي فقد وقف عليه صديقنا الفاضل اللغوي الشيخ ابراهيم اليازجي ايده الله فهذب عبارته وصحح مبانيه فجاء نقياً من الكلف بريأ من الكلف قريب اللفظ على بعد مرامه كثير الفرائد على استمرار نظامه لا يمله القاريء لفظاً ولا يالوه الطالب حفظاً فما ندري ونحن بين فوائد تاليفه وفرائد تحريره اهو كتاب تاريخ لبيان حوادث الزمان أم كتاب ادب لا يبلى جدته الجديدان . اجل لقد نظمت فيه الحاشيتان وادركت الغايتان فليطلبه من رام من التاريخ بيان علم وليلتمسه من رام من الادب علم بيان .

وهذا الكتاب مطبوع فى مطبعة الامريكان وهو يباع ثم بنصف ريال مجيدي .



ضحكات الشهر

صلاح البيشي

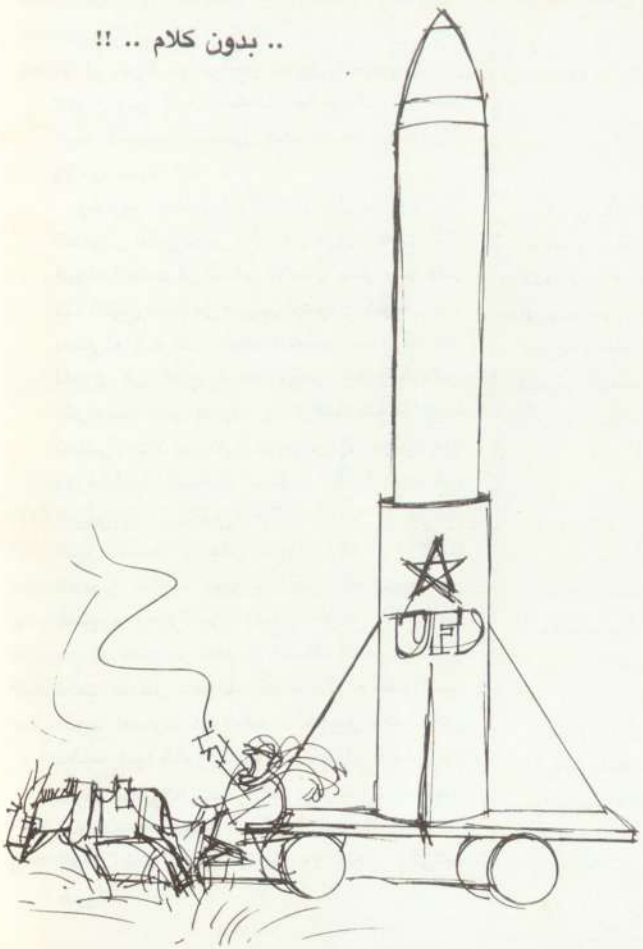
.. بدون كلام .. !!



.. بدون كلام .. !!



.. بدون كلام .. !!





شمسية ... صيفي .. !!



WATER PROOF



استعمال الطاقة الشمسية فى بعض بلدان الشرق الأوسط !!



شاري لبائع - عندك دوش أجرب الشمسيـة قبل ما اشتريها



طبيب - افتح بقك وطلع لسانـك .. واكدب .. !!

دوحة القراء

مسابقة الدوحة

مَن ؟

الصحابي الذى قال « خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ما قال لي خلالها « اف » . اسمه من ثلاث كلمات فى تسعة أحرف :

١ ـ ٨ ـ ٧ ـ ٥ ـ ٣ ـ ١ ـ ٤ ـ صلات القربى
٩ ـ ٦ ـ ٢ اختبأ تربصا لعدو

أين ؟

منطقة عربية فريدة على سطح الأرض ، يسعى غير العرب لكشف اسرارها وسبر أغوارها ،اسمها من أحد عشر حرفا فى كلمتين :

٦ ـ ١٠ ـ ٣ ـ ٥ ـ ٤ ـ شدة الخوف .
٩ ـ ٢ ـ ٨ ـ ١ ـ ٧ ـ ١١ الفارغ

ما ؟

مادة تتميز بها صحارى الوطن العربي ، بها فى بعض الاحيان منافع شتى واحياناً تضر ولا تنفع إذا لم يكبح جماحها . اسمها من ستة احرف :

٣ ـ ٤ ـ ٢ ـ احد بحور الشعر
١ ـ ٦ ـ ٥ للاستثناء

الإجابة الصحيحة



١) اكتشف المهندس الانجليزي وليم سميث اهمية الحفريات المستحجرة من بقايا النبات والحيوانات البائدة فى تصنيف طبقات الأرض زمانيا فى سنه :
١٧١٥ ـ ١٨١٥ ـ ١٩١٥ ميلادية

٢) الحقول البحرية للنفط فى دولة قطر يصدر انتاجها من جزيرة :
تيران ـ حالول ـ حوار ـ الكناري ـ سوقطرة

٣) ينتمى الحمار الى مجموعة الحيوانات :
المجترة ـ وحيد الخلية ـ اللافقارية ـ الثديية

٤) مؤلف القصة الفلسفية الخالدة ، حي بن يقظان ، هو العلامة العربي المسلم :
ابن طفيل ـ ابن رشد ـ ابن عباد

٥) كان البطل سليمان الحلبي الذى قتل الجنرال كليبر رداً على احتلال مصر (١٧٩٨ ـ ١٨٠٠) طالباً في :
الأزهر الشريف ـ دار العلوم ـ معهد طنطا

٦) يوجد قبر الصحابي الجليل وسيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب فى :
اسيوط ـ المدينة المنورة ـ تونس ـ دمشق ـ حماة .

٧) « تبلغ مساحة الصحاري الحارة على سطح الأرض (١١) مليون ميلا مربعا »
هل هذه العبارة صحيحة علميا ؟

٨) اول من اكتشف الدورة الدموية هو :
العربي ابن النفيس ـ ليوناردو دافنشي ـ الأمريكي توماس إديسون

٩) كان الشعراء العرب الكبار قبل الاسلام يكتبون قصائدهم على نسيج رقيق من الحرير ويعرضونها حول الكعبة المشرفة ويسمونها :
المعلقات ـ الاراجيز ـ الموشحات

١٠) اكتشف العلماء الصينيون أن العصفور يموت لو اضطر للطيران المستمر بدون توقف لمدة ٣٥ ساعة ـ ١٥ ساعة ـ ٥ ساعات

حل مسابقة "العدد ٧٠"

من ؟ : سيد قطب
اين ؟ : عمان
ما ؟ : الشعر .

الإجابة الصحيحة

١ ـ ١٣٩٥ هـ
٢ ـ يوم السبت
٣ ـ النباتات وحيدة الخلية
٤ ـ سالونيك
٥ ـ ايلياء
٦ ـ ليست صحيحة علميا
٧ ـ « فى حده الحد بين الجد واللعب » قاله أبو تمام فى فتح عمورية
٨ ـ أبو علي ابن سينا
٩ ـ كربونات الكلسيوم
١٠ ـ مرة واحدة .

أسماء الفائزين

الجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة فاز بها القارى :
محمد اكرام المغربي ـ قصر عليم ١ ـ اي ـ ١٢/٢/ ناظم اباد رقم ١ ـ ناظم اباد / كراتشي / باكستان

الجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة فاز بها القارئ :
محمد عبد الله بن محمد محمود ـ الادارة الجمهورية للتعليم الأساسي . مدينة أطار / آدرار موريتانيا .

الجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة فاز بها القارى :
عبد السلام عباس على الوجيه ـ ص . ب (٤٤٩) صنعاء ـ الجمهورية العربية اليمنية .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ صديقة عيسى على عيسى الجمعة ـ الكويت
٢ ـ مجدى محمد جاد كشك مصر
٣ ـ رقيب كاتب/ عماد عبد العزيز خلف دبي
٤ ـ عمر احمد عوض ابو الهيجاء الأردن
٥ ـ سيد النوبي عبد الحليم مصر
٦ ـ عائشة مبارك السليطي الدوحة
٧ ـ كمال محمود كايد لبنان
٨ ـ محمد احمد محمد شقير الكويت
٩ ـ خديجة فارس مالك الدوحة
١٠ ـ وسام محمد كاظم حسن آل شهاب البحرين
١١ ـ عبد الخالق يحيى عبد الله الاكوع ـ اليمن
١٢ ـ منصور محمد الزباني نيودلهي

احذر هؤلاء

من أقوال الامام علي بن ابي طالب :

يابني .. إياك ومصادقة الأحمق ، فانه يريد أن ينفعك فيضرك ، وإياك ومصادقة البخيل فانه يبعد عنك أحوج ما تكون إليه ، وإياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه ، وإياك ومصادقة الكاذب فانه كالسراب يقرب عليك البعيد ، ويبعد عليك القريب .

عز الدين أحمد بهجت
الكويت

اختيار الأصدقاء

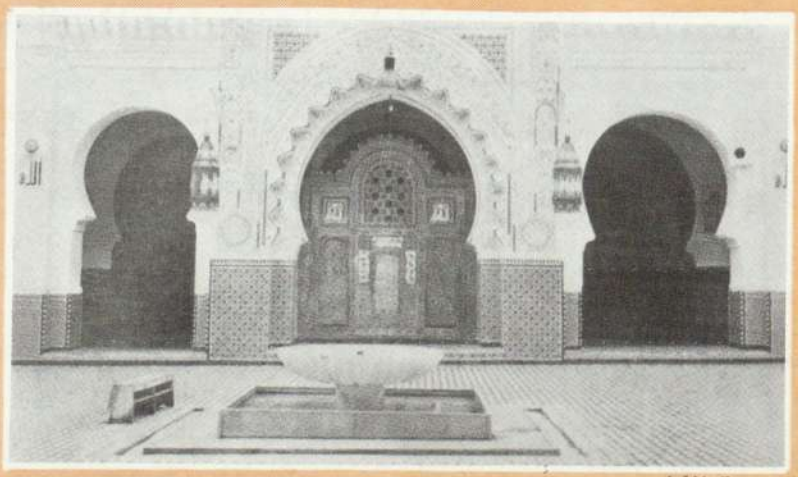
قال العلامة صالح بن عبد القدوس المتوفي عام ٨٥٥هـ في اختيار الأصدقاء :

واختر صديقك واصطفيه تفاخراً
إن القرين إلى المقارن ينسب
ودع الكذوب ولا يكن لك صاحبا
إن الكذوب لبئس خلا يصحب
وذر الحسود وإن تقادم عهده
فالحقد باق في الصدور مغيب

وقال ايضا تحت نفس العنوان :

لا خير في ود امرىء متملق
حلو اللسان وقلبه يتلهب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة
ويروغ منك كما يروغ الثعلب
يلقاك يحلف انه بك واثق
وإذا توارى عنك فهو العقرب

حاول أن تعرف ...



الصورة الأولى

يقع هذا المسجد فى مدينة تعد العاصمة الدينية والثقافية لبلد عربي ، بني حول المسجد الجامعة الاسلامية المشهورة .

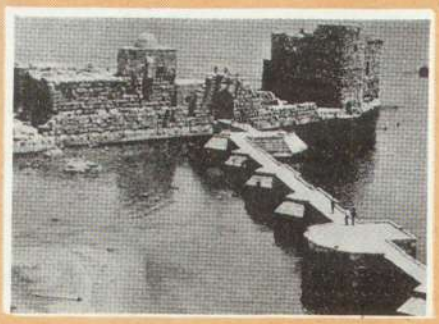
ماسم هذا المسجد ؟ وفي اية مدينة يوجد ؟ .



الصورة الثانيـــة :

ممثل كوميدي عالمي ، بنى شهرته على استغلال قسمات وجهه فى التعبير ، بدأ حياته العملية ممثلا مسرحيا ، ثم اتجه فى الثلاثينات إلى السينما ، واشتهر بتمثيل سلسلة من الأفلام تعرف باسم « دون كاميلو » .

من هو هذا الممثل ؟ وما هي جنسيته ؟ .



الصورة الأولى :

تقع قلعة البحر التى اسسها الصليبيون على صخرة فى مدينة صيدا اللبنانية ، وتم بناؤها عام ١٢٢٨م .

فاز بالجائزة :

١ ـ احمد ممدوح ملحيس ـ سوريا .
٢ ـ سالم السيد محمد عبد الله ـ مصر .



الصورة الثانية :

الرئيس الامريكي ابراهام لنكولن وقد اغتيل فى عام ١٨٦٥م .

فاز بالجائزة :

١ ـ غادة عيد الحموي ـ بيروت ـ لبنان .
٢ ـ احمد حمامي ـ حلب ـ سوريا

دوحة القراء

قرأت

حبّ الحياة



وصف الموسيقار الالماني الشهير جوهان باخ (١٦٨٥ ـ ١٧٥٠) حياته بعد أن فقد نور عينيه بقوله :

« كان صوت الطيور فى الصباح هو الشيء الوحيد الذى يذكرني بأن الظلام قد انقشع ، كنت اقوم من فراشي واتجه صوب نافذة غرفتى واقف وراءها فاحس بدفء الشمس وهي تتسلل فى رفق الى حيث كنت امضي ايام الظلام .

إننى لم أغادر هذه الغرفة منذ أن اختفى امامي اخر خيط من الضوء ، فقد كنت لا احتمل أن امسك بيد تقودنى ، لا احتمل أن اشعر بالصمت الذى يحتوى المكان الذى اظهر فيه فجاة ، فتتحول الضحكات الى همس ، وهي التى كانت تدوي منذ لحظات قبل وصولي إليه .

لقد احببت الحياة ، واحببت الناس ، واحببت الطبيعة ، وعشقت الموسيقى ، وكان الشيء الوحيد الذى يذكرني باننى مازلت حيـــاً ، هو صوت موسيقاي ، فكنت احس كلما سمعت نغماً جديداً أن ابواب السماء تفتح لي ذراعيها لتستقبلني وتخلصنى من الالم الذى أعانيه على الأرض بعد أن كساها الظلام » .

عليلوش محمد ـ المغرب

أكبر الأشياء

● اكبر المدمرات التى بنيت يابانية الاصل وهي تزن ٧٣ الف طن واسمها (ياماتو) ، وكذلك البارجة (موشاي) اليابانية ، ولقد دمرتا بواسطة امريكا فى الحرب العالمية الثانية

● ان التنين لا يزال حياً فى « بالي » باندونيسيا وهو سحلية ضخمة يبلغ طولها ٣ امتار ولها لسان مشقوق كالشوكة ، ويعيش وسط الغابات الكثيفة على الخنازير البرية والماعز الميتة .

● اكبر الحيوانات مخاً هو الحوت (العنبر) ويصل الى ٧ كجم .

● اكبر اشجار العالم هو شجر (السيكويا) ويصل ارتفاع سيقانه الى ١١٢ م وقطره الى ٢٤م .

● اكبر تجمع للجراد عبر البحر الاحمر عام ١٨٨٩م وبلغت مساحته خمسة الاف كيلومتراً مربعاً .

طبيب علاء الدين عبد الفتاح غنيم
الاسكندرية

زيارة قصيرة



هاجر احد المتصوفين الى بلدة ، وحين دخلها بادر بزيارة مقبرتها ، فقرأ على احد شواهدها : هذا قبر فلان ، كان عالماً فاضلا ومات وعمره يومان .

ورأى على قبر اخر : هذا قبر فلان القائد العظيم الذى لم يعرف جيشه هزيمة منذ أن تولى القيادة ، مات وعمره ثلاثة أيام .

فعجب من هذا كله ، وتوجه الى خبير بالبلدة ، وساله عن ذلك اللغز الذى لم يفهمه .

فقال : إننا لا نعد من حياتنا إلا ما نعيشه من الأيام السعيدة .

فقال الصوفي : إني أود أن أموت ببلدكم وأرجو أن تكتبوا على قبرى : (هذا قبر صوفي رحالة جاب الأقطار ، وزار الأمصار ومات قبل أن يولد)

(عن أحمد أمين)
درويش محمد
الجزائر

حِ كَ مْ وَأَمْ ثَ الْ

ح : حاول أن تملك ثلاثة لثلاثة : العلم لتفيد وتستفيد ، والصبر لتحمل الشدائد والشجاعة لتقابل بها الصعاب .

ك : كن حاضراً عند ثلاثة : صاحب حاجة ، وضال طريقه ، ومنكوب دهر .

م : متع نظرك بثلاثة : الشروق والغروب والكواكب .

و : وسع صدرك لثلاثة : راي ، وسائل ، وحاقد .

ا : افتح قلبك لثلاثة : محب ، وابن ، وصديق وفي .

م : مع كل فكرة .. جديد ، ومع كل عاقل .. حكمة ، ومع كل ربيع .. نسمة .

ث : ثلاثة لا تقربها : دار شر ، ومجلس اشرار وعيون يتطاير منها الشرر .

ا : أحسن لمن أساء إليك ، واعترف بذنب اقترفته ، وانفق من مال ملكته .

ل : لازم المريض حتى يشفى ، والفقير حتى يغنى .

صالح مبارك عصبان
تريم ـ م/حضرموت ـ اليمن

قالوا في الضحك



● إن يوماً لا يضحك المرء فيه ليوم ضائع
(مثل فرنسي)

● الانسان الذى يحب الضحك له أسنان بيضاء .
(مثل روسي)

● الانسان هو الحيوان الوحيد الذى يضحك ويبكي ، لأنه وحده الذى يصدمه الفرق بين ما الأشياء عليه ، وما كان من المحتمل أن تكون عليه .
(وليم هازلت)

● إذا ضحكت على شيء زائل فذلك لكي لا أبكي.
(لورد بيرون)

● إذا أردت أن تضحك الناس عليك ، فيجب أن يظل وجهك صارماً جداً .
(كازانوفا)

● الضحك هو الوظيفة الطبيعية للانسان
(رابيليه)

● لو منحت الحيوانات موهبة الضحك فجأة ، لضحكت حتى الأغباء من الانسان الذى هو أكثر الحيوانات جميعاً سخفاً وحمقاً .
(ايجول فرايدل)

حمدوني عزيز محمد
المغرب

لقطة الشهر



بائع المـــاء

فاز بالجائزة وقدرها مائة ريـال القاريء : قديرى عبد الرحيم ـ المغرب

من أقـــوال الحكماء

ـ خير لك أن تبلي بالعمل ، من أن تصدأ بالراحة !
ـ ساعة الغضب ليس لها عقارب .
ـ البكاء ضرورة .. ولكنه ليس حـــلا .
ـ تب قبل موتك بيوم واحد ، ولأنك لا تعلم متى تموت ، فكن تائباً على الدوام .
ـ الذى يلتمس من الآخرين العدل ، ينبغي أن يكون عادلا .

أحمد عبد العزيز أحمد فتوح
القاهـــرة

ماهي البلاغـــة ؟

عرف مجموعة من الحكماء البلاغة . فقال حكيم يوناني :
البلاغة : وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة ، وحسن الاشارة .
وقال حكيم هندى : البلاغة تصحيح الأقسام واختيار الكلام .
ويسال معاوية بن أبى سفيان عمرو بن العاص من أبلغ الناس ؟ .. فقال أقلهم لفظاً وأسهلهم معنى وأحسنهم بديهة .
وقال أبو عبد الله وزير المهدى : البلاغة ما فهمته العامة ورضيت به الخاصة .
أما البحترى الشاعر فيقول : خير الكلام ما قل وجل ودل ولم يمل .
ويقول الثعالبي : البليغ من يحول الكلام على حسب الأماني ويخيط الألفاظ على قدر المعاني ، والكلام البليغ هو ما كان لفظه فحلا ومعناه بكراً .
أما الامام فخر الدين الرازي فيقول : إن البلاغة هى بلوغ الرجل بعبارته كنه ما فى قلبه مع الاحتراز عن الايجاز المخل والتطويل الممل .

جمال محمود شهلب الاردن



حدث في ليلة شتائية

شعر: م. كجراي

عدتُ من الرحلةِ محمولاً على مَحَفَّةِ الأثيرْ
كنت كمن يصعدُ فوق سُلَّم المعراجْ
قال لسان الحالْ
« الليل لَيْلٌ داجْ »
إزدانت السَّماء بالأبراجْ
أحسستُ بالهدير من تلاطم الأمواجْ
في حلمي رأيتُ مَنْ عَرَفْتُه
على دروب الزَهْو يمشي مَرِحاً منتفخ الأوداجْ
يحمل عَيْناً مثل عين الصقر أمَّا عينه الأخرى فمن زجاجْ
قال لسان الحالْ
سِيَّانَ عندى أن أرى خيالَ « دون كيشوت » أو خيال « هانيبال »
يختال كالمبهور خلف سيفه المظفَّر العظيمْ
ولم يكن في ناظِرَيَّ غير ظلٍّ عابرٍ
وقبضةٍ من باطل الزيف ومن مناجم السَّديمْ
وجاء من يهمس لي
بأنني الثالث فى برنامج الحفْلِ
وأني الأولُ السعيدُ فى قائمة التكريمْ
نصحني أن أترك الصراحةَ الجارحةَ العقيمهْ
على جيوب معطفي الممزق القديمْ
وارتاحَ حين ظَنَّ أن صوتَهُ
يقودني إلى انتهاج مسلك المثقَّفِ المهذَّبِ القويمْ
يا للضمير الحر حين تجدب الحياةُ
لا يبقى سوى منحنيات الجدل المدمر العقيمْ
وحينما عَبَرْتُ في جلبابي الأبيض كالصقيعْ
انتفض الجميعْ



لعلهـم تخيلـوا بأننى مُضَرَّجٌ بحمـرةِ النجيـعْ
وحينمـا بدأت فى تـلاوة القصيـده
وقلـت قـال الشاعـر العظيم ذو الارادة النافذةِ العنيده
انطلقتْ هَمْهَمَـةٌ قريبـةٌ بعيـده
وصـاح مـن يُدْعـى بتـاج الديـن
مـاذا تقول أيهـا الضالع فى مكيدة الشيطـان
قلـت لـه ياسيـدي أقـول ما أقـولْ
أقـول أنى واحـد مـن فرعـكم
أَمُتُّ لا أدري إلـى عدنـانَ أم قحطـانْ
أقـول ان العـدل قـد يورِقُ أو يَذْبُـلُ فى حديقـةِ السلطـانْ
ياسيـدي أقـولْ
بـأن ما تنبتـه أصابـع القهـر على مفـازةِ الفصـولْ
يمـوت مثلمـا يمـوت صوتك الضائع بين ضَجَّةِ الطبـولْ
فصاح بي اخْـرسْ فهـذا منطـقِ العمالـةِ الغارقِ تحـتَ لُجَّـةِ الهَـوانْ
هَيَّـا ابتعد فاننا نشجُـب من يخطـر فى ثيـاب بهلـوانْ
سمعتُ مَـنْ يقـول هـذا شاعـرٌ مُتَرْثِـرٌ مسكينْ
قضى عليـه عـارض الجنـون كـي ينام فـوق حافَـةِ السِكّيـنْ
تفـرق الجميـعْ
كأنمـا انشـق فـم الأرض وَحَـلَّ الصمـت في حضـوره المكثف المريـعْ
وحينمـا صحوت من غاشيـة الذعـر رأيت غرفتي تسبـح فى الظـلامْ
تحسسـت يـدى مكـان الجـرح فـوق عنقـي
فاستيقنـت بـأن ظل الجـوع يُفضى دائمـاً الى دروب الشـوك والآلام
حـاولت أن أجهـر بالنطـق ولكـن
فَـرَّ مـن لسانـي الكـلام !

اعترافات لص

فى العدد الماضى من الدوحة كتب الدكتور نسيب النشاوى مقالا يتهم فيه الاستاذ يوسف الشاروني بأنه سرق قصة « الثـأر » المنشورة فى العدد ٦٢ من الدوحـة « فبراير ١٩٨١م » من قصة «الجمرة الأولى» للأديب السوري الاستاذ نصر الدين البحرة ، وقد جاءنا هذا الرد من الأستاذ يوسف الشاروني ، الذى آثر أن يكتب رده على شكل حوار ساخـر :

ـ أخيراً ضبطتك شرطة الأدب متلبساً بجريمة السرقة ؟

ـ أية سرقة ؟

ـ للأسف غفلت عنك أعينهم طوال ثلاثين عاماً تكتب فيها القصة والدراسة الأدبية وأنت تجيد اخفاء مسروقاتك حتى فضحتك أخيراً أعينهم الذكية . والآن عليك أن تدافع عن نفسك

ـ لقد اكتشفوا إذن جريمتي وأنا على مشارف الستين ما حسبت اننى أفلت منه وأنا ابن العشرين .

ـ اللص لص سواء كان فى العشرين أو الستين أو الثمانين .

ـ ولكن أليس من حقي أن أعرف تفاصيل الجريمة ؟

ـ لا شك أنه من حقك . لقد نشر كاتب سورى أن مواطنه الأديب نصر الدين البحرة .. .

ـ يؤسفنى ...

ـ لا تقاطعنى ، ليس عندك صبر . دعنى أكمل حديثى وستكون لديك الفرصة للرد والدفاع عن نفسك .

ـ هذه ثانى مرة تذكر فيها مسألة الدفاع عن النفس .

ـ لا تفقد أعصابك ولا تضخم الموضوع . مادمت قد عرضت نفسك للحياة العامة فيجب أن تتوقع كل شىء . هل يمكن أن أواصل كلماتى ؟

ـ تفضل .

ـ نشر الأديب السورى نصر الدين البحرة قصة منذ حوالى عشر سنوات بعنوان «الجمرة الأولى» .

ـ أين ؟

ـ لم يذكر صاحب الاتهام اسم المجلة ولا تاريخها لكنه لاشك يعرفهما . المهم أنه أعاد نشرها فى مجموعة قصصية عام ١٩٨٠ بعنوان «رمى الجمار» ، وأن قصتك المنشورة بالدوحة فى عدد فبراير من هذا العام ـ بصراحة وبلا لف ولا دوران ـ مسروقة من الأديب السورى . « إن هذا اللقاء بين الكاتبين فى عنصر التعبير الفنى والعنصر التصويرى والعمل الفنى ومصدره وعقدته لا يمكن (لاحظ لا يمكن هذه) أن يفسره النقد الأدبى أنه من باب توارد الخواطر لأن توارد الخواطر لا يمكن (مرة أخرى) أن يكون فى المعانى والأسلوب والصورة . وقد يصح أن يقع هذا فى بيت من الشعر، أما فى القصة فلا يمكن (مرة ثالثة) أن يقع بهذا الشكل» .

سيدى ، يؤسفنى أننى لم أسمع باسم الأديب الفاضل نصر الدين البحرة إلا منك الآن ، ويمكن أن تسأل كل كتاب مصر إن كانوا قد سمعوا به أو قرأوا له قصة واحدة ـ مع احترامى الشديد له ـ وأن مواطنه الذى لم أتشرف بالقراءة له قبل الآن هو الذى يعرضه لهذه الحقيقة .

ـ ربما هذا هو الذى أغراك بالسرقة منه .

ـ بل هذا لعله جهل منى . ولكنى بشر لا أستطيع أن أتابع كل كاتب فى الدنيا . فأنت تعرف أنى أتابع ـ بقدر ما يسع وقتى وجهدى ـ ما ينشره الكتاب المصريون : شيوخهم وشبابهم ، وما يكتبه كتاب العالم العربى ممن يتفضلون باهدائى انتاجهم ، ولم يكن من بينهم الأستاذ نصر الدين البحرة . كما أتابع الانتاج العالمى ـ بقدر جهدى ـ وأكتب الدراسة الأدبية والقصة . ويشاء سوء حظى ألا أسمع باسم نصر الدين البحرة ولا قرأت له كلمة واحدة ، رغم أنى سرقت منه والتقيت به مع سبق الاصرار والترصد فى التعبير الفنى والعنصر التصويرى والأسـلوب والصـورة الفنية ... الخ

ـ إذن فكيف تفسر ...

ـ دعنى أكمل كلامى ، فلاشك أنك حريص أن تعرف مصدر قصتى .

ـ بلاشك .

ـ ان أحد مصادر قصصى هو ما يرويه الآخرون . وقد كنت مهتماً ذات مرحلة بموضوع الثأر فاستجمعت عدداً من قصصه من أفواه الذين أتصل بهم ونشرت احداها فى جريدة الأهرام القاهرية . والقصة المنشورة فى مجلة الدوحة مصدرها زميل بالعمل من أبناء دراو محافظة أسوان باقصى صعيد مصر . هذه القصة كان هو شاهد عيان لها أثناء طفولته منذ ثلاثين عاماً ...

ـ ها قد وقفنا على الصلة . فزميلك لابد أن يكون قد قرأ للبحرة وادعى القصة لنفسه .

ـ من حسن الحظ أو سوئه أن زميلى لا يقرأ لا نصر الدين البحرة ولا يوسف الشارونى وقد ضحك عندما قرأ صحيفة الاتهام المنشورة فى الدوحة ولعلك معى فى أن هذه الضحكة أبلغ رد .

يوسف الشارونى



بيبسى

مشْـروب الجيـل الصَاعدْ


سوالف الماضي
للفنان القطري : محمد الكرازي